المفاهيم القرآنية

رسالة في تفسير مفاهيم
القرآن الكريم

تأليف
أ. أحمد عبد الرزاق مربوش

التعريف بالمؤلف/

المحامي / احمد عبد الرزاق مربوش سلام العامري

تاريخ ومحل الميلاد / من مواليد ١٩٧٣م بمنطقة حرف الاعمور اعرواق حيفان محافظه تعز اليمن وبها درس الا بتدائيه بمدرسه الشهيد عبد الرحمن مهيوب انعم بالعرين اعرواق ثم درس فى مدينه القاعده مديريه ذى سفال ثم بمعهد مصعب بن عمير بالحديدة ثم درس بمعهد المعلمين العام(مدرسه سباء بمدينة القاعده) ثم التحق بكلية الشريعه والقانون وعمل فى مجال المحاماه

الاقامه / ذى سفال اب الجمهوريه اليمنيه

العمل الحالى / محام مهتم بالفكر الاسلامى ودراسه القران الكريم وعلومه

المؤهل / ليسانس شريعه وقانون

الحاله الاجتماعيه متزوج من ثلاث نساء وله سبعه اولاد ثلاثه ذكور واربع بنات

بسم الله الرحمن الرحيم

الاهداء

(تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا)

إهداء إلى جيل "الفرقان" القادم

إلى المصلحين الذين اتخذوا من كتاب الله منهاجاً، ومن تدبره سبيلا ً للبناء والتنمية..

إلى كل من آمن أن القرآن ليس مجرد كلمات تتلى، بل هو "قوانين حركية" تصنع الحضارة وتغير وجه التاريخ..

إلى الباحثين عن المعايير الحقة في زمن اختلطت فيه السبل، والواقفين على ثغور الوعي لتمثل صفات "عباد الرحمن" واقعاً حياً..

أهدي إليكم هذا الجهد المتواضع؛ عسى أن تجدوا في "مفاهيم سورة الفرقان" ما يثبت الأفئدة، وينير الدروب، ويشد العزم على بناء مجتمع لا يضل ميزانه.

المحامي احمد عبد الرزاق مربوش سلام العامري

بناءً على المحتوى الغني والمنهجية الفريدة الواردة في ملف "مفاهيم سورة الفرقان"، إليك بطاقة تعريفية واستراتيجية شاملة للكتاب:
البطاقة التعريفية والاستراتيجية لكتاب: مفاهيم سورة الفرقان
.1جوهر المحتوى
الكتاب ليس مجرد تفسير تقليدي، بل هو مشروع بناء وعي؛ يهدف إلى استخراج القوانين الحركية و التربوية من سورة الفرقان لتحويلها إلى منهاج حياة .الجوهر يقوم على فكرة أن القرآن هو "الفرقان" الذي يمنح الإنسان معياراً دقيقاً للتمييز في عالم تداخلت فيه الشبهات بالحقائق.
.2براعة الاستهلال (
افتتح الكتاب بالوقوف عند كلمة "تبارك"، معتبراً إياها مفتاحاً نفسياً وتربوياً:
* الثناء قبل التلقي: تعليم القارئ كيف يقف بأدب وعظمة أمام النعمة قبل الخوض في تفاصيلها.
* تثبيت القلوب: الاستهلال باسم الله "تبارك") الذي كثر خيره ودام (جاء كدرع واقٍ للمؤمن قبل استعراض افتراءات المشركين التي ستأتي في ثنايا السورة.
.3المنهج البياني والتدبر الإيماني
* الدقة اللفظية: يحلل الكتاب الفرق بين الألفاظ) مثل الفرق بين "نزل" و"أنزل" (ليستنبط منها معاني التدرج والاستمرارية في التربية.
* الربط السياقي: يربط بين خاتمة سورة النور) ملك الله للكون (وافتتاحية الفرقان) نزول الوحي(، ليؤكد أن من يملك الكون هو الذي وضع دستور تشغيله.
* التدبر الحركي: لا يتوقف عند المعنى اللغوي، بل يسأل: "كيف نطبق هذا في واقعنا؟") مثل استنباط قوانين التنمية من آيات الظل والشمس والبحر.(
.4هيكل المفاهيم(
يُنظم الكتاب الأفكار في قوالب محددة تجعل المعرفة قابلة للتطبيق:
* المفاهيم العقائدية:) الملك، الخلق، التقدير، العبودية.(
* المفاهيم التربوية:) الصبر، التدرج، التواضع، الدعاء.(
* المفاهيم الكونية:) استثمار السنن الكونية في البناء الحضاري.(
.5أسلوب المؤلف والتميز (
* التركيز على "اللا حذف": يتميز الأسلوب بالشمولية وعرض التفاصيل دون اختزال مخل.
* الروحانية العملية: الجمع بين رقة الروح وقوة الدليل العقلي.
* التفكيك والتركيب: تفكيك الآية إلى جزئيات) رسائل، دروس، تطبيقات (ثم إعادة تركيبها في صورة "بطاقة تعريفية" شاملة.
.6المنهج المعتمد(
اعتمد الكتاب على منهج التحليل المفهومي الذي يتبع الخطوات التالية:
* الاستقراء: تتبع الألفاظ والمواضيع.
* الاستنباط: استخراج القواعد والسنن من النص.
* الربط الواقعي: إسقاط المعاني القرآنية على قضايا العصر) التنمية، التكنولوجيا، الأزمات النفسية.(
.7الجمهور المستهدف (
* المصلحون والمربون: الباحثون عن مناهج تغيير اجتماعي مستمدة من القرآن.
* الأكاديميون والباحثون: المهتمون بالدراسات المفهومية والبيانية.
* عامة المثقفين: الراغبون في تعميق صلتهم بالقرآن من خلال "التدبر الحركي" لا "التلاوة المجردة".
.8ثمار القراءة) ماذا ستتعلم؟(
* امتلاك الميزان: القدرة على نقد الأفكار المعاصرة وفرزها بميزان "الفرقان".
* صناعة الأمل: فهم أن التغيير سنة إلهية تتطلب الصبر والتدرج) قانون "نزل".(
* الارتقاء الأخلاقي: التشبه بصفات "عباد الرحمن" كنموذج إنساني كامل.
* الوعي الحضاري: فهم العلاقة بين الإيمان وعمارة الأرض) التنمية والإنتاج.(
الخاتمة
يختم الكتاب برؤية عميقة كما ختمت السورة؛ بأن قيمة الإنسان تكمن في افتقاره لربه ودعائه .إن هذا الكتاب ليس مجرد إضافة للمكتبة القرآنية، بل هو "دليل مستخدم" للإنسان المعاصر، يعيد ترتيب فكره من الداخل ليبدأ بالثناء) تبارك(، ويمر بالبناء) المنهج والعمل(، وينتهي بالدعاء) الصلة الدائمة ب الله .(إنه كتاب يصنع من القارئ "فرقانًا" يمشي على الأرض.

":
بطاقة تعريفية: سورة الفرقان
.1عدد آيات السورة:
77 * آية.
.2مكان نزولها:
* مكية؛ حيث نزلت في بيئة واجه فيها النبي ﷺ والمؤمنون ألوانًا من التكذيب والافتراءات)أساطير الأولين، سحر، كذب.(
.3ترتيب السورة:
* في المصحف: السورة رقم.25
* من حيث النزول: نزلت بعد سورة المؤمنون.
* علاقتها بما قبلها) سورة النور(: اختتمت سورة النور بإعلان أن الملك كله لله، وافتتحت الفرقان بـ الثناء على منزل الفرقان؛ لتربط بين عظمة الملك وعظمة الوحي.
.4أسماء السورة وسبب التسمية:
* الاسم: سورة الفرقان.
* سبب التسمية: سُمي القرآن "فرقانًا" لأنه الميزان الذي يفرق بين الحق والباطل، والهدى والضلال، و النافع والضار، والسعادة الحقيقية والوهمية .وجاء الاسم ردًا حاسمًا على شبهات المشركين ليؤكد أن الكتاب هو المعيار الحق.
.5خصائص السورة:
* الاستهلال بالثناء: بدأت بلفظ "تبارك" لتنبيه القارئ إلى عظمة نعمة القرآن وتثبيت القلوب أمام التكذيب.
* عالمية الرسالة: تميزت بوصف القرآن بأنه نذير "للعالمين"، مما يمنحها صبغة عالمية تتجاوز الحدود الإقليمية.
* التدرج في التربية: يشير لفظ "نزل") بالتضعيف (إلى أن القرآن نزل مفرقًا ليكون التلقي متدرجًا و التربية مستمرة.
* صفات عباد الرحمن: تفردت السورة في نهايتها برسم نموذج مثالي للإنسان المؤمن من خلال ذكر صفات "عباد الرحمن".
.6المواضيع الرئيسية للسورة:
* إثبات عظمة الوحي: والرد على افتراءات المشركين وشبهاتهم حول القرآن.
* توحيد الله وصفاته: التأكيد على انفراد الله بالملك، ونفي الولد والشريك، وإثبات كمال القدرة والإ تقان في الخلق.
* الآيات الكونية: التفكر في حركة الظل، الشمس، الليل والنهار، المرج البحرين، وخلق الإنسان من الماء.
* مصير المكذبين: الاعتبار بعاقبة الأمم السابقة) قوم نوح، عاد، ثمود (لإقامة الحجة والإنذار.
* منهجية "عباد الرحمن": تفصيل القيم الأخلاقية والاجتماعية) التواضع، الصبر، الاعتدال في الإنفاق، العفة.(
.7المناسبات والتناسق:
* بين مطلع السورة وخاتمتها: بدأت بالثناء على الله الذي أنزل الفرقان) المصدر(، وختمت ببيان أن قيمة الإنسان تكمن في دعائه لربه) الصلة بالخالق.(
* التناسق بين الوحي والكون: تربط السورة بين إحكام آيات القرآن وإتقان نظام الكون؛ فمن أنزل الفرقان هو من خلق كل شيء فقدره تقديرًا.
.8مقاصد السورة:
* تحقيق الفرقان الذاتي: بناء ميزان داخلي لدى المؤمن يميز به بين الحق والباطل في الأفكار و السلوكيات.
* ترسيخ العبودية لله: التحرر من كل العبوديات البشرية والمادية والاعتزاز بالعبودية لله وحده كأعلى مقام.
* بناء الإنسان والمجتمع المتزن: من خلال قيم التدرج، الصبر، تحمل المسؤولية، والنزاهة.
* الإنذار والرحمة: تنبيه الغافلين وتوفير فرصة للنجاة قبل فوات الأوان.
.9تطبيقات عملية:
* منهجية التدرج: عدم طلب الكمال فجأة في تربية النفس أو الأبناء.
* البركة والقرآن: البركة في الوقت والعقل تنال بقدر القرب من القرآن.
* السيادة بالعبودية: بقدر خضوعك لله تتحرر من ضغوط المادة وخوف البشر.

المقطع الاول
ابتدات سوره الفرقان بقوله تعالى ﴿تَبَارَكَ الذي نَزّلَ الفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾
المقدمة: استهلال بثنائك ربّك
تأمّل كيف تبدأ السورة: لا بسرد قصة، ولا بجدال مع مشرك، ولا بتقرير حكم، بل ب-"تَبَارَكَ"! إنها ليست بداية عادية، إنها بداية تعليمك كيف تقف أمام أعظم نعمة أنزلها الله على الأرض: القرآن .فقبل أن تخوض في تفاصيل السورة، يُريدك الله أن تثني عليه، أن تشعر أنك على موعد مع نعمة تستحق أن يفتتح بها الثناء.
الامر الاول
دلالة افتتاح الآية بالثناء على الله تبارك
لماذا جاء هذا الافتتاح بهذا الأسلوب؟
افتُتِحت السورة بالثناء لسببين عظيمين:
الأول: أن نعمة إنزال القرآن هي أجلُّ النعم بعد نعمة الوجود والإيمان، فكان الافتتاح بالثناء تنبيهاً على عِظَم المَنّة.
الثاني: أن هذه السورة -كما سنرى- سيواجه فيها النبي ﷺ والمؤمنون ألواناً من التكذيب والافتراءات)أساطير الأولين، سحر، كذب(...، فكان الافتتاح بالثناء تثبيتاً للقلوب: الذي أنزل هذا الكتاب هو "تبارك" أي: كثر خيره ودائم، فكيف يخيب من تعلق به؟
علاقتها بما انتهت به سورة النور
اختُتمت سورة النور بقوله تعالى: ﴿الا ان لله مٰا فى السَمَاوَاتِ وَالأَرْض﴾، فكان ذلك إعلاناً أن الملك كله لله .ثم افتُتِحت سورة الفرقان ب-"تبارك الذي نزّل الفرقان" لتربط لك عظمة المُلك بعظمة المُنزّل: من يملك السماوات والأرض هو الذي أنزل هذا الكتاب، فمن أين يأتي التشكيك؟!
معنى "تَبَارَكَ" في بداية الآية
"تبارك" وزن "تفاعل" الذي يدل على المبالغة والتكثير .ومعناها: كثرة خيره وعظمته ودوامه .إنها صيغة تفيد أن الخير الإلهي ليس عارضاً ولا محدوداً، بل هو متدفق، ثابت، دائم.
هل يجوز إطلاق هذه الصفة على غير الله؟

لا، مطلقاً ."تبارك" صفة خاصة بالله؛ لأن البركة الكاملة الشاملة الدائمة لا تكون إلا لله .قد نقول: "هذا رجل مبارك" أي فيه خير، لكن لا نقول "تبارك فلان" فهذا لا يجوز.

لماذا بدأت السورة ب-"تبارك"؟
لأنها تريد أن تحرك فيك شيئين معاً:
· العقل: ليتفكر: ما هذا الكتاب الذي يستحق أن يُنسب إلى "تبارك"؟ كيف يكون مصدره من لدن مَن كل خير منه؟
· القلب: ليشعر بالبركة، أنك على وشك أن تغرف من بحر لا ينضب.
***البركة ونزول القرآن: علاقة عضوية
البركة ليست كلمة ترددها، إنها حالة من النماء والثبات والخير المتصل .والقرآن هو مصدر البركة الأعظم؛ لأن فيه خير الدنيا والآخرة .فحين تقرأه، لا تقرأ كتاباً فقط، بل تدخل في نهر من البركة يتدفق على وقتك، وعقلك، وقلبك، وعلاقاتك.
نزول القرآن من السماء إلى الأرض: حبل الصلة

ماذا يوحي لك نزول القرآن من السماء إلى الأرض؟

يوحي أن السماء لم تغفل عن الأرض .أن هناك حبلا ً ممتداً بين الخالق والمخلوق .أنك لست متروكاً في متاهة الكون بلا مرشد .إنه إعلان صارخ: "لست وحدك، معك كتاب من عند مَن خلقك، يعرف طريقتك، ويُسمع صوتك".
لماذا "نزّل" ولم يقل "أنزل"؟

الفعل "نزّل") بالتضعيف (يدل على التكرار والتدريج، بينما "أنزل" يدل على مرة واحدة .وهذا إشارة إلى أن القرآن نزل مُنَجّماً على ثلاث وعشرين سنة، مفرقاً، بحسب الأحداث والأسئلة والنازلات .وهذا بخلاف الكتب السابقة التي نزلت دفعة واحدة.
والحكمة: ليكون التلقي متدرجاً، والتربية مستمرة، والتشريع ملائماً للواقع المتغير.
مفهوم مستنبط : بركتك بقدر قربك من القرآن
اقتران البركة) تبارك (بتنزيل القرآن يفيد أن البركة الحقيقية في وقتك وعقلك وحياتك لا تنال إلا بقدر اقترابك من هذا الكتاب .فالبركة ليست طاقة غامضة، إنها نتيجة اتصال بالمصدر الذي يفيض الخير.
"تبارك" وثبوت الخير

"تبارك" تفيد ثبوت الخير ودوامه .وهذا يمنحك شعوراً بالاستقرار في عالم مليء بالمتغيرات .لأنك إذا تعلقت بمن هو "تبارك" وبكتابه، صار لك مرتكز ثابت لا تتزعزع به الرياح.

الامر الثاني

مفهوم التدرج في "نزّل"

التدرج: سر التغيير العميق

"نزّل" بتضعيف الزي تحمل في طياتها قانوناً إلهياً: التغيير لا يحدث فجأة .إنه يحتاج إلى صلة مستمرة، وقراءة متدرجة، وتربية على مراحل.

**الهداية لا تحدث بين ليلة وضحاها

لا تتوقع أن تتغير حياتك بالقرآن في يوم واحد .بل هو "تنزيل" مستمر على قلبك: آية بعد آية، وموقف بعد موقف، حتى يستقيم حالك .هذه من أعظم رحمة الله بك؛ لأنه يعرف ضعفك، فيعطيك جرعات متدرجة من النور.

***التربية بالتدرج: لا تطلب الكمال فجأة

اصبر على نفسك، واصبر على من تربيهم .خطوات صغيرة لكن مستمرة، هذا هو القانون .لا تضغط على نفسك لتتغير في ليلة؛ اجعل بناء شخصيتك يتم شيئاً فشيئاً، كما نزل القرآن.

**فهم الواقع وإنزال الحوادث

"نزّل" تعني أيضاً أن القرآن نزل على واقع، نزل لحل مشكلات، نزل ليُحدث تغييراً في أرض الواقع . وهذا يعلمك أن تكون واقعياً، لا تعيش في خيالات .انزل إلى أرض الواقع، ثم اجعل القرآن يُنير لك الطريق فيه.

**بدأت بـ"تبارك" وانتهت بـ"عباد الرحمن": دائرة البركة

هذه الآية بدأت بصفة) تبارك (التي تدل على كثرة الخير ودوامه، وخُتِمَت السورة بصفة "عباد الرحمن" الذين اتصفوا بأخلاق عظيمة .وهذا دليل على أن بركة الله تظهر في الثمار الأخلاقية لمن يتبع الفرقان .البركة الحقيقية هي أن ترى أثر القرآن في سلوكك.

***البركة ليست كثرة المال

البركة هي حلول الخير الإلهي في الشيء .قد يكون مالك قليلا ً لكنه مبارك، وقد يكون كثيراً لكنه غير مبارك .هل تشعر ببركة الله في وقتك حين تبدأ يومك بالقرآن؟ جرب: ابدأ يومك بتلاوة وتدبر، ثم لاحظ كيف تمضي ساعاتك.

*الاستمداد من المصدر

تبارك الله الذي نزّل الفرقان .فبقدر حظك من الفرقان يكون حظك من البركة .فإذا أردت الوضوح، و الثبات، والطمأنينة، فعليك بالفرقان.

*النماء والبركة: مفهوم عملي

تبارك هو مفهوم عملي: القليل الذي يكفي ويثمر، هذا هو المبارك .والآية تربط هذا النماء بالاتصال الروحي بـالله .كلما امتلأ قلبك بتعظيم الله ومحبته، شعرت أن حياتك تنمو، وإن كانت الظروف ضيقة.

الامر الثالث

تدبر البركة في تفاصيل يومك

لماذا نشكو من محق البركة في الوقت والمال؟

اسأل نفسك: ما هو نصيب الفرقان من يومي؟ فإن أردت البركة في وقتك، فأعط الفرقان حقه .حين تبدأ يومك أو عملك أو دراستك بالقرآن، ستشعر بـ"تبارك": كثرة الخير وثباته تحيط بإنتاجيتك وتركيزك.

*سؤال الفجوة الزمنية

لماذا تمر ساعات دون إنجاز؟ لماذا تشعر أن وقتك ضائع؟ اسأل نفسك: هل أعطيت الفرقان حقه من يومي؟ جرب أن تجعل للقرآن وِرداً ثابتاً، ثم راقب كيف يفيض الله من بركة "تباركه" على بقية ساعاتك.

*سؤال الأولويات

هل تجد أن الوقت الذي تقضيه مع القرآن يمنحك صفاء ذهنياً يجعلك تنجز في ساعة ما كان يستغرق ثلاث ساعات بدونه؟ هذه هي البركة: نماء الخير وتموته .إنها معادلة عجيبة: وقت مع القرآن =إنجاز مضاعف في بقية الوقت.

*سؤال الاستمرار

"تبارك" فعل يدل على التجدد والاستمرار .اجعل وردك القرآني نقطة ارتكاز ثابتة في يومك، مثلا ً بعد الفجر .ليكون هو المصدر الذي يضخ البركة في جدول أعمالك المزدحم.

الخلاصة

البدء بتمجيد الذي بيده الخير هنا إشارة إلى أن القرآن هو أعظم بركة أنزلت على الأرض .فإذا أردت البركة في عقلك ووقتك ومالك وبيتك، فاجعل للفرقان نصيباً .البركة ليست مجرد زيادة كمية، بل هي حلول الخير الإلهي في الشيء.

الامر الرابع

مفهوم الفرقان
لماذا سمى الله القرآن "الفرقان"؟
الفرقان من الفرق، وهو الفصل بين الشيئين .والقرآن يفرق بين:
· الحق والباطل
· الهدى والضلال
· النافع والضار
· السعادة الحقيقية والوهمية
**علاقة هذا المفهوم بجدالات المشركين
السورة مليئة بشبهات المشركين: "أساطير الأولين"، "سحر"، "كذب" ...فجاء الاسم "الفرقان" في أول آية رداً حاسماً: هذا الكتاب ليس أساطير، بل هو الميزان الذي تفرق به بين ما تقولون وما هو حق.
*كيف تعيش الفرقان في حياتك؟
هل تشعر أن قراءتك للقرآن تمنحك ميزاناً داخلياً ينمو في قلبك؟ ميزاناً يجعلك:
· ترفض الباطل، حتى لو زينه الناس.
· تقبل الحق، حتى لو خذله الجميع.
*الفرقان بين الهم الدينوي والهم الأخروي
القرآن يفرق بين الأولويات .إن استطاع أن يفرق في حياتك بين ما هو عاجل زائل وما هو آجل باق، فقد حقق فيك وظيفته.
**الفرقان كمرجعية حاكمة
يريد الله أن يعطيك ميزاناً تقيس به الأمور .هذا الميزان هو ما جاء في القرآن .حين تقرأ القرآن وتتدبره، ستجد نظرتك للأمور قبل القراءة تختلف تماماً عنها بعد التدبر.
**دلالة ارتباط هذه الآية بخاتمة سورة النور
خُتِمَت سورة النور بذكر ملك الله للسماوات والأرض، ثم افتُتِحت سورة الفرقان بذكر إنزال الفرقان .
لماذا هذا الربط بين عظمة الوحي وعظمة الخلق؟
الرسالة: الذي خلق هذا الكون العظيم هو الذي أنزل هذا الكتاب .فمن باب أولى أن تتبع منهجه .وإن كنت ترى عظمة الخلق وتأملها، فاجعل لعظمة الوحي من التأمل والاتباع مثلها.
**تحويل الآية إلى منهج حياة
في زمن اختلاط المعلومات والشائعات بالحقائق، كيف تجعل القرآن فِلتراً يومياً؟ حين تحار في أمر، ارجع إلى القرآن .هذا هو الفرقان: معيار في يدك يصفّي لك الأمور.
**البركة في الحياة اليومية والعبودية
البركة ليست مفهوماً روحانياً فقط، إنها حالة تعيشها في تفاصيل يومك .حين تطبّق ما في الفرقان، تشعر بالبركة في وقتك، ومالك، وعلاقاتك.
*الانذار كدافع للإنجاز
الإنذار في الآية) ليكون للعالمين نذيراً (ليس للتخويف، بل للتنبيه والتحفيز .هو كتحذير الغريق قبل فوات الأوان .يريدك أن تتحرك، ألا تترك الفرص تضيع.
**عالمية الرسالة
"للعالمين" تعني أن هذه الرسالة ليست لقوم معينين، ولا لزمان معين، بل هي للبشرية جمعاء .وهذا يعنيك أنت شخصياً: أنت سفير لهذا الكتاب .سلوكك في الشارع، تعاملك مع الناس، انعكاس القرآن في حياتك: كل هذا هو تبليغ.
*الثبات على المبادئ
الفرقان يعطيك جرأة الثبات .قد تعيش في مجتمع يضغط عليك لموافقة الخطأ، ولكنك إذا استحضرت أن معك فرقاناً تفرق به بين الحق والباطل، وقفت وحدك بثبات، لا تذوب في الحشد.
*الحسم في القرارات
التردد يستهلك الطاقات .القرآن يعطيك معايير واضحة تساعدك على الحسم .فحين تتردد بين مصلحة عاجلة ومبدأ ثابت، يضيء لك الفرقان الطريق، ويوفر عليك عناء التخبط.
*عظمة نعمة الفرقان
في ضجيج الحياة، أعظم نعمة يحتاجها الإنسان هي القدرة على التمييز .من عاش بالقرآن عاش برؤية واضحة لا تغبشها الفتن.
*تربية الأطفال على أن القرآن هو الميزان
علم أولادك ألا يسألوا فقط: "هل هذا حلال أم حرام؟" بل علمهم أن يسألوا: "ماذا يقول القرآن؟" اجعل القرآن هو المسطرة التي يقيسون بها كل شيء.

الامر الخامس

مقام العبودية في الإسلام
شرف العبودية
وصف الله نبيه بـ"عَبْدِهِ" في مقام تنزيل أعظم كتاب .ولم يقل "رسوله" أو "نبيّه" .لماذا؟
لأن العبودية لله هي أعلى المقامات، وهي المدخل لتلقي الوحي .فمن أراد أن يفهم عن الله، عليه أن

يقف موقف العبد الخاضع المستكين.
**الدروس المستفادة من هذا الوصف
الأول: الاعتزاز بالعبودية، لا الاستنكاف منها .العبودية لله هي التحرر من كل عبودية سواها: عبودية الشهوات، المنصب، المال، الخوف من الناس.
الثاني: التواضع والانكسار لله .أن تشعر أنك عبد، لا متكبر، لا متعالي.
الثالث: الثبات على المبادئ .العبد يعرف أن له سيداً يطيعه، فلا تزعزعه الأهواء.
*العبودية في بيئة العمل
في عالم يحث على تعظيم الذات، كيف تطبّق العبودية؟
· تؤدي عملك بإتقان لأنك عبد الله تؤدي أمانة.
· لا تغش ولا تخون، حتى لو كان الجميع يفعل.
· توازن بين طموحك المهني وبين كونك عبداً لله أولً.
· تذكر أن رزقك بيد الله، فتستقيم معاملاتك.
*تحرير الإنسان بعبودية الله
عز العبودية لله تحررك من:
· عبودية الناس) لا تخشى أحداً(
· عبودية الشهوات) تتحكم فيها لا هي بك(
· عبودية المادة) تعلم أنها وسيلة لا غاية(
الامر السادس : الإنذار في الآية
مفهوم الإنذار ودوره
الإنذار هو إعلام بالخطر قبل وقوعه .وهو في جوهره رحمة، لأنه يعطيك فرصة لتتدارك.
*الإنذار كتحذير للغريق
تخيل أنك ترى غريقاً يلهو ولا يشعر بالغرق .إن صرخت فيه لتنقذه، فهذا إنذار ورحمة في آن .كذلك النبي ﷺ أرسل نذيراً للعالمين.
*التوازن بين هيبة الإنذار وسعة الرحمة
تأمل: قال "نذيرًا" ولم يقل "عذابًا" أو "سخطًا" .الإنذار وسيلة رحيمة لمن يريد النجاة .الهيبة فيه لدفع الغافل، والرحمة فيه لمن أراد الخلاص.
*الإنذار كدافع للإنجاز
لا تجعل الإنذار يسبب لك يأساً، بل اجعله حافزاً .كمن يعلم أن الامتحان قريب فيستعد .الإنذار القرآني يحفزك على:
· ترك التسويف
· البدء في إصلاح حياتك قبل فوات الأوان
· اغتنام الفرصة
*مسؤولية الإنذار تجاه الآخرين
إذا رأيت صديقاً يسلك طريقاً خاطئاً، لا تكتفِ بالصمت بدعوى "الحرية الشخصية" .أنت مطالب بالإ نذار برفق وحكمة، اقتداءً بالنبي ﷺ.
*عالمية الرسالة ومسؤوليتك
"للعالمين" تعني أن الإسلام ليس لقوم دون قوم .وهذا يضع على عاتقك مسؤولية تبليغ هذا النور لمن لم يصلهم .ليس بالضرورة بالكلمات فقط، بل بسلوكك الذي يعكس عظمة الفرقان.
الموضوع الثانى: المفاهيم المستنبطة من الآية
المفهوم الاول : المرجعية الحاكمة) الفرقان(
القرآن هو المرجع الأعلى في حياتك .كلما اختلفت عليك الآراء، وكلما تعارضت المصالح مع المبادئ، ترجع إلى القرآن .هذا هو مفهوم السيادة لله في التشريع.
المفهوم الثانى: السيادة بالعبودية
مفهوم عميق: بقدر خضوعك لله تتحرر من ضغوط المادة وعبودية المنصب والخوف من البشر . العبودية لله تعطيك سيادة على كل ما سواه.
المفهوم الثالث النماء والبركة
البركة ليست مجرد زيادة كمية، بل هي نماء وجودي في الحياة .القليل المبارك يكفي ويثمر، والكثير غير المبارك لا ينفع .ومصدر البركة هو الاتصال باللّه من خلال الفرقان.
فوائد هذه المفاهيم
· المرجعية الحاكمة: تمنحك وضوح الرؤية واستقرار القرار.
· السيادة بالعبودية: تحررك من التبعية لغيره، وتعطيك قوة داخلية.
· النماء والبركة: تجعلك تشعر بالغنى والاكتفاء ولو كان مادياً قليلا ً.
الامر الثاني
منظومة القيم المستنبطة من الآية
.1قيمة التعظيم: افتتاح الآية بالثناء يعلمك أن تبدأ باللّه، وتعظِم نعمه.

.2قيمة الشكر: أن تشكر الله على نعمة الفرقان.
.3قيمة التعلق بالله: البركة بالاتصال به.
.4قيمة التدرج: لا تطلب الكمال فجأة.
.5قيمة التمييز: الفرقان يعطيك القدرة على التمييز بين الحق والباطل.
.6قيمة التواضع: العبودية لله تربي فيك التواضع.
.7قيمة المسؤولية: أنت مطالب بالإنذار والتبليغ.
.8قيمة الثبات: التمسك بالمبادئ حتى لو خالفت الجميع.
.9قيمة العالمية: أن الإسلام للجميع، فتسع الناس برسالتك.
.10قيمة العمل: البركة تحل في العمل الصالح.

الامر الثالث

دور مفاهيم الآية في بناء الإنسان والمجتمع

في بناء الإنسان المتزن

- يعرف مرجعيته فلا يتخبط.
- يشعر بالعبودية فلا يتكبر.
- يستشعر البركة في حياته فلا يطمع.
- يحمل همّ الإنذار فلا يغفل عن غيره.

في بناء المجتمع المسلم

- مجتمع مرجعيته القرآن، فتتفق كلمته.
- أفراده متواضعون عابدون لله، لا يتنافسون على الدنيا.
- يسعى لنشر الخير للعالمين، لا أناني ولا انغلاقي.
- يربي أبناءه على التدرج والصبر.

في بناء الحضارة

الحضارة لا تُبنى بين ليلة وضحاها .مفهوم "نزّلَ" يعطيك قانوناً: البناء المتدرج المتين .وحين تستند حضارتك إلى الفرقان، تكون حضارة تميز بين النافع والضار، والحق والباطل .وحين تستشعر البركة، تتحول مقاديرك القليلة إلى نماء عظيم .وحين تتحرر من عبودية الشهوات والمناصب، تنطلق الطاقات الإبداعية.

دورها في التنمية

- التنمية الحقيقية تبدأ من الإنسان المتربي على الفرقان.
- البركة في الموارد تعني استغلالها الأمثل.
- العبودية لله تحمي من الفساد والاستغلال.
- عالمية الرسالة تجعل التنمية تشمل الجميع.

الامر الرابع

تطبيقات عملية للمفاهيم

في ضغوط العمل والمنافسة

- الفرقان: إذا تعارض مصلحة سريعة مع مبدأ، اختر المبدأ .وثق أن الربح الحقيقي فيما يرضي الله.
- البركة: ابدأ يومك بالقرآن، ستجد بركة في وقتك وتركيزك.
- العبودية: أنت تؤدي أمانة، فلا تغش ولا تختلس، فالله مطلع.
- الإنذار: كن صادقاً مع زملائك، ناصحاً لهم.

في تربية الأبناء على الصراحة

- الفرقان: علمهم أن القرآن هو الميزان، لا أهواء الناس.
- البركة: لا تطلب منهم الكمال فجأة، ربهم بالتدرج.
- العبودية: ربهم على أنهم عبيد لله، وهذا شرف.
- الإنذار: نبههم برفق إذا أخطأوا، ولا تهمل.

الامر الخامس

آثار الإخلال بمفاهيم الآية

أثر غياب الفرقان

- ضياع البوصلة، التخبط بين الآراء.
- عدم القدرة على التمييز بين الحق والباطل.
- اتباع الهوى بدل الشرع.

أثر غياب البركة وسيطرة الاستهلاك

- الشعور الدائم بالضيق وعدم الاكتفاء.
- قضاء الوقت في غير طائل.
- كثرة الأموال مع ضياعها.

أثر ترك شرف العبودية لله

- عبودية للناس: الخوف من الانتقاد، السعي لرضاهم.

· عبودية للمال والمنصب: الجري وراء الدنيا.
· فقدان الطمأنينة الداخلية.
أثر العولمة القسرية بترك رسالة رحمة للعالمين
· إما انغلاق وعدوانية.
· وإما ذوبان في الثقافات الأخرى.
· فقدان رسالة الإسلام العالمية.
الموضوع الثالث : آفاق الآية
الآية تجمع بين ثلاثية عظيمة:
روح العبادة: في قوله "على عبده" تدعوك إلى روح التعلق بالله، والانكسار له، والشعور بالحاجة إليه.
فن الحياة: في قوله "تبارك" و"الفرقان" تدعوك إلى كيف تعيش حياتك بميزان، وكيف تنال البركة في وقتك ومالك وعلاقاتك.
بناء الحضارة: في قوله "للعالمين" تدعوك إلى أن إيمانك ليس فردياً فقط، بل لك رسالة في هذا العالم، تساهم في بناء حضارة تقوم على الحق والعدل والرحمة.
الموضوع الرابع : أبعاد الآية
البعد اللاهوتي) العقائدي(
· إثبات صفة "البركة" لله، وأنه "تبارك" أي: كثير الخير، دائمه، عظيم.
· إثبات أن القرآن منزل من عند الله.
· إثبات العبودية لله.
البعد المعرفي) الفكري(
· الفرقان: كتاب يمنحك معارف تميز بها بين الحق والباطل.
· التدرج في نزول الكتاب يمنحك منهجاً في التلقي والتطبيق.
· عالمية الرسالة: المعرفة ليست محصورة بقوم دون قوم.
البعد النفسي
· البركة تمنح الطمأنينة والاستقرار.
· العبودية تمنح التحرر من الخوف.
· الإنذار يمنح الدافع للتغيير.
البعد الوظيفي للرسالة
الرسالة ليست معرفة فقط، بل وظيفة: إنذار، تبليغ، تربية .وهي وظيفة للنبي أولا ً، ثم لكل مسلم بحسبه.
البعد الجيوسياسي والعالمي
"للعالمين" إعلان أن هذه الرسالة تتجاوز الحدود القبلية والإقليمية .إنها مشروع عالمي للبشرية، ليس بـ العنف، بل بالإنذار والتبشير.
خاتمة: كيف تجعل هذه الآية منهج حياتك؟
الآية التي بدأنا بها ليست مجرد نص نقرأه، بل هي:
· مفتاح: "تبارك" مفتاح البركة.
· ميزان: "الفرقان" ميزان الحق.
· هوية: "عَبْدِهِ" هويتك الحقيقية.
· رسالة: "نذِيرًا" رسالتك في الحياة.
· أفق: "لِلعَالَمِينَ" أفق همّتك.
عش هذه الآية، تجد حياتك تتحول من ضيق إلى سعة، ومن تخبط إلى وضوح، ومن ضجر إلى بركة.
ثانيا
تفسير الآية الثانية من سورة الفرقان
قال تعالى: ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾
مقدمة: استمرار مشهد العظمة
بعد أن افتتحت السورة بـ"تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ"، جاءت الآية الثانية لتُكمل اللوحة، وكأنها تقول: انظر إلى الذي أنزل الفرقان، إنه مَن له ملك السماوات والأرض، الذي لا ولد له ولا شريك، الذي خلق كل شيء فأتقنه تقديراً. إنها ليست آية منفصلة، بل هي استمرار للثناء، وتفصيل لأسباب العظمة التي تستحق أن يُفتتح بها أعظم كتاب.
الامر الاول ً: دلالة تقديم "لَهُ" على "مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ"
لمسة بلاغية تسبق المعنى
في قوله: ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، جاء الظرف "له" في بداية الجملة، مقدماً على "ملك". هذا التقديم يفيد الحصر والتخصيص، أي: الملك لله وحده لا لغيره. إنها صيغة تفيد أن الملك مستقر لله، ثابت له، لا ينازعه فيه منازع.

ما سر التقديم؟
لو قال: "الذي ملك السماوات والأرض له" لكان المعنى صحيحاً، لكن التقديم أفاد ثلاثة معان بلاغية:
1. الحصر: الملك له لا لغيره.
2. الاهتمام: الاهتمام بجهة الملك (الله) قبل ذكر الملك نفسه.
3. التمكين المعنوي: أن الملك ثابت لله من الأزل، لا يطرأ عليه.
الأثر النفسي والتربوي
هذا التقديم يزرع في قلبك اليقين بأن كل ما في السماوات والأرض تحت تصرفه وحده. حين تشعر بذلك، لا تخشى تقلبات الرزق، ولا تتزعزع بفقدان منصب أو مال، لأن المالك الحقيقي هو الله، وهو الذي يعطي ويمنع بحكمة.
الامر الثاني نفي الولد والشريك – لماذا؟
١/السياق التاريخي والعقائدي
نزلت هذه الآية في بيئة عربية تقول: الملائكة بنات الله، وفيها من يزعم أن لله شريكاً في الملك. كما أن اليهود والنصارى يقولون: عزير ابن الله، والمسيح ابن الله. فنفى الله عن نفسه الولد و الشريك نفياً قاطعاً.
٢/البلاغة في النفي
استخدم القرآن أسلوب النفي المكرر: "ولم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك". النفي الأول (ولم يتخذ) يدل على إرادة الفعل، أي: لم يقم بفعل اتخاذ الولد. والنفي الثاني (ولم يكن له شريك) ينفي حتى وجود الشريك في الأزل. فالنفي شامل: لا بالفعل، ولا بالوجود.
٣/العظمة في نفي الولد
الولد يستلزم:
· حاجة إلى زوجة (تعالى الله)
· مجانسة ومماثلة
· التبعية والانفصال
· التحدّث في الوجود
نفي الولد عن الله هو إعلان عن كمال الغنى، وكمال الوحدانية، وكمال الصمدية.
٤/نفي الشريك في الملك
الملك هنا يعني الملكوت المطلق. لو كان لله شريك في الملك، لاختل النظام، ولتنازعا، ولما استقام الكون. لكنه وحده المالك، فلا ينازعه أحد.
٥/الأثر النفسي: تحرير من الخوف
حين تعلم أن لله لا شريك، ولا ولد، تعلم أن كل من سواه مخلوق، لا يملك لك نفعاً ولا ضراً. هذا يحررك من:
· تزلف للوسطاء: لا تخشى فلاناً لأنه ليس شريكاً لله في ملكه.
· استبدال البشر: لا تجعل بشراً يحكمك بالخوف والرجاء.
· عبودية المنصب: تعلم أن صاحب المنصب مخلوق مثلك، لا يملك لك شيئاً.
٦/بناء عزة النفس
مفهوم الوحدانية يبني فيك عزة النفس؛ لأنك لا تذل لأحد سوى الله. من آمن أن الله وحده المالك، لا يركع لغيره، لا يتملق لغيره، لا يخاف من غيره. هذه هي العزة الحقيقية.
الامر الثالث "وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا" – معنى التقدير
/١
الفرق بين الخلق والتقدير
· الخلق: الإيجاد من العدم.
· التقدير: وضع المقاييس والمقادير والموازين والنظام لكل مخلوق.
لم يقل "فخلقه" فقط، بل قال "فقدره تقديراً". أي: لم يخلق شيئاً عبثاً، بل جعل لكل شيء:
· حداً لا يتعداه
· قدراً لا يزيد ولا ينقص
· وقتاً لا يتقدم ولا يتأخر
· وظيفة يؤديها في نظام الكون
/٢
دقة التقدير اللفظية
جاء "قدره" مضعفاً للدلالة على المبالغة والإتقان، و"تقديراً" مصدراً منصوباً للدلالة على النوعية، أي: قدره تقديراً لا نظير له في الدقة والإحكام.
٣/البلاغة في التقديم
قدم الخلق على التقدير رغم أن التقدير سابق في العلم؛ لأن الخلق هو ما نراه، ثم نكتشف وراءه التقدير. إنها دعوة للتأمل: انظر إلى المخلوقات ثم تفكر في دقة تقديرها.
الموضوع الاول : الأبعاد السيادية لله في حياتنا اليومية

1. تدبر السيادة المطلقة: "لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ"
الرسالة لك
الله هو المالك المطلق. كل ما تراه من ملكوت، كل ما تملكه من مال، كل منصب تشغله، كل سلطة تمارسها، كلها ملك لله. أنت مستخلف فيه، لا مالك حقيقة.
التوجيه العملي
· لا تغتر بما تملك، فقد ينزعه الله في لحظة.
· لا تخف مما يملك الناس، فما يملكونه ليس ملكاً لهم حقيقة.
· إذا أردت شيئاً، فاسأل المالك الحقيقي.
· إذا نزل بك ضر، فاستغث بالمالك الذي بيده كل شيء.
2. تدبر الوحدانية والتحرر: "وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ"
المفهوم العميق
الله واحد أحد فرد صمد. لا ولد له فيحتاج، ولا شريك له فينازع. هذا الكمال في الغنى و الوحدانية يترجم في حياتك إلى:
عزة النفس: لا تذل لأحد؛ لأن الذل لا يليق بمن يعبد الملك المطلق. لو كان لله شريك، لكان لشركائه سلطان
لكنه وحده المالك، فلا سلطان لأحد.
التحرر من الواسطة: كثير من الناس يتقربون إلى البشر ظناً أنهم وسائط إلى الخير أو دافعة للضر. هذه الآية تقول: لا وسائط في ملك الله. هو المالك المباشر، فلا حاجة إلى وسيط.
استبدال البشر: لا تجعل إنساناً يحكمك بالخوف. لا تخشى مديراً، ولا وزيراً، ولا صاحب سلطان. كلهم مخلوقون، لا شركاء لله.
كيف تبني هذه العزة في نفسك؟
· كرر في نفسك: "لا ولد له، ولا شريك". فإذا همت بالخوف من أحد، ذكر نفسك: "لم يكن له شريك في الملك، فكيف أخاف مخلوقاً لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً؟"
· إذا أرادك أحد بشر، تذكر أن الله مالك كل شيء، وهو الذي يدفع عنك.
· إذا فقدت منصباً أو مالا ً، تذكر أن المالك هو الله، وهو يعطي ويمنع بحكمة.
3. تدبر قانون الإتقان: "وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا"
ماذا يعني هذا؟
الكون كله قائم على نظام دقيق، مقاييس محكمة، موازين مضبوطة. من الذرة إلى المجرة، كل شيء بقدر.
الفائدة العلمية والدرس العملي في الإدارة
· التخطيط: الله خلق الكون بتخطيط مسبق. فكيف ترضى أنت أن تكون حياتك عشوائية؟ كل نجاح يبدأ بتخطيط.
· الدقة: الله قدر كل شيء بمقدار. فتعلم أن تكون دقيقاً في عملك، دقيقاً في مواعيدك، دقيقاً في التزاماتك.
· عدم الرضا بالعشوائية: لا تقبل أن يكون عملك فوضويًا. نظام الخلق يدعوك إلى النظام.
التطبيق في حياتك العملية
· ابدأ يومك بخطة مكتوبة.
· قدر وقتك لكل مهمة.
· لا تهمل التفاصيل، فالله لم يهمل تفاصيل الكون.
· راجع أعمالك، وقومها، وصحح مسارك.
4. تدبر الطمأنينة بالقدر: "فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا"
الرسالة النفسية
كل ما يحدث في حياتك – نجاحاً أو فشلا ً، صحة أو مرضاً، غنى أو فقراً – هو بتقدير من حكيم. ليس صدفة، ليس عبثاً، ليس ظلماً. إنه تقدير من الذي خلق كل شيء فأتقنه.
الأثر في حياتك وأزماتك
· عند الفشل: لا تقل "حظي سيئ"، بل قل "هذا تقدير الله، وفيه خير لم أعلمه".
· عند النجاح: لا تغتر، بل قل "هذا من فضل ربي، وقد قدره لي في الوقت المناسب".
· عند الألم: لا تجزع، بل تذكر أن التقدير الإلهي أعدل من عقلك، وأعلم من علمك.
الرضا بما قسم الله
الرضا ليس استسلاماً سلبياً، بل هو ثقة بأن الذي قدره هو الحكيم العليم. ومع الرضا يأتي العمل، لكن بقلب مطمئن.
5. الربط الحضاري بين الآيتين الأولى والثانية
التناسق بين الوحي والكون
الآية الأولى: "تبارك الذي نزّل الفرقان" (الوحي)
الآية الثانية: "الذي له ملك السماوات والأرض... وخلق كل شيء فقدره تقديراً" (الكون)

الربط: الذي خلق هذا الكون العظيم بنظامه الدقيق هو الذي أنزل الفرقان. فالكون آية، والقرآن آية، والمصدر واحد. هذا يمنحك يقيناً: كما أن الكون ليس عبثاً، فكذلك القرآن ليس عبثاً. وكما أن الكون محكم، فكذلك أحكام القرآن محكمة.

كيف تغير نظرتك للعقبات؟

العقبات التي واجهتها في حياتك لم تكن صدفة، بل كانت بتقدير من حكيم. ربما كانت:

- لتربي فيك الصبر
- لتمنع عنك شراً
- لتصحح مسارك
- لتريك عجزك فتلجأ إليه

لو نظرت إلى عقبات ماضيك، ستجد أن كثيراً منها كان خيراً في ثياب شر.

الموضوع الثاني: القيم التي تحملها الآية

منظومة القيم

1. قيمة السيادة لله: أن كل شيء تحت ملكه.
2. قيمة التوحيد الخالص: لا ولد ولا شريك.
3. قيمة العزة: بالتوحيد تعز، وبالشرك تذل.
4. قيمة الإتقان: الكون كله إتقان، فلتتقن عملك.
5. قيمة التخطيط: التقدير المسبق أساس النجاح.
6. قيمة الرضا بالقدر: الطمأنينة بحكمة الله.
7. قيمة النظام: لا عشوائية في خلق الله.
8. قيمة التوازن: كل شيء بمقدار.

التناسق بين الوحي والكون

العلماء يسمون هذا "التناسق بين آيات الله الكونية والقرآنية". فالكون كتاب منشور، والقرآن كتاب مسطور. كلاهما يدل على عظمة الخالق وحكمته. من تأمل في الكون وجد إتقاناً، ومن تدبر القرآن وجد إتقاناً، والمصدر واحد. هذا يربي فيك:

- اليقين: أن القرآن حق، لأن صاحبه هو خالق الكون.
- الشعور بالعظمة: أنك تتعامل مع خالق هذا الكون العظيم.
- الثبات: عندما تهتز الأرض من حولك، تعلم أن الذي خلقها بإتقان لن يضيعك.

الموضوع الثالث : تطبيقات تربوية وعملية

1. غرس النظام والدقة في نفوس الأبناء

كيف نعلمهم من خلال هذه الآية؟

- قل لهم: انظروا إلى السماء، إلى النجوم، إلى الليل والنهار، كل شيء بقدر. الله لم يخلق شيئاً عشوائياً.
- علمهم أن نظام الكون يدعوهم إلى نظام حياتهم: ترتيب غرفتهم، تنظيم وقتهم، دقة في أداء واجباتهم.
- علمهم أن "قدره تقديراً" تعني أن لكل شيء وقتاً ومقداراً. فلا يطلبون الشيء في غير وقته.

2. الفرق بين التوكل والتواكل

التوكل (بناء على أن الله هو المالك)

التوكل هو أن تأخذ بالأسباب، وأنت تعلم أن المالك هو الله. تعمل، وتخطط، وتجتهد، ثم تفوض النتيجة إليه.

التواكل (الكسل المقنع)

التواكل هو أن تترك العمل بحجة التوكل. وهذا ليس من الإسلام.

كيف ترد هذه الآية على من يزعم أن الكون وجد صدفة؟

الآية تقول: "وخلق كل شيء فقدره تقديراً". لو كان الكون صدفة، لكانت فوضى، لكنه نظام دقيق. الصدفة لا تنتج نظاماً. وكلما تقدم العلم، ازداد اكتشافاً لدقة التقدير الإلهي.

3. التقدير الإلهي والابتلاءات

لماذا نجزع من الابتلاء والله يقول: "خَلَقَ كلّ شَيْءٍ فَقدَرَهُ تقْدِيرًا"؟

الابتلاء جزء من هذا التقدير. لم يخلق الله البلاء عبثاً، بل قدره بحكمة:

- ليمحص الإيمان
- ليرفع الدرجات
- ليعلم الصبر
- ليدفع عنك شراً أكبر

كيف تحول الآية نظرتك للألم؟

الألم ليس عقاباً دائماً، قد يكون:

- تزكية: يزكي نفسك.
- تنبيهاً: ينبهك إلى غفلتك.

· تقديراً: يقدر لك خيراً لا تراه.
هل يمكن أن يكون المنع هو عين العطاء؟
نعم. كثيراً ما منعك الله شيئاً فكان عين العطاء. منعك وظيفة ليعطيك خيراً منها. منعك زواجاً ليعطيك من هو أصلح. منعك مالاً ليعطيك صحة أو أولاداً صالحين. التقدير الإلهي حكيم، لا تعترض عليه.
4. تدبر انفراد الملك: "لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ"
لماذا قدم الجار والمجرور "له"؟
ليغرس في قلبك اليقين أن الملك كله لله. لا شريك، لا منازع، لا وريث. هذا اليقين يمنحك:
· القوة: أنت مع من بيده كل شيء.
· الأمان: لا تخشى من ينازع الله في ملكه.
· الغنى: من كان ربه مالك كل شيء، فهو غني بغنى ربه.
5. كمال الغنى بنفي الولد والشريك
نفي الولد يعني: لا يحتاج إلى أحد. نفي الشريك يعني: لا ينازعه أحد. هذا هو كمال الغنى. وفي حياتك، حين تعلم أن ربك غني كامل الغنى، تثق أنه لا يحتاج إلى عملك ليعطيك، بل يعطيك فضلاً منه.
6. فلسفة الخلق: "خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا"
كل شيء له وظيفة
الكون ليس مجموعة أشياء عشوائية، بل كل مخلوق له وظيفة في نظام الوجود. الشمس تضيء، القمر يعكس الضوء، الليل يسكن، النهار يسعى، المطر ينبت، الأرض تمهد. كل شيء بقدر.
الربط بالحياة العملية
أنت أيضاً مخلوق بقدر، لك وظيفة في هذه الحياة. لا تعش عبثاً. اكتشف مهمتك، وأدها بإتقان.
الموضوع الرابع: المفاهيم المركزية في بناء الإنسان
1. بناء الإنسان المتزن
نفسياً
· الطمأنينة بالقدر تمنع القلق والاكتئاب.
· عزة النفس بالتوحيد تمنع الذل والانهزام.
فكرياً
· الإيمان بالنظام الكوني يمنح رؤية متزنة للحياة.
· فهم التقدير يمنع التفسير الخاطئ للأحداث.
سلوكياً
· الإتقان يصبح خلقاً.
· التخطيط يصبح عادة.
· الرضا يصبح حالة.
اجتماعياً
· لا تحسد أحداً، فالأرزاق مقدرة.
· لا تحتقر أحداً، فالتقدير الإلهي يرفع من يشاء.
2. تحويل مفهوم التقدير إلى سلوك انضباط
خطة عملية
المجال التطبيق
الوقت قدر وقتك يومياً بخطة مكتوبة
المال قدر ميزانيتك الشهرية
العمل حدد أهدافاً بأوقات محددة
العلاقات قدر وقتاً للأسرة والعبادة
التطوير قدر وقتاً يومياً للتعلم
التقدير الإلهي يعلمك أن تبدأ بالتقدير: خطط، نظم، رتب، ثم انطلق.
3. دور المفاهيم في بناء المجتمع المسلم والحضارة
المجتمع المسلم
· مجتمع يؤمن بالسيادة المطلقة لله، فتحكمه الشريعة لا الأهواء.
· مجتمع لا يخضع لغير الله، فلا استبداد ولا عبودية لبشر.
· مجتمع يتقن العمل، فلا فساد ولا رشوة.
· مجتمع يرضى بقدر الله، فلا طمع ولا حسد.
الحضارة الإسلامية
· الحضارة التي قامت على نظام دقيق في كل شيء: من العمارة إلى الإدارة.
· العلماء المسلمون أبدعوا لأنهم آمنوا أن الكون له نظام، فبحثوا عنه واكتشفوه.
· الحضارة الإسلامية كانت حضارة "تقدير" في كل شيء: المقاييس، الموازين، الأوقات.

4. دور المفاهيم في التنمية
التنمية الحقيقية تبدأ من:
· الإتقان: لا بناء على عشوائية.
· التخطيط: لا نجاح بلا تقدير.
· العدل: لأن الملك لله، فالمال أمانة.
· الرضا: مجتمع راضٍ ينتج، ومجتمع ساخط يتوقف.
5. تطبيق مفاهيم الآية في إدارة فريق عمل أو تأسيس مشروع
الملك لله: مفهوم الأمانة
إذا كنت مديراً، تذكر أن المنصب الذي بين يديك أمانة من الله، لست مالكاً حقيقياً، بل مستخلفاً.
هذا يجعلك:
· لا تستبد بالسلطة
· لا تظلم مرؤوسيك
· تضع المصلحة العامة فوق مصلحتك
نفي الشريك: القرار الواحد
إذا كان لله لا شريك في الملك، ففي إدارتك يجب أن يكون القرار واضحاً، لا تشتت. فريق العمل يحتاج إلى قيادة واحدة واضحة.
التقدير: التخطيط والإتقان
· التخطيط: ابدأ مشروعك بخطة محكمة، قدر الموارد، قدر الوقت، قدر المخاطر.
· الإتقان: لا ترض بالعشوائية. أتقن كل تفصيل.
· النظام: ضع أنظمة وإجراءات دقيقة، كما أن الكون له نظام.
نموذج للإدارة الناجحة
1. المرجعية: كل قرار بميزان الشرع (كما أن الكون بميزان)
2. الوضوح: لا شركاء في القيادة (كما أن الله لا شريك له)
3. التخطيط: قدر كل شيء قبل أن تبدأ (كما قدر الله كل شيء)
4. الإتقان: لا تهمل التفاصيل (كما أتقن الله خلقه)
5. المراجعة: راجع أعمالك باستمرار (كما أن التقدير يشمل كل لحظة)
الموضوع الخامس : الحكم والرسائل النفسية
الحكمة في المنع والعطاء
الله يمنع ليعطي، ويعطي ليمنع. قد يعطيك مالاً فيمنعك الراحة، ويمنعك مالاً فيعطيك صحة. قد يعطيك منصباً فيمنعك القرب منه، ويمنعك منصباً فيعطيك راحة البال.
التوازن الكوني والشرعي
كما أن الكون قائم على توازن دقيق (الليل والنهار، الشتاء والصيف، الجاذبية والحركة)، فكذلك الشريعة قائمة على توازن (الأمر والنهي، الرغبة والرهبة، العبادة والمعاملة). من عاش بهذا التوازن، عاش حياة مستقرة.
الرسائل المباشرة لقلبك وعقلك
عند الأزمات المالية:
· قل: المالك هو الله، وما عندي ليس ملكي حقيقة، بل عارية.
· قل: الذي قدر لي الفقر، هو الذي يقدر لي الغنى في وقته.
· لا تيأس: التقدير الإلهي لا يعني نهاية الطريق.
عند الفشل المهني:
· قل: هذا تقدير الله، وليس نهاية الحياة.
· قل: ربما منعني هذا الفشل من شر أكبر.
· ابدأ من جديد: التقدير الإلهي لا يعني الاستسلام، بل يعني العمل مع الرضا بالنتيجة.
الخاتمة: كيف تعيش هذه الآية؟
· كل يوم، عندما تستيقظ، تذكر: الله مالك كل شيء، لا شريك له.
· عندما تخطط ليومك، تذكر: الكون كله بتقدير، فلا تعش عشوائياً.
· عندما تواجه صعوبة، تذكر: هذا تقدير من حكيم، وفيه خير.
· عندما تنجح، لا تغتر: فالملك كله لله، والنجاح عطاء منه.
· عندما تدير عملاً أو فريقاً، تذكر: الإتقان سنة الله في خلقه.
ثالثا
تفسير الآية الثالثة من سورة الفرقان
قال تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾
مقدمة: حين يتحول العقل إلى ساحة معركة

بعد أن أقامت الآيتان الأوليان عرش العظمة لله: ﴿تَبَارَكَ الذِي نَزّلَ الفُرْقَانَ﴾ ثم ﴿الذِي لَهُ مُلْكُ السَمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾، جاءت هذه الآية لتقارن، لتوازن، لتضع بجانب عظمة الخالق حقارة ما اتخذ من دونه. إنها ليست مجرد آية ترد على المشركين، بل هي معركة في أعماقك أنت أيضاً. لأن كل إنسان -ولو آمن- قد يقع في شرك "اتخاذ آلهة من دون الله" بشكل أو بآخر: آلهة من أموال، من مناصب، من أشخاص، من أوهام.
هذه الآية تقدم لك مقايسة عقلية بمنطق حاد، كأنها تقول: هات عقلك، وزن، قارن، ثم احكم بنفسك. هل يعقل أن تعبد من لا يخلق شيئاً وهو مخلوق؟ هل يعقل أن ترجوه وهو لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً؟ هل يعقل أن تخافه وهو لا يملك موتاً ولا حياة ولا نشوراً؟
تعالَ ندخل معاً إلى ساحة هذه المقارنة العقلية، وكأن الآية تنزل الآن، وكأن عقلك هو المخاطب، وكأن وجدانك هو الميدان.
المبحث الأول: السياق – لماذا هذه الآية هنا؟
موقعها من السورة
بعد أن وصف الله نفسه في الآيتين الأوليين بصفات الكمال: التنزيل، الملك، الوحدانية، الإتقان، التقدير، انتقل في الآية الثالثة إلى وصف حال المشركين الذين أشركوا به. إنه أسلوب التباين: هذا هو الخالق العظيم، وهؤلاء ما اتخذوا من دونه. المقارنة هنا تهدف إلى:
1. إبراز عظمة الله من خلال تفاهة ما أشرك به.
2. تفنيد شبهاتهم بالمنطق العقلي.
3. تحرير العقل البشري من أغلال التقليد والتبعية.
المبحث الثاني ً: المقايسة العقلية – أدوات التحرر
الآية تقدم لك معادلة ذهنية دقيقة. هي تدعوك لأن تمسك ميزان العقل بيدك، وتزن به ما تعبده أو تخشاه أو ترجوه أو تتعلق به من دون الله. لنحلل هذه المقايسة جزءاً جزءاً.
الجملة الأولى: ﴿وَاتخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً﴾
اللمسة البيانية: "اتخذوا" وليس "عبدوا"
لم يقل "وعبدوا من دونه آلهة"، بل قال "واتخذوا". "اتخذوا" تفعلوا من الأخذ، أي: جعلوا هذه الأشياء آلهة باختيارهم، وليس لأنها تستحق العبادة. إنه قرار بشري خاطئ، ليس نابعاً من حقيقة في تلك الآلهة. هذا يفيد أن الوثنية ليست أمراً مفروضاً، بل هي اختيار بشري خاطئ يمكن التراجع عنه.
"من دونه" – حرف الجر الدال على الاستعلاء
"من دونه" أي: من دون الله، من غير الله. هذا الحرف يفيد أن الله هو الأصل، وما سواه فرع وتابع. إنه يضعك أمام حقيقة: إما الله، وإما غيره. لا وساطة، لا تدرج.
مفهوم الأثر النفسي
هذه الجملة تضع يدك على أول خطأ في الشرك: الاختيار الخاطئ. أنت تختار من تعبد، تختار من تخاف، تختار من ترجو. فلماذا لا تختار الأعظم؟
الجملة الثانية: ﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾
أول معيار للتحرر: معيار الخلق
هنا تبدأ المقارنة العقلية الحادة. الآلهة المزعومة:
· لا يخلقون شيئاً: هم عاجزون عن إيجاد أي شيء من العدم.
· وهم يُخلقون: بل هم أنفسهم مخلوقون، موجودون بعد أن لم يكونوا، محتاجون إلى من أوجدهم.
اللمسة البلاغية: التوكيد بتقديم الخبر
قدم النفي "لا يخلقون" على الاسم "شيئاً" للتوكيد والحصر. أي: ليس فقط أنهم لا يخلقون أشياء معينة، بل لا يخلقون شيئاً مطلقاً. ثم عطف جملة "وهم يُخلقون" وهي في مقابل الأولى، فجاءت الجملة الاسمية "وهم يُخلقون" للدلالة على الثبات والاستمرار: هم مخلوقون، وهذه صفة ثابتة فيهم.
اللمسة التجويدية: نبر التوكيد في "لَا يَخْلُقُونَ"
حرف النفي "لا" يُقرأ بمد طبيعي، ثم يأتي السكون على "يَخْلُقُونَ" ليعطي إحساساً بالقطع والجزم. هذه الآية حين تُتلى، تشعرك أنك أمام حقيقة قاطعة لا تقبل الجدل.
الدرس العقلي
أي عقل سليم يقبل أن يعبد مخلوقاً؟ أي عقل سليم يقبل أن يتعلق بمن لا يملك أن يخلق شيئاً، وهو نفسه مخلوق؟ هذه أول معادلة: الخالق يُعبد، والمخلوق لا يُعبد. فإذا كان ما تعبده مخلوقاً، فأنت في تناقض عقلي.
مفهوم التحرر من الأوهام
كم من إنسان تعلق بشخص وظنه قادراً على تغيير مصيره، ثم اكتشف عجزه؟ كم من إنسان رجا منصباً وظنه قادراً على تحقيق أمانيه، ثم وجده لا يملك شيئاً؟ هذه الآية تقول: كل مخلوق مهما ع لا شأنه، يبقى مخلوقاً، لا يخلق شيئاً، وهو يُخلق.
الجملة الثالثة: ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾

ثاني معيار للتحرر: معيار الملك
بعد أن نفى عنهم الخلق، نفي عنهم الملك. هم لا يملكون لأنفسهم:
· ضراً: لا يستطيعون دفع ضر عن أنفسهم.
· ولا نفعاً: ولا يستطيعون جلب نفع لأنفسهم.
اللمسة البلاغية: تقديم الضر على النفع
قدم الضر على النفع مع أن النفع هو المقصود غالباً. لماذا؟ لأن دفع الضر أهم وأولى من جلب النفع. فإذا كانوا لا يملكون دفع الضر عن أنفسهم، فكيف يدفعونه عنكم؟ وإذا كانوا لا يملكون جلب النفع لأنفسهم، فكيف يجلبونه لكم؟
"لأنفسهم" – اللمسة الدقيقة
لم يقل "لا يملكون ضراً ولا نفعاً" فقط، بل قال "لأنفسهم". أي: حتى لأنفسهم لا يملكون، فكيف لغيرهم؟ هذا منتهى العجز.
الدرس العقلي
إذا كان الذي تعبده لا يملك ضراً ولا نفعاً لنفسه، فكيف ترجوه أن يملك لك ضراً أو نفعاً؟ هذا تناقض صارخ. العاقل لا يسأل من لا يملك، ولا يخاف من لا يضر.
مفهوم التحرر من الارتهان للأشخاص
كم من إنسان أسلم نفسه لشخص وظنه قادراً على نفع أو ضر، ثم اكتشف عجزه؟ ربما كان مديراً، أو زعيماً، أو صاحب سلطان. هذه الآية تعلمك أن لا ترتهن لأحد، لأن أحداً لا يملك نفعاً ولا ضراً لنفسه، فكيف لك؟
الجملة الرابعة: ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾
ثالث معيار للتحرر: معيار الحياة والموت
هذه أعظم آية في تفنيد الأوهام. الآلهة المزعومة:
· لا يملكون موتاً: لا يستطيعون أن يميتوا أحداً.
· ولا حياة: ولا يستطيعون أن يحيوا أحداً.
· ولا نشوراً: ولا يستطيعون أن يبعثوا أحداً.
اللمسة البلاغية: الترقي في النفي
لاحظ الترتيب: بدأ بالنفي عن الخلق، ثم عن ملك النفع والضر لأنفسهم، ثم عن ملك الموت والحياة والنشور. إنه ترقٍ في العجز، من الأقل إلى الأكثر. فإذا كانوا لا يملكون حتى هذه الأمور العظيمة، فما الذي يملكونه؟
اللمسة التجويدية: إطالة المد في "نُشُورًا"
كلمة "نُشُورًا" جاءت بمد عوض في آخرها، مما يعطي إحساساً بالامتداد. كأن النفي ممتد، شامل لكل زمان ومكان.
الدرس العقلي
الموت والحياة والنشور هي أمور لا يملكها إلا الله. من لا يملكها، كيف يكون إلهاً؟ هذه المعادلة تضعك أمام حقيقة: من لا يملك الحياة والموت، لا يستحق أن يُعبد.
مفهوم التحرر من الخوف من الموت
كثير من الناس يخافون من أشخاص ظناً أنهم يملكون موتهم أو حياتهم. هذه الآية تقول: لا أحد يملك موتك إلا الله. لا مدير، لا حاكم، لا عدو. فلا تخف إلا من الله.
الموضوع الاول : المفاهيم المركزية في الآية
المفهوم الاول: تحرير العبادة
العبادة حق خالص لله وحده. الآية تقدم لك ثلاثة براهين عقلية على ذلك:
1. برهان الخلق: الخالق يُعبد، والمخلوق لا يُعبد.
2. برهان الملك: المالك الحقيقي للنفع والضر هو الله وحده.
3. برهان الحياة والموت: من بيده الحياة والموت والنشور هو المستحق للعبادة.
المفهوم الثاني: نقد الأوهام الاجتماعية
الآية تدعوك لأن تنقد كل ما يعبده الناس من دون الله. ليس فقط الأصنام، بل كل ما يتخذ إلهاً: المال، الجاه، المنصب، الأشخاص. كلها مخلوقة، لا تخلق شيئاً، لا تملك نفعاً ولا ضراً، لا تملك موتاً و لا حياة.
المفهوم الثالث: سيادة العقل المنهجي
الآية لا تدعوك إلى إيمان أعمى، بل إلى إيمان قائم على مقايسة عقلية. إنها تقول: فكر، قارن، استخدم عقلك. من يعبد مخلوقاً فقد أهمل عقله.
المفهوم الرابع : التحرر من الارتهان للبشر
من أعمق مفاهيم الآية: أن البشر لا يملكون لك نفعاً ولا ضراً. هذا يحررك من:
· الخوف من الناس: لا تخشى أحداً، لأن أحداً لا يملك ضراً.
· الرجاء في الناس: لا ترجُ أحداً، لأن أحداً لا يملك نفعاً.

· التزلف للبشر: لا تتزلف لأحد، لأنهم مثلك لا يملكون شيئاً.
الموضوع الثاني : القيم المستنبطة من الآية
1. قيمة التوحيد: إفراد الله بالعبادة.
2. قيمة العقلانية: الإيمان بالدليل والبرهان.
3. قيمة التحرر: عدم الارتهان للمخلوقين.
4. قيمة النقد: نقد الأوهام والمعتقدات الباطلة.
5. قيمة الشجاعة: الشجاعة في ترك ما يعبد الناس.
6. قيمة الاستقلال: الاستقلال في القرار والاعتقاد.
7. قيمة الصدق مع النفس: أن تسأل نفسك: هل أنا حقاً موحد؟
الموضوع الثالث: الدروس والتوجيهات
الدرس الأول: لا تعلق قلبك بمخلوق
مهما عظم شأن إنسان، يبقى مخلوقاً. لا يخلق شيئاً، لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً. كيف تعلق به قلبك؟ كيف تخشاه؟ كيف ترجوه؟
الدرس الثاني: لا تخف إلا من الله

الخوف الفطري هو خوف العبد من ربه. أما الخوف من الناس، فهو خوف مذموم يذل صاحبه. هذه الآية تمنحك الشجاعة: لا تخش أحداً، لأن أحداً لا يملك ضراً.
الدرس الثالث: لا ترجُ إلا الله

الرجاء من العبادة. إذا رجوت مخلوقاً، فقد أشركت. هذه الآية تعلمك: من لا يملك لنفسه نفعاً، كيف يملك لك نفعاً؟ ارج الله وحده.
الدرس الرابع: لا تتزلف لأحد

التزلف للناس لتحقيق منفعة هو شكل من أشكال عبادة المخلوق. الآية تردك إلى كرامتك: أنت عبد لله وحده، لا لفلان ولا لفلان.
الدرس الخامس: استخدم عقلك في إيمانك

الإيمان ليس تقليداً أعمى. الآية تدعوك للتفكر والمقارنة. كم من معتقد خاطئ تتبعه لأن آباءك كانوا يفعلونه؟ هذه الآية تدعوك لأن تمسك عقلك بيدك وتزن.
الموضوع الرابع : التطبيقات العملية في حياتنا
تطبيق 1: في علاقات العمل
قد تخشى مديرك، وقد تظن أنه يملك رزقك أو مستقبلك. هذه الآية تقول: لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً. رزقك بيد الله، ومديرك مجرد سبب. لا تخش إلا الله.
تطبيق 2: في التعامل مع السلطة
قد يخاف الناس من الحكام وأصحاب المناصب. هذه الآية تعيد لك كرامتك: لا يملكون موتاً ولا حياة. من لا يملك موتك، لا تخشه. قل كلمة الحق، ولا تخف.
تطبيق 3: في تربية الأبناء
علم أبناءك ألا يخافوا إلا الله. علمهم ألا يتزلفوا لأحد. علمهم أن القوة الحقيقية في التوحيد. علمهم أن يستخدموا عقولهم في نقد ما يعبده الناس.
تطبيق 4: في مواجهة ضغوط المجتمع
قد يضغط عليك المجتمع لتفعل ما يريد، أو لتترك ما تعتقد. هذه الآية تعطيك القوة: لا تخشى الناس. هم مخلوقون، لا يملكون لك ضراً ولا نفعاً. اثبت على الحق.
الموضوع الخامس: الرسائل النفسية للآية
رسالة إلى قلبك: أنت حر
الآية تهمس في قلبك: أنت حر. حر من عبادة الأصنام، حر من عبادة الأشخاص، حر من عبادة الأوهام. لا ترتهن لأحد. لا تخش أحداً. لا ترجُ أحداً. أنت عبد لله وحده، وهذا شرف.
رسالة إلى عقلك: فكر
الآية تهمس في عقلك: لماذا تعبد من لا يخلق شيئاً وهو يُخلق؟ لماذا تخاف من لا يملك ضراً؟ لماذا ترجو من لا يملك نفعاً؟ استخدم عقلك، واتخذ قرارك بنفسك.
رسالة إلى إرادتك: اختر
الآية تهمس في إرادتك: "اتخذوا" كان اختيارهم، ويمكنك أن تختار غير ذلك. اختر أن تعبد الله وحده. اختر ألا تخاف إلا منه. اختر ألا ترجو إلا إياه.
الموضوع السادس: الربط بين الآية الثالثة وسابقاتها
الربط بالآية الأولى: التنزيل والتحرير
الآية الأولى قالت: "تبارك الذي نزل الفرقان". والفرقان هو الذي يفرق بين الحق والباطل. وهذه الآية

الثالثة هي جزء من هذا الفرقان: تفرق بين من يستحق العبادة ومن لا يستحق.
الربط بالآية الثانية: الملك والتحرير
الآية الثانية قالت: "له ملك السماوات والأرض". إذا كان الملك له وحده، فكيف تتخذ من دونه آلهة؟
الآية الثالثة ترد على هذا السؤال: لأن المشركين لم يستخدموا عقولهم، فعبدوا من لا يملك شيئاً.
الخاتمة: كيف تعيش هذه الآية؟
· كلما خفت من أحد، تذكر: لا يملكون ضراً ولا نفعاً.
· كلما رجوت أحداً، تذكر: لا يملكون موتاً ولا حياة.
· كلما تزلفت لأحد، تذكر: هم مخلوقون مثلك.
· كلما ضغط عليك المجتمع، تذكر: لا تخش إلا الله.
· كلما رأيت الناس يعبدون ما سوى الله، تذكر: هم لم يستخدموا عقولهم.
هذه الآية هي فرقانك الشخصي: تفرق بها بين ما يستحق العبادة وما لا يستحق. تفرق بها بين من تخشى ومن لا تخشى. تفرق بها بين من ترجو ومن لا ترجو.
وقفة أخيرة: هل أنت موحد حقاً؟
الآية لا تخاطب المشركين فقط. تخاطب كل من في قلبه تعلق بغير الله. اسأل نفسك:
· هل تخشى أحداً من دون الله؟
· هل ترجو أحداً من دون الله؟
· هل تتزلف لأحد من دون الله؟
· هل تعلق قلبك بمخلوق؟
إذا كان الجواب نعم، فأنت بحاجة إلى هذه الآية. اجعلها فرقانك. اقرأها وتدبرها حتى تتحرر. حتى تشعر أنك عبد لله وحده، حر مما سواه.

رابعا

تفسير الآية الرابعة من سورة الفرقان
قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا﴾
مقدمة: عندما يواجه الحق سلاح الاتهام
بعد أن أقامت الآيات الثلاث الأولى قاعدتي التوحيد المتينتين: عظمة المنزّل (تبارك)، وعظمة المُنزّل (الفرقان)، وسيادة المالك للكون، وبراهين تحرير العقل من عبادة المخلوقين، جاءت هذه الآية لتُظهر لنا كيف يواجه أهل الكفر هذه الدعوة. إنها صورة حية من ساحة المعركة بين الحق والباطل، بين رسالة السماء واعتراضات الأرض.
هذه الآية ليست مجرد خبر عن الماضي، بل هي مرآة تنعكس فيها واقع كل من يواجه الحق في أي زمان ومكان. إنها تكشف عن آلية التشكيك التي يستخدمها المبطلون عندما يعجزون عن مواجهة الحق بمنطق العقل، فيلجؤون إلى سلاح الافتراء والكذب.
تعالَ نتأمل هذه الآية كأنها تنزل علينا اليوم، وكأننا نسمع أصوات المشككين في كل عصر، وكأننا نرى كيف يتعامل القرآن مع هذه الاتهامات بطريقة تثبت قلوب المؤمنين وتفضح دعاوى المبطلين.
أولا ً: السياق – لماذا هذه الآية هنا؟
موقعها من السورة

بعد أن أثبتت الآيات السابقة ألوهية الله وربوبيته بأدلة عقلية قاطعة، تنتقل الآية الرابعة إلى الحديث عن موقف المشركين من القرآن والنبي ﷺ. هذا التدرج في السورة له حكمة عظيمة:
1. تثبيت النبي والمؤمنين: إعلامهم بأن هذه الاتهامات ليست جديدة، بل هي سنة الله في كل من جاء بالحق.
2. تفنيد الشبهات: الرد على كل من يتهم القرآن بأنه من صنع البشر.
3. كشف حقيقة المبطلين: أنهم عندما يعجزون عن المواجهة العقلية، يلجؤون إلى التلفيق والافتراء.
ثانيا تحليل الآية – قراءة في عمق الاتهام
الجملة الأولى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾
اللمسة البيانية: تقديم القول على الفاعل
بدأت الآية بالفعل "وقال" قبل ذكر الفاعل "الذين كفروا". هذا التقديم يفيد الاهتمام بالمقول، وإبراز أن هذه الأقوال صادرة عن أهل الكفر، وهي نموذجية لكل من يسلك طريقهم.
"الذين كفروا" – وصف بالصفة لا بالاسم
لم يقل "وقال المشركون" بل "الذين كفروا". هذا الوصف يفيد أن هذه الأقوال صادرة عن الكفر نفسه، أي أن الكفر ينتج هذه الاتهامات طبيعياً. فكلما جاء الحق، أطلق الكفر سهامه من الافتراءات.
الدلالة النفسية
هذه الجملة تعلمك أن الاتهامات التي تواجهها عندما تدعو إلى الحق ليست نابعة من عقول محايدة، بل من قلوب غشاها الكفر. فلا تحزن من تكذيبهم، فهذه طبيعة الكفر.
الجملة الثانية: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ﴾

اللمسة البلاغية: قصر النفي بـ"إن" و"إلا"
جاء الأسلوب بـ"إن" و"إلا" للقصر والحصر، أي: ما هذا إلا إفك، وليس شيئاً آخر. هذا يفيد أنهم حاولوا حصر حقيقة القرآن في وصف واحد: أنه كذب مختلق.
"إفك" – اختيار اللفظ بدقة

"الإفك" هو أشد أنواع الكذب، وهو قلب الحقائق رأساً على عقب. وصفوا القرآن بأنه "إفك" أي كذب محض، ليس فيه ذرة من حق. وهذا منتهى البهتان.
"افتراه" – اللمسة الصرفية

"افتراه" من الافتراء، وهو اختلاق الكذب من غير أصل. الفعل ماضٍ للدلالة على أنهم نسبوا الفعل إلى النبي ﷺ كأنه قد وقع منه. والصيغة تدل على أنهم زعموا أنه تعمد الكذب.
الدلالة العقلية
هذه الجملة تكشف عن أول وسيلة للهروب من الحق: اتهام حامله بالكذب. فإذا عجزوا عن مناقشة المضمون، هاجموا المصدر. وهي وسيلة مستخدمة حتى اليوم: "هذا كذب"، "هذا اختلاق"، "هذا من تأليفه".
الجملة الثالثة: ﴿وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ﴾
اللمسة البلاغية: العطف لإضافة اتهام إلى اتهام
عطفوا اتهاماً ثانياً على الأول: ليس فقط افتراه، بل وأعانه عليه قوم آخرون. هذا أسلوب تكديس ا لاتهامات، وهو من أساليب المبطلين: كلما فشل اتهام، أضافوا اتهاماً آخر.
"أَعَانَهُ" – توزيع الأدوار
زعموا أن النبي ﷺ لم ينفرد بالاختلاق، بل استعان بأناس آخرين من أهل الكتاب أو غيرهم ليساعده على نظم القرآن. وهذا اتهام مزدوج: اتهام النبي بالكذب، واتهام غيره بالتواطؤ.
"قَوْمٌ آخَرُونَ" – نكرة للتحقير
جاء "قوم آخرون" نكرة غير معرفة، للدلالة على أنهم لم يحددوا هويتهم، بل رموا باتهام عام غير مثبت. و"آخرون" تفيد أنهم غير العرب، أي أنهم استعانوا بأعاجم ليسوا من لسانهم.
اللمسة التاريخية
كان المشركون يقولون: إن محمداً يستعين بغلامين أعجميين من أهل الكتاب (جبر ويسار)، وهما من غير العرب، فيأخذ منهما أحاديث بني إسرائيل ويصوغها قرآناً. فرد الله عليهم بأن القرآن نزل بلسان عربي مبين، وكيف يستعين بأعجمي؟!
الدلالة النفسية
هذا الاتهام يكشف عن المرحلة الثانية في آلية التشكيك: إذا لم يقبل الناس اتهام المصدر بالكذب، أضافوا اتهام التواطؤ والاستعانة بآخرين. وكأنهم يقولون: لم يستطع أن يصنعها بمفرده، بل استعان بفريق.
**الجملة الرابعة: ﴿فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا﴾
اللمسة البيانية: الفاء للتفريع والنتيجة
الفاء في "فقد" تفيد أن هذه الاتهامات أدت بهم إلى نتيجة حتمية: أنهم جاءوا بظلم وزور. أي: نتيجة هذا القول أنهم ارتكبوا إثمين عظيمين.
"جَاءُوا" – الإتيان المحسوس
استخدم فعل "جاءوا" وهو فعل الحركة والإتيان، كأنهم حملوا هذه الصفات وحضروا بها إلى ساحة الحساب. هذا يفيد أن الظلم والزور ليسا مجرد أقوال، بل هما شيء محسوس سيحاسبون عليه.
"ظُلْمًا وَزُورًا" – الجمع بين الإثمين
· الظلم: وضع الشيء في غير موضعه. ظلموا النبي ﷺ بنسبة الكذب إليه، وظلموا القرآن بنسبته إلى غير الله.
· الزور: الكذب والبهتان. وهو وصف لقولهم نفسه.
اللمسة البلاغية: تقديم الظلم على الزور

قدم الظلم على الزور لأن الظلم أعم وأعظم. فكل زور ظلم، وليس كل ظلم زوراً. والتقديم يفيد أن الظلم هو الأصل، والزور نتيجة له.
التجويد: الوقف على "زُورًا"
الوقف على "زوراً" يعطي إحساساً بالحسم والقطع، وكأن القضية قد انتهت، وصدر الحكم عليهم.
الدلالة العقلية
هذه الجملة هي الحكم الإلهي النهائي على هذه الاتهامات: ليست مجرد أقوال عابرة، بل هي ظلم وزور، وسيحاسبون عليها.
الموضوع الاول : المفاهيم المركزية في الآية
المفهوم الاول: سنة المواجهة بين الحق والباطل

الآية تثبت قاعدة ربانية: كلما جاء الحق، واجهه الباطل بالاتهامات. هذه سنة الله في الأمم. فلا تستغرب إذا واجهت اتهامات عندما تدعو إلى الله، فهذه سنة الأنبياء.

المفهوم الثانى: آلية التشكيك والتكذيب

تكشف الآية عن مراحل التشكيك التي يتبعها المبطلون:

المرحله	الاسلوب
الاولى	اتهام المصدر بالكذب (إفك افتراه)
الثانيه	اتهام حامله بالاستعانة بآخرين (أعانه عليه قوم آخرون)
الثالثه	تراكم الاتهامات دون دليل

المفهوم الثالث: ثبات الحق رغم الاتهامات

الآية لم ترد على الاتهامات بتفنيدها تفنيداً مباشراً، بل اكتفت بوصفها بأنها ظلم وزور. وهذا يدل على أن الحق لا يحتاج إلى الدفاع عن نفسه بقدر ما يحتاج إلى كشف زيف المبطلين. فالقرآن واضح في إعجازه، والنبي معروف بصدقه، والاتهامات تسقط بذاتها.

المفهوم الرابع: مسؤولية القول

الآية تذكر كل من يتكلم في دين الله بغير علم، أو يتهم الدعاة بالباطل، بأن هذه الأقوال ليست هينة، بل هي ظلم وزور يسجل عليهم.

الموضوع الثانى: القيم المستنبطة من الآية

1. قيمة الصدق: القرآن نزل بالصدق، والمبطلون يأتون بالزور.
2. قيمة الثبات: لا تتزعزع أمام الاتهامات، فهذه سنة الأنبياء.
3. قيمة الحجة بالدليل: القرآن يقدم البراهين، والكافرون يقدمون الافتراءات.
4. قيمة التوكل على الله: لا تخف من تكذيب المكذبين، فالله ناصر دينه.
5. قيمة عدم الالتفات للشبهات: لا تشغل نفسك بالرد على كل اتهام، بل استمر في دعوتك.
6. قيمة الحذر من الافتراء: لا ترمِ أحداً بالباطل، فهذا من صفات الكافرين.
7. قيمة الفصل بين القول والنتيجة: كل قول له نتيجة، ونتيجة الباطل الظلم والزور.

الموضوع الثالث: الدروس والتوجيهات

**الدرس الأول: لا تحزن من تكذيب الناس

هذه الآية تنزل على قلبك كبلسم: الذين كفروا قالوا ما قالوا، وهذا ليس غريباً. كل نبي كُذّب، وكل دعوة ووجهت بالاتهامات. فلا تحزن، ولا يضق صدرك.

**الدرس الثاني: لا تنشغل بالرد على كل شبهة

القرآن لم يفنِّد الاتهامات بالدخول في تفاصيلها (من هم القوم الآخرون؟ كيف أعانوه؟)، بل اكتفى بوصفها بأنها ظلم وزور. هذا يعلمك ألا تشغل نفسك بالرد على كل شبهة، فبعض الاتهامات تسقط بذاتها.

**الدرس الثالث: اصبر على الأذى كما صبر النبي

النبي ﷺ اتهم بالكذب، وبأنه يستعين بغلمان أعاجم، وكان هذا يؤذيه. لكنه صبر، واستمر في دعوته. فاصبر كما صبر.

**الدرس الرابع: كن حاسماً في تفنيد الباطل

عندما يحكم القرآن على أقوال المشركين بأنها "ظلم وزور"، فهذا حسم في القضية. تعلم أن تكون حاسماً في موقفك من الباطل، لا متردداً.

**الدرس الخامس: لا ترمِ الناس بالباطل

الآية تحذر من أن تكون من الذين يأتون بالظلم والزور. تأمل: الكفار فعلوا ذلك، فكيف بمسلم يتهم إخوانه بغير حق؟!

الموضوع الرابع : التطبيقات العملية في حياتنا

تطبيق 1: في مواجهة الاتهامات الشخصية

قد تتهم في دينك، أو في علمك، أو في عملك، باتهامات باطلة. هذه الآية تعلمك:

- لا تحزن، فهذه سنة الأنبياء.
- لا تنشغل بالرد، بل استمر في عملك.
- ثق أن الحق سيظهر، والباطل سيزول.

تطبيق 2: في الدعوة إلى الله

عندما تدعو الناس إلى الله، قد يواجهك البعض باتهامات:

- "هذا متطرف"
- "هذا يستعين بفلان"
- "هذا كلام منقول"

هذه الآية تثبتك: هذا هو طريق الأنبياء. استمر، ولا تلتفت.

تطبيق 3: في تربية الأبناء
علم أبناءك ألا يخافوا من اتهامات الناس إذا كانوا على الحق. علمهم أن الصدق قد يواجه بالكذب، لكن الله مع الصادقين.
تطبيق 4: في الإعلام والتواصل الاجتماعي
في زمن الشائعات والافتراءات، هذه الآية تذكرك:
· لا تروج للباطل.
· لا تنقل خبراً دون التحقق.
· لا ترم أحداً بغير دليل.
الموضوع الخامس: الرسائل النفسية للآية
رسالة إلى قلبك: لا تحزن
الآية تهمس في قلبك: لا تحزن من تكذيب الناس. هؤلاء الذين كفروا قالوا ما قالوا، وهذا ليس جديداً. قلبك مع الحق، فلماذا يهزك باطلهم؟
رسالة إلى عقلك: تأمل
الآية تهمس في عقلك: تأمل في آلية التشكيك. لماذا يلجأ المبطلون إلى الاتهامات بدلا ً من المناقشة؟ لأنهم لا يملكون حجة. فإذا عجزوا عن دحض الحق، هاجموا حامله.
رسالة إلى إرادتك: اثبت
الآية تهمس في إرادتك: اثبت كما ثبت الأنبياء. لا تتراجع أمام الاتهامات. الحق قوي، والباطل واهن. استمر في طريقك.
الموضوع السادس: الربط بين الآية الرابعة وسابقاتها
الربط بالآية الأولى: الفرقان ضد الإفك
الآية الأولى قالت: "تبارك الذي نزل الفرقان". والفرقان يفرق بين الحق والباطل. وهذه الآية تظهر الباطل في صورته الحقيقية: إفك وزور. فالفرقان هو الذي كشف زيف هذه الاتهامات.
الربط بالآية الثانية: الملك والظلم
الآية الثانية قالت: "له ملك السماوات والأرض". فكيف يظلم من له الملك؟ والكافرون جاؤوا بظلم، أي وضعوا الأمور في غير مواضعها: جعلوا الحق باطلا ً، والباطل حقاً.
الربط بالآية الثالثة: آلهة لا تخلق
الآية الثالثة وصفت آلهة المشركين بأنها لا تخلق شيئاً. وهذه الآية تصف أقوالهم بأنها إفك وزور. فكما أن آلهتهم باطلة، فأقوالهم باطلة.
الموضوع السابع: الرد على الشبهات من خلال الآية
الشبهة: القرآن من تأليف محمد ﷺ
الرد: القرآن قال إن هذه دعوى كاذبة، ووصفها بأنها إفك وزور. والدليل على بطلانها:
1. النبي ﷺ أمي لم يقرأ ولم يكتب.
2. القرآن فيه من الإعجاز ما لا يستطيع بشر أن يأتي به.
3. لو كان من عنده لوجد فيه اختلافاً كثيراً.
الشبهة: محمد استعان بغلمان أعاجم
الرد: القرآن وصف هذه الدعوى بأنها ظلم وزور. والدليل:
1. القرآن نزل بلسان عربي مبين.
2. كيف يستعين بأعجمي ليأتِ بقرآن عربي؟
3. من هم هؤلاء القوم؟ لم يثبت اسمهم، فهي دعوى عارية عن الدليل.
الخاتمة: كيف تعيش هذه الآية؟
· عندما تتهم في دينك، تذكر: الذين كفروا قالوا هذا للنبي ﷺ.
· عندما تواجه شبهة، لا تنشغل بالتفصيل، بل انظر إلى الهدف: إفك وزور.
· عندما تدعو إلى الله، توقع الاتهامات، ولا تحزن.
· عندما تسمع اتهاماً لأحد، لا تصدق حتى تتبين، فقد يكون ظلماً وزوراً.
· عندما تضعف إرادتك، تذكر أن النبي ﷺ ثبت، فاثبت.
هذه الآية هي سندك النفسي في مواجهة الباطل. إنها تذكرك أن الطريق إلى الله ممهد باتهامات المبطلين، وأن الثبات على الحق هو الذي يميز المؤمن الصادق.
وقفة أخيرة: هل أنت من الذين يقولون أم من الذين يفترون؟
الآية تضعك أمام خيارين:
الخيار الأول: أن تكون من الذين يقولون الحق، ويثبتون عليه، حتى لو كذبهم المكذبون.
الخيار الثاني: أن تكون من الذين يأتون بالظلم والزور، فيرمون الناس بالباطل.
أيهما تختار؟
خامسا
تفسير الآية الخامسة من سورة الفرقان

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾
مقدمة: حين يتهمون الوحي بأنه حكايات الأجداد
بعد أن واجه القرآن في الآية السابقة اتهام المشركين له بأنه "إفك افتراه" واستعان فيه بقوم آخرين، يأتي الآن اتهام جديد، أكثر جرأة، وأكثر كشفاً لطبيعة الصراع بين الحق والباطل. إنهم يغيرون التهمة، لكن الهدف واحد: صرف الناس عن هذا الكتاب العظيم.
هذه الآية تخاطبك أنت أيضاً. كم مرة سمعت من يقول: "هذه قصص قديمة"، "هذه حكايات الأولين" ، "هذا كلام لا يناسب عصرنا"؟ إنها نفس العقلية، ونفس الحجة البالية، تتكرر في كل زمان ومكان.
لكن تأمل: لماذا يصرون على تسمية الحق "أساطير"؟ ولماذا يتهمون النبي ﷺ بأنه يكتتبها وتملى عليه؟ وكيف يرد القرآن على هذه التهمة دون أن يدخل في تفاصيلها؟ تعالَ ندخل معاً إلى أعماق هذه الآية، وكأنها تنزل الآن، وكأنها تخاطب قلبك وعقلك ووجدانك.
اولا: السياق – العلاقة بالآية التي قبلها
الربط بالآية الرابعة
الآية الرابعة قالت: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ﴾
والآية الخامسة تأتي لتضيف اتهاماً جديداً: ليس فقط أنه إفك افتراه، بل هو أساطير الأولين يكتتبها وتملى عليه. إنها تصعيد في الاتهام، وتنويع في أساليب التشكيك. وكأن المشركين قالوا: إن لم تصدقوا قولنا بأنه افتراه، فنقول لكم: إنه أساطير الأولين نقلا ً عنهم. هذا أسلوب المبطلين: كلما فشل اتهام، أتوا باتهام آخر.
ثانيا ً: تحليل الآية – قراءة في عمق الاتهام
الجملة الأولى: ﴿وَقَالُوا﴾
اللمسة البيانية: حذف الفاعل في السياق
لم يقل "وقال الذين كفروا" كما في الآية السابقة، بل قال "وقالوا" بحذف الفاعل الصريح. لماذا؟ لأن المتحدث عنهم معروف من السياق، ولأن هذا الأسلوب يفيد أن هذه الأقوال أصبحت شائعة متداولة بينهم، حتى صاروا مجموعة متجانسة في القول. إنه يعطيك إحساساً بأن هذه ليست أقوال أفراد، بل ثقافة سائدة بينهم.
الدلالة النفسية
هذه "القيلولة" الجماعية تعلمك أن الباطل غالباً ما يكون له ظهير اجتماعي. الناس قد يتواطؤون على الكذب، وقد يرددون أكاذيبهم حتى تصبح كأنها حقيقة. لكن كثرة القائلين لا تجعل الباطل حقاً.
الجملة الثانية: ﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾
اللمسة البلاغية: اختيار اللفظ بدقة
"أساطير" جمع أسطورة، وهي الأحاديث التي تسطر، أي تكتب. وكانوا يطلقونها على القصص القديمة التي لا أصل لها، أو التي اختلط فيها الحق بالباطل. وصفهم للقرآن بأنه "أساطير الأولين" يعني: ليس جديداً، ولا من عند الله، بل هو منقول عن الأمم السابقة، لا قيمة له.
**"الأولين" – دلالة التحقير
إضافة الأساطير إلى "الأولين" فيها تحقير: أن هذه حكايات عجائز، لا تصلح لهذا الزمان، ولا تليق بعقول الناس. إنهم يستخدمون حجة "القديم لا يصلح للجديد"، وهي حجة تتكرر في كل عصر ضد الوحي.
**اللمسة التجويدية: مد "أساطير"
كلمة "أساطير" فيها مد طبيعي في الألف، ثم يأتي حرف الراء، مما يعطي إحساساً بثقل هذه التهمة على النفس حين تُتلى، وكأن القارئ يستنكرها.
**الدلالة العقلية
هذا الاتهام يكشف عن عقلية المشركين: رفض الجديد لأنه يخالف القديم. لم يدرسوا القرآن ليروا هل هو حق أم باطل، بل رفضوه لمجرد أنه ليس مما كان عليه آباؤهم. إنها العقلية التقليدية التي ترفض كل جديد لمجرد أنه جديد.
الجملة الثالثة: ﴿اكْتَتَبَهَا﴾
**اللمسة الصرفية: صيغة الافتعال
"اكتتبها" من كتب، في صيغة افتعل، التي تفيد التكلف والتطلب. أي: أنه طلب من غيره أن يكتبها له، أو أنه تكلف كتابتها بنفسه. وهي تهمة جديدة: أنه ليس فقط ينقلها، بل يتكلف جمعها ونسخها.
**اللمسة البيانية: إسناد الفعل إلى النبي ﷺ
أسندوا إليه فعل الاكتتاب، رغم أنهم يعلمون أنه أمي لا يقرأ ولا يكتب. هذا دليل على أن الاتهامات لا تخضع للمنطق، بل تطلق جزافاً. والعجيب أن القرآن ينقل هذه التهمة دون أن يفندها بتذكيرهم بأنه أمي! لماذا؟ لأن القرآن لا يحتاج إلى هذا التفنيد، فالأمر واضح، والاتهام ساقط بذاته.
**الدلالة النفسية
هذا الاتهام يعلمك أن المبطلين قد يتهمونك بأشياء تعرف أنت يقيناً أنها ليست فيك. فلا تحزن، فهذه طريقتهم.

**الجملة الرابعة: ﴿فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾
اللمسة البلاغية: الفاء للتفريع
جاءت الفاء في "فهي" لتفريع الاتهام الثاني على الأول: بعد أن زعموا أنه اكتتبها، زعموا أنها تملى عليه. أي: هناك من يمليها عليه في الصباح والمساء.
**"تُمْلَى" – الإملاء والتلقي
الإملاء هو أن يلقن غيره شيئاً فيكتبه. وزعموا أن النبي ﷺ يجلس إلى أناس في الصباح والمساء، فيلقنونه هذه الأساطير، ثم يخرج بها قرآناً.
**"بُكْرَةً وَأَصِيلًا" – التوقيت المكثف
· بكرة: أول النهار.
· أصيلا ً: آخر النهار.
هذا التعبير يفيد أن الأمر متصل مستمر: في الصباح والمساء، أي طوال الوقت. وزعموا أنه يتلقى هذه الأساطير باستمرار.
**اللمسة التجويدية: التنوين في "بُكْرَةً وَأَصِيلًا"
التنوين في الكلمتين مع إدغام التنوين مع الواو يعطي إحساساً بالاستمرارية والتكرار. كأن الإملاء لا ينقطع.
**الدلالة العقلية
هذا الاتهام من أضعف الاتهامات:
· النبي ﷺ أمي لا يقرأ ولا يكتب، فكيف يكتتب؟
· لو كان هناك من يملي عليه، لظهر أمرهم، ولشهدوا به.
· القرآن نزل بلسان عربي مبين، وهؤلاء المزعومون إن كانوا أعاجم، فكيف يمليون عربياً فصيحاً؟
· إنه اتهام هش، لكن المشركين تمسكوا به لأنه كان وسيلة لصرف الناس.
المبحث الثاني
الموضوع 1: المفاهيم المركزية في الآية
المفهوم 1: صراع القديم والجديد
الآية تكشف عن حقيقة إنسانية: أن الباطل غالباً ما يتشبث بالقديم، ويتهم الجديد بأنه "أساطير الأ ولين" أو "خرافات" أو "لا يناسب العصر". هذه الآية تعلمك أن الحكم على الشيء يكون بمضمونه، لا بقدمه أو حداثته.
المفهوم 2: آليات التشكيك في الوحي
تضيف الآية آلية جديدة إلى آلية التشكيك التي ظهرت في الآية السابقة:
الآية الرابعة الآية الخامسة
اتهام بالافتراء اتهام بأنه أساطير الأولين
اتهام بالاستعانة بقوم آخرين اتهام بالاكتتاب والإملاء
الهدف واحد: إنكار أن القرآن من عند الله.
المفهوم 3: عدم الرد التفصيلي على الشبهات الواهية
القرآن لم يقل: "كذبوا، فهو أمي لا يكتب، ولا أحد يملي عليه"، بل اكتفى بنقل اتهامهم ثم انتقل إلى السياق. هذا يعلمك أن بعض الشبهات لا تستحق الرد التفصيلي، لأنها تسقط بذاتها، والانشغال بـ الرد عليها قد يوهم بأن لها قيمة.
المفهوم 4: قيمة الزمن في التلقي
استخدام "بكرة وأصيلا ً" يشير إلى أن المشركين كانوا يرصدون النبي ﷺ في أوقاته، ويظنون أنهم يحيطون بحركته. لكن الوحي كان يأتيه في أوقات مختلفة، ولم يكن مرتبطاً بلقاءات بشرية. هذا يعلمك أن العين البشرية قد ترى ولا تبصر، وأن الله يحمي دينه ورسوله.
الموضوع 2: القيم المستنبطة من الآية
1. قيمة التمييز بين الحق والتراث: ليس كل قديم حقاً، وليس كل جديد باطلا ً.
2. قيمة عدم الانخداع بالشائعات: كثرة القائلين لا تجعل الباطل حقاً.
3. قيمة الثبات أمام الاتهامات: النبي ﷺ ثبت رغم اتهامه بهذه الأباطيل.
4. قيمة الحجة بالدليل لا بالانطباع: المشركون رفضوا القرآن بانطباع (إنه أساطير)، وليس بحجة.
5. قيمة الصبر على الأذى: الاتهامات تتوالى، والصبر هو الطريق.
6. قيمة التحرر من عقلية التقليد: عدم رفض شيء لمجرد أنه ليس مما ألفنا.
الموضوع 3: الدروس والتوجيهات
الدرس 1: لا ترفض الحق لأنه يخالف ما تعودت عليه
كثير من الناس يرفضون الإسلام، أو يرفضون بعض أحكامه، لمجرد أنها "قديمة" أو "لا تتناسب مع العصر". هذه الآية تقول لك: هذه عقلية المشركين. احكم على الشيء بحقيقته، لا بقدمه وحداثته.
الدرس 2: لا تحكم على كتاب الله قبل أن تقرأه
المشركون وصفوا القرآن بأنه "أساطير الأولين" دون أن يتدبروه. كم من الناس اليوم يتحدثون عن ا

لإسلام وهم لا يعرفون عنه شيئاً؟ هذه الآية تدعوك إلى الإنصاف.
الدرس3: اصبر على اتهامات الناس
قد يُتّهم الداعية بأنه "ينقل من هنا وهناك"، أو "ليس عنده جديد"، أو "يكرر حكايات الماضين". هذه الآية تقول: هذا ما قيل للنبي ﷺ. فاصبر كما صبر.
الدرس 4: لا تتعجل في الحكم على الناس
المشركون ظنوا أن النبي ﷺ يملى عليه في الصباح والمساء، وكانوا يرصدونه. لكنهم أخطأوا. فلا تظن أنك محيط بكل شيء، فقد تخدعك الظواهر.
الدرس 5: قيمة العمل المتصل (بكرة وأصيلا ً)
في اتهامهم أن الإملاء يتم بكرة وأصيلا ً، إشارة خفية إلى أن الوحي الحقيقي لا يأتي في أوقات محدودة، بل هو نور متصل. وفي المقابل، العمل المتصل هو الذي يثمر. اجعل لقرآنك نصيباً من بكرة وأصيل.
الموضوع 4: التطبيقات العملية في حياتنا
تطبيق 1: في التعامل مع الشبهات المعاصرة
عندما يقال لك: "القرآن قديم لا يناسب العصر"، تذكر: هذا ما قاله المشركون "أساطير الأولين". وردك عليهم: القديم ليس عيباً إذا كان حقاً، والجديد ليس فضيلة إذا كان باطلا ً.
تطبيق 2: في الدعوة إلى الله
عندما يتهمك أحد بأنك "تكرر كلاماً قديماً" أو "تنقل من كتب السلف"، لا تنزعج. هذه سنة الأنبياء. استمر في دعوتك، ولا تلتفت.
تطبيق 3: في تربية الأبناء
علم أبناءك ألا ينخدعوا بجديد الثقافات لمجرد أنه جديد. علمهم أن الميزان هو الحق، وليس الموضة. علمهم أن يقرؤوا قبل أن يحكموا.
تطبيق 4: في الإعلام والتواصل
عندما تسمع وصفاً لأحدهم بأنه "يعيد تدوير القديم" أو "ليس عنده جديد"، تذكر هذه الآية. الحكم يحتاج إلى دليل، وليس إلى انطباع.
الموضوع 5: الرسائل النفسية للآية
1رسالة إلى قلبك: لا تهتز
الآية تهمس في قلبك: لا تهتز عندما تسمع من يصف الحق الذي تؤمن به بأنه "قديم" أو "خرافات". هذا ما قالوه لنبيهم، وهم أشد الناس بغياً. قلبك مطمئن بالحق، فلماذا تهزه أقوال الجاهلين؟
2رسالة إلى عقلك: تأمل في الاتهام
الآية تهمس في عقلك: تأمل في هذا الاتهام. كيف يقولون عن أعظم كتاب أنه "أساطير الأولين"؟ هل قرؤوه؟ هل تدبروه؟ هل وجدوا فيه تناقضاً؟ أم أنهم رفضوه قبل أن يعرفوه؟ عقلانية الإيمان أن تدرس قبل أن ترفض.
3رسالة إلى إرادتك: اثبت كما ثبت النبي
الآية تهمس في إرادتك: النبي ﷺ سمع هذه الاتهامات، ولم يتراجع. ثبت على الحق، رغم أنهم وصفوا وحي ربه بأنه "أساطير". اثبت أنت أيضاً.
الموضوع 6: دور مفاهيم الآية في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة
1. في بناء الإنسان المتزن
نفسياً
هذه الآية تربي في الإنسان الاستقرار النفسي أمام النقد والتشكيك. الإنسان المتزن لا ينهار عندما يوصف ما يؤمن به بأنه "قديم" أو "غير معاصر". يعلم أن هذه الأوصاف لا تغير من حقيقة الحق شيئاً.
فكرياً
تزرع الآية في العقل الإنصاف الفكري: أن تحكم على الشيء بعد دراسته، لا قبلها. الإنسان المتزن فكرياً لا يرفض فكرة لمجرد أنها ليست مما نشأ عليه.
سلوكياً
تعلم الإنسان الصبر والثبات على المبادئ، وعدم الانخداع بالشائعات والأقوال الجماعية.
2. في بناء المجتمع المسلم
المجتمع الذي يفهم هذه الآية هو مجتمع:
· لا ينخدع بالشعارات الرنانة (جديد، متطور، عصرنة).
· يحكم على الأفكار بمضمونها لا بتاريخها.
· يحمي دينه من أن يُوصف بالتقادم فيُهجر.
· يدافع عن ثوابته دون أن يخشى اتهام "الجمود".
3. في بناء الحضارة الإسلامية
الحضارة الإسلامية قامت على أصلين:

· الثبات على الثوابت: القرآن والسنة.
· الانفتاح على الجديد في وسائل العلم والدنيا.
هذه الآية تحمي الحضارة من آفتين:
· آفة التجميد: أن نرفض كل جديد لمجرد أنه جديد.
· آفة الذوبان: أن نرفض القديم لمجرد أنه قديم.
الحضارة الإسلامية استطاعت أن تمزج بين الأصالة والمعاصرة لأنها آمنت أن القديم قد يكون حقاً ثابتاً، والجديد قد يكون باطلا ً زائلا ً.
4. في البناء والتنمية
في مجال التنمية، هذه الآية تعطيك منهجاً في التعامل مع التجارب السابقة:
· لا ترفض تجارب الأمم السابقة لمجرد أنها قديمة (أساطير الأولين).
· خذ منها ما ينفع، ودع ما لا ينفع.
· التنمية الحقيقية هي التي تبني على أسس ثابتة، لا التي تتبع كل موضة جديدة.
الخاتمة: كيف تعيش هذه الآية؟
· عندما تسمع من يصف الحق بالقديم، تذكر: هذا قول المشركين.
· عندما يقال لك: "هذا لا يناسب العصر"، تذكر: القرآن أنزل ليكون صالحاً لكل عصر.
· عندما تشك في أمر لم تقرأ عنه، تذكر: المشركون حكموا على القرآن دون أن يقرؤوه.
· عندما ترى الناس يرددون اتهاماً بلا دليل، تذكر: قالوا أساطير الأولين، وكانوا يرددونها بلا برهان.
· عندما تضعف أمام ضغط المجتمع، تذكر أن النبي ﷺ ثبت رغم هذه الاتهامات كلها.
هذه الآية هي درعك النفسي أمام كل من يحاول أن يهز يقينك بأن الحق قديم لا يصلح، أو أن الجديد هو الأجدر بالاتباع. الحق حق، مهما قيل عنه، والباطل باطل، مهما زُخرف.
وقفة أخيرة: هل تقرأ قبل أن تحكم؟
الآية تضعك أمام سؤال مصيري: هل أنت من الذين يحكمون على الأشياء قبل أن يقرؤوها، بمجرد الانطباع والسماع؟ أم أنك من الذين يزنون الأمور بميزان الحق؟
المشركون قالوا "أساطير الأولين" ولم يقرؤوا القرآن.
فأي الفريقين أنت؟

سادسا

تفسير الآية السادسة من سورة الفرقان
قال تعالى: ﴿قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾
مقدمة: لحظة الحسم.. حين يأمرك الله أن ترد
بعد أن سمعت في الآية السابقة اتهاماتهم الموجعة: قالوا عن وحي ربك إنه "أساطير الأولين"، واتهموا نبيك بأنه "اكتتبها" و"تملى عليه بكرة وأصيلا ً". وقفتَ هناك تتألم، وتساءلتَ: كيف يقولون هذا؟ ومتى سيرد الله عليهم؟
وها هو الرد يأتي الآن. لكنه ليس رداً على لسان الله مباشرة فقط، بل هو تكليف لك أنت أيضاً: ﴿قُلْ﴾. أمر إلهي لنبيه، ولأمته من بعده، بأن لا يصمتوا أمام هذه الاتهامات، وأن يردوا برد واحد حاسم، لا يترك مجالا ً للشك.
هذه الآية هي نقطة التحول. هي الانتقال من سرد الاتهامات إلى تفنيدها. لكن التفنيد هنا ليس تفنيداً جدلياً طويلا ً، بل هو إحالة إلى المصدر، وإلى صفات المصدر، وإلى الغاية من الإنزال.
تعالَ نتأمل هذه الآية كأنها تنزل عليك الآن، وكأن الله يقول لك: "قل أنت أيضاً، بلسانك، وبقلبك، وبموقفك: هذا القرآن أنزله الذي يعلم السر في السماوات والأرض، وإنه كان غفوراً رحيماً".
المبحث 1 ً: السياق – العلاقة بالآية التي قبلها
الربط بالآية الخامسة
الآية الخامسة قالت: ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾.
جاءت هذه الآية مباشرة كرد إلهي على تلك الاتهامات الثلاثة:
اتهامات الآية الخامسة الرد في الآية السادسة
أساطير الأولين أنزله الذي يعلم السر
اكتتبها أنزله (من عنده، لا اكتتبه)
تملى عليه بكرة وأصيلا ً أنزله الذي يعلم السر في السماوات والأرض (ليس بشراً يملي)
إنها مقابلة رائعة: هم نسبوا القرآن إلى البشر والأساطير، فرد الله بأنه من عنده هو، العليم بالسر، الغفور الرحيم.
المبحث 2 ً: تحليل الآية – قراءة في عمق الرد الإلهي
الجملة الأولى: ﴿قُلْ﴾
اللمسة البلاغية: فعل الأمر المباشر
هذا فعل أمر واحد، لكنه يحمل في طياته عوالم. "قل" تعني:
· لا تصمت.

· لا تنشغل بالردود الطويلة.
· قل كلمة واحدة حاسمة.
"قل" – موجهة للنبي ﷺ وللأمة
هذا الأمر للنبي ﷺ في المقام الأول، لكنه يمتد إلى أمته. فكلما قيل عن القرآن ما لا يليق، فعليك أن تقول: أنزله الله.
**الدلالة النفسية
هذه الكلمة الواحدة "قل" تعلمك ألا تترك الساحة للمبطلين. أن يكون لك صوت. أن ترد، ولو بكلمة. وأن ترد بما أوحى الله، لا بما تمليه عليك عواطفك.
/2
الجملة الثانية: ﴿أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾
*اللمسة البيانية: إسناد الإنزال إلى الله وحده
"أنزله" أي: هذا القرآن. أسند الإنزال إلى الله وحده، وليس إلى بشر. هذا هو الرد الحاسم على اتهام "اكتتبها" و"تملى عليه".
*"الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ" – وصف المصدر
لم يقل "أنزله الله" فقط، بل وصف الذي أنزله بأنه "يعلم السر". وهذا الرد على اتهام "أساطير الأ ولين" و"تملى عليه". كيف يكون أساطير الأولين وهو من عند الذي يعلم السر؟ كيف يكون ملقناً من بشر وهو من عند الذي يعلم ما تخفيه الصدور؟
*"السِّرَّ" – نكرة في سياق الإضافة
"السر" نكرة في سياق الإضافة إلى الله، فتعم كل سر. أي: يعلم كل سر، صغيراً كان أم كبيراً، في السماء أم في الأرض. وهذا يشمل:
· أسرار السماوات: ما فيها من عوالم لا تراها.
· أسرار الأرض: ما في باطنها من كنوز، وما في قلوب البشر من نوايا.
*"فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ" – شمولية العلم
هذا التعبير يعطي إحساساً بأن علم الله محيط بكل شيء، في كل مكان. لا يخفى عليه شيء. ف القرآن الذي أنزله، وهو يعلم كل شيء، كيف يكون من عند بشر لا يعلمون الغيب؟
*اللمسة التجويدية: مد "السَّمَاوَاتِ"
كلمة "السَّمَاوَاتِ" فيها مد طبيعي في الألف، ثم مد عارض للسكون في آخرها، مما يعطي إحساساً با لامتداد والشمول. كأن علم الله يمتد إلى كل ما في السماوات.
*الدلالة العقلية
هذا الرد يعتمد على برهان الصفة: من أنزل القرآن هو الله الذي يعلم السر. وكل من يعلم السر لا يمكن أن يكون مصدره أساطير الأولين أو إملاء بشر. فكيف تتصور أن بشراً أمياً يأتي بقرآن فيه من الأسرار ما لم يعلمه أحد، ثم تقولون إنه منقول عن أساطير الأولين؟!
3
الجملة الثالثة: ﴿إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾
*اللمسة البلاغية: الانتقال من الإنزال إلى صفة الغفران والرحمة
بعد أن ذكر صفة العلم (يعلم السر)، ذكر صفتي الغفران والرحمة. لماذا؟ لأن إنزال القرآن هو أعظم مظاهر الرحمة. فالقرآن نزل ليغفر ويرحم.
*"إِنَّهُ" – ضمير الشأن
"إنه" هنا ضمير الشأن، أي: إن الشأن أنه كان غفوراً رحيماً. وهذا يفيد التأكيد والاهتمام بهذه الصفات.
*"كَانَ" – الدلالة على الثبات
فعل "كان" يفيد الثبات والدوام. أي: هو غفور رحيم في الأزل، وفي الحال، وفي المستقبل. هذه صفات ثابتة له.
*"غَفُورًا رَحِيمًا" – صيغ المبالغة
· غفوراً: صيغة مبالغة من المغفرة، أي: كثير المغفرة، يستر الذنوب ويتجاوز عنها.
· رحيماً: صيغة مبالغة من الرحمة، أي: واسع الرحمة، عظيم الرأفة.
*اللمسة البيانية: تقديم الغفور على الرحيم
قدم الغفور على الرحيم مع أن الرحمة أوسع. لماذا؟ لأن السياق يتحدث عن إنزال القرآن، والقرآن فيه تفصيل للذنوب والأخطاء، فكان تقديم المغفرة مناسباً. ومع ذلك، فالرحيم بعدها لتشمل كل شيء.
*اللمسة التجويدية: المد في "غَفُورًا رَحِيمًا"
كلمة "غَفُورًا" فيها مد طبيعي، وكلمة "رَحِيمًا" فيها مد طبيعي أيضاً، ثم يأتي الوقف على الألف في آخرهما، مما يعطي إحساساً بالامتداد والشمول في رحمة الله ومغفرته.
*الدلالة العقلية
هذه الصفات تحمل رسالة عظيمة: القرآن ليس كتاب عذاب فقط، بل هو كتاب رحمة ومغفرة. أنزله

الغفور الرحيم ليكون سبباً في مغفرة ذنوبك ورحمتك. فكيف تتهمونه بأنه "أساطير الأولين"؟!
المبحث 3
الموضوع 1: المفاهيم المركزية في الآية
المفهوم الأول1: الإحالة إلى المصدر
أهم مفهوم في هذه الآية هو إعادة الأمور إلى مصدرها. عندما يتهمون القرآن بأنه من صنع البشر، لا تدخل في جدال طويل، بل أحلهم إلى المصدر: أنزله الله. هذه هي الطريقة القرآنية في التعامل مع الشبهات: ردها إلى أصلها.
المفهوم الثاني2: علم الله بالسر
الآية تثبت صفة العلم لله، وتخص "السر" بالذكر. وهذا يعلمك أن الله يعلم ما تخفيه النفوس، وما تخفيه السماوات والأرض. والقرآن الذي أنزله هو مظهر من مظاهر هذا العلم.
المفهوم الثالث3: الغفران والرحمة كغاية للإنزال
القرآن ليس كتاباً فقط، بل هو وسيلة للغفران والرحمة. أنزله الغفور الرحيم ليكون طريق عودتك إليه. هذا يحول نظرتك للقرآن من مجرد كتاب تقرأه إلى رحمة تلامس قلبك.
المفهوم الرابع4: الجمع بين العلم والرحمة
الآية جمعت بين صفتين: العلم (يعلم السر) والرحمة (غفور رحيم). وهذا يعني أن الذي أنزل القرآن يعلم بكل ما تفعل، ومع ذلك فهو غفور رحيم. إنه مزيج يبعث على الخشية والرجاء معاً.
الموضوع الثاني2: القيم المستنبطة من الآية
1. قيمة الصدع بالحق: "قل" تعلمك ألا تخشى قول الحق.
2. قيمة الإحالة إلى الله: رد الأمور إلى مصدرها الحقيقي.
3. قيمة العلم: إدراك أن مصدر القرآن هو العليم بكل شيء.
4. قيمة الرحمة: فهم أن الدين كله رحمة.
5. قيمة المغفرة: الأمل في عفو الله مهما بلغت الذنوب.
6. قيمة الثبات: لا تتراجع أمام الاتهامات.
7. قيمة التوازن بين الخوف والرجاء: الجمع بين علم الله (الذي يبعث الخشية) وبين مغفرته ورحمته (اللذين يبعثان الرجاء).
الموضوع الثالث3: الدروس والتوجيهات
الدرس الأول1: لا تخف أن تقول الحق
"قل" أمر إلهي لك أن تعلن الحق. لا تخف من أحد. لا تخف من أن يصفوك بالجمود، أو بالتطرف، أو بأنك تعيد "أساطير الأولين". قل: أنزله الله.
الدرس الثاني2: رد الشبهات إلى أصلها
إذا سمعت من يشكك في القرآن، لا تدخل في تفاصيل قد لا تنتهي. رد الأمر إلى أصله: من أنزله؟ الله. ومن هو الله؟ الذي يعلم السر في السماوات والأرض. هذا الرد كاف لمن كان له قلب.
الدرس الثالث3: استحضر علم الله بالسر
عندما تقرأ القرآن، تذكر أن الذي أنزله يعلم سرك. يعلم ما في قلبك من نية، وما في حياتك من حاجة. وهذا يجعلك تقرأه بتدبر، وكأنه رسالة إليك وحدك.
الدرس الرابع4: لا تيأس من رحمة الله
الآية تنتهي ب-"غفوراً رحيماً". مهما كانت ذنوبك، ومهما كانت تقصيراتك، فالقرآن أنزله الغفور الرحيم ليكون طريق عودتك. فلا تيأس.
الدرس الخامس5: اجعل من القرآن طريقاً للغفران
القرآن شفاء لما في الصدور. إذا شعرت بثقل الذنوب، فاقرأ القرآن، فهو رسالة الغفور الرحيم إليك.
الموضوع الرابع4: التطبيقات العملية في حياتنا
تطبيق 1: في مواجهة المشككين
عندما يسألك أحد: كيف تثق أن القرآن من عند الله؟ لا تحتار. قل: أنزله الذي يعلم السر في السماوات والأرض. فمن كان بهذه الصفة، كيف ينزل غير الحق؟
تطبيق 2: في تربية الأبناء على الثقة بالقرآن
علم أبناءك أن القرآن ليس كأي كتاب. علمهم أن مصدره هو الله، الذي يعلم كل شيء، الذي غفور رحيم. هذا يزرع في قلوبهم محبة القرآن والثقة به.
تطبيق 3: في لحظات الضعف والشك
قد تمر بلحظات تساورك فيها شكوك. تذكر هذه الآية: الذي أنزل هذا القرآن يعلم السر. وهو أعلم بما يصلحك. فثق به.
تطبيق 4: في الدعوة إلى الله
عندما تدعو الناس، لا تنس أن تخبرهم أن القرآن أنزله الغفور الرحيم. ليس كتاب ترهيب فقط، بل كتاب رحمة. هذه البشارة تفتح القلوب.
الموضوع الخامس5: الرسائل النفسية للآية

*رسالة إلى قلبك: اطمئن
الآية تهمس في قلبك: اطمئن. القرآن الذي تقرأه ليس أساطير الأولين، بل هو من عند الذي يعلم سرك، ويعلم ما تمر به. اطمئن، فهو معك.
*رسالة إلى عقلك: استيقن
الآية تهمس في عقلك: استيقن. لا يمكن أن يكون هذا الكلام من عند بشر. انظر إلى إحكامه، وإلى أسراره، وإلى تأثيره في النفوس. إنه من عند العليم.
*رسالة إلى روحك: ارتقي
الآية تهمس في روحك: ارتقي بهذا القرآن. أنزله الغفور الرحيم ليرحمك، ليغفر لك. فلا تبق في الحضيض. ارتقي به إلى مدارج القرب.
الموضوع السادس6: دور مفاهيم الآية في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة
1. في بناء الإنسان المتزن
نفسياً
هذه الآية تمنح الإنسان الطمأنينة النفسية من خلال:
· اليقين بمصدر القرآن: أنه من عند الله.
· معرفة أن هذا المصدر يعلم السر، فيطمئن أن الله يعلم حاله.
· معرفة أن المصدر غفور رحيم، فلا ييأس من رحمته.
الإنسان المتزن نفسياً هو الذي لا يتزعزع أمام الشبهات، ولا ييأس من رحمة الله.
فكرياً
تزرع الآية في العقل منهجية الإحالة إلى المصدر. الإنسان المتزن فكرياً لا يبقى في دائرة الردود التفصيلية، بل يرفع البصر إلى الأصل. كما أنها تزرع التوازن بين صفات الله: العلم (الذي يبعث الخشية) والرحمة (التي تبعث الرجاء).
سلوكياً
تعلم الإنسان:
· أن يكون شجاعاً في قول الحق ("قل").
· أن يكون واثقاً من مصدر دينه.
· أن يكون رجاءً لا ييأس من رحمة الله.
· أن يكون خاشعاً أمام علم الله المحيط.
2. في بناء المجتمع المسلم
المجتمع الذي يفهم هذه الآية هو مجتمع:
· لا يخاف من الشبهات، لأنه يعرف مصدر دينه.
· لا ينشغل بالردود العقيمة، بل يحيل الأمور إلى أصولها.
· يسود فيه الرجاء، لأنه يعلم أن دينه دين رحمة.
· يسود فيه الخشوع، لأنه يعلم أن الله يعلم السر.
3. في بناء الحضارة الإسلامية
الحضارة الإسلامية قامت على أصلين:
· الوحي مصدراً للقيم والتشريع.
· الرحمة غاية للتعامل مع البشر.
هذه الآية تحمي الحضارة من:
· الانبهار بالشبهات: لأنها تعيد الأمور إلى مصدرها.
· اليأس من الإصلاح: لأنها تذكر بأن الله غفور رحيم.
· الغلظة في التعامل: لأنها تذكر بأن دين الله أنزله الرحيم.
4. في البناء والتنمية
في مجال التنمية، هذه الآية تعطيك:
· الثقة بالمصدر: لا تبنِ تنمية على أسس متزعزعة.
· العلم أساساً: التنمية الحقيقية تقوم على العلم، والله يعلم السر.
· الرحمة منهجاً: التنمية لا تنجح بالقهر، بل بالرحمة.
الخاتمة: كيف تعيش هذه الآية؟
· عندما تسمع من يشكك في القرآن، لا تتردد. قل في نفسك، وقل بلسانك إن استطعت: أنزله الذي يعلم السر في السماوات والأرض.
· عندما تقرأ القرآن، تذكر أن الذي أنزله يعلم سرك. فاقرأه كأنه رسالة إليك.
· عندما تذنب، لا تيأس. القرآن أنزله الغفور الرحيم. عد إليه، فهو طريق عودتك.
· عندما تدعو إلى الله، اجعل الرحمة عنوان دعوتك. فالقرآن أنزله الرحيم.
· عندما تخاف من الناس، تذكر أن الذي معك هو الذي يعلم السر. فلماذا تخاف؟
هذه الآية هي مفتاح ثقتك بالقرآن. هي التي تحول قراءتك له من مجرد تلاوة إلى يقين. هي التي

تجعلك تشعر أن هذا الكتاب ليس كلام بشر، بل هو رسالة من العليم الخبير، من الغفور الرحيم.
وقفة أخيرة: هل أنت ممن يقول؟
الآية بدأت بـ"قل". هل أنت ممن يقول؟ أم أنك تخشى أن تقول؟
النبي ﷺ قال رغم كل الاتهامات. الصحابة قالوا رغم كل التهديدات. وأنت اليوم، في زمن تتضاعف فيه الشبهات، هل ستقول؟
قل: أنزله الذي يعلم السر في السماوات والأرض، إنه كان غفوراً رحيماً.
سابعا
تفسير الآية السابعة من سورة الفرقان
قال تعالى: ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا﴾.
مقدمة: حين يرفضون الرسول لأنه بشر!
بعد أن ردّ الله في الآية السابقة على اتهاماتهم للقرآن بأنه "أساطير الأولين"، وأمر نبيه أن يقول لهم: ﴿أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، نراهم الآن يغيرون سلاحهم. لم يعد الهجوم على القرآن فقط، بل تعدى إلى الهجوم على حامل القرآن نفسه.
إنهم يريدون رسلا ً من جنس آخر! يريدون ملكاً لا يأكل ولا يمشي! يستكبرون أن يكون رسولهم بشراً مثلهم. هذه ليست حجة، بل هي ذريعة يختبئون وراءها ليرفضوا الدعوة دون أن يعترفوا بذلك.
هذه الآية تخاطبك أنت أيضاً. كم مرة سمعت من يقول: "لو كان الدين حقاً لكان أهله ملائكة لا يخطئون!" أو "كيف يكون رسول الله بشراً يأكل ويمشي؟" إنها نفس العقلية التي تريد للهدى أن يأتي في قوالب خيالية، لا في قوالب واقعية.
تعالَ نتأمل هذه الآية، وكأنها تنزل الآن، وكأن الله يسألك: هل تريد للهدى أن يأتيك على غير سنتي في الخلق؟ أم أنك تقبل أن يكون الرسول من جنسك، ليبلغك، وتفهم عنه، وتقتدي به؟
المبحث 1 ً: السياق – العلاقة بالآية التي قبلها
الربط بالآية السادسة
الآية السادسة قالت: ﴿قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.
جاءت هذه الآية مباشرة لتظهر لوناً آخر من عناد المشركين: بعد أن رد الله على اتهامهم للقرآن، انتقلوا إلى اتهام الرسول نفسه. وكأنهم يقولون: حتى لو سلمنا أن القرآن من عند الله، فلماذا لم يرسل معه ملكاً؟! إنها معركة متعددة الجبهات: تارة يهاجمون الكتاب، وتارة يهاجمون الرسول.
المبحث 2 تحليل الآية – قراءة في عمق الاعتراض
1/الجملة الأولى: ﴿وَقَالُوا﴾
*اللمسة البيانية: تكرار "وقالوا"
تكررت "وقالوا" في الآيات السابقة (الرابعة والخامسة والسابعة). هذا التكرار يعطي إحساساً بأن المشركين لا يملون من الاعتراضات. كلما دحضت شبهة، أتوا بشبهة أخرى. وهذا من طبيعة الباطل: لا قرار له، ولا ثبات.
/2
الجملة الثانية: ﴿مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾
*اللمسة البلاغية: "مال" – أسلوب الاستفهام الإنكاري
"مال" أصله "ما له"، وهو أسلوب استفهام إنكاري. أي: أي شيء لهذا الرسول؟ وما باله؟ إنه أسلوب يدل على الاستنكار والاستغراب. كأنهم يقولون: كيف يكون رسولا ً وهو يأكل الطعام ويمشي في ا لأسواق؟!
*"هَذَا الرَّسُولِ" – الإشارة للتحقير
أشاروا إليه بـ"هذا" للتحقير والاستصغار. ووصفوه بـ"الرسول" مع إنكارهم لرسالته، وهذا من باب التهكم والسخرية.
*"يَأْكُلُ الطَّعَامَ" – أول صفة للاستنكار
جعلوا من أكل الطعام عيباً! مع أن كل البشر يأكلون الطعام. لكنهم يريدون رسولا ً لا يحتاج إلى الطعام، كأن يكون ملكاً. وهذا يكشف عن جهلهم بحقيقة البشرية، وعن تكلفهم في الاعتراض.
*"وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ" – ثاني صفة للاستنكار
"الأسواق" جمع سوق، وهي أماكن البيع والشراء والتجمعات البشرية. استنكروا أن يمشي في الأ سواق، أي: أن يتردد على الناس، ويحتاج إلى قضاء حوائجه مثلهم. كانوا يظنون أن الرسول يجب أن يكون معتزلا ً للناس، متعالياً عن حاجاتهم!
*اللمسة البيانية: الجمع بين الأكل والمشي في الأسواق
جمعوا بين صفتين:
· الأكل: حاجة جسدية تدل على الاحتياج.
· المشي في الأسواق: حاجة اجتماعية تدل على الاختلاط بالناس.
وهما صفتان بشريتان محضتان. استنكروا أن يكون الرسول بشراً يحتاج ويختلط!

*اللمسة التجويدية: الوقف على "الأسْوَاقِ"
الوقف على "الأسواق" يعطي إحساساً بأنهم أنهوا اعتراضهم على بشريته، ثم انتقلوا إلى الاعتراض التالي.
*الدلالة العقلية
هذا الاعتراض يدل على أنهم:
· فهموا البشرية خطأ: ظنوا أن الكمال في الترفع عن حاجات البشر.
· فهموا الرسالة خطأ: ظنوا أن الرسول يجب أن يكون خارقاً للطبيعة.
· فهموا الإله خطأ: ظنوا أن الله لا يختار بشراً رسولا
وكل هذه مفاهيم خاطئة عن الله وعن رسله.
3
الجملة الثالثة: ﴿لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا﴾
*اللمسة البلاغية: "لولا" للتحضيض
"لولا" هنا للتحضيض، أي: هلا أنزل إليه ملك؟ إنها صيغة تدل على أنهم يطلبون أمراً يرونه ضرورياً، مع أنه ليس ضرورياً.
*"أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ" – الطلب الجديد
لم يكتفوا بالطعن في بشريته، بل اقترحوا بديلا ً: كان يجب أن ينزل معه ملك.
*"فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا" – صفة للملك
"فيكون" عطف على "أنزل"، أي: هلا أنزل إليه ملك ليكون معه نذيراً. أي: يؤيده ويشهد له.
*اللمسة البيانية: النذير في الآية السابقة وهنا
في الآية الأولى من السورة وصف الله نبيه بأنه ﴿لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾. وهنا يطلب المشركون أن يكون معه ملك نذيراً. أي: أنهم لم يقبلوا أن يكون النذير بشراً، وطلبوا أن يكون معه ملك من جنس آخر.
*اللمسة التجويدية: مد "نَذِيرًا"
كلمة "نَذِيرًا" فيها مد طبيعي في الكسرة، ثم الوقف عليها يعطي إحساساً بأن هذا هو مطلبهم الأ خير: أن يكون معه نذير من جنس الملائكة.
*الدلالة العقلية
هذا المطلب يكشف عن:
· عدم فهمهم لحكمة إرسال البشر: لو أرسل الله ملكاً، لما استطاع البشر أن يروه، أو يتعلموا منه، أو يقتدوا به.
· التناقض في طلبهم: كانوا يقولون إن محمداً بشر، فكيف يأتيهم بملك؟ لو جاءهم ملك، لقالوا: هذا بشر متنكر! كما قال فرعون عن موسى: إنه لساحر.

المبحث 3

الموضوع الأول1: المفاهيم المركزية في الآية
المفهوم الأول1: بشريّة الرسول – سنة إلهية
الآية تؤكد أن سنة الله في رسله أن يكونوا بشراً. لم يرسل الله ملائكة إلى الأرض رسلا ً، لأن البشر لا يستطيعون التعامل مع الملائكة في صفاتهم الأصلية، ولا يمكنهم الاقتداء بهم. هذه بشريّة الرسول هي رحمة بنا، لا نقص فيه.
المفهوم الثاني2: الاعتراضات المتنقلة – طبيعة الباطل
المشركون ينتقلون من اعتراض إلى اعتراض. مرة: القرآن أساطير. ومرة: يملى عليه. ومرة: لماذا يأكل ويمشي؟ هذا يعلمك أن الباطل ليس له ثبات، وأنه يبحث عن أي شبهة يتعلق بها.
المفهوم الثالث3: حكمة الله في اختيار البشر رسلا ً
الله اختار البشر رسلا ً لحكم عظيمة:
· ليكونوا قدوة يُقتدى بهم.
· ليفهم الناس عنهم.
· ليكونوا أسوة في الصبر والثبات.
· ليكونوا شهداء على الناس.
المفهوم الرابع4: الكبر والاستكبار وراء الاعتراض
وراء اعتراضهم أن الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق، هو الكبر. هم يريدون رسولا ً غير بشري، لأنهم لا يريدون أن يتبعوا بشراً مثلهم! إنها مشكلة الاستكبار، وليست مشكلة منطقية.
الموضوع الثاني2: القيم المستنبطة من الآية
1. قيمة التواضع لقبول الحق: الكبر يمنع من قبول الحق.
2. قيمة الاقتداء بالرسول: هو بشر مثلك، فتأسّ به.
3. قيمة العمل والسعي: المشي في الأسواق يعني العمل والكسب، وهو ليس عيباً.
4. قيمة رفض التكلف: الدين لا يطلب من أهله أن يكونوا ملائكة، بل يقبل البشر بضعفهم.
5. قيمة النقد الموضوعي: لا ترفض الحق بسبب صورة ذهنية مسبقة عنه.

6. قيمة الثبات على السنة الإلهية: سنة الله في إرسال البشر لا تتغير.
الموضوع الثالث3: الدروس والتوجيهات
الدرس الأول1: لا تستنكر أن يكون الداعية بشراً
قد يظن البعض أن الداعية إلى الله يجب أن يكون معصوماً، أو لا يحتاج إلى طعام، أو لا يختلط بالناس. هذه الآية ترد على هذا الوهم. الداعية بشر يأكل ويشرب ويمشي في الأسواق، وهذا ليس عيباً، بل هو من تمام رحمته بالناس.
الدرس الثاني2: لا تنتظر من الناس كمالا ً مطلقاً
إذا كنت تريد أن تهدي الناس، فلا تنتظر منهم أن يكونوا ملائكة. تقبل بشريتهم، كما تقبل الله بشريّة الرسول.
الدرس الثالث3: العمل ليس عيباً
المشركون استنكروا أن يمشي الرسول في الأسواق، أي أن يتردد على أماكن العمل والتجارة. هذا يدل على أنهم نظروا إلى العمل نظرة دونية. الإسلام يرفع من شأن العمل، ويجعله من سنن المرسلين.
الدرس الرابع4: الكبر يحجب عن الحق
السبب الحقيقي لاعتراضهم هو الكبر. كانوا يقولون: كيف نتبع بشراً مثلنا؟! هذا الكبر هو الذي حجبهم عن الحق. فاحذر من الكبر، فإنه أول ذنب عصي الله به.
الدرس الخامس5: لا تبحث عن أعذار لرفض الحق
كل هذه الاعتراضات كانت أعذاراً واهية لرفض الدعوة. تأمل في نفسك: هل تبحث عن أعذار لرفض ما لا تهوى؟ أم أنك تقبل الحق ولو كان على يد بشر مثلك؟
الموضوع الرابع4: التطبيقات العملية في حياتنا
تطبيق 1: في تقبل القيادة والدعوة
لا تشترط فيمن يقودك أو يدعوك أن يكون ملكاً أو خارقاً. تقبل أن يكون بشراً، له حاجاته، وله عباداته، وله أخطاؤه. العبرة بالحق الذي يحمله، لا بصفاته البشرية.
تطبيق 2: في تقدير العمل والكسب
لا تستنكر أن يعمل الداعية أو العالم في سوق أو تجارة. هذه سنة الأنبياء. كثير من الأنبياء كانوا رعاة، أو تجاراً، أو يعملون بأيديهم. العمل شرف، وليس عيباً.
تطبيق 3: في تربية الأبناء على التواضع
علم أبناءك ألا يستكبروا على أحد بسبب مهنته أو وضعه الاجتماعي. النبي ﷺ كان يمشي في الأ سواق، فكيف يستنكر أحد أن يمشي في سوق؟ التواضع خلق الأنبياء.
تطبيق 4: في نقد الذات
إذا وجدت في نفسك نفوراً من شخص بسبب وضعه الاجتماعي أو عمله، فتذكر هذه الآية. لعل هذا النفور هو كبر يحجب عنك خيراً.
الموضوع الخامس5: الرسائل النفسية للآية
*رسالة إلى قلبك: لا تستنكر بشريّة الدعاة
الآية تهمس في قلبك: لا تنتظر من الدعاة أن يكونوا ملائكة. تقبل أنهم بشر، يأكلون، ويمشون، ويحتاجون. لكنهم يحملون رسالة ربانية. فلا تحكم عليهم ببشريتهم، بل انظر إلى ما يحملون.
*رسالة إلى عقلك: تأمل في حكمة الله
الآية تهمس في عقلك: تأمل في حكمة الله. لو أرسل ملكاً، لما استطعت أن تراه، ولا أن تقتدي به. فبشريّة الرسول هي عين الرحمة. فلماذا تستنكرها؟
*رسالة إلى إرادتك: تواضع لتقبل الحق
الآية تهمس في إرادتك: الكبر هو الذي جعلهم يرفضون الرسول لأنه بشر. تواضع أنت لتقبل الحق، ولا تجعل الكبر يحول بينك وبين الهدى.
الموضوع السادس6: دور مفاهيم الآية في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة
1. في بناء الإنسان المتزن
نفسياً
هذه الآية تمنح الإنسان التوازن النفسي من خلال:
· عدم المثالية المفرطة: لا تنتظر من نفسك أو من غيرك الكمال المطلق.
· تقبل البشرية بضعفها واحتياجاتها.
· تحرير النفس من عقدة الاستعلاء على الآخرين بسبب المهنة أو المكانة.
الإنسان المتزن نفسياً هو الذي لا يستنكر أن يكون الداعية أو القدوة بشراً يأكل ويمشي، بل يرى في ذلك قرباً ورحمة.
فكرياً
تزرع الآية في العقل:
· فهم سنن الله في إرسال الرسل: أنهم من جنس البشر.

· نقد فكرة أن الكمال في الترفع عن حاجات البشر.
· إدراك أن العمل والسعي في الأسواق ليس عيباً، بل هو سنة.
سلوكياً
تعلم الإنسان:
· التواضع: فلا يستنكر على أحد بشريته.
· تقدير العمل: فلا ينظر باستحقار إلى من يعمل في الأسواق.
· عدم التكلف: فلا يطلب من الدعاة أن يكونوا فوق البشر.
2. في بناء المجتمع المسلم
المجتمع الذي يفهم هذه الآية هو مجتمع:
· لا تفرقة فيه بين الناس بسبب المهنة أو المكانة.
· يقدّر العمل، ويرى فيه سنة الأنبياء.
· لا يطلب من قادته الكمال المطلق، بل يقبل بشريتهم مع احترامهم.
· لا يستكبر على الحق لأنه جاء على يد بشر.
3. في بناء الحضارة الإسلامية
الحضارة الإسلامية قامت على مبدأ أن العمل عبادة. وهذا المبدأ مستمد من هذه الآية، حيث جعلت "المشي في الأسواق" (أي العمل والتجارة) من صفات الرسول، وليس عيباً. فالحضارة الإسلامية ازدهرت لأنها لم تحتقر العمل، بل رفعته.
كما أن هذه الآية تحمي الحضارة من المثالية المفرطة التي تطلب من القادة والرموز أن يكونوا فوق البشر، مما يؤدي إما إلى خيبة أمل، أو إلى تقديس البشر.
4. في البناء والتنمية
في مجال التنمية، هذه الآية تعطيك:
· تقدير العمل: التنمية لا تقوم بدون تقدير العمل والعمال.
· الواقعية: لا تبنِ تنمية على أوهام، بل على واقع البشر.
· الشمولية: لا تحتقر فئة من الناس بسبب عملها، فالرسول كان يمشي في الأسواق.
الخاتمة: كيف تعيش هذه الآية؟
· عندما ترى داعية أو عالماً يعمل في سوق أو تجارة، لا تستنكر. هذه سنة الأنبياء.
· عندما تسمع من يستنكر على قائد أو داعية بشريته، تذكر أن هذا قول المشركين.
· عندما تجد في نفسك كبراً على من هو دونك في المهنة، تذكر أن الرسول كان يمشي في الأسواق.
· عندما تطلب من نفسك أو من غيرك كمالاً لا تطيقه، تذكر أن البشر يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق.
· عندما تأتيك الدعوة على يد بشر مثلك، لا تستكبر. فما استكبر إبليس إلا عن آدم.
هذه الآية هي معراجك إلى التواضع. إنها تحررك من وهم أن الكمال في الترفع، وتعلمك أن الكمال الحقيقي في اتباع الحق، ولو كان على يد بشر يأكل الطعام ويمشي في الأسواق.
وقفة أخيرة: هل أنت من المستكبرين أم من المتواضعين؟
الآية تضعك أمام سؤال: لماذا ترفض الحق إذا جاء على يد بشر مثلك؟ هل لأنك تريد رسولاً من جنس آخر؟ أم لأن الكبر منعك؟
المستكبرون قالوا: مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق؟
المؤمنون قالوا: آمنا برسول الله، وهو بشر مثلنا.
فأي الفريقين أنت؟
اللهم اجعلنا من المتواضعين الذين يقبلون الحق على يد من شئت من عبادك. اللهم لا تجعل في قلوبنا كبراً يحول بيننا وبين الهدى. اللهم بارك لنا في أعمالنا، واجعل سعينا في الأسواق عبادة، واقبلنا ببشرينا، واغفر لنا تقصيرنا.

ثامنا

تفسير الآية الثامنة من سورة الفرقان
قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ لِيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا﴾
مقدمة: حين يطلبون من الرسول أن يكون مصرفاً!
بعد أن اعترض المشركون في الآية السابقة على بشريّة الرسول، فقالوا: ﴿مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾، يأتون الآن بمطلب جديد، وكأنهم يريدون إعادة صياغة الرسالة على مقاس أحلامهم المادية.
إنهم يقولون: إن كان لا بد من رسول بشري، فلماذا هو فقير؟ لماذا لا يملك كنزاً؟ ولماذا لا يأتي معه ملك يؤيده؟ هذه ليست حججاً عقلية، بل هي أماني تعكس طبيعة البشر الذين لا يريدون أن يتبعوا إلا من يملك المال والسلطان!
هذه الآية تخاطبك أنت أيضاً. كم مرة سمعت من يقول: "لو كان هذا الدين حقاً لكان أهله أغنياء!"

أو "لو كان هذا الداعية صادقاً لكان له سلطان!" إنها نفس العقلية التي تخلط بين الحق والمنصب، وبين الصدق والمال، وبين النبوة والثراء.
تعالَ نتأمل هذه الآية، وكأنها تنزل الآن، وكأن الله يسألك: هل تريد للدين أن يُباع بالمال؟ هل تريد للرسالة أن تُشترى بالسلطان؟ أم أنك تدرك أن أعظم الكنوز هو الوحي نفسه، وأعظم الملائكة هو نزول جبريل بالهدى؟
المبحث 1: السياق – العلاقة بالآية التي قبلها
الربط بالآية السابعة
الآية السابعة قالت: ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا﴾.
جاءت هذه الآية لتضيف على الاعتراض السابق مطلبين جديدين: الكنز والملك. وكأنهم لم يكتفوا بطعنهم في بشريته، بل طعنوا في فقره أيضاً. فبعد أن قالوا: هو بشر مثلنا، قالوا: لو كان نبياً لكان غنياً أو مؤيداً بملك.
إنها تدرج في الاعتراضات: من الطعن في بشريته إلى الطعن في فقره، ومن طلب ملك معه إلى طلب كنز له.
المبحث 2 تحليل الآية – قراءة في عمق الاعتراض
/1
الجملة الأولى: ﴿وَقَالُوا﴾
اللمسة البيانية: تكرار القول للتكثيف
تكررت "وقالوا" للمرة الرابعة في السورة (الآيات 4، 5، 7، 8). هذا التكرار يعطي إحساساً بأن المشركين لا ينفكون عن الاعتراضات. كلما أجابهم الله عن اعتراض، أتوا باعتراض جديد. وهذا من طبيعة الجدال العقيم.
/2
الجملة الثانية: ﴿لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ كَنْزٌ﴾
اللمسة البلاغية: "لولا" للتحضيض والتفنيد
"لولا" هنا للتحضيض، أي: هلا أنزل إليه كنز؟ وهي صيغة تدل على الاستفهام الإنكاري التوبيخي.
أي: أليس من الواجب أن ينزل معه كنز؟
"كَنْزٌ" – ماذا كانوا يريدون؟
الكنز هو المال المذخور المدخر. كانوا يريدون أن يكون النبي ﷺ غنياً، ليكون دليلاً على نبوته عندهم! وهذا يكشف عن مادية تفكيرهم: عندهم أن القيمة بالمال، والنبوة لا تثبت إلا بالثراء.
اللمسة البيانية: نكران الكنز
جاء "كنز" نكرة للتعظيم والتهويل. أي: كنز عظيم، لا كالكنوز التي عندكم. وكأنهم يريدون شيئاً خارقاً من المال.
الدلالة النفسية
هذا المطلب يعكس نظرة البشر السطحية: أنهم يعظمون صاحب المال، ويظنون أن الغنى دليل على رضوان الله. هذه النظرة خاطئة، وقد تكون عقوبة، لا كرامة.
3
الجملة الثالثة: ﴿أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ لِيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا﴾
اللمسة البلاغية: "أو" للتنويع
جاءت "أو" للتنويع، أي: يطلبون أحد أمرين: إما كنز، أو ملك. وهم في الحقيقة يطلبون الكنز أولاً، فالملك ثانياً. فالدنيا عندهم مقدمة على الآخرة.
"جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ" – تكرار مطلب الملك
كانوا طلبوا في الآية السابقة ملكاً معه نذيراً. وهنا يكررون المطلب، ولكن بصيغة مختلفة. التكرار يدل على الإلحاح، والإصرار على هذا المطلب الواهي.
"لِيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا" – الغاية من الملك
الغاية من مجيء الملك: أن يكون معه نذيراً. أي: يؤيده، أو يكون هو النذير معه. وفي الحقيقة، هم لم يقتنعوا بأن بشراً يمكن أن يكون نذيراً.
اللمسة البيانية: الفرق بين الصيغتين
في الآية السابقة قالوا: ﴿فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا﴾.
وهنا قالوا: ﴿لِيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا﴾.
اللام في "ليكون" تفيد التعليل، أي: أنهم يطلبون الملك لأجل أن يكون نذيراً معه. وهذا يعطي إيحاء بأنهم يريدون من الملك أن يقوم بالنذارة، والرسول يكون تابعاً! إنهم لا يريدون رسولاً بشراً مستقلاً.
اللمسة التجويدية: الوقف على "نذيرًا"
الوقف على "نذيراً" يعطي إحساساً بأنهم أنهوا مطالبهم، وهم يظنون أنهم أتوا بحجج قوية، لكنها في الحقيقة أوهام.

الدلالة العقلية
هذه المطالب (الكنز والملك) تكشف عن:
· فهم مادي للرسالة: أن النبوة تثبت بالغنى والسلطان.
· جهل بحقيقة النبوة: أن الأنبياء كانوا من أشد الناس فقراً في الدنيا.
· تناقض في الطلب: كانوا يقولون إنه بشر، ثم يطلبون له مالاً ً وملكاً لا يملكه بشراً
المبحث 3
الموضوع الأول1: المفاهيم المركزية في الآية
المفهوم الأول1: فقر الأنبياء – سنة إلهية
الآية تثبت أن فقر الأنبياء ليس عيباً، بل هو سنة إلهية. لم يجعل الله أنبياءه أغنياء، لئلا يظن الناس أنهم يتبعونهم للدنيا، ولتكون نيتهم خالصة لله، ولئلا يتعلقوا بالمال.
المفهوم الثاني2: الغنى الحقيقي هو غنى القلب
المشركون طلبوا كنزاً، والله أعطاهم كنزاً أعظم: القرآن، الذي هو كنز لا ينفد. فالغنى الحقيقي ليس كثرة المال، بل غنى القلب بالهدى واليقين.
المفهوم الثالث3: الملك مع الرسول – رحمة لا نقص
لو جاء ملك مع النبي ﷺ، لكان ذلك إكراماً له، لكن الله أراد أن يكون وحده في بداية الدعوة، ليكون أسوة للمؤمنين الذين لا يجدون معهم إلا الله.
المفهوم الرابع4: التعلق بالمظاهر – آفة البشر
هذه الآية تكشف عن آفة خطيرة: تعلق البشر بالمظاهر. يظنون أن الحق لا بد أن يكون معه مال أو سلطان. وهذا وهم كبير، فالحق قد يكون مع الفقراء والضعفاء، والباطل قد يكون مع الأغنياء وا لأقوياء.
الموضوع الثاني2: القيم المستنبطة من الآية
1. قيمة القناعة: لا تطلب من الدعاة الغنى، ففقر الأنبياء سنة.
2. قيمة عدم التعلق بالمال: لا تجعل المال مقياساً للحق.
3. قيمة عدم التعلق بالسلطان: لا تجعل السلطان دليلا ً على الحق.
4. قيمة الغنى بالقلب: الغنى الحقيقي هو غنى الإيمان.
5. قيمة الصبر على الفقر: الأنبياء صبروا على الفقر، فاصبر.
6. قيمة نقد المادية: لا تخلط بين القيمة المادية والقيمة المعنوية.
7. قيمة التوكل على الله: لا تحتاج إلى مال أو سلطان لتكون مع الله.
الموضوع الثالث3: الدروس والتوجيهات
الدرس الأول1: لا تطلب من الدعاة أن يكونوا أغنياء
قد يظن البعض أن الداعية الناجح لا بد أن يكون غنياً، وإلا فدعوته ضعيفة. هذه الآية ترد على هذا الوهم. الأنبياء كانوا فقراء، وكانوا أعظم الناس.
الدرس الثاني2: لا تحكم على الحق بقلة ماله
كثير من الناس يظنون أن الحق لا بد أن يكون مع الأغنياء. وهذه الآية تعلمك أن الحق قد يكون مع من لا يملك شيئاً.
الدرس الثالث3: لا تطلب من الله أن يعطيك كنزاً لتؤمن
هذه الآية تعلمك أن الإيمان لا يتوقف على المعجزات المادية. فالمشركون طلبوا كنزاً، ولو أنزل الله كنزاً لكانوا أول من يكفر به! كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾.
الدرس الرابع4: كنزك الحقيقي هو القرآن
إذا كنت تطلب كنزاً، فاعلم أن أعظم كنز أنزله الله هو القرآن. فهو كنز العلم، كنز الهدى، كنز الرحمة ، كنز لا ينفد.
الدرس الخامس5: لا تغتر بالمال والسلطان
المال والسلطان قد يكونان فتنة، لا كرامة. فاحذر أن تغتر بهما، أو أن تحكم على الناس بهما.
الموضوع الرابع4: التطبيقات العملية في حياتنا
تطبيق 1: في تقييم الدعاة
لا تقيس صدق الداعية بماله أو منصبه. قد يكون أفقر الناس وأعظمهم عند الله. انظر إلى ما يحمله من حق، لا إلى ما في يده من مال.
تطبيق 2: في تربية الأبناء على القناعة
علم أبناءك ألا يربطوا بين القيمة والمال. علمهم أن أعظم الناس قد يكونون فقراء، وأن الغنى الحقيقي هو غنى النفس.
تطبيق 3: في مواجهة مادية العصر
في زمن يسود فيه المال كمعيار للنجاح، تذكر هذه الآية. لا تذوب في هذه المادية، واعلم أن قيمتك عند الله بتقواك، لا بمالك.

تطبيق 4: في الدعوة إلى الله
لا تشترط للدعوة أن تكون غنياً. فقراء الصحابة كانوا أعظم دعاة. انطلق بما لديك، ولو كان قليلا ً.
الموضوع الخامس5: الرسائل النفسية للآية
*رسالة إلى قلبك: لا تحزن إذا كنت فقيراً
الآية تهمس في قلبك: لا تحزن إذا كنت فقيراً. فهذه سنة الأنبياء. الفقر ليس عيباً، ولا دليلا ً على نقص. قد يكون الفقر كرامة من الله ليختبر صبرك.
*رسالة إلى عقلك: لا تحكم بالمظاهر
الآية تهمس في عقلك: لا تحكم على الحق بالمظاهر. قد يكون الحق مع من لا مال له ولا سلطان. وازن الأمور بميزان العقل، لا بميزان المال.
*رسالة إلى إرادتك: كن قنوعاً
الآية تهمس في إرادتك: كن قنوعاً بما آتاك الله. لا تطلب كنزاً لتؤمن، ولا تطلب مالا ً لتتبع الحق. كن مع الله، يكن معك ما لا تظن.
الموضوع السادس6: دور مفاهيم الآية في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة
1. في بناء الإنسان المتزن
نفسياً
هذه الآية تمنح الإنسان التحرر من عقدة المال والسلطان. الإنسان المتزن نفسياً لا يربط قيمته بما يملك، ولا يحكم على غيره بما يملك. يعلم أن الفقر قد يكون نعمة، والغنى قد يكون نقمة.
فكرياً
تزرع الآية في العقل:
· نقد المادية: المال ليس مقياساً للحق.
· فهم سنن الله: الأنبياء لم يكونوا أغنياء.
· إدراك أن القيمة الحقيقية في الإيمان والعمل الصالح.
سلوكياً
تعلم الإنسان:
· القناعة: فلا يطمع في ما ليس له.
· التواضع: فلا يحتقر الفقير، ولا يعظم الغني لغناه.
· الصبر: على الفقر كما صبر الأنبياء.
2. في بناء المجتمع المسلم
المجتمع الذي يفهم هذه الآية هو مجتمع:
· لا طبقية فيه، فلا يعظم الغني لغناه، ولا يحتقر الفقير لفقره.
· لا يسوده الفساد المالي، لأن المال لا يكون مقياساً للقيمة.
· تسوده القناعة، فلا يطمع الناس في بعضهم البعض.
· تسوده العدالة، لأن الناس ينظرون إلى الحق لا إلى المال.
3. في بناء الحضارة الإسلامية
الحضارة الإسلامية قامت على مبدأ أن القيمة بالعمل والإيمان، لا بالمال. وهذا المبدأ مستمد من هذه الآية. فالحضارة الإسلامية لم تكن حضارة مادية صرفة، بل كانت حضارة توزن الأمور فيها بميزان الحق.
هذه الآية تحمي الحضارة من:
· الفساد المالي: لأن المال لا يكون مقياساً للنجاح.
· الطبقية: لأن الفقير قد يكون أعظم من الغني.
· المادية: لأن القيم المعنوية هي الأساس.
4. في البناء والتنمية
في مجال التنمية، هذه الآية تعطيك:
· إعادة تعريف النجاح: النجاح ليس كثرة المال فقط، بل هو الإنجاز والأثر.
· توزيع الثروة: لا تتركز الثروة في يد فئة دون أخرى.
· تقدير العمل: قيمة الإنسان بعمله، لا بماله.
الخاتمة: كيف تعيش هذه الآية؟
· عندما ترى داعية فقيراً، لا تستنكر. هذه سنة الأنبياء.
· عندما ترى غنياً، لا تعظمه لغناه، فقد يكون فقيراً عند الله.
· عندما تفتقر، لا تحزن. ففقر الأنبياء كان كرامة.
· عندما تغتر بمالك، تذكر أن المشركين طلبوا كنزاً لرسول الله، فلم يعطه الله إياه، لأنه ليس مقياساً للقيمة.
· عندما تطلب من الله شيئاً، تذكر أن أعظم ما أعطاك هو القرآن، وهو كنز لا ينفد.

هذه الآية هي تحريرك من عبودية المال. إنها تذكرك أن أعظم الناس قد يكونون فقراء، وأن الغنى الحقيقي هو غنى القلب بالله.
وقفة أخيرة: ما هو كنزك الحقيقي؟
الآية تضعك أمام سؤال: ما هو الكنز الذي تطلبه؟
المشركون طلبوا كنزاً من ذهب وفضة.
الله أعطى نبيه كنزاً من هدى وعلم.
وأنت: أتطلب كنزاً يفنى، أم كنزاً يبقى؟
أعظم كنز أنزله الله: الفرقان. فأين أنت من هذا الكنز؟
اللهم اجعل القرآن كنزنا الذي لا يفنى. اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا. اللهم أغننا بحلالك عن حرامك، وبطاعتك عن معصيتك، وبفضلك عمن سواك.

تاسعا

تفسير الآية التاسعة من سورة الفرقان
قال تعالى: ﴿انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾.
مقدمة: حين تتوالى الاتهامات ..نظرة من السماء
بعد أن سمعت في الآيات السابقة سيلا ً من الاتهامات التي أطلقها المشركون على النبي ﷺ والقرآن: تارة يقولون هو "إفك افتراه"، وتارة يقولون هو "أساطير الأولين"، وتارة يستنكرون بشريته فيأكل ويمشي، وتارة يطلبون له كنزاً أو ملكاً .تأتي هذه الآية وكأنها لقطة من أعلى، نظرة إلهية حاسمة تختصر المشهد كله.
إنها ليست مجرد آية ترد على اعتراض معين، بل هي آية التقييم النهائي لهذه الاتهامات كلها .وكأن الله يقول: انظر إليهم، كيف يضربون الأمثال، ويقيسون الحق بأوهامهم، ويصفون الرسول بما لا يليق، ثم ماذا كانت النتيجة؟ لقد ضلوا، وضل سعيهم، وأغلقوا على أنفسهم كل طريق إلى الهدى.
هذه الآية تخاطبك أنت أيضاً .كم مرة حاولت أن تقدم الحق لأحد، فقابلك بأمثلة مشوهة، وتشبيهات بعيدة، وأوصاف جائرة؟ هذه الآية تقول لك: لا تحزن .انظر كيف يفعلون، إنهم يضربون الأمثال الباطلة، ثم يضلون، ويغلقون على أنفسهم الأبواب.
تعالَ نتأمل هذه الآية، وكأنها تنزل الآن، وكأن الله يوجه نظرك أنت لتتأمل في طريقة تعامل الناس مع الحق، وفي مصير من يتعاملون معه بهذه الطريقة.
المبحث 1ً السياق – العلاقة بالآية التي قبلها
الربط بالآية الثامنة
الآية الثامنة قالت: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ لِيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا﴾.
جاءت هذه الآية مباشرة بعد سلسلة من الاعتراضات والاتهامات التي استمرت من الآية الرابعة إلى الثامنة .إنها بمثابة خلاصة الحكم على كل تلك الأقوال .فبعد أن سرد الله أقوالهم واحداً واحداً، يأمر نبيه) وأنت معه (أن يتأمل في هذه الظاهرة: انظر كيف يضربون الأمثال، وكيف تنتهي بهم هذه الطريقة إلى الضلال.
المبحث 2: تحليل الآية – قراءة في عمق الحكم الإلهي
/1
الجملة الأولى: ﴿انظُرْ﴾
اللمسة البلاغية: فعل الأمر بالتأمل

"انظر" فعل أمر موجه إلى النبي ﷺ أولا ً، وإلى كل من يقرأ الآية .إنه أمر بالتأمل والتدبر، ليس مجرد السمع ."انظر" تعني: استعمل بصرك وبصيرتك، وتأمل في هذه الظاهرة.
"انظر" – دعوة للتفكر
هذه الكلمة تحمل دعوة صريحة لاستخدام العقل .الله يأمرك أن تنظر، أن تتأمل، أن تتفكر .لا أن تمر مرور الكرام على أقوالهم، بل أن تتمعن فيها لترى كيف تفضي إلى الضلال.
الدلالة النفسية

"انظر" تدل على أن الله يريدك أن تكون متأملا ً في سلوك الناس، لا مجرد متأثر به .أن ترتفع فوق المشهد، وتنظر من فوق، لترى الحكمة الإلهية في تعامل الناس مع الحق.
/2
الجملة الثانية: ﴿كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ﴾
اللمسة البلاغية: "كيف" للتعجب والاستنكار

"كيف" هنا للتعجب والاستنكار، أي: انظر متعجباً من طريقة ضربهم الأمثال .إنها صيغة تدل على أن ما فعلوه أمر يستحق العجب.
"ضَرَبُوا" – ضرب الأمثال

ضرب الأمثال هو التمثيل والتشبيه .كانوا يصفون النبي ﷺ بأوصاف لا تليق به: ساحر، كاهن، مجنون، شاعر، إفك، أساطير ...كل هذه كانت أمثالا ً يضربونها للرسول وللقرآن.
"لكَ" – اللام للاختصاص

"لك" أي: لك أنت يا محمد .اللام تفيد أن هذه الأمثال كانت موجهة إليه شخصياً .وكأنهم جعلوه محوراً لأباطيلهم، ونصبوا أنفسهم لضرب الأمثال عليه.
"الأَمْثَالَ" – جمع المثل

جاءت "الأمثال" جمعاً، إشارة إلى تعدد أقوالهم وتنوع اتهاماتهم .مرة يقولون: ساحر .ومرة: مجنون . ومرة: شاعر .ومرة: مفتري .إنها سلسلة متصلة من الأمثال الباطلة.
اللمسة البيانية: تنويع الأمثال في السورة
لنرَ الأمثال التي ضربوها في هذه السورة:
الآية المثل الذي ضربوه
4إفك افتراه، وأعانه عليه قوم آخرون
5أساطير الأولين اكتتبها
7يأكل الطعام ويمشي في الأسواق
8لولا أنزل إليه كنز أو جاء معه ملك
هذه كلها أمثال ضربوها للرسول والقرآن.
الدلالة العقلية

ضرب الأمثال أسلوب لفهم الأشياء .لكنهم استخدموه لتحريف الحقائق .فبدلا ً من أن يضربوا أمثالا ً تقرب المعنى، ضربوا أمثالا ً تبعد وتشوه .وهذا دليل على أن قلوبهم كانت مريضة.
3
الجملة الثالثة: ﴿فَضَلُّوا﴾
اللمسة البلاغية: الفاء للتفريع والنتيجة
الفاء في "فضلو" تفيد أن ضرب هذه الأمثال أدى إلى نتيجة حتمية: الضلال .فليس ضرب الأمثال الباطلة أمراً عابراً، بل هو طريق إلى الضلال.
"ضَلُّوا" – الضلال عن الطريق

الضلال هو الانحراف عن الطريق المستقيم .ضلوا عن طريق الهدى، وضلوا عن طريق الحق، وضلوا عن معرفة الله ورسوله.
اللمسة البيانية: الضلال نتيجة للتشبيه الباطل
كلما شبهوا الحق بالباطل، ابتعدوا عن الحق .وكلما وصفوا النبي ﷺ بأوصاف خاطئة، فقدوا طريق الوصول إليه .هذا قانون إلهي: سوء الظن بالحق يؤدي إلى الضلال.

الدلالة النفسية
هذه الكلمة تحمل تحذيراً شديداً: من يتعامل مع الحق بسوء ظن، ويضرب له الأمثال الباطلة، فإنه سيفقد القدرة على الوصول إليه .الضلال ليس مجرد جهل، بل هو نتيجة لسوء الأسلوب في التعامل مع الحق.
4
الجملة الرابعة: ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾
اللمسة البلاغية: الفاء الثانية لتفريع النتيجة الثانية

الفاء الثانية تفريع على الضلال: بعد أن ضلوا، لم يعد بإمكانهم أن يجدوا طريقاً.
"يَسْتَطِيعُونَ" – نفي القدرة

"يستطيعون" من الاستطاعة، أي: لا يملكون القدرة .ليس الأمر أنهم لا يريدون فقط، بل هم فقدوا القدرة نفسها .الضلال أعماهم، فلم يعودوا قادرين على رؤية الطريق.
"سَبِيلًا" – نكرة في سياق النفي

نكرة في سياق النفي تفيد العموم والشمول .أي: لا يستطيعون أي سبيل إلى الهدى .كل الطرق أمامهم مغلقة.
اللمسة التجويدية: الوقف على "سَبِيلًا"
الوقف على "سبيلا ً" يعطي إحساساً بالحسم والقطع .إنها نهاية الطريق .لا أمل بعدها.
الدلالة العقلية

هذه الجملة تحمل القاعدة الذهبية: من تعامل مع الحق بالأمثال الباطلة، أغلق على نفسه أبواب الهدى .
والنتيجة: لا يستطيع سبيلا ً .ليس لأنه لا يوجد سبيل، بل لأنه فقد القدرة على رؤيته.
المبحث 3
الموضوع الأول1: المفاهيم المركزية في الآية
المفهوم الأول1: الأمثال الباطلة طريق إلى الضلال
الآية تثبت أن طريقة تعامل الإنسان مع الحق تحدد مصيره .من ضرب للحق أمثالا ً باطلة، ووصفه بما ليس فيه، فإنه سيدخل في دائرة الضلال، ثم يفقد القدرة على الخروج منها.
المفهوم الثاني2: النظر الإلهي والتقييم من فوق
"انظر" هي نظرة من فوق .الله يأمر نبيه أن ينظر إلى المشهد من زاوية عليا، لا من زاوية المتألم فقط .هذه النظرة تمنحه طمأنينة، لأنه يرى أن هذه الاتهامات لن تنفع أصحابها، بل ستؤدي إلى ضلا لهم.
المفهوم الثالث3: الاستطاعة تفقد بسوء الأسلوب
أخطر ما في الآية: أنهم "لا يستطيعون سبيلا ً" .ليست المشكلة أنهم لا يجدون الطريق، بل المشكلة أنهم فقدوا القدرة على السير فيه .سوء تعاملهم مع الحق جعلهم يفقدون هذه القدرة.
المفهوم الرابع4: حرية الإنسان ونتائج اختياراته
الآية تثبت أن الإنسان حر في اختيار طريقته في التعامل مع الحق، لكنه ليس حراً في نتائج هذا الا ختيار .من اختار أن يضرب الأمثال الباطلة، اختار الضلال وفقدان القدرة على الهدى.
الموضوع الثاني2: القيم المستنبطة من الآية
.1قيمة التأمل: "انظر" تدعوك إلى التوقف والتأمل.
.2قيمة الحذر من سوء الظن: لا تضرب للحق أمثالا ً باطلة.
.3قيمة الإنصاف: أن تنصف الحق ولو خالف هواك.
.4قيمة الوعي بعواقب الأفعال: كل قول له نتيجة.
.5قيمة البصيرة: أن تنظر إلى الأمور بعين القلب، لا بعين الهوى.
.6قيمة التواضع للحق: عدم التكبر عليه بضرب الأمثال المشوهة.
.7قيمة عدم اليأس من الضالين: مع أنهم ضلوا، فالهدى بيد الله.
الموضوع الثالث3: الدروس والتوجيهات
الدرس الأول1: تأمل قبل أن تحكم
"انظر" هي أول خطوة في طريق الهدى .لا تحكم على شيء قبل أن تتأمله .المشركون حكموا على الرسول والقرآن قبل أن يتأملوا .فكانت النتيجة: ضلوا.
الدرس الثاني2: احذر من الأمثال التي تضربها للحق
قد تضرب للحق أمثالا ً باطلة دون أن تشعر .عندما تقول: "الدين صعب"، "الإسلام لا يناسب العصر"، "المتدينون متخلفون"، فأنت تضرب أمثالا ً باطلة للحق .احذر، فهذه الأمثال تؤدي إلى الضلال.
الدرس الثالث3: لا تستهن بوصفك للحق
الوصف ليس كلاماً عابراً .إنه يبني موقفاً، وهذا الموقف يبني مصيراً .من وصف الحق بالباطل، ضل . فلا تستهن بما تصف به الحق.
الدرس الرابع4: إذا ضللت، فابحث عن السبب
الآية تذكرك أن الضلال له أسباب .من أسباب الضلال: ضرب الأمثال الباطلة .فإذا شعرت أنك ضللت عن طريق ما، فاسأل نفسك: هل ضربت للحق أمثالا ً باطلة؟ هل أسأت الظن به؟
الدرس الخامس5: لا تحزن إذا أغلق الناس على أنفسهم الأبواب
هذه الآية تريح قلبك: هم الذين ضلوا، وهم الذين أغلقوا على أنفسهم السبيل .أنت ما عليك إلا البلا غ .لا تحمل همّ هدايتهم فوق طاقتك.
الموضوع الرابع4: التطبيقات العملية في حياتنا
تطبيق1 : في التعامل مع الشبهات
عندما تسمع شبهة عن الإسلام، لا تمر عليها مرور الكرام .انظر كيف ضربوا الأمثال .كثير من الشبهات المعاصرة هي أمثال باطلة: "الإسلام دين الإرهاب"، "المرأة في الإسلام مظلومة"، "الإسلام لا يتوافق مع الديمقراطية" .هذه كلها أمثال باطلة .انظر كيف ضربوها، ثم اعلم أن ضاربها ضال.
تطبيق2 : في تربية الأبناء على التأمل
علم أبناءك ألا يحكموا على شيء قبل أن يتأملوه .علمهم أن "انظر" هي أول خطوة في طريق العلم . علمهم أن يسألوا: هل هذا الوصف صحيح؟ هل هذا المثل مناسب؟
تطبيق3 : في الدعوة إلى الله
عندما يواجهك المدعوون بأمثال باطلة عن الإسلام، لا تنزعج .تذكر هذه الآية .هم يضربون الأمثال، وهذه الأمثال ستؤدي بهم إلى الضلال إن استمروا عليها .دورك أن تزيل هذه الأمثال بالحكمة و الموعظة الحسنة.
تطبيق4 : في مراجعة الذات
اسأل نفسك: هل أضرب للحق أمثالا ً باطلة؟ هل أصف الإسلام بأوصاف غير صحيحة بسبب تأثر بـ

البيئة؟ هل أظن أن الدين صعب أو متخلف؟ هذه الآية تدعوك إلى مراجعة أمثالك عن الحق.
الموضوع الخامس5: الرسائل النفسية للآية
*رسالة إلى قلبك: ارتفع فوق المشهد
الآية تهمس في قلبك: لا تبقَ في أرض المعركة وحدك .ارتفع، انظر من فوق .انظر كيف يضربون الأ مثال، وكيف يضلون .هذه النظرة تمنحك طمأنينة، لأنك ترى أن النهاية محسومة: هم الضالون، وأنت مع الحق.
**رسالة إلى عقلك: تأمل في الطريقة لا في المحتوى فقط
الآية تهمس في عقلك: لا تنشغل فقط بمحتوى اتهاماتهم، بل تأمل في طريقتهم .كيف يضربون الأ مثال؟ كيف يشوهون الحقائق؟ هذا التأمل يعطيك مفتاحاً لفهم كثير من الظواهر البشرية.
**رسالة إلى إرادتك: لا تتبع طريقهم
الآية تهمس في إرادتك: لا تتبع سبيل الذين ضربوا الأمثال الباطلة .لا تجعل هواك يدفعك إلى وصف الحق بما ليس فيه .كن منصفاً، تكن من المهتدين.
الموضوع السادس6: دور مفاهيم الآية في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة
.1في بناء الإنسان المتزن
نفسياً
هذه الآية تمنح الإنسان الطمأنينة النفسية عندما يرى الناس يضربون الأمثال الباطلة للحق .فهو لا ينهار، ولا يشعر بالهزيمة، بل ينظر من فوق، ويعلم أن هذه الأمثال ستؤدي بصاحبها إلى الضلال.
فكرياً
تزرع الآية في العقل منهجية التأمل قبل الحكم .الإنسان المتزن فكرياً لا يحكم على شيء قبل أن يتأمله، ولا يضرب الأمثال إلا بعد أن يتثبت من صحتها.
سلوكياً
تعلم الإنسان:
· التثبت: فلا يتسرع في وصف الأشياء.
· الإنصاف: فلا يظلم الحق بوصفه بما ليس فيه.
· التأمل: فيتوقف قبل أن يحكم.
.2في بناء المجتمع المسلم
المجتمع الذي يفهم هذه الآية هو مجتمع:
· لا يسود فيه الإشاعات، لأن الناس يتأملون قبل أن ينقلوا.
· لا يروج للأمثال الباطلة، لأنهم يعلمون أنها تؤدي إلى الضلال.
· يسوده الإنصاف، فلا يظلمون أحداً بوصفه بما ليس فيه.
· يتعامل مع الحق بالتأمل، لا بالانطباع.
.3في بناء الحضارة الإسلامية
الحضارة الإسلامية قامت على منهجية التأمل والنظر .هذه الآية "انظر" هي أساس المنهج العلمي في الإسلام .العلماء المسلمون نظروا في الكون، وتأملوا في آيات الله، فكانت حضارة علمية عظيمة.
هذه الآية تحمي الحضارة من:
· الانطباعية: فلا تبني أحكامها على الانطباعات.
· التسرع: فلا تتسرع في إصدار الأحكام.
· التشويه: فلا تصف الحق بغير صفته.
.4في البناء والتنمية
في مجال التنمية، هذه الآية تعطيك:
· أهمية الدراسة والتأمل قبل اتخاذ القرارات.
· أهمية عدم التسرع في وصف المشكلات.
· أهمية النظرة الكلية للمشهد، وعدم الانشغال بالتفاصيل الصغيرة.
الخاتمة: كيف تعيش هذه الآية؟
· عندما تسمع وصفاً للإسلام بأنه كذا وكذا، توقف .انظر: هل هذا وصف صحيح أم مثل باطل؟
· عندما يصفك الناس بأوصاف ليست فيك، لا تحزن .انظر كيف يضربون الأمثال، واعلم أنهم هم الضالون.
· عندما تدعو إلى الله، توقع أن يضرب الناس الأمثال .لا تنزعج .استمر.
· عندما تريد أن تحكم على شيء، تذكر "انظر" .تأمل أولا ً .لا تتسرع.
· عندما ترى أحداً ضالا ً، اسأل: كيف ضرب الأمثال حتى وصل إلى هذا الضلال؟
هذه الآية هي مفتاح التعامل مع الباطل .إنها تعطيك النظرة العليا التي تمنحك الطمأنينة، وترفع عنك الحزن، وتوجهك إلى التأمل الذي هو أول خطوات العلم.
وقفة أخيرة: أي الأمثال تضرب؟
الآية تضعك أمام سؤال: أي الأمثال تضرب للحق؟
هل تضرب أمثالا ً تنصفه وتقربه؟ أم تضرب أمثالا ً تشوهه وتبعده؟

المشركون ضربوا الأمثال الباطلة فضلوا.
المؤمنون ضربوا الأمثال الحسنة فاهتدوا.
فأي الفريقين أنت؟
اللّهم اجعلنا من الذين ينظرون فيتأملون، ويتأملون فيهتدون .اللّهم لا تجعلنا ممن يضربون الأمثال الباطلة للحق، فيضلوا ولا يستطيعون سبيلا ً .اللّهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلا ً وارزقنا اجتنابه.

عاشرا

تفسير الآية العاشرة من سورة الفرقان
قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلْ لَكَ قُصُورًا﴾.
مقدمة: حين يرد الله على أحلامهم بما هو أعظم
بعد أن سمعت في الآيات السابقة مطالب المشركين المتكررة: ﴿لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ﴾، وبعد أن رأيت كيف ضربوا الأمثال الباطلة للرسول والقرآن، تأتي هذه الآية وكأنها الصفعة الحاسمة التي ترد على كل أحلامهم المادية، وتكشف عن ضآلة ما طلبوا أمام ما يخبئه الله لمن يؤمن.
إنها آية تبدأ بنفس افتتاح السورة: ﴿تَبَارَكَ﴾. وكأن السورة تعود إلى نقطة البداية، لتؤكد أن الذي نزل الفرقان هو نفسه الذي بيده الخير كله. هؤلاء يطلبون كنزاً، والله يقول: لو شئت لأعطيتك خيراً من ذلك. هؤلاء يطلبون ملكاً معه، والله يقول: لو شئت لجعلت لك قصوراً.
هذه الآية تخاطبك أنت أيضاً. كم مرة تمنيت شيئاً من الدنيا، وظننت أن فيه سعادتك؟ كم مرة قلت: لو كان عندي كذا لكان خيراً لي؟ وهذه الآية تهمس في أذنك: ما عند الله خير وأبقى. ما تطلبه من الدنيا زائل، وما يخبئه الله لك في الآخرة باق.
تعالَ نتأمل هذه الآية، وكأنها تنزل الآن، وكأن الله يوجه إليك هذا الكلام: انظر إلى الذي تبارك، بيده الخير كله، لو شاء لأعطاك خيراً مما تطلب، فلماذا تطلب القليل وتترك الكثير؟
المبحث 1: السياق – العلاقة بالآية التي قبلها
الربط بالآية التاسعة
الآية التاسعة قالت: ﴿انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾.
جاءت هذه الآية مباشرة بعد أن بين الله ضلال المشركين بسبب ضربهم الأمثال الباطلة. والآن، بعد أن أظهر الله ضلالهم، يأتي ليبين لهم ما فاتهم بسبب ضلالهم. وكأنه يقول: لقد ضللتم عن السبيل، وفاتكم خير عظيم. لو آمنتم، لجعل لكم خيراً مما تطلبون.
إنها مقارنة بين ما طلبوه وما عند الله. طلبوا كنزاً، فقيل لهم: لو آمنتم لجعل الله لكم جنات وقصوراً. طلبوا ملكاً، فقيل لهم: لو آمنتم لجعل لكم في الآخرة ما هو خير من الملك.
المبحث 2: تحليل الآية – قراءة في عمق الرد الإلهي
1
الجملة الأولى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي﴾
اللمسة البلاغية: العودة إلى بداية السورة
افتتحت السورة بـ"تبارك الذي نزل الفرقان". وهنا تعود الآية لتفتتح بـ"تبارك الذي". هذا التكرار يعطي إحساساً بأن السورة تدور حول محور واحد: بركة الله وعظمته. فالذي أنزل الفرقان هو الذي بيده كل خير.
"تَبَارَكَ" – تذكير بالبركة

تذكير بهذه الصفة العظيمة التي تفيد كثرة الخير ودوامه. والمعنى: تبارك الله، أي: تعاظم خيره وكثر. وهذا الخير لا ينحصر في الدنيا فقط، بل في الدنيا والآخرة.
الدلالة النفسية
افتتاح الآية بـ"تبارك" يملأ النفس بالطمأنينة. إنه تذكير بأن الذي تتحدث عنه الآية هو صاحب الخير كله. فلا تخف من فوات شيء، فالخير كله بيده.
2
الجملة الثانية: ﴿إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ﴾.
اللمسة البلاغية: "إن شاء" – تعليق المشيئة
علق الله الخير على مشيئته. وليس المعنى أن الله لا يشاء، بل هو إشارة إلى أن كل شيء بمشيئته. وفيه أيضاً تلويح: أنتم تطلبون كنزاً وملكاً، ولكن المشيئة الإلهية قد لا تريد ذلك لكم في الدنيا، لأن ما عند الله في الآخرة خير لكم.
"جَعَلَ لَكَ" – الخطاب للنبي ﷺ
الخطاب موجه للنبي ﷺ أولا ً، وللمؤمنين من بعده. والمعنى: لو شاء الله لجعل لك في الدنيا خيراً مما يطلبون.
"خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ" – المقارنة الحاسمة
"ذلك" إشارة إلى ما طلبوه: الكنز والملك. والله يقول: ما عندي خير مما تطلبون. هذا تقييم إلهي

لما يطلبه البشر. فما يظنونه خيراً قد لا يكون خيراً، وما عند الله هو الخير الحقيقي.
اللمسة البيانية: نكرة "خيرًا" للتعظيم
جاءت "خيراً" نكرة للتعظيم والتفخيم. أي: خيراً عظيماً لا يحيط به وصف.
الدلالة العقلية
هذا الرد يعتمد على برهان المقارنة: الذي تطلبونه من الدنيا زائل، والذي عند الله من النعيم المقيم خير منه. فلماذا تطلبون الأدنى وتتركون الأعلى؟
3
الجملة الثالثة: ﴿جَنَّاتٍ تجْرِي مِنْ تحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾
اللمسة البلاغية: وصف الجنة
هذا هو "الخير" الذي وعد الله به. وصف الجنة بـ"تجري من تحتها الأنهار" يدل على النعيم الدائم. فالأنهار لا تنقطع، والظل دائم، والثمار متدلية.
"مِنْ تحْتِهَا" – دقة الوصف
"من تحتها" يعني من تحت أشجارها وقصورها. وهذا يصور نعيماً شاملا ً: من فوقهم ظلال، ومن تحتهم أنهار.
اللمسة التجويدية: مد "الأَنْهَارُ"
كلمة "الأنهار" فيها مد طبيعي في الألف، مما يعطي إحساساً بالامتداد والجريان الدائم. وكأن النهر يجري بلا توقف.
الدلالة النفسية
وصف الجنة بهذا الأسلوب يجعل النفس تتشوق إليها. إنه يريح القلب الذي يتعب من زحام الدنيا، ويذكره بنعيم لا ينقطع.
/4
الجملة الرابعة: ﴿وَيَجْعَلْ لكَ قُصُورًا﴾
اللمسة البلاغية: العطف بـ"ويجعل"
عطف بـ"ويجعل" على "جعل"، لإضافة نعيم جديد. فليس فقط جنات، بل أيضاً قصور.
"قُصُورًا" – ماذا تعني؟
القصور هي البيوت العالية المشيدة. وهي رمز للعز والملك والتمكين. والله يقول: لو شئت لجعلت لك في الدنيا قصوراً، ولكن ما في الآخرة خير وأبقى.
اللمسة البيانية: نكرة "قصورًا" للتعظيم
جاءت "قصوراً" نكرة للتعظيم والتهويل. أي: قصوراً عظيمة لا نظير لها.
الدلالة العقلية
هذا الوصف يبين أن الله قادر على إعطاء الدنيا بكامل زينتها، لكنه اختار أن يدخر لعباده المؤمنين ما هو خير. فمن آمن، حصل على خير الدنيا والآخرة. ومن كفر، فاته خير الآخرة، وقد لا يحصل على خير الدنيا أيضاً.
المبحث 3
الموضوع الأول1: المفاهيم المركزية في الآية
المفهوم الأول1: تبارك الله مصدر الخير
الآية تعيد التأكيد على أن الله هو "تبارك"، أي مصدر كل خير. فكل ما تطلبونه من خير، فمن عنده. وهو قادر على أن يعطيكم خيراً مما تطلبون.
المفهوم الثاني2: الخير الحقيقي ليس ما يظنه البشر
المشركون طلبوا كنزاً وملكاً. والله يقول: الخير الحقيقي هو ما عندي. هذا مفهوم عميق: كثير مما يظنه الناس خيراً ليس خيراً في الحقيقة. والخير الحقيقي هو ما عند الله.
المفهوم الثالث3: الدنيا والآخرة – مقارنة القيم
الآية تقدم مقارنة بين ما يطلبه المشركون من متع الدنيا، وما يعده الله للمؤمنين في الآخرة. و المقارنة تظهر أن ما عند الله خير وأبقى.
المفهوم الرابع4: مشيئة الله وحكمته
"إن شاء" تعلمك أن كل شيء بمشيئة الله. قد لا يعطيك الله ما تطلب من الدنيا، لأن ما عنده خير لك. فهذا تعليم للرضا بحكمة الله.
الموضوع الثاني2: القيم المستنبطة من الآية
1. قيمة الرضا بقضاء الله: فما عند الله خير مما يظن العبد.
2. قيمة تفضيل الآخرة على الدنيا: لأن ما عند الله خير وأبقى.
3. قيمة اليقين بقدرة الله: إن شاء جعل لكم خيراً من ذلك.
4. قيمة التوكل على الله: فالخير كله بيده.
5. قيمة عدم التعلق بالدنيا: فما تطلبه من الدنيا زائل.
6. قيمة التفاؤل: فالله يخبئ لعباده خيراً لا يعلمونه.
7. قيمة العبودية: فتبارك الله وحده هو المعطي المانع.

الموضوع الثالث3: الدروس والتوجيهات
الدرس الأول1: لا تغتر بما تطلبه من الدنيا
قد تطلب شيئاً من الدنيا وتظنه خيراً، وهو قد يكون شراً لك. هذه الآية تعلمك أن الخير الحقيقي هو ما عند الله، فاطلبه هناك.
الدرس الثاني2: لا تحزن إذا فاتك شيء من الدنيا
ربما منعك الله شيئاً من الدنيا ليعطيك خيراً منه في الآخرة. فلا تحزن على ما فات، واطلب ما عند الله.
الدرس الثالث3: استشعر بركة الله في حياتك
الآية تبدأ ب-"تبارك". استشعر بركة الله في كل شيء. فالبركة ليست في كثرة المال، بل في أن يبارك الله لك فيما أعطاك.
الدرس الرابع4: آثر الآخرة على الدنيا
المقارنة التي قدمتها الآية واضحة: ما عند الله خير. فاجعل همك الآخرة، ولا تجعل الدنيا أكبر همك.
الدرس الخامس5: ثق بمشيئة الله وحكمته
"إن شاء" تعلمك أن كل شيء بمشيئة الله. فثق أن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن. وثق أن مشيئته كلها خير.
الموضوع الرابع4: التطبيقات العملية في حياتنا
تطبيق 1: عند فوات شيء من الدنيا
إذا فاتك مال، أو منصب، أو فرصة، تذكر هذه الآية. قل: الله يعلم أن ما عنده خير لي مما فات. فلا تحزن.
تطبيق 2: عند طلب الدنيا
عندما تطلب شيئاً من الدنيا، لا تجعله همك الأكبر. قل: اللهم إن كان خيراً لي فاقدره لي، وإن كان شراً لي فاصرفه عني. واذكر أن خير الدنيا والآخرة بيد الله.
تطبيق 3: في تربية الأبناء على الزهد
علم أبناءك ألا يتعلقوا بالدنيا. علمهم أن خير ما عند الله في الآخرة. علمهم أن يطلبوا الجنة و القصور، لا الكنوز الزائلة.
تطبيق 4: في الدعوة إلى الله
عندما تدعو الناس إلى الإسلام، حدثهم عن هذا الخير العظيم الذي ينتظرهم. قل لهم: الله يعدكم خيراً مما تطلبون من الدنيا. جنات تجري من تحتها الأنهار، وقصور.
الموضوع الخامس5: الرسائل النفسية للآية
*رسالة إلى قلبك: اطمئن فما عند الله خير
الآية تهمس في قلبك: اطمئن. لا تحزن على ما فاتك من الدنيا. فما عند الله خير لك. قلبك مطمئن عندما يعلم أن عنده خيراً مما يطلبه البشر.
*رسالة إلى عقلك: فكر في المقارنة
الآية تهمس في عقلك: فكر في المقارنة. ماذا يطلبون؟ كنزاً يفنى. وماذا عند الله؟ جنات تجري من تحتها الأنهار. فأيهما خير؟ العقل السليم يختار ما عند الله.
*رسالة إلى إرادتك: اختر الآخرة
الآية تهمس في إرادتك: اختر. الدنيا أم الآخرة؟ الكنز الزائل أم الجنات الخالدات؟ الخيار لك. فاختر ما هو خير.
الموضوع السادس6: دور مفاهيم الآية في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة
1. في بناء الإنسان المتزن
نفسياً
هذه الآية تمنح الإنسان الرضا النفسي بما قسمه الله له. فلا يشعر بالحسرة على ما فاته، ولا بالقلق مما لم يحصل عليه. يعلم أن ما عند الله خير.
فكرياً
تزرع الآية في العقل مفهوم أولويات القيم: ما عند الله خير من زخرف الدنيا. الإنسان المتزن فكرياً يعرف كيف يوازن بين الدنيا والآخرة.
سلوكياً
تعلم الإنسان:
· الزهد: فلا يتعلق بالدنيا.
· الرضا: فلا يجزع من فوات شيء.
· اليقين: في قدرة الله ومشيئته.
2. في بناء المجتمع المسلم
المجتمع الذي يفهم هذه الآية هو مجتمع:

· لا يتنافس على الدنيا، لأن ما عند الله خير.
· لا يحسد بعضه بعضاً، لأن الأرزاق بيد الله.
· يسوده الرضا، فلا طمع ولا جشع.
· يؤثر الآخرة، فلا يبيعها بعرض الدنيا.
3. في بناء الحضارة الإسلامية
الحضارة الإسلامية قامت على مبدأ أن الآخرة خير وأبقى. وهذا المبدأ جعل المسلمين لا يتعلقون بـ الدنيا، بل يعملون فيها لآخرتهم. فكانت حضارة تجمع بين العمل للدنيا والنية للآخرة.
هذه الآية تحمي الحضارة من:
· المادية: فلا تصبح الدنيا هي الغاية.
· اليأس: فلا يجزع الناس من فوات شيء.
· الجشع: فلا يتنافسون على زخرف الدنيا.
4. في البناء والتنمية
في مجال التنمية، هذه الآية تعطيك:
· التوازن: بين العمل للدنيا والاستعداد للآخرة.
· الرضا: فلا يشعر الناس بالظلم إذا لم يحصلوا على ما طلبوا.
· الأمل: فما عند الله خير مما فات.
الخاتمة: كيف تعيش هذه الآية؟
· عندما يفوتك شيء من الدنيا، تذكر: الله قادر أن يعطيني خيراً منه.
· عندما تطلب شيئاً، لا تجعله أكبر همك. تذكر: ما عند الله خير وأبقى.
· عندما ترى الناس يتنافسون على الدنيا، تذكر: أنت تتنافس على ما هو خير.
· عندما تشعر بالضيق من ضيق الدنيا، تذكر: أمامك جنات تجري من تحتها الأنهار.
· عندما تريد أن تهدي نفسك أو غيرك، ذكرهم بهذا الخير العظيم.
هذه الآية هي تذكيرك بأن ما عند الله خير مما تطلب. إنها تحررك من عبودية الدنيا، وتفتح أمامك أفق الآخرة الواسع. إنها تدعوك لأن ترفع سقف طموحك، لا إلى كنز يفنى، بل إلى جنات وقصور لا تفنى.
وقفة أخيرة: ماذا تختار؟
الآية تضعك أمام خيار مصيري:
المشركون اختاروا أن يطلبوا كنزاً في الدنيا.
الله يعرض عليك جنات في الآخرة.
أيهما تختار؟
من عقل يختار الكنز الزائل على الجنات الخالدات؟

القسم الثاني

اولا

تفسير الآية الحادية عشرة من سورة الفرقان
قال تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾
مقدمة: اللحظة التي ينكشف فيها الستار

بعد أن تتبعتَ معي في الآيات السابقة سيلا ً من الاعتراضات التي أطلقها المشركون على النبي ﷺ والقرآن: قالوا هو إفك، وقالوا هو أساطير الأولين، وقالوا يأكل الطعام ويمشي في الأسواق، وقالوا لولا أنزل إليه كنز أو جاء معه ملك... تأتي هذه الآية وكأنها تضرب بيد من حديد على جوهر القضية.
إنها تزيح الستار عن السبب الحقيقي لكل هذه الأقاويل. ليس الأمر أنهم كانوا يبحثون عن الحقيقة فلم يجدوها، وليس الأمر أنهم كانوا محايدين فشكوا في الدعوة. لا، الأمر أكبر من ذلك وأعمق.

"بَلْ" هذه كلمة صغيرة لكنها تحمل في طياتها تحولا ً في الخطاب، وانتقالا ً من السطح إلى العمق. إنها تقول: ليس الأمر كما يبدو، ليس الأمر أن لديهم اعتراضات عقلية تحتاج إلى إجابة، بل وراء كل هذه الاعتراضات سبب واحد: إنهم يكذبون بالساعة، يكذبون بالآخرة، يكذبون بالبعث و الحساب.

هذه الآية تخاطبك أنت أيضاً. كم مرة رأيت من يعترض على الدين، ويأتي بشبهات كثيرة، لكنك تشعر أن هناك شيئاً آخر خلف هذه الشبهات؟ هذه الآية تفتح عينيك: السبب الحقيقي ليس الشبهات نفسها، بل هو إنكار البعث، إنكار أن هناك يوماً ستحاسب فيه. فإذا أنكر الإنسان المحاسبة، سهل عليه أن يفعل ما يشاء، وأن يتهم الأنبياء بما يشاء.
تعالَ نتأمل هذه الآية، وكأنها تنزل الآن، وكأن الله يريد أن يريك الحقيقة المجردة: كل هذه الا

اعتراضات ما هي إلا ستار يخفي حقيقة واحدة: هم لا يريدون أن يؤمنوا بيوم القيامة.
أولا ً: السياق – العلاقة بالآية التي قبلها

الربط بالآية العاشرة
الآية العاشرة قالت: ﴿تَبَارَكَ الذي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تجْرِي مِنْ تحْتِهَا الأَنْهَارُ وَيَجْعَلْ لكَ قُصُورًا﴾.

جاءت هذه الآية ب"بَلْ" التي تفيد الانتقال والإضراب، أي: الانتقال من حديث إلى حديث آخر، والإ ضراب عن الفهم السابق. والمعنى: ليس الأمر أنهم يطلبون الكنز والملك ليثبت لهم النبوة، بل الأمر أنهم يكذبون بالآخرة أصلا ً. فطلبهم للكنز والملك ليس إلا ذريعة، أما السبب الحقيقي فهو إنكارهم للبعث.
إنها كشف للنية، وإزاحة للقناع عما في قلوبهم. فالآية العاشرة عرضت عليهم خير الآخرة، وهذه الآ ية تعلن أنهم رفضوا هذا الخير لأنهم لا يؤمنون بالآخرة أصلا ً.
ثانياً: تحليل الآية – قراءة في عمق الكشف الإلهي
1
الجملة الأولى: ﴿بَلْ﴾
اللمسة البلاغية: حرف الإضراب والانتقال

"بَلْ" هنا للإضراب، أي: الانتقال من كلام إلى كلام آخر، وإبطال ما كان يظن. والمعنى: ليس الأمر كما تظنون أن اعتراضاتهم نابعة من طلب البرهان، بل الأمر أنهم يكذبون بالساعة. إنها تحول في الخطاب، من الرد على الاعتراضات إلى كشف السبب الجذري.
"بَلْ" – أداة التصحيح

"بَلْ" تستعمل لتصحيح فهم خاطئ، أو للانتقال إلى أمر أهم. وهنا تصحح الفهم الذي قد يتبادر إلى الذهن أن المشركين كانوا يبحثون عن الحقيقة. تقول: لا، ليس هذا هو الأمر.
الدلالة النفسية

هذه الكلمة الواحدة تحمل طاقة نفسية هائلة. إنها تريح قلب المؤمن: لا تحاول أن تبحث عن إجابات لكل شبهاتهم، فالأمر ليس عقلياً بحتاً. السبب أعمق من ذلك.
2
الجملة الثانية: ﴿كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ﴾
اللمسة البلاغية: التكذيب بالساعة – السبب الجذري

هذا هو الكشف الحاسم. كل الاعتراضات السابقة كانت مجرد فروع، وهذا هو الأصل: تكذيبهم ب الساعة. الساعة هي يوم القيامة، يوم البعث والحساب.
"السَّاعَةِ" – تعريف الألف واللام

جاءت "الساعة" معرفة بأل، لأنها معروفة عندهم. وهي تفيد أنهم يعرفونها ويعلمون أنها آتية، لكنهم يكذبون بها.
"كَذَّبُوا" – صيغة المبالغة

الفعل "كذبوا" بصيغة المبالغة يدل على أن التكذيب كان متأصلا ً فيهم، ليس مجرد شك عابر، بل هو تكذيب مستمر ثابت.
اللمسة البيانية: التكذيب سبب كل الاعتراضات

لاحظ كيف أن القرآن يربط بين اعتراضاتهم السابقة وتكذيبهم بالساعة. فكل من لا يؤمن بالآخرة، لا يرى قيمة للرسالة، ولا يرى ضرورة لاتباع رسول، ولا يرى فائدة من الالتزام بأوامر الله. فإذا أنكرت المحاسبة، أصبح كل شيء مباحاً.
الدلالة العقلية

هذه الآية تضع القاعدة الذهبية: كل من أنكر الآخرة، سهل عليه أن يكذب بالرسل، وأن يتهمهم ب الكذب، وأن يطلب منهم المعجزات تعنتاً، وأن يستنكر بشريتهم. لأن الإيمان بالآخرة هو الذي يمنح الدنيا معناها، ويمنح الرسالة أهميتها.
3
الجملة الثالثة: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾

اللمسة البلاغية: العطف لبيان النتيجة
عطف بـ"وأعتدنا" على ما قبلها، لبيان ما أعد الله للمكذبين. فبعد أن بين سبب تكذيبهم، بين النتيجة التي تنتظرهم.

"أَعْتَدْنَا" – الإعداد والتهيئة
"أعتدنا" من الإعداد، أي: هيأنا وأعددنا. وهذا الفعل يدل على أن العذاب معدّ مسبقاً، ليس عفوياً، بل هو جزاء مقرر.

"لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ" – عموم الوعيد
الوعيد عام لكل من يكذب بالساعة، ليس لهؤلاء المشركين فقط. فالآية تتحدث عن سنة إلهية ثابتة.

"سَعِيرًا" – اختيار اللفظ بدقة
السعير هو النار المسعرة، أي: الموقدة المشتعلة. وهي من أسماء جهنم. اختيار هذا اللفظ يفيد شدة العذاب واستعاره.

اللمسة التجويدية: مد "سَعِيرًا"
كلمة "سعيرا" فيها مد طبيعي في الكسرة، ثم الوقف عليها يعطي إحساساً بالامتداد، وكأن النار ممتدة لا تنطفئ.

الدلالة النفسية
هذه الجملة تحمل الإنذار الشديد. لمن يكذب بالساعة، أعد الله ناراً مسعرة. فمن أنكر المحاسبة، سيواجه عذاباً لا محيد عنه.

ثالثا
الموضوع الأول1: المفاهيم المركزية في الآية
المفهوم الأول1: الإيمان بالآخرة هو الأصل
كل اعتراضات المشركين كانت فروعاً، والسبب الجذري هو إنكارهم للآخرة. هذا يعلمك أن الإيمان بـ البعث والحساب هو الذي يمنح الحياة معناها، ويمنح الالتزام بالدين جدواه.
المفهوم الثاني2: الشبهات ستار للإنكار
كثير من الناس يثيرون الشبهات حول الدين، لكن السبب الحقيقي ليس الشبهات نفسها، بل هو عدم رغبتهم في الالتزام، وعدم إيمانهم بأن هناك يوماً ستحاسب فيه. هذه الآية تكشف هذا الستار.
المفهوم الثالث3: الجزاء من جنس العمل
من كذب بالساعة، أي: أنكر أن يأتي يوم يحاسب فيه، أعد الله له سعيراً. فهو أنكر النار في الدنيا، فسيدخلها في الآخرة. هذا من عدل الله.
المفهوم الرابع4: الإعداد الإلهي للجزاء
الله لم يخلق الخلق ثم يتركهم سدى. بل أعد للطائعين جنات، وللعاصين سعيراً. هذا الإعداد يدل على أن الآخرة حق لا محالة.
الموضوع الثاني2: القيم المستنبطة من الآية
1. قيمة الإيمان بالآخرة: هو الأساس الذي يقوم عليه الدين كله.
2. قيمة الصدق مع النفس: لا تختبئ وراء شبهات وهمية.
3. قيمة المسؤولية: الإيمان بالآخرة يجعلك تشعر بالمسؤولية.
4. قيمة العدل الإلهي: كل مكذب سيجزى بعمله.
5. قيمة الإنذار: الدنيا فرصة، والآخرة جزاء.
6. قيمة كشف النوايا: الله يعلم ما في القلوب.
7. قيمة عدم الانخداع بالمظاهر: لا تنخدع باعتراضات من لا يؤمن بالآخرة.
الموضوع الثالث3: الدروس والتوجيهات

الدرس الأول1: ابحث عن السبب الحقيقي لاعتراضات الناس
عندما ترى من يعترض على الدين، اسأل نفسك: هل السبب هو الشبهات، أم أن السبب هو أنه لا يريد أن يؤمن بالآخرة؟ كثير من الاعتراضات ما هي إلا ستار لإنكار الحساب.
الدرس الثاني2: لا تنشغل بالرد على كل شبهة
إذا كان السبب الجذري لاعتراض شخص هو إنكاره للآخرة، فحاول أن تعالجه من جذوره. ركز على تذكيره بالآخرة، فهذا هو المفتاح.
الدرس الثالث3: الإيمان بالآخرة يغير كل شيء

إذا آمنت بالآخرة، ستختلف نظرتك للدنيا. ستعلم أن ما تفعله له ثمن، وأن هناك يوماً ستقف فيه بين يدي الله. هذا الإيمان هو الذي يمنح الحياة جديتها.
الدرس الرابع4: احذر أن تكون ممن يكذب بالساعة بسلوكه
ليس التكذيب باللسان فقط. من يعيش حياته كأنه لن يحاسب، فهو مكذب بالساعة عملياً. فاحذر أن تكون من هؤلاء.
الدرس الخامس5: تذكر السعير
تذكر أن لمن كذب بالساعة سعيراً. هذا التذكر يدفعك إلى الاستقامة، ويحميك من الغفلة.
الموضوع الرابع4: التطبيقات العملية في حياتنا
تطبيق 1: عند التعامل مع المشككين
عندما يواجهك أحد بشبهات عن الإسلام، حاول أن تكتشف السبب الحقيقي. هل هو شبهة عقلية يحتاج إلى إجابة، أم هو رفض للإيمان بالآخرة؟ إذا كان الثاني، فركز في حديثك على تذكيره بالآخرة.
تطبيق 2: في تربية الأبناء
علم أبناءك أن الإيمان بالآخرة هو أساس الإيمان كله. علمهم أن هناك يوماً سيقفون فيه بين يدي الله. هذا الإيمان هو الذي سيجعلهم ملتزمين حتى عندما لا يراقبهم أحد.
تطبيق 3: في مراجعة النفس
اسأل نفسك: هل أنا ممن يكذب بالساعة عملياً؟ هل أعيش كأنني لن أحاسب؟ هل أقدم على المعاصي وكأن لا رقيب علي؟ هذه الآية تدعوك إلى مراجعة صادقة.
تطبيق 4: في الدعوة إلى الله
عندما تدعو الناس، لا تنس أن تذكرهم بالآخرة. فكثير من الناس إذا ذُكِروا بالآخرة، تغيرت نظرتهم للحياة. الآخرة هي المفتاح.
الموضوع الخامس5: الرسائل النفسية للآية
1/رسالة إلى قلبك: لا تنخدع
الآية تهمس في قلبك: لا تنخدع باعتراضات الناس. قد يبدو أن لديهم أسئلة، لكن السبب الحقيقي هو أنهم لا يريدون أن يؤمنوا بالآخرة. فلا تحمل همّ إجاباتهم أكثر من اللازم.
2/رسالة إلى عقلك: افهم الجذور
الآية تهمس في عقلك: افهم الجذور. المشكلة ليست في الشبهات، بل في الإيمان بالآخرة. إذا استقر هذا الإيمان في القلب، زالت الشبهات. فركز على الأصل.
3رسالة إلى إرادتك: آمن بالآخرة
الآية تهمس في إرادتك: آمن بالآخرة. اجعلها هي البوصلة التي توجه حياتك. كل قرار، كل عمل، كل قول، قسه بهذا اليوم. من عاش للآخرة، ربح الدنيا والآخرة.
الموضوع السادس6: دور مفاهيم الآية في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة
1. في بناء الإنسان المتزن

نفسياً
هذه الآية تمنح الإنسان الاتزان النفسي من خلال:
· فهمه أن اعتراضات الناس قد لا تكون نابعة من أسباب عقلية، مما يريحه من عناء الرد على كل شبهة.
· إيمانه بالآخرة يمنحه طمأنينة بأن هناك عدلا ً ناجزاً.

فكرياً
تزرع الآية في العقل:
· القدرة على تحليل الظواهر: البحث عن السبب الجذري، لا الانشغال بالفروع.
· فهم العلاقة بين الإيمان بالآخرة والسلوك: أن الإيمان بالآخرة هو أساس الاستقامة.

سلوكياً
تعلم الإنسان:
· الاستقامة: لأنه يعلم أن هناك يوماً يحاسب فيه.
· عدم الانخداع: فلا ينخدع بظواهر الأمور.
· الصبر: في التعامل مع المكذبين.
2. في بناء المجتمع المسلم
المجتمع الذي يفهم هذه الآية هو مجتمع:

· قائم على الإيمان بالآخرة: فجميع تشريعاته وقيمه تنطلق من هذا الإيمان.
· لا ينخدع بالشبهات: لأن أفراده يعرفون أن وراء الشبهات أسباباً أخرى.
· يسوده العدل: لأن الناس يعلمون أن هناك يوماً يحاسبون فيه.
3. في بناء الحضارة الإسلامية
الحضارة الإسلامية قامت على الإيمان بالآخرة. هذا الإيمان جعل المسلمين يعملون للدنيا كأنهم يعيشون أبداً، ويعملون للآخرة كأنهم يموتون غداً. فكانت حضارة تجمع بين العمارة والزهد، بين القوة والرحمة.
هذه الآية تحمي الحضارة من:
· المادية: فتصبح الدنيا هي الغاية.
· النفاق: فيصبح الناس يعملون للمراءاة.
· الانهيار الأخلاقي: إذا فقد المجتمع الإيمان بالآخرة.
4. في البناء والتنمية
في مجال التنمية، هذه الآية تعطيك:
· الرؤية البعيدة: التنمية الحقيقية تنظر إلى ما بعد الدنيا.
· المسؤولية: كل عمل ستحاسب عليه.
· الاستدامة: الإيمان بالآخرة يجعل الإنسان يعمل للآخرين، لأنه يريد أجراً لا يفنى.
الخاتمة: كيف تعيش هذه الآية؟
· عندما ترى من يعترض على الدين، لا تنشغل بالشبهات فقط. اسأل: هل السبب الحقيقي هو إنكار الآخرة؟
· عندما تشعر بالضعف أمام المعاصي، تذكر: الساعة آتية لا ريب فيها، والله سيسألك عن كل شيء.
· عندما تريد أن تستقيم، اجعل الإيمان بالآخرة هو الدافع. اعمل لله كأنك تراه.
· عندما تتعامل مع الناس، تذكر أنهم سيقفون بين يدي الله. فكن رحيماً كما تحب أن يُرحم.
· عندما تغفل، تذكر السعير. هذا التذكر يعيدك إلى الطريق.
هذه الآية هي المفتاح الذي يفتح لك فهم سلوك المكذبين. إنها تريح قلبك من عناء الرد على كل شبهة، وتوجه نظرك إلى الجذر الحقيقي: الإيمان بالآخرة من عدمه. إنها تدعوك لتجعل الآخرة هي البوصلة التي توجه حياتك كلها.
وقفة أخيرة: هل أنت ممن يؤمن بالساعة؟
الآية تضعك أمام سؤال مصيري: هل أنت ممن يؤمن بالساعة؟ أم أنك ممن يكذب بها عملياً؟
فكر: هل تعيش كأنك لن تحاسب؟ هل تقدم على المعاصي كأن لا رقيب؟ هل تؤخر التوبة كأن الوقت لا ينتهي؟
من آمن بالساعة، عاش لها، واستعد لها.
من كذب بها، عاش لغيره، وخسر نفسه.
ثانيا
تفسير الآيتين الثانية عشرة والثالثة عشرة من سورة الفرقان
قال تعالى: ﴿إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا * وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾
مقدمة: حين تصبح النار حية ترى وتسمع
بعد أن كشفت الآية السابقة الستار عن السبب الحقيقي لكل اعتراضات المشركين، قائلة: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ﴾، ثم أعلنت أن الله أعد لمن كذب بالساعة سعيراً، تأتي هاتان الآيتان لترسما مشهداً من مشاهد ذلك السعير، ليس من بعيد، بل من الداخل. إنها تصف لحظة المواجهة بين المكذبين وبين النار التي كذبوا بها.
هذه الآيات ليست مجرد أخبار عن الغيب، بل هي صورة حية تنتزع من قلبك الغفلة، وتضعك وجهاً لوجه مع حقيقة قد تنساها: أن هناك ناراً قد أعدت لمن كذب بالساعة. وهي تصفها بأسلوب يجعل النار كائناً حياً يرى، ويغتاظ، ويزفر. ثم تصف المكذبين فيها وهم مقرنون بالأغلال، في مكان ضيق، يدعون بالهلاك والثبور.
تعالَ ندخل معاً إلى هذا المشهد، وكأنه يُعرض أمام أعيننا الآن. لا كأننا نقرأ خبراً، بل كأننا نشاهده. ولعل هذه المشاهدة تغير مجرى حياتنا.
اولا ً: السياق – العلاقة بالآية التي قبلها
الربط بالآية الحادية عشرة
الآية الحادية عشرة قالت: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾.
جاءت هاتان الآيتان لتُريا مشهداً من ذلك السعير. فبعد أن أخبر الله أنه أعد السعير للمكذبين، جاء الآن ليصف لنا كيف يكون حالهم مع هذا السعير. إنه الانتقال من الخبر إلى المشهد، من الإعلام إلى الإشهاد
ثانيا: تحليل الآيتين – قراءة في عمق المشهد الناري

الآية الثانية عشرة: ﴿إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾.
1
الجملة الأولى: ﴿إِذَا رَأَتْهُمْ﴾.
اللمسة البلاغية: إسناد الرؤية إلى النار
"رأتهم" أي: النار تراهم. هذا الإسناد يفيد أن النار كائن حي بحسب التعبير القرآني، لها إدراك وبصر. وهي تراهم من بعيد فتشعر بهم وتغتاظ منهم.

"رأتهم" – تجسيم للمشهد
هذا التعبير يجعل المشهد أكثر رهبة. فالنار ليست جماداً لا يشعر، بل هي تترقبهم، وتراهم، وتستعد لهم.

2
الجملة الثانية: ﴿مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾.
اللمسة البيانية: بعد المكان
"من مكان بعيد" تفيد أن النار تراهم من مسافة بعيدة. وهذا يزيد في الرهبة: هم لم يدخلوها بعد، لكنها تراهم من بعيد. وهي تنتظرهم.

الدلالة النفسية
هذه الجملة ترسم مشهداً من أشد مشاهد القيامة رهبة: النار تراهم من بعيد، وهم يساقون إليها، وهم يعلمون أن مصيرهم إليها. لكن لا مناص.
3
الجملة الثالثة: ﴿سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾.
اللمسة البلاغية: إسناد التغيظ والزفير إلى النار
"سَمِعُوا لَهَا" أي: للنار. "تَغَيُّظًا" أي: غلياناً من شدة الغضب. "وَزَفِيرًا" أي: صوتاً كصوت الحمير عند شدة الغضب.
"تَغَيُّظًا" – مبالغة في الغضب
التغيظ من الغيظ، وهو شدة الغضب. وهو مبالغة في الغضب. والنار تتغيظ على المكذبين.
"زَفِيرًا" – صوت الرهبة
الزفير هو ترديد النفس عند شدة الغضب، وهو من أفظع الأصوات. فالنار تزفر كأنها تتنفس بغضب.
اللمسة البيانية: تقديم التغيظ على الزفير
قدم التغيظ لأنه السبب، والزفير نتيجة له. فالنار تغتاظ أولا ً، ثم يسمعون زفيرها.
اللمسة التجويدية: الوقف على "زَفِيرًا"
الوقف على "زفيراً" يعطي إحساساً بانتهاء هذا الجزء من المشهد، وكأن النار قد انتهت من زفيرها، والمكذبون يستعدون للدخول.
الدلالة النفسية
هذا الوصف يجعل النار كائناً حياً له مشاعر وأصوات. وهذا يزيد في رهبة الموقف. إنها ليست ناراً هادئة، بل هي نار غاضبة تزفر.

المبحث 2
الآية الثالثة عشرة: ﴿وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾.
1
الجملة الأولى: ﴿وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا﴾.
اللمسة البلاغية: "أُلقوا" – الإلقاء بالقهر
"أُلقوا" فعل يدل على القهر والإذلال. إنهم لا يدخلونها مختارين، بل يُلقون فيها قسراً.
"مِنْهَا" – من النار
"منها" أي: من النار. تفيد أن الإلقاء يكون من جهة النار، أي: أن النار هي التي تلقيهم في داخلها.

2
الجملة الثانية: ﴿مَكَانًا ضَيِّقًا﴾.
اللمسة البلاغية: وصف المكان بالضيق

المكان ضيق، وهم مقرنون فيه. وهذا من أشد أنواع العذاب: الضيق مع القران. إنهم لا يجدون مكاناً يتسع لهم.
"ضَيِّقًا" – صيغة المبالغة

جاءت "ضيقاً" بصيغة المبالغة، أي: شديد الضيق. لا روح فيه، لا متسع.

الدلالة النفسية
هذا الوصف يضرب على وتر الخوف الفطري من الحبس والضيق. الإنسان يخاف من الأماكن الضيقة. وهنا المكان ضيق، وهم مقرنون، فلا حركة، ولا تنفس.
3
الجملة الثالثة: ﴿مُقَرَّنِينَ﴾
اللمسة البلاغية: القرن بالأغلال
"مقرنين" من القرن، وهو الجمع بين الشيئين بالربط. وهم مقرنون بالأغلال والسلاسل، كل واحد مع شيطانه.
اللمسة البيانية: القران يزيد الضيق
الضيق مع القران أشد من الضيق وحده. إنهم مقيدون لا يستطيعون الحركة، في مكان ضيق.

الدلالة النفسية
هذا الوصف يصور أقصى درجات العجز. لا حرية، لا حركة، لا مفر. إنهم أسرى في أضيق مكان.
4
الجملة الرابعة: ﴿دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾
اللمسة البلاغية: "دَعَوْا" – النداء في اليأس
"دعوا" أي: نادوا واستغاثوا. لكن ليس هناك من يجيب. إنهم يدعون على أنفسهم بالهلاك.
"هُنَالِكَ" – إشارة إلى المكان
"هناك" إشارة إلى ذلك المكان البعيد المروع. إنه مكان لا يريدون أن يكونوا فيه.
"ثُبُورًا" – دعاء الهلاك
"ثبوراً" مصدر بمعنى الهلاك. وهو دعاء على النفس بالهلاك والدمار. يقولون: يا ثبوراه! أي: يا هلاكاه!
اللمسة البيانية: نكرة "ثبورًا" للتعظيم
جاءت "ثبوراً" نكرة للتعظيم والتهويل. أي: ثبوراً عظيماً لا نظير له.
اللمسة التجويدية: الوقف على "ثُبُورًا"
الوقف على "ثبوراً" يعطي إحساساً بنهاية المشهد، وهم يدعون بالهلاك ولا مجيب.

الدلالة النفسية
هذه الجملة تختتم المشهد بأشد لحظاته إيلاماً: اليأس الكامل. لقد انتهى كل شيء. لا منقذ، ولا مخرج. فقط دعاء على النفس بالهلاك.
ثالثا
الموضوع الأول1: المفاهيم المركزية في الآيتين
المفهوم الأول1: النار كائن حي
القرآن يصور النار وكأنها كائن حي: ترى، وتغيظ، وتزفر. هذا التصوير يزيد من رهبة المشهد، ويجعل النار ليست مجرد مكان، بل هي قوة غاضبة تنتظر المكذبين.
المفهوم الثاني2: عذاب الاستباق
النار تراهم من مكان بعيد قبل أن يدخلوها. هذا يعني أن عذابهم يبدأ قبل الدخول. الرؤية والسماع والزفير كلها جزء من العذاب.
المفهوم الثالث3: الضيق والقران
أشد أنواع العذاب: الضيق مع القران. لا مكان يتسع، ولا حرية في الحركة. إنه أقصى درجات الإذلا ل.
المفهوم الرابع4: اليأس الكامل
عندما يصلون إلى هذا الحد، يدعون بالثبور. لا أمل في الخروج، ولا رجاء في الرحمة. فقط يائسون يدعون على أنفسهم.
الموضوع الثاني2: القيم المستنبطة من الآيتين
1. قيمة الخوف من الله: هذه المشاهد تذكرك بعظمة الله وقدرته.
2. قيمة الاستعداد للآخرة: لا تغفل عن يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون.
3. قيمة التوبة قبل فوات الأوان: لا تؤخر التوبة إلى يوم لا ينفع الندم.
4. قيمة العمل الصالح: هو ما ينجيك من هذا المشهد.
5. قيمة عدم الاغترار بالدنيا: الدنيا زائلة، والآخرة باقية.
6. قيمة اليقين بالجزاء: الله لا يظلم أحداً.
7. قيمة الدعوة إلى الله: أن تنذر الناس قبل أن يأتيهم العذاب.
الموضوع الثالث3: الدروس والتوجيهات
الدرس الأول1: لا تغفل عن النار

هذه الآيات تضع النار أمام عينيك. لا تنسها. إنها ليست أسطورة، بل هي حقيقة أعدت لمن كذب بـ الساعة. فاستعد لها بالإيمان والعمل الصالح.
الدرس الثاني2: النار تراك من بعيد
إذا كنت تعصي الله، فتذكر أن النار تراك من بعيد، وهي تغتاظ منك، وتنتظرك. فلا تكن ممن يفرحون بمعصية وهم يُرصدون.
الدرس الثالث3: الضيق جزاء الاستكبار
المكان الضيق جزاء من استكبر عن الحق. من ضاق صدره عن قبول الحق في الدنيا، ضاق عليه المكان في الآخرة.
الدرس الرابع4: لا تؤجل التوبه
عندما يصل الإنسان إلى النار، لا ينفعه الندم. فاغتنم الفرصة الآن. التوبة باب مفتوح، فادخل قبل أن يغلق.
الدرس الخامس5: لا تكن ممن يدعون بالثبور
تأمل حالهم: يدعون على أنفسهم بالهلاك. لا تكن منهم. كن ممن يدعون الله بالرحمة والمغفرة.
الموضوع الرابع4: التطبيقات العملية في حياتنا
تطبيق 1: تذكر النار عند المعصية
عندما تهم بمعصية، تذكر هذه الآيات. تذكر النار تراك من بعيد وتغيظ. هذا التذكر قد يكون سبباً في ترك المعصية.
تطبيق 2: وسع صدرك للحق
من ضاق صدره في الدنيا عن قبول الحق، ضاق عليه المكان في الآخرة. فوسع صدرك، وتواضع للحق، حتى لا تضيق عليك النار.
تطبيق 3: استعد بالعمل الصالح
لا تترك يوماً يمر دون أن تقدم فيه عملا ً صالحاً. فكل عمل صالح هو حاجز بينك وبين هذه النار.
تطبيق 4: أنذر من حولك
أنت مطالب بأن تنذر الناس كما أنذر الرسل. حدثهم عن هذه المشاهد، لعل قلوبهم تخشع.
تطبيق 5: تب قبل فوات الأوان
لا تؤجل التوبة. كل يوم تؤخرها، تقترب من هذا المشهد. تب الآن.
الموضوع الخامس5: الرسائل النفسية للآيتين
1/رسالة إلى قلبك: اخشع
الآيات تهمس في قلبك: اخشع. هذه مشاهد حقيقية. لا تمر عليها مرور الكرام. دع قلبك يخشع، ودع عينيك تدمع.
2/رسالة إلى عقلك: استيقن
الآيات تهمس في عقلك: استيقن. هذه ليست خيالات. إنها حق. والنار حق. فلماذا تغفل؟
3/رسالة إلى إرادتك: استقم
الآيات تهمس في إرادتك: استقم. طريق الجنة صعب، لكن نهايته رضوان الله. طريق النار سهل، لكن نهايته هذه المشاهد. فاختر.
الموضوع السادس6: دور مفاهيم الآيتين في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة
1. في بناء الإنسان المتزن

نفسياً
هذه الآيات تمنح الإنسان الخوف المتزن، لا الخوف المرضي. تخافه فيستقيم، ولا ييأس من رحمته. هذا الخوف يدفعه إلى العمل الصالح.

فكرياً
تزرع الآيات في العقل اليقين بالجزاء. الإنسان يعلم أن كل عمل له جزاء، وأن الله لا يظلم مثقال ذرة. هذا اليقين يوجه سلوكه.

سلوكياً
تعلم الإنسان:

· الاستقامة: فيخاف من النار فيترك المعاصي.
· التوبة: فيعود إلى الله إذا أخطأ.
· الإنذار: فينذر غيره.
2. في بناء المجتمع المسلم

المجتمع الذي يقرأ هذه الآيات بتدبر هو مجتمع:
· خائف من عذاب الله: فلا يتجرأ على المعاصي.
· متسامح: لأنه يخاف الله لا الناس.
· عادل: لأنه يعلم أن الظلم يؤدي إلى النار.
· داعية: لأنه ينذر غيره.
3. في بناء الحضارة الإسلامية
الحضارة الإسلامية قامت على الخوف من الله مع الرجاء في رحمته. هذا الخوف منع المسلمين من الفساد والظلم، وجعلهم يعمرون الأرض بالعدل.
هذه الآيات تحمي الحضارة من:
· الفساد الأخلاقي: لأن الناس يخافون النار.
· الظلم: لأن الظالم يعلم أنه سيلقى جزاءه.
· الغفلة: لأن التذكير بالنار يوقظ الغافلين.
4. في البناء والتنمية
في مجال التنمية، هذه الآيات تعطيك:
· الرؤية البعيدة: التنمية الحقيقية تنظر إلى ما بعد الدنيا.
· المسؤولية: كل عمل ستحاسب عليه.
· العدالة: التنمية لا تنجح بالظلم، بل بالعدل.
الخاتمة: كيف تعيش هاتين الآيتين؟
· كل صباح، تذكر أن النار تراك. فكيف تعصي الله والنار تراك من بعيد وتغيظ؟
· كل مساء، تذكر أن النار تزفر. فكيف تنام على معصية والنار تزفر غضباً؟
· عند كل معصية، تذكر أنك قد تلقى في مكان ضيق مقرناً. فهل تستطيع أن تتحمل ذلك؟
· عند كل غفلة، تذكر أنهم يدعون هنالك ثبوراً. فهل تريد أن تكون منهم؟
· عند كل دعوة، تذكر أن عليك أن تنذر الناس قبل أن يأتيهم هذا اليوم.
هاتان الآيتان هما تذكيرك بأن النار ليست أسطورة. إنها حقيقة أعدت لمن كذب بالساعة. فاجعلها أمام عينيك، واستعد لها بالإيمان والعمل الصالح. لا تكن ممن تراهم النار من بعيد فتغيظ عليهم، بل كن ممن تراهم الجنة من بعيد فترحب بهم.
وقفة أخيرة: أي المشهدين تختار؟
القرآن يصور مشهدين:
· مشهد النار: تراهم من بعيد، سمعوا لها تغيظاً وزفيراً، ألقوا فيها مكاناً ضيقاً مقرنين، يدعون هنالك ثبوراً.
· مشهد الجنة: كما في آيات أخرى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾.
أي المشهدين تختار؟
ثالثا
تفسير الآية الرابعة عشرة من سورة الفرقان
قال تعالى: ﴿لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا﴾
مقدمة: حين يغلق باب الرجاء
بعد أن سمعت في الآية السابقة مشهداً من مشاهد النار: ﴿وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾، أي: نادوا على أنفسهم بالهلاك والدمار مرة واحدة، تأتي هذه الآية وكأنها الصوت الإ لهي الحاسم الذي يرد عليهم.
إنها ليست آية تخبر فقط، بل هي مشهد كامل من مشاهد يوم القيامة. كأن الله يقول لهم: أنتم تدعون بالثبور مرة واحدة، لكن الواقع أشد مما تتصورون. إن العذاب الذي أنتم فيه ليس شيئاً يدعى له مرة واحدة، بل هو عذاب يستحق أن تدعوا عليه بثبور كثير متكرر.
هذه الآية تخاطبك أنت أيضاً. كم مرة تمنيت لو أن عقوبة ما تنتهي بسرعة؟ كم مرة قلت: "يكفي ما أنا فيه"؟ هذه الآية تذكرك أن عذاب الآخرة ليس كعذاب الدنيا. إنه عذاب لا ينتهي، وعذاب يستحق أن يدعى عليه بالهلاك مراراً وتكراراً.
لكن الأعمق من ذلك: هذه الآية تحمل في طياتها رسالة للمؤمنين أيضاً. إنها تذكير بأن الدنيا هي دار الفرصة، والآخرة دار الجزاء. فمن لم يتب في الدنيا، سيدعو في الآخرة بالثبور، ولن ينفعه. ومن أطاع الله في الدنيا، فاز برضوانه.
تعالَ نتأمل هذه الآية، وكأنها تنزل الآن، وكأننا نسمع هذا النداء الإلهي يوم القيامة. ولعل هذه المشاهدة تغير مجرى حياتنا.
اولا ً: السياق – العلاقة بالآية التي قبلها
الربط بالآية الثالثة عشرة
الآية الثالثة عشرة قالت: ﴿وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾.
جاءت هذه الآية مباشرة لتكون رداً إلهياً على دعائهم بالثبور. فهم يدعون بالهلاك مرة واحدة، فيقال

لهم: لا تدعوا اليوم ثبوراً واحداً، بل ادعوا ثبوراً كثيراً. إنه تصوير للحال التي وصلوا إليها: عذاب لا يكفي له ثبور واحد، بل يحتاج إلى ثبور متكرر.
ثانيا: تحليل الآية – قراءة في عمق الرد الإلهي
1
الجملة الأولى: ﴿لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا﴾
اللمسة البلاغية: النهي في صورة الخطاب
"لا تدعوا" نهي، لكنه ليس نهي تكليف، بل هو نهي في سياق التوبيخ والتقريع. كأنه يقول: لا تجدوا في دعائكم بالثبور مرة واحدة، فهذا لا يكفي لعذابكم.
"الْيَوْمَ" – ظرف الزمان
"اليوم" إشارة إلى يوم القيامة، يوم الجزاء. وهو يوم لا ينفع فيه الندم، ولا تغني فيه التوبة.
"ثُبُورًا وَاحِدًا" – نفي الاكتفاء بالثبور الواحد
"ثبوراً واحداً" أي: هلاكاً واحداً. والآية تنفي أن يكتفوا بثبور واحد، لأن العذاب لا ينتهي بمرة واحدة.
اللمسة البيانية: "ثبوراً" – نكرة للتحقير؟
جاءت "ثبوراً" نكرة، وقد تفيد التحقير، أي: لا تدعوا ثبوراً واحداً حقيراً لا يكفي، بل ادعوا ثبوراً كثيراً.
اللمسة التجويدية: الوقف على "وَاحِدًا"
الوقف على "واحداً" يعطي إحساساً بأن النهي قد انتهى، ثم ينتقل إلى الأمر.
2
الجملة الثانية: ﴿وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا﴾
اللمسة البلاغية: الأمر في صورة الإباحة
"وادعوا" أمر، لكنه ليس أمر تكليف، بل هو في سياق التهديد والتوبيخ. كأنه يقول: ادعوا ما شئتم من الثبور، فلن ينفعكم.
"ثُبُورًا كَثِيرًا" – مقابل الثبور الواحد
"كثيراً" مقابل "واحداً". فالعذاب الذي هم فيه يستحق أن يدعى عليه بالهلاك مراراً لا تحصى.
اللمسة البيانية: "كثيراً" – صيغة المبالغة
"كثيراً" تفيد الكثرة المطلقة. أي: ادعوا ثبوراً لا يحصى، فلن يخفف عنكم شيئاً.
اللمسة التجويدية: الوقف على "كَثِيرًا"
الوقف على "كثيراً" يعطي إحساساً بنهاية الخطاب، وكأن القضية قد حسمت.
الدلالة العقلية
هذه الآية تحمل منتهى اليأس. إنهم في عذاب لا ينتهي، ويدعون بالهلاك فلا يستجاب لهم، بل يقال لهم: ادعوا أكثر! إنه إعلان أن لا مخرج.
ثالثا
الموضوع الأول1: المفاهيم المركزية في الآية
المفهوم الأول1: اليأس الكامل
هذه الآية تصور أعلى درجات اليأس. إنهم يصلون إلى نقطة لا يرجون فيها شيئاً، ولا يتوقعون خلاصاً. وهم يدعون بالثبور، فيقال لهم: ادعوا أكثر!
المفهوم الثاني2: عذاب لا ينتهي
عذاب الآخرة ليس كعذاب الدنيا. عذاب الدنيا ينتهي، أما عذاب الآخرة فهو دائم. ولهذا لا يكفيه ثبور واحد.
المفهوم الثالث3: التوبة لا تنفع بعد الموت
هؤلاء كانوا في الدنيا يستعجلون العذاب استهزاءً، فلما جاءهم العذاب، تمنوا الخلاص. لكن فات أوان التوبة.
المفهوم الرابع4: الجزاء من جنس العمل
في الدنيا كانوا يستهزئون بالرسل، ويقولون: متى هذا الوعد؟ فلما جاءهم العذاب، قيل لهم: اليوم تعذبون.
الموضوع الثاني2: القيم المستنبطة من الآية
1. قيمة اغتنام الفرصة: الدنيا هي دار الفرصة، والآخرة دار الجزاء.
2. قيمة عدم الاستهزاء بالدين: لا تستهزئ بوعد الله، فسيأتيك.
3. قيمة التوبة المبكرة: لا تؤخر التوبة، فاليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل.
4. قيمة الخوف من الآخرة: هذه المشاهد تذكرك بعظمة يوم القيامة.
5. قيمة الصبر على الطاعة: ثواب الطاعة في الآخرة لا يقاس.
6. قيمة عدم اليأس من رحمة الله: في الدنيا باب التوبة مفتوح، فلا تغلقه على نفسك.
الموضوع الثالث3: الدروس والتوجيهات
الدرس الأول1: اغتنم فرصة الدنيا

هذه الآية تذكرك أن الدنيا هي الفرصة الوحيدة للتوبة والعمل الصالح. فإذا انتهت، فلن ينفع الندم.
الدرس الثاني2: لا تستهزئ بالوعيد
قد يستهزئ بعض الناس بوعيد الله، ويقولون: متى هذا العذاب؟ هذه الآية تذكرهم أنه سيأتيهم يوم لا ينفعهم فيه الندم.
الدرس الثالث3: تب قبل فوات الأوان
إذا كنت مقصراً، فتب اليوم. لا تؤجل. فغداً قد لا تجد الفرصة.
الدرس الرابع4: لا تيأس من رحمة الله
هذه الآية تتحدث عن أهل النار. أما أنت فباب التوبة مفتوح. فلا تغلقه على نفسك باليأس.
الدرس الخامس5: اجعل الآخرة همك
من جعل الدنيا همه، شغلته عن الآخرة. ومن جعل الآخرة همه، آتته الدنيا راغمة.
الموضوع الرابع4: التطبيقات العملية في حياتنا
تطبيق 1: عند التسويف في التوبة
إذا وجدت نفسك تؤجل التوبة، تذكر هذه الآية. تذكر أن هناك يوماً يقال فيه لأهله: ادعوا ثبوراً كثيراً.
تطبيق 2: عند الاستهزاء بالدين
إذا سمعت من يستهزئ بالدين، تذكر أن هؤلاء سيندمون يوم لا ينفعهم الندم. فلا تنشغل بهم، بل ادعهم إلى الله بالحكمة.
تطبيق 3: في تربية الأبناء
علم أبناءك أن الدنيا دار عمل، والآخرة دار جزاء. علمهم أن يستعدوا لذلك اليوم.
تطبيق 4: في مراجعة النفس
اسأل نفسك كل يوم: هل أنا مستعد لهذا اليوم؟ هل تبت من ذنوبي؟ هل قدمت ما ينفعني؟
الموضوع الخامس5: الرسائل النفسية للآية
1/رسالة إلى قلبك: لا تغفل
الآية تهمس في قلبك: لا تغفل. هذه مشاهد يوم القيامة. فاجعلها نصب عينيك. قلبك يغفل، فذكره بهذه المشاهد.
2/رسالة إلى عقلك: استعد
الآية تهمس في عقلك: استعد. اليوم تستطيع أن تغير مصيرك. غداً لا تستطيع. فاستغل الفرصة.
3/رسالة إلى إرادتك: تب
الآية تهمس في إرادتك: تب الآن. لا تؤجل. كل دقيقة تمر تقربك من هذا اليوم. فاغتنمها قبل أن تندم.
الموضوع السادس6: دور مفاهيم الآية في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة
1. في بناء الإنسان المتزن

نفسياً
هذه الآية تمنح الإنسان التوازن بين الخوف والرجاء. يخاف من هذا اليوم فيستقيم، ويرجو رحمة الله فلا ييأس.

فكرياً
تزرع الآية في العقل أهمية اغتنام الفرصة. الإنسان يعلم أن الدنيا قصيرة، وأن الفرصة فيها محدودة. فيستغلها في العمل الصالح.

سلوكياً
تعلم الإنسان:
· عدم التسويف: فلا يؤخر التوبة.
· الاستعداد: للآخرة بالعمل الصالح.
· الجدية: في التعامل مع الدين.
2. في بناء المجتمع المسلم
المجتمع الذي يتدبر هذه الآية هو مجتمع:
· لا يستهزئ بالدين: لأنه يعلم عاقبة المستهزئين.
· يستعد للآخرة: فتجده عامراً بالطاعات.
· يتبادر إلى الخيرات: لا يؤخرها.
· يتعاون على البر والتقوى: لأنهم يعلمون أن اليوم عمل ولا حساب.
3. في بناء الحضارة الإسلامية
الحضارة الإسلامية قامت على الاستعداد للآخرة. هذا الاستعداد جعل المسلمين يعمرون الدنيا بنية ا

لآخرة. فكانت حضارة تجمع بين العمارة والزهد.
هذه الآية تحمي الحضارة من:
· الغفلة: فتذكر الناس باليوم الآخر.
· التسويف: فتحفزهم على العمل.
· اليأس: فتبقي باب الأمل مفتوحاً في الدنيا.
4. في البناء والتنمية
في مجال التنمية، هذه الآية تعطيك:
· الإلحاح في العمل: لا تؤخر ما تستطيع فعله اليوم.
· الجدية: التنمية لا تنجح بالتسويف.
· الرؤية البعيدة: العمل لبناء مستقبل أفضل.
الخاتمة: كيف تعيش هذه الآية؟
· كل يوم، تذكر أن اليوم فرصة، وغداً قد لا يأتي.
· عند كل معصية، تذكر أن هناك يوماً تندم فيه.
· عند كل تسويف، تذكر أن الوقت يمضي، والحساب قادم.
· عند كل فرصة للطاعة، اغتنمها. لا تقل: سأفعلها غداً.
· عند كل شعور باليأس، تذكر أن باب التوبة مفتوح، فتب.
هذه الآية هي تذكيرك بأن الدنيا هي دار الفرصة. فاغتنمها قبل أن ينادي عليك: لا تدعوا اليوم ثبوراً واحداً وادعوا ثبوراً كثيراً.
وقفة أخيرة: هل تستعد لهذا اليوم؟
الآية تضعك أمام سؤال: هل أنت مستعد لهذا اليوم؟
اليوم الذي يقال فيه لأهله: لا تدعوا اليوم ثبوراً واحداً وادعوا ثبوراً كثيراً.
اليوم الذي لا ينفع فيه الندم.
اليوم الذي لا توبة فيه.
فاستعد له اليوم. تب من ذنبك. أصلح ما أفسدت. تقرب إلى الله بما تستطيع.
رابعا
تفسير الآيتين الخامسة عشرة والسادسة عشرة من سورة الفرقان
قال تعالى: ﴿قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا * لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا﴾
مقدمة: لحظة الاختيار المصيري
بعد أن سمعت في الآيات السابقة مشاهد مرعبة من عذاب النار: النار تراهم من بعيد وتغيظ وتزفر، ثم يُلقون فيها مكاناً ضيقاً مقرنين، ويدعون بالثبور فيقال لهم: ﴿لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا﴾، تأتي هذه الآية وكأنها تضع يدك على ميزان الاختيار.
إنها آية المقارنة الحاسمة. آية تضع بين يديك خيارين، وتدعوك لتقرر بنفسك: أتختار ما وُعد به المكذبون من عذاب؟ أم تختار جنة الخلد التي وُعد بها المتقون؟
"قل" أمر للنبي ﷺ أن يقول للناس هذه المقارنة. لكنها موجهة إليك أنت أيضاً. كأن الله يقول لك: توقف لحظة. انظر إلى هذا الطريق وإلى ذاك. قارن. ثم اختر. فالأمر بين يديك.
تعالَ نتأمل هاتين الآيتين، وكأن الله يعرض عليك الآن هذا الاختيار. وكأنك تقف عند مفترق طرق: طريق ينتهي بالنار التي سمعت عنها، وطريق ينتهي بجنة الخلد. فأي الطريقين تختار؟
أولا ً: السياق – العلاقة بالآية التي قبلها
الربط بالآية الرابعة عشرة

الآية الرابعة عشرة قالت: ﴿لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا﴾.
جاءت هاتان الآيتان لتقابل ذلك المشهد المرعب بـمشهد آخر، مشهد الجنة. إنها مقابلة بين طريقين ومصيرين. فبعد أن أسمعك الله وعيده للمكذبين، يأمر نبيه أن يقول للناس: انظروا إلى هذا وذاك، ثم اختاروا.
ثانياً:
تحليل الآيتين – قراءة في عمق المقارنة
الآية الخامسة عشرة: ﴿قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا﴾
/1
الجملة الأولى: ﴿قُلْ﴾
اللمسة البلاغية: الأمر بالقول
"قل" أمر للنبي ﷺ أن يبلغ هذه المقارنة للناس. وهي موجهة لكل مؤمن من بعده أن يقولها بلسان حاله أو مقاله. إنها دعوة لتبليغ الحق ووضعه أمام الناس.
/2
الجملة الثانية: ﴿أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ﴾

اللمسة البلاغية: الاستفهام للتقرير
"أذلك خير أم..." هذا استفهام للتقرير. والمعنى: أهذا الذي طلبتموه لرسول الله من كنز وملك، و الذي وُعد به المكذبون من عذاب، خير أم جنة الخلد؟ إنه استفهام يضع الأمور في نصابها.
"ذلك" – إشارة إلى ما سبق
"ذلك" إشارة إلى ما تقدم ذكره من عذاب النار، وإلى ما كانوا يطلبونه للرسول من كنز وملك. و المعنى: أهذا الذي تطلبونه لأنفسكم وللرسول خير، أم الجنة؟
"جَنَّةُ الخُلْدِ" – وصف الجنة بالخلود
"الخلد" هو البقاء والدوام. جنة الخلد: الجنة التي لا تفنى، ولا يخرج منها أهلها. هذا وصف يريح القلوب: نعيم لا ينقطع.
اللمسة التجويدية: الوقف على "الخُلْدِ"
الوقف على "الخلد" يعطي إحساساً بالاستمرارية، وكأن الخلد ممتد لا نهاية له.
/3
الجملة الثالثة: ﴿الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾
اللمسة البيانية: وعد المتقين
"وُعِدَ" أي: أعدت لهم. "المتقون" هم الذين اتقوا الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه. الجنة ليست لكل أحد، بل هي وعد خاص للمتقين.
"المتقون" – صيغة تدل على الصفة الثابتة
"المتقون" جمع متق، وهو اسم فاعل من الاتقاء، ويدل على أن التقوى صفة ثابتة فيهم.
الدلالة النفسية
هذه الجملة تبعث في النفس الرغبة في أن تكون من المتقين. فالجنة وعد لهم. فمن أراد الجنة، فليتق الله.
4
الجملة الرابعة: ﴿كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا﴾
اللمسة البلاغية: "كانت" للثبات
"كانت" تفيد الثبات والاستمرار. أي: الجنة هي جزاؤهم الثابت، ومصيرهم الدائم.
"جَزَاءً" – المقابلة
الجنة جزاء، أي: مقابلة لعملهم الصالح. ليس عفواً فقط، بل هو مقابل لطاعتهم وتقواهم.
"مَصِيرًا" – النهاية
المصير هو المرجع والمنتهى. أي: إلى الجنة ينتهون، وعندها يستقرون.
اللمسة البيانية: تقديم الجزاء على المصير
قدم الجزاء لأنه سبب المصير. فبسبب جزائهم بالجنة، صارت الجنة مصيرهم.
المبحث الثاني
الآية السادسة عشرة: ﴿لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا﴾
/1
الجملة الأولى: ﴿لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ﴾
اللمسة البلاغية: عموم المشيئة
"لهم فيها ما يشاءون" هذا من أعظم أوصاف الجنة: أن الإنسان فيها يملك ما يشاء. ليس مقيداً، ليس محدوداً. كل ما تتمناه نفسك، وتشتهيه، فهو موجود.
"مَا يَشَاءُونَ" – نكرة في سياق الإثبات
نكرة في سياق الإثبات تفيد العموم. أي: كل ما يشاؤون، مهما كان، فهو لهم.
الدلالة النفسية
هذه الجملة تريح القلب. في الدنيا قد تشتهي الشيء ولا تجده، أو تجده ولا تملكه. أما في الجنة، فكل ما تشاء موجود، وأنت تملكه.
/2
الجملة الثانية: ﴿خَالِدِينَ﴾
اللمسة البلاغية: حال من الضمير
"خالدين" حال من الضمير في "لهم". أي: مقيمين في ذلك النعيم لا يموتون، ولا يخرجون، ولا ينقطع عنهم.
اللمسة التجويدية: مد "خَالِدِينَ"
كلمة "خالدين" فيها مد طبيعي في الألف، مما يعطي إحساساً بالامتداد والخلود.
/3
الجملة الثالثة: ﴿كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا﴾
اللمسة البلاغية: تأكيد الوعد
"كان على ربك وعداً" أي: هذا الوعد ثابت على الله، لا يتخلف. وهو وعد منه سبحانه.
"مَسْئُولًا" – صيغة مبالغة

"مسئولا ً" من السؤال، والمعنى: وعداً يسأله المؤمنون ربهم، أو وعداً سُئِل الله أن يحققه، أو وعداً هو مسئول عنه أي: ملزم به لا يتخلف.
اللمسة البيانية: "عَلَى رَبِّكَ" – التوكيد
"على ربك" تفيد الإلزام والإيجاب. أي: أوجب الله على نفسه هذا الوعد، وهو لا يخلف الميعاد.
الدلالة النفسية
هذه الجملة تملأ القلب بالثقة. إنه وعد من الله، والله لا يخلف وعده. فالجنة حق لا شك فيه.
ثالثا
الموضوع الأول1: المفاهيم المركزية في الآيتين
المفهوم الأول1: المقارنة بين المصيرين
الآية تضع بين يديك مقارنة حاسمة: أذلك (عذاب النار) خير أم جنة الخلد؟ إنها تدعوك لتستخدم عقلك، وتختار الأفضل.
المفهوم الثاني2: الجنة جزاء وليس عفواً فقط
الجنة جزاء للمتقين. أي: هي مقابل لأعمالهم. ليس معنى هذا أن أعمالهم تساوي الجنة، بل هو فضل من الله أن جعل الجنة جزاء للعمل الصالح.
المفهوم الثالث3: كمال النعيم في الجنة
"لهم فيها ما يشاءون" من أعظم أوصاف الجنة. إنها نعيم لا حدود له، يلبي كل رغبات النفس.
المفهوم الرابع4: الخلود – النعيم الدائم
"خالدين" تمنحك الطمأنينة: أن النعيم لا ينقطع، ولا يزول. فأنت في أمان دائم.
المفهوم الخامس5: وعد الله حق
"كان على ربك وعداً مسئولا ً" تثبت أن الجنة وعد من الله، والله لا يخلف وعده. فالمؤمن يثق بهذا الوعد.
الموضوع الثاني2: القيم المستنبطة من الآيتين
1. قيمة الاختيار: أنت حر في اختيار طريقك، لكن النتيجة بيد الله.
2. قيمة التقوى: الجنة وعد للمتقين، فاتق الله لتنالها.
3. قيمة العمل الصالح: الجنة جزاء، فاعمل لتنال الجزاء.
4. قيمة اليقين بوعد الله: وعد الله حق، فثق به.
5. قيمة نعيم الآخرة: إنه النعيم الحقيقي الدائم.
6. قيمة التفكر: استخدم عقلك لتقارن وتختار.
7. قيمة الدعوة: "قل" تدعوك لتبلغ هذا الخير للناس.
الموضوع الثالث3: الدروس والتوجيهات
الدرس الأول1: استخدم عقلك في الاختيار
الله يدعوك لتستخدم عقلك. انظر إلى النار وإلى الجنة. قارن. ثم اختر. هذا شرف من الله أن جعلك أهلا ً للاختيار.
الدرس الثاني2: الجنة ليست بالتمني
الجنة وعد للمتقين. ليست بالتمني ولا بالأماني. إنها بالعمل والتقوى. فاعمل لتنالها.
الدرس الثالث3: الجنة فيها كل ما تشتهي
في الدنيا قد تحرم من أشياء تشتهيها. أما في الجنة، فكل ما تشاء فهو لك. فاصبر على حرمان الدنيا، لتنال بغيتك في الآخرة.
الدرس الرابع4: ثق بوعد الله
وعد الله حق. لا تشك فيه. كل ما وعدك به، سيفعله. فثق به، واعمل لأجله.
الدرس الخامس5: بلغ هذا الخير للناس
"قل" أمر بالتبليغ. أنت مطالب بأن تبلغ الناس هذا الخبر العظيم: هناك جنة وعد بها المتقون. فبلغهم، لعلهم يهتدون.
الموضوع الرابع4: التطبيقات العملية في حياتنا
تطبيق 1: عند اتخاذ القرارات
عندما تتردد بين طريقين، اسأل نفسك: أيهما يقربني من الجنة؟ وأيهما يقربني من النار؟ هذا السؤال سيساعدك في الاختيار.
تطبيق 2: في تربية الأبناء على التقوى
علم أبناءك أن الجنة وعد للمتقين. علمهم أن يتقوا الله، ليحظوا بهذا الوعد.
تطبيق 3: في مواجهة الفتن
عندما تعرض عليك الفتنة لذة عاجلة، تذكر أن الجنة فيها ما تشاء. فاصبر عن هذه اللذة الزائلة، لتنال اللذة الدائمة.
تطبيق 4: في الدعوة إلى الله
حدث الناس عن الجنة. صفها لهم كما وصفها الله. هذه الصورة الجميلة قد تكون سبباً في هدايتهم.

الموضوع الخامس5: الرسائل النفسية للآيتين
رسالة إلى قلبك: اختر

الآيات تهمس في قلبك: اختر. أنت حر. لكن اختر بوعي. انظر إلى الطريقين، ثم قرر. قلبك يريد السعادة، فلماذا لا تختار السعادة الأبدية؟

رسالة إلى عقلك: قارن
الآيات تهمس في عقلك: قارن. استخدم عقلك. أذلك خير أم جنة الخلد؟ العقل السليم يختار الجنة. فلماذا تختار غيرها؟

رسالة إلى إرادتك: اعمل
الآيات تهمس في إرادتك: اعمل. الجنة وعد للمتقين. فكن من المتقين. اعمل صالحاً، واجتنب سيئاً. إرادتك هي التي ستوصلك.
الموضوع السادس6: دور مفاهيم الآيتين في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة
1. في بناء الإنسان المتزن

نفسياً
هاتان الآيتان تمنحان الإنسان التوازن النفسي من خلال:
· معرفته أن هناك نعيماً مقابلا ً لأتعابه، فيصبر.
· يقينه بوعد الله، فيطمئن قلبه.
· إدراكه أن الدنيا ليست هي الغاية، فلا يتعلق بها.

فكرياً
تزرع الآيتان في العقل:
· مهارة المقارنة: بين الخيارات المختلفة.
· أولوية الآخرة: فهم أن الآخرة خير وأبقى.
· العلاقة بين العمل والجزاء: أن الجنة جزاء للعمل.

سلوكياً
تعلم الإنسان:
· التقوى: امتثال الأوامر واجتناب النواهي.
· الصبر: على مشاق الدنيا بنية الآخرة.
· العمل الصالح: لأنه وسيلة للجنة.
2. في بناء المجتمع المسلم
المجتمع الذي يتدبر هاتين الآيتين هو مجتمع:
· يعمل للآخرة: فتراه عامراً بالطاعات.
· يتعاون على البر والتقوى: لأن الجنة وعد للمتقين.
· يصبر على الشدائد: لأنه يعلم أن وراءها نعيماً.
· يتبادر إلى الخيرات: لا يؤخرها.
3. في بناء الحضارة الإسلامية
الحضارة الإسلامية قامت على العمل للآخرة. هذا المبدأ جعل المسلمين يعمرون الدنيا بنية الآخرة. فكانت حضارة تجمع بين الإنجاز المادي والقيم الروحية.
هاتان الآيتان تحميان الحضارة من:
· المادية: فلا تصبح الدنيا هي الغاية.
· اليأس: فلا ييأس الناس من ثواب الله.
· الفوضى: لأن التقوى تنظم السلوك.
4. في البناء والتنمية
في مجال التنمية، هاتان الآيتان تعطيانك:
· الرؤية البعيدة: العمل من أجل هدف أكبر.
· الجودة: لأن المتقي يعمل بإتقان.
· الاستدامة: لأن العمل لوجه الله يدوم.
الخاتمة: كيف تعيش هاتين الآيتين؟
· كل صباح، قارن بين طريقين: طريق الجنة وطريق النار. ثم اختر.
· عند كل عمل، اسأل نفسك: هل هذا العمل يقربني من الجنة أم من النار؟

· عند كل شدة، تذكر أن وراءها جنة فيها ما تشاء.
· عند كل فتنة، قارن بين لذتها الزائلة ونعيم الجنة الدائم.
· عند كل لقاء مع الناس، حدثهم عن الجنة. لعلهم يهتدون.
هاتان الآيتان هما ميزانك في الحياة. بهما تقارن، وبهما تختار. فاجعل الجنة نصب عينيك، واعمل لها، تكن من الفائزين.
وقفة أخيرة: أي الطريقين تختار؟
الآيات تضعك أمام سؤال مصيري: أذلك خير أم جنّة الخلد؟
· النار: عذاب أليم، ضيق، قران، ثبور كثير.
· الجنة: جنّة الخلد، فيها ما تشاء، خالدين فيها، وعد من ربك مسئول.
أيهما تختار؟
من عقل يختار النعيم على العذاب ومن عقل يختار الخلود على الزوال ؟
خامسا
تفسير الآية السابعة عشرة من سورة الفرقان
قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ﴾.
مقدمة: يوم تكشف فيه الحقائق
بعد أن سمعت في الآيات السابقة مشهدين متقابلين: مشهد النار حيث يدعون بالثبور، ومشهد الجنة حيث وعد المتقون بجنات الخلد، تأتي هذه الآية لتضيف مشهداً ثالثاً، لكنه من نوع آخر. إنه مشهد المساءلة الإلهية الكبرى، حيث يجمع الله المشركين مع آلهتهم التي كانوا يعبدون من دونه، ثم يسأل سؤالا ً يفضح كل شيء.
هذه الآية تحمل في طياتها لحظة الحسم بين العابد والمعبود. إنها تزيح الستار عن حقيقة كانت غائبة عن المشركين في الدنيا: أن آلهتهم لم تكن تضلهم، بل هم الذين ضلوا بأنفسهم. إنها تبرئة للآ لهة المزعومة من تهمة الإضلال، وإلقاء كامل المسؤولية على عاتق المشركين أنفسهم.
هذه الآية تخاطبك أنت أيضاً. كم مرة حاولت أن تلقي بمسؤولية أخطائك على غيرك؟ كم مرة قلت: "فلان أضلني"، "الظروف أوصلتني إلى هذا"، "المجتمع فسدني"؟ هذه الآية تذكرك أنك أنت المسؤول عن اختياراتك. قد تكون هناك أسباب وأدوات، لكن القرار النهائي كان لك. وفي يوم القيامة، ستكشف الحقيقة: لم يضلك أحد، بل أنت الذي ضللت الطريق.
تعالَ نتأمل هذا المشهد، وكأننا نشاهده الآن. وكأن الله يسأل كل واحد منا: من الذي أضلك؟ أهو الشيطان؟ أم أهو هواك؟ أم أنت الذي اخترت الضلال بيديك؟
اولا: السياق – العلاقة بالآية التي قبلها
الربط بالآية السادسة عشرة
الآية السادسة عشرة قالت: ﴿لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا﴾.
جاءت هذه الآية بعد أن وعد الله المتقين بالجنة وما فيها من نعيم مقيم، لتنتقل إلى الحديث عن المشركين وما ينتظرهم من مساءلة وعذاب. إنها مقابلة بين المصيرين بعد المقارنة بين الطريقين. فمن اختار طريق المتقين، فله الجنة. ومن اختار طريق الشرك، فله هذا المشهد من المساءلة و الفضيحة.
ثانيا ً: تحليل الآية – قراءة في عمق مشهد المساءلة
/1
الجملة الأولى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ﴾
اللمسة البلاغية: "يَوْمَ" – ظرف للتهويل
"يَوْمَ" ظرف زمان، لكنه في هذا السياق يحمل معنى التهويل. إنه يوم عظيم، يوم تشخص فيه الأ بصار، يوم تجمع فيه الخلائق للحساب.
"يَحْشُرُهُمْ" – الجمع بالقهر
الحشر هو الجمع والسوق. وهو هنا يدل على أن الله يجمعهم قسراً، لا يستطيعون التخلف. وهو حشر للعابد مع معبوده.
"وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ" – جمع الآلهة مع العابدين
"ما" هنا اسم موصول بمعنى "الذي". وهي تشمل كل ما عبد من دون الله: الأصنام، الملائكة، المسيح، عزير، الجن، وغير ذلك. والمعنى: يحشر العابدين مع معبوديهم ليشهدوا عليهم.
"مِنْ دُونِ اللهِ" – حصر العبادة في غير الله
هذا التعبير يفيد أنهم أشركوا بالله، فعبدوا غيره. وهو توبيخ لهم على هذا الفعل.
اللمسة البيانية: تقديم العابد على المعبود
في الآية، قدم العابدين (يَحْشُرُهُمْ) على المعبودين (وَمَا يَعْبُدُونَ). لماذا؟ لأن العابدين هم المسؤولون، وهم الذين سيُسألون أولا ً. المعبودون مجرد أدوات، وهم أولى بالتبرئة.
الدلالة النفسية

هذا المشهد يثير الرهبة. تخيل أنك تواجه كل ما كنت تعبده من دون الله، في يوم واحد، أمام الله. يومها تنكشف الحقيقة. هذا التصور يدفعك إلى مراجعة علاقتك بكل ما قد يكون شغلك عن الله.

/2

الجملة الثانية: ﴿فَيَقُولُ أَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ﴾

اللمسة البلاغية: "فَيَقُولُ" – الفاء للتفريع

الفاء في "فيقول" تفريع على الحشر. أي: بعد أن يجمعهم، يقول لهم هذا القول.

"أأنتم" – الاستفهام التوبيخي

الاستفهام هنا للتوبيخ والتقريع. وهو موجه إلى المعبودين من دون الله.

اللمسة التجويدية: همزة الاستفهام

همزة الاستفهام تأتي مفتوحة (أَ) لأن ما بعدها همزة أخرى في "أنتم". هذا النطق يعطي إيحاءً بالا ستفهام الحاد المباشر.

/3

الجملة الثالثة: ﴿أَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ﴾

اللمسة البلاغية: تقديم الاستفهام على الفعل

"أأنتم" قدم الضمير على الفعل "أضللتم" للتوكيد والحصر. أي: أأنتم وحدكم الذين أضللتم عبادي؟ أم هم الذين ضلوا بأنفسهم؟

"عِبَادِي" – إضافة العبادة إلى الله

هذه الإضافة تحمل معاني متعددة:

· التشريف: هم عبادي، أي: هم مخلوقاتي، كنت أرعاهم.

· التوبيخ: تركتم عبادة ربهم إلى عبادة غيري.

· الاستعلاء: هم عبادي، فلا سلطان لكم عليهم.

"هَؤُلَاءِ" – الإشارة للتحقير

الإشارة بـ"هؤلاء" للتحقير والاستصغار. أي: هؤلاء الضعفاء الجهلة، أضللتموهم؟

الدلالة العقلية

هذا السؤال الإلهي يحمل إعلاناً ببراءة الآلهة المزعومة من تهمة إضلال العباد. فهم لم يأمروهم بعبادتهم، بل العباد هم الذين ابتدعوا ذلك.

/4

الجملة الرابعة: ﴿أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ﴾

اللمسة البلاغية: "أَمْ" المتصلة

"أَمْ" هنا متصلة، تفيد الانتقال من استفهام إلى آخر، وتفيد الإضراب والتسوية. والمعنى: أأنتم أضللتموهم، أم هم الذين ضلوا بأنفسهم من غير إضلال منكم؟

"ضَلُّوا السَّبِيلَ" – إلقاء المسؤولية

"ضلوا السبيل" أي: أخطأوا الطريق. هذا الإسناد إلى العباد أنفسهم يلقي بالمسؤولية كاملة عليهم. فهم الذين اختاروا الضلال، واختاروا عبادة غير الله.

اللمسة البيانية: تقديم احتمال الإضلال على الضلال الذاتي

قدم الله احتمال إضلال الآلهة على الضلال الذاتي، مع أن المقام مقام تبرئة الآلهة. لماذا؟ لأن هذا التقديم يظهر كرم الله: حتى في المقام التوبيخي، يبدأ باحتمال أن يكون لغيرك يد في ضلالك، لكنه ينتهي إلى أن المسؤولية الحقيقية هي مسؤوليتك أنت.

الدلالة النفسية

هذه الجملة تحمل صدمة كبرى للمشركين. يوم القيامة، يكتشفون أن آلهتهم لا تنفعهم، ولا تضرهم، ولا حتى أضلتهم. وأنهم هم الذين ضلوا بأيديهم. إنها لحظة يتحطم فيها كل وهم، وتنكشف فيها كل حقيقة.

ثالثا

الموضوع الأول1: المفاهيم المركزية في الآية

المفهوم الأول1: المسؤولية الفردية الكاملة

هذه الآية تثبت أن كل إنسان مسؤول عن اختياراته. لا يمكنه أن يلقي باللائمة على غيره. فالله يسأل الآلهة المزعومة: هل أضللتم عبادي؟ فإن قالوا لا (كما هو الواقع)، ثبت أن العباد هم الذين ضلوا بأنفسهم.

المفهوم الثاني2: براءة المعبودين الباطلين

الآية تبرئ الأصنام والملائكة والمسيح وكل من عبد من دون الله من تهمة إضلال الناس. فهم لم يأمروهم بعبادتهم، بل الناس هم الذين ابتدعوا ذلك.

المفهوم الثالث3: فضح التبريرات يوم القيامة

في الدنيا، كان المشركون يقولون: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾. وفي الآخرة، يظهر بطلان هذه التبريرات. فلا تقريب، ولا شفاعة، بل فضيحة ومساءلة.

المفهوم الرابع4: إضافة العبادة إلى الله (عبادي)
هذه الإضافة تحمل توبيخاً عظيماً: هؤلاء كانوا عبادي، فلماذا تركتم عبادتي واتبعتم غيري؟ إنها تذكير بأن الأصل في الإنسان أن يكون عبداً لله وحده.
الموضوع الثاني2: القيم المستنبطة من الآية
1. قيمة المسؤولية: أنت مسؤول عن اختياراتك، لا تلق اللوم على غيرك.
2. قيمة التوحيد: العبادة لله وحده، لا لغيره.
3. قيمة عدم التبرير: التبريرات التي تقدمها في الدنيا لن تنفعك يوم القيامة.
4. قيمة الصدق مع النفس: لا تخدع نفسك بأن أحداً أضلك.
5. قيمة الاستقلالية في الاختيار: أنت حر في اختيار طريقك، والنتيجة عليك.
6. قيمة عدم التعلق بالوسائط: لا تتخذ من دون الله أولياء.
7. قيمة الاستعداد للمساءلة: كل شيء سيسأل عنه.
الموضوع الثالث3: الدروس والتوجيهات
الدرس الأول1: لا تلقي باللائمة على غيرك
قد تميل إلى القول: "الظروف أضلتني"، "أصدقاء السوء أضلوني"، "الشيطان أغواني". هذه الآية تذكرك أن هذه التبريرات لن تنفعك يوم القيامة. أنت الذي اخترت. أنت الذي ضللت الطريق.
الدرس الثاني2: اعلم أن المعبودات الباطلة لا تضل
الأصنام، والأموال، والمناصب، والأشخاص الذين تتخذهم آلهة من دون الله، لن يضلوك. أنت الذي تختار أن تتبعهم. فهم براء منك، كما برئت الأصنام من عابديها.
الدرس الثالث3: استعد ليوم المساءلة
هناك يوم ستسأل فيه عن كل شيء. عن ما عبدت، ولماذا عبدت، ومن أضلك. فاستعد لهذا اليوم با لإيمان والعمل الصالح.
الدرس الرابع4: لا تشرك بالله
أي شيء تشغله عن الله، وتعلقه به، وتخافه وتخشاه، فهو شريك في قلبك. هذه الآية تدعوك لتصفية قلبك من كل شريك، وتجعل عبادتك لله وحده.
الدرس الخامس5: كن عبداً لله وحده
"عبادي" هي صفة شرف. أنت عبد الله. فلا تجعل نفسك عبداً لغيره. لا عبداً للمال، ولا عبداً للمنصب، ولا عبداً للناس.
الموضوع الرابع4: التطبيقات العملية في حياتنا
تطبيق 1: عند الشعور بالضلال
إذا شعرت أنك ضللت الطريق، لا تبحث عن مَن تلقي عليه اللوم. اسأل نفسك: ما هو القرار الذي اتخذته بنفسي وأوصلني إلى هنا؟ ثم صحح مسارك.
تطبيق 2: في تربية الأبناء
علم أبناءك أنهم مسؤولون عن اختياراتهم. لا تعودهم أن يلقوا باللوم على الآخرين. علمهم أن يقولوا: "أنا اخترت"، "أنا أخطأت". هذه هي الشجاعة الحقيقية.
تطبيق 3: عند التعلق بأي شيء
إذا وجدت نفسك متعلقاً بشخص، أو مال، أو منصب، تذكر هذه الآية. تذكر أن هذه الأشياء لن تنفعك يوم القيامة، بل ستتبرأ منك.
تطبيق 4: في مراجعة النفس
كل يوم، اسأل نفسك: هل أنا على الطريق الصحيح؟ أم أنا ضللت السبيل؟ وهل هناك أحد أضلني أم أنا الذي اخترت الضلال؟
الموضوع الخامس5: الرسائل النفسية للآية
رسالة إلى قلبك: لا تخدع نفسك
الآية تهمس في قلبك: لا تخدع نفسك. لا تقنع نفسك بأن غيرك هو الذي أضلك. أنت تعلم في أعماقك أنك اخترت. فكن صادقاً مع نفسك.

رسالة إلى عقلك: فكر في المسؤولية
الآية تهمس في عقلك: فكر في المسؤولية. أنت حر في اختيارك. وهذا الحرية تعني أنك مسؤول. فاستخدم عقلك في الاختيار الصحيح.

رسالة إلى إرادتك: غير مسارك
الآية تهمس في إرادتك: لا يزال الوقت متاحاً. لم يحشرك الله بعد. لا يزال بإمكانك تغيير طريقك. فغيره الآن.
الموضوع السادس6: دور مفاهيم الآية في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة
1. في بناء الإنسان المتزن

نفسياً
هذه الآية تمنح الإنسان النضج النفسي من خلال:
تحمله المسؤولية الكاملة عن أفعاله.
· عدم إلقائه اللوم على الظروف أو الآخرين.
· صراحته مع نفسه في تقييم أخطائه.

فكرياً
تزرع الآية في العقل:
· مفهوم الحرية المسؤولة: أنت حر، لكن حريتك تقترن بالمسؤولية.
· رفع الأوهام: لا تنتظر من أحد أن ينجيك يوم القيامة.
· الواقعية: لا تعش في أوهام التبريرات.

سلوكياً
تعلم الإنسان:
الصدق: مع نفسه ومع الله.
· الاستقلالية: فلا يتعلق بغيره.
· المراجعة الذاتية: فيسأل نفسه دائماً.
2. في بناء المجتمع المسلم
المجتمع الذي يتدبر هذه الآية هو مجتمع:
· لا يلقي فيه الناس اللوم على بعضهم، بل يعترف كل بخطئه.
· يسوده الصدق والوضوح، فلا تبريرات كاذبة.
· يتمتع أفراده بالاستقلالية، فلا يذوبون في الحشد.
· يتربى على المسؤولية، فينشأ جيل واع.
3. في بناء الحضارة الإسلامية
الحضارة الإسلامية قامت على مبدأ المسؤولية الفردية. هذا المبدأ جعل المسلمين يشعرون أن كل واحد مسؤول أمام الله عن أفعاله، مما دفعهم إلى الإتقان والصدق.
هذه الآية تحمي الحضارة من:
· التبعية: فلا يصبح الناس تبعاً لغيرهم.
· التبرير: فلا يبررون الفساد بظروف خارجية.
· الانحلال الأخلاقي: لأن كل يعلم أنه مسؤول.
4. في البناء والتنمية
في مجال التنمية، هذه الآية تعطيك:
· الشفافية: التنمية لا تنجح بالتبريرات، بل بالاعتراف بالأخطاء ومعالجتها.
· المساءلة: كل فرد في المؤسسة مسؤول عن عمله.
· الاستقلالية: لا تنتظر أن يأتي أحد ليصلح لك أمرك.
الخاتمة: كيف تعيش هذه الآية؟
· كل يوم، اسأل نفسك: هل أنا على الطريق الصحيح أم ضللت السبيل؟
· عند كل خطأ، لا تبحث عن من تلقي عليه اللوم. قل: أنا أخطأت، وأنا سأصلح.
· عند كل تعلق، تذكر أن ما تتعلق به سيتبرأ منك يوم القيامة.
· عند كل تبرير، تذكر أن التبريرات لن تنفعك يوم القيامة.
· عند كل اختيار، تذكر أنك مسؤول عنه أمام الله.
هذه الآية هي دعوتك لتحمل المسؤولية. إنها تذكرك أنك أنت من يختار طريقك. فلا تنتظر من ينقذك، ولا تلوم من يضلك. أنت صانع قرارك، وأنت المسؤول عن مصيرك. فاختر اليوم، قبل أن يحشرك الله مع آلهتك التي اتخذتها من دونه.
وقفة أخيرة: من أضلك حقاً؟
الآية تضعك أمام سؤال صادق: من الذي أضلك؟
· هل أضلك الشيطان؟ لكن الشيطان لا يملك عليك سلطاناً إلا أن تتبعه.
· هل أضلك أصدقاء السوء؟ لكنك أنت الذي اخترت مجالستهم.
· هل أضلك المجتمع؟ لكنك أنت الذي اخترت أن تذوب فيه.
· أم أنت الذي ضللت السبيل باختيارك؟
في الدنيا، يمكنك أن تلقي اللوم على غيرك. في الآخرة، ستنكشف الحقيقة. فكن صادقاً مع نفسك اليوم.
سادسا

تفسير الآية الثامنة عشرة من سورة الفرقان
قال تعالى: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا﴾.
مقدمة: لحظة البراءة التي تهز العرش
بعد أن سمعت في الآية السابقة سؤال الله العظيم للمعبودين من دونه: ﴿أَأَنْتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ﴾، تأتي هذه الآية لتحمل إليك الرد المهيب الذي يصدر عن أولئك المعبودين. إنه ردٌ يهز كيان المشركين، ويكشف هشاشة ما كانوا يعتقدون.
تأمل المشهد: الله يسأل، والمعبودون يجيبون. لكنهم لا يجيبون بدفاع عن أنفسهم، بل يبدأون جوابهم بـ"سُبْحَانَكَ"! إنهم يسبحون الله، ينزهونه عن كل نقص، ويعلنون براءتهم المطلقة من عبادة هؤلاء الجهلة. ثم يقولون: ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء. ثم يكشفون عن السبب الحقيقي لضلال أولئك المشركين: "مَتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ".
هذه الآية تخاطبك أنت أيضاً. كم مرة انشغلت بمتاع الدنيا حتى نسيت ذكر الله؟ كم مرة مددت يدك إلى ما يغريك، ونسيت أن هناك يوماً ستقف فيه بين يدي الله؟ هذه الآية تذكرك بأن المتاع قد يكون سبباً في نسيان الذكر، وهذا النسيان هو الطريق إلى الهلاك.
تعالَ نتأمل هذا المشهد، وكأننا نشاهده الآن. وكأن المعبودين الذين كنت تتعلق بهم من دون الله، يعلنون براءتهم منك، ويسبحون الله، ويقولون: ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونه من أولياء. فكيف بك وأنت تنتظر منهم النجاة؟
اولا : السياق – العلاقة بالآية التي قبلها
الربط بالآية السابعة عشرة
الآية السابعة عشرة قالت: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ﴾.
جاءت هذه الآية مباشرة لتكون رد المعبودين على ذلك السؤال. إنها تكمل المشهد الذي بدأ في الآية السابقة. فبعد أن سأل الله المعبودين، نسمع الآن جوابهم. والجواب ليس دفاعاً عن أنفسهم، بل هو تسبيح لله، وبراءة من المشركين، وإعلان للمسؤولية الكاملة على المشركين أنفسهم.
ثانيا تحليل الآية – قراءة في عمق رد المعبودين
/1
الجملة الأولى: ﴿قَالُوا﴾
اللمسة البلاغية: ضمير الجماعة العظيمة
"قالوا" هنا تعود على "ما يعبدون من دون الله". وهم جماعة المعبودين الباطلين: الأصنام، الملائكة، المسيح، عزير، الجن، وغيرهم. هذا القول صادر عنهم جميعاً باتفاق واحد. إنها لحظة إجماع عظيمة على البراءة من المشركين.

الدلالة النفسية
هذه "القيلولة" الموحدة تحمل صدمة كبيرة للمشركين. فكل ما كانوا يتقربون إليه، ويتوسلون به، ويعتقدون فيه النفع والضر، يتبرأ منهم في لحظة واحدة.
/2
الجملة الثانية: ﴿سُبْحَانَكَ﴾
اللمسة البلاغية: افتتاح الجواب بالتسبيح

لم يبدأ المعبودون جوابهم بالدفاع عن أنفسهم، ولا بالاعتذار، بل بدأوا بـ"سبحانك". هذا يدل على أنهم في المقام الأول مشغولون بتنزيه الله وتقديسه، وليس بالدفاع عن أنفسهم.
"سُبْحَانَكَ" – معناها العميق
"سبحانك" مصدر بمعنى التنزيه. وهي تفيد:
· تنزيه الله عن كل نقص.
· تنزيه الله عن أن يكون له شريك.
· تنزيه الله عن أن يكون لأحد سلطان معه.
اللمسة التجويدية: مد "سُبْحَانَكَ"
كلمة "سبحانك" فيها مد طبيعي في الألف، مما يعطي إحساساً بالامتداد والعمق في التسبيح. إنها كلمة تخرج من أعماقهم.

الدلالة النفسية
هذا التسبيح يضع المشركين في موقف الخزي. فالمعبودون الذين كانوا يرجونهم يسبحون الله، ويعلنون أنهم لا يستحقون شيئاً من العبادة.
/3
الجملة الثالثة: ﴿مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾

اللمسة البلاغية: "مَا كانَ يَنْبَغِي" – نفي الاستحقاق
"ما كان ينبغي" تفيد أن الأمر مستبعد شرعاً وعقلا ً. أي: ما كان يجوز لنا، وما كان يليق بنا. إنه نفي للاستحقاق من كل وجه.
"لَنَا" – اللام للاختصاص
"لنا" تفيد أن هذا الأمر خاص بهم. أي: ما كان ينبغي لنا نحن، نحن المعبودين، أن نتخذ من دونك أولياء.
"أَنْ نَتَّخِذَ" – اتخاذ الأولياء
"نتخذ" من الاتخاذ، وهو الاختيار والجعل. وهم ينفون عن أنفسهم أن يكونوا اتخذوا أولياء من دون الله.
"مِنْ دُونِكَ" – الاستثناء الإلهي
"من دونك" أي: من غيرك. وهذا يفيد أن الولاية الحقيقية لله وحده.
"مِنْ أَوْلِيَاءَ" – التنكير للتحقير
"من أولياء" نكرة في سياق النفي، تفيد العموم. أي: ما كان ينبغي لنا أن نتخذ أي ولي من دونك، صغيراً كان أم كبيراً.
اللمسة البيانية: تأكيد النفي بـ"من" الزائدة
"من أولياء" فيها "من" الزائدة للتوكيد. فالنفي هنا شديد: ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك أي ولي أبداً.

الدلالة العقلية
هذه الجملة تحمل تبرئة كاملة للمعبودين. إنهم يعلنون أنهم لم يأمروا بعبادتهم، ولم يتخذوا لأنفسهم أولياء من دون الله. بل هم أنفسهم عبيد لله، لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً.
/4
الجملة الرابعة: ﴿وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ﴾
اللمسة البلاغية: "وَلَكِنْ" – الاستدراك
"ولكن" للاستدراك. أي: ليس الأمر أننا أضللناهم، ولكن الأمر أنك متعتهم. إنهم يلقون بالمسؤولية على ما كان من تمتيع الله لهم، وليس على أنفسهم.
"مَتَّعْتَهُمْ" – الإمتاع بالدنيا
"متعتهم" من المتاع، وهو التمتع بالدنيا. والله يمتعهم ويمتع آباءهم، فيغفلون عن ذكره.
"وَآبَاءَهُمْ" – استمرار المتاع
إضافة الآباء إلى المتاع تفيد أن هذه المتعة كانت متوارثة. لقد عاشوا طويلا ً في نعيم الدنيا، هم وآباؤهم من قبلهم.
"حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ" – نتيجة الإمتاع
"حتى" تفيد الغاية والنتيجة. أي: استمر بهم المتاع حتى وصلوا إلى حالة النسيان.
"نَسُوا الذِّكْرَ" – أعظم كارثة
"الذكر" هو ذكر الله، وهو القرآن، وهو كل ما يذكرهم بالله. نسوا الذكر أي: تناسوا دين الله، وتناسوا عبادته، وتناسوا الآخرة.
اللمسة البيانية: تقديم المتاع على النسيان
قدم الله المتاع على النسيان في كلام المعبودين، ليبين أن المتاع كان سبباً في النسيان. فليس النسيان ابتدائياً، بل هو نتيجة للإغراق في الدنيا.

الدلالة النفسية
هذه الجملة تحمل تحذيراً شديداً لكل من انشغل بالدنيا عن ذكر الله. فالإمتاع بالدنيا قد يكون سبباً في نسيان الذكر، وهذا النسيان هو الطريق إلى الهلاك.
5
الجملة الخامسة: ﴿وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا﴾
اللمسة البلاغية: "بُورًا" – وصف الهلاك
"بوراً" جمع بائر، وهو الهالك الخاسر. وهم قوم هلكوا في دنياهم وآخرتهم.
"بُورًا" – أصل المعنى
البور في الأصل الأرض التي لا تزرع، أو التي فسدت ولم تعد تصلح للزرع. فشبهوا بالأرض الجدباء التي لا تنبت. كذلك هم، لم تثمر أعمالهم، ولم تنتج أقوالهم.
اللمسة البيانية: التنكير للتهويل
جاءت "بوراً" نكرة للتهويل. أي: قوماً في غاية الهلاك والخسران.

الدلالة النفسية
هذه الجملة تختتم المشهد بوصفهم بالهلاك. إنها تذكير بأن من ينسى ذكر الله، وينشغل بمتاع الدنيا،

فإن مصيره الهلاك.
ثالثا
الموضوع الأول1: المفاهيم المركزية في الآية
المفهوم الأول1: تسبيح المعبودين لله
المعبودون من دون الله يسبحون الله، وينزهونه عن كل نقص. هذا يدل على أنهم لا يملكون لأ نفسهم شيئاً، بل هم عاجزون مسبحون لله.
المفهوم الثاني2: البراءة من الشرك
المعبودون يعلنون براءتهم من عبادة المشركين. فهم لم يأمروهم بعبادتهم، ولم يتخذوا أولياء من دون الله. إنها براءة كاملة.
المفهوم الثالث3: المتاع سبب النسيان
الآية تكشف عن علاقة خطيرة: المتاع بالدنيا يؤدي إلى نسيان الذكر. فكلما زادت متع الدنيا، زاد الغفلة عن الله.
المفهوم الرابع4: نسيان الذكر طريق الهلاك
من نسي ذكر الله، صار من القوم البور، الهالكين الخاسرين. فالذكر هو حياة القلب، ونسيانه موته.
المفهوم الخامس5: المسؤولية الكاملة للمشركين
المعبودون يبرئون أنفسهم، ويلقون المسؤولية على المشركين أنفسهم، وبينوا أن سبب ضلالهم هو إغراقهم في متع الدنيا.
الموضوع الثاني2: القيم المستنبطة من الآية
1. قيمة التسبيح: تنزيه الله عما لا يليق به.
2. قيمة التوحيد: إفراد الله بالولاية والعبادة.
3. قيمة عدم التعلق بغير الله: فالمعبودون يتبرأون من عابديهم.
4. قيمة الحذر من متاع الدنيا: فقد يكون سبباً في نسيان الذكر.
5. قيمة ذكر الله: هو حياة القلب ونجاة النفس.
6. قيمة المسؤولية: كل إنسان مسؤول عن اختياراته.
7. قيمة الاستعداد للآخرة: لا تغتر بالدنيا.
الموضوع الثالث3: الدروس والتوجيهات
الدرس الأول1: لا تتعلق بغير الله
كل ما تتعلق به من دون الله، سيتبرأ منك يوم القيامة. الأصنام، والأموال، والمناصب، والأشخاص، كلهم سيقولون: سبحانك، ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء.
الدرس الثاني2: احذر من متاع الدنيا
متاع الدنيا قد يكون نعمة، لكنه قد يكون فتنة. فإذا استمر بك المتاع حتى أنساك ذكر الله، فقد وقعت في الخطر.
الدرس الثالث3: ذكر الله هو الحياة
القلب الذي يذكر الله حي، والقلب الذي ينساه ميت. فاجعل لسانك رطباً بذكر الله، وقلبك عامراً به.
الدرس الرابع4: لا تنسَ أنك مسؤول
لا تظن أنك ستلقي بالمسؤولية على غيرك يوم القيامة. فالمعبودون سيتبرؤون، وستبقى أنت وحدك مع عملك.
الدرس الخامس5: لا تغتر بالمتاع الموروث
قد تعيش في نعيم ورثته عن آبائك، فيغريك ذلك ويغشيك. تذكر أن المتاع قد يكون سبباً في الهلا ك، فاحذر.
الموضوع الرابع4: التطبيقات العملية في حياتنا
تطبيق 1: عند الشعور بالغفلة
إذا شعرت أن قلبك قاس، وأنك بعيد عن ذكر الله، فتذكر هذه الآية. تذكر أن المتاع قد ينسيك الذكر. فارجع إلى الله قبل فوات الأوان.
تطبيق 2: في تربية الأبناء
لا تترك أبناءك ينغمسون في متاع الدنيا حتى ينسوا ذكر الله. علمهم أن الدنيا متاع، والآخرة هي دار القرار. واجعل ذكر الله عادة في بيوتكم.
تطبيق 3: عند النعمة
إذا أعطاك الله نعمة، فلا تغتر بها. اشكر الله عليها، ولا تدعها تنسيك ذكره. فالنعمة قد تكون ابتلاءً إن شغلت عن الله.
تطبيق 4: في مراجعة النفس
اسأل نفسك: هل متاع الدنيا أنساني ذكر الله؟ هل انشغلت بالعمل والمال والأولاد حتى غفلت عن صلاتي وقرآني؟ هذه الآية تدعوك إلى المراجعة.
الموضوع الخامس5: الرسائل النفسية للآية

رسالة إلى قلبك: تذكر أن كل شيء سيتبرأ منك
الآية تهمس في قلبك: كل ما تتعلق به من دون الله، سيتبرأ منك. فلا تعلق قلبك بما يفنى، وتعلق بمن لا يفنى.

رسالة إلى عقلك: فكر في علاقة المتاع والنسيان
الآية تهمس في عقلك: فكر في علاقة المتاع بالنسيان. هل تجد أن كثرة النعيم تشغلك عن ذكر الله؟ هل تجد أن الرخاء يقسي قلبك؟ فاحذر.

رسالة إلى إرادتك: اختر الذكر على المتاع
الآية تهمس في إرادتك: اختر. الذكر أم المتاع؟ الدنيا أم الآخرة؟ الخيار لك. فاختر ما يبقى على ما يفنى.

الموضوع السادس6: دور مفاهيم الآية في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة
1. في بناء الإنسان المتزن

نفسياً
هذه الآية تمنح الإنسان اليقظة الدائمة من خلال:
· تذكيره بأن المتاع قد يكون سبباً في الغفلة.
· تحذيره من أن يغتر بالنعمة.
· دفعه إلى الموازنة بين الدنيا والآخرة.

فكرياً
تزرع الآية في العقل:
· فهم طبيعة الدنيا: أنها متاع زائل.
· العلاقة بين النعمة والغفلة: أن النعمة قد تكون فتنة.
· أهمية الذكر: هو الذي يقي من الغفلة.

سلوكياً
تعلم الإنسان:
· الذكر الدائم: فلا ينسى الله في سرائه وضرائه.
· الشكر على النعمة: فلا تغره النعمة فتنسيه ربه.
· الاستعداد للآخرة: فلا تنشده الدنيا عن الآخرة.
2. في بناء المجتمع المسلم
المجتمع الذي يتدبر هذه الآية هو مجتمع:
· لا يغتر بالرفاهية: فلا تنشده الدنيا عن دينه.
· يذكر الله في كل حال: في السراء والضراء.
· يستعد للآخرة: فلا ينسى أن هناك يوماً سيقف فيه بين يدي الله.
· يتربى على التوحيد: فلا يتعلق بغير الله.
3. في بناء الحضارة الإسلامية
الحضارة الإسلامية قامت على الموازنة بين الدنيا والآخرة. هذا المبدأ جعل المسلمين يعمرون الدنيا دون أن تلهيهم عن ذكر الله. فكانت حضارة تجمع بين الإنجاز المادي والروحانية.
هذه الآية تحمي الحضارة من:
· المادية المفرطة: فلا تصبح الدنيا هي الغاية.
· الغفلة عن الله: فلا تنسى الحضارة مصدرها.
· الانهيار الأخلاقي: لأن الذكر يقي من الفساد.
4. في البناء والتنمية
في مجال التنمية، هذه الآية تعطيك:
· التوازن: التنمية لا تعني الانشغال بالدنيا عن الآخرة.
· الذكر في العمل: لا تنسَ الله في أثناء عملك.
· الشكر على النعمة: استخدم النعمة في طاعة الله.
الخاتمة: كيف تعيش هذه الآية؟
· كل صباح، ابدأ يومك بذكر الله. لا تدع متاع الدنيا ينسيك إياه.
· عند كل نعمة، اشكر الله. ولا تدع النعمة تغرك فتنشغلك عن ذكر الله.
· عند كل غفلة، تذكر أن المعبودين سيتبرؤون من عابديهم. فارجع إلى الله قبل فوات الأوان.

· عند كل تعلق، اسأل نفسك: هل هذا الذي أتعلق به سينفعني يوم القيامة أم سيتبرأ مني؟
· عند كل لقاء مع الناس، ذكرهم بالله. فالذكر حياة القلوب.
هذه الآية هي تذكيرك بأن الدنيا متاع، وأن المتاع قد ينسيك الذكر، وأن نسيان الذكر هو الطريق إلى الهلاك. فاجعل ذكر الله هو أنسك في وحدتك، وسلوتك في شدتك، وقرينك في رخائك.
وقفة أخيرة: هل أنت من القوم البور؟
الآية تضعك أمام سؤال: هل أنت من الذين نسيوا الذكر؟
فكر: كم من يوم مضى لم تذكر فيه الله؟ كم من نعمة أنعم الله بها عليك فشغلتك عن شكره؟ كم من وقت قضيته في متاع الدنيا وأنت غافل عن الآخرة؟
لا تكن من القوم البور. كن من الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم. كن من الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله
سابعا.
تفسير الآية التاسعة عشرة من سورة الفرقان
قال تعالى: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾.
مقدمة: لحظة انهيار الأوهام
بعد أن سمعت في الآية السابقة ردّ المعبودين على سؤال الله، وهم يسبحونه ويعلنون براءتهم من عابديهم، ويقولون: ﴿مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾، تأتي هذه الآية وكأنها الحكم النهائي الذي يضع حداً لكل شيء.
إنها لحظة تنهار فيها كل الآمال التي كان يعلقها المشركون على آلهتهم. لقد صدقوا ظنهم فيها، فإذا بها تكذبهم وتتبرأ منهم. والآن، بعد أن ثبت أن آلهتهم ليست معهم، ماذا بقي لهم؟ لا صرف للعذاب عنهم، ولا نصر ينقذهم. ثم يأتي الوعيد الخاص: ومن يظلم منكم أيها المشركون، نذقه عذاباً كبيراً.
هذه الآية تخاطبك أنت أيضاً. كم مرة علقت أملك على شيء أو شخص ظننت أنه سينفعك، ثم خذلك؟ كم مرة اعتمدت على مال أو منصب أو علاقة، فلم تجد عندها ما تريد؟ هذه الآية تذكرك أن الملجأ الحقيقي هو الله وحده. فكل ما سواه، مهما عظم، سيتبرأ منك في يوم لا ينفعك فيه إلا عملك الصالح.
تعالَ نتأمل هذا المشهد، وكأنه يُعرض أمامنا الآن. وكأن الله يقول لنا: انظروا إلى هؤلاء الذين كانوا يتخذون من دوني آلهة، كيف خذلتهم آلهتهم، وكيف أصبحوا لا يملكون صرفاً ولا نصراً. فاتعظوا.
اولا ً: السياق – العلاقة بالآية التي قبلها
الربط بالآية الثامنة عشرة
الآية الثامنة عشرة قالت: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا﴾.
جاءت هذه الآية مباشرة لتكون النتيجة الحتمية لذلك الرد. فبعد أن تبرأ المعبودون من عابديهم، وألقوا بالمسؤولية على ما كان من إغراقهم في متاع الدنيا، تأتي هذه الآية لتعلن: لقد كذبوكم هؤلاء المعبودون بما كنتم تقولون. فلم يبق لكم إلا العذاب.
إنها خاتمة المشهد الذي بدأ في الآية السابقة. مشهد الحشر والمساءلة، ثم تبرؤ المعبودين، ثم إعلان التكذيب، ثم اليأس الكامل.
ثانيا ً: تحليل الآية – قراءة في عمق الخاتمة
/1
الجملة الأولى: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ﴾
اللمسة البلاغية: الفاء للتفريع والنتيجة
الفاء في "فقد" تفريع على ما سبق. أي: بعد أن قال المعبودون ما قالوا من التبرؤ، كانت النتيجة: أنهم كذّبوكم.
"كَذَّبُوكُمْ" – التكذيب بعد التبرؤ
"كذبوكم" أي: قالوا إنكم كاذبون في زعمكم أنهم آلهة، أو أنهم أمروكم بعبادتهم، أو أنهم ينفعونكم. إنهم ينفون كل ما كنتم تظنون.
"بِمَا تَقُولُونَ" – ما الذي كانوا يقولون؟
كان المشركون يقولون: هؤلاء آلهتنا، نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى، وهم يشفعون لنا عند الله. فأكذبهم المعبودون في ذلك كله.
اللمسة البيانية: تقديم الفعل "كذبوكم" على ما يتعلق به
قدم الفعل "كذبوكم" على "بما تقولون" للاهتمام بهذا التكذيب. فالأهم هو أنهم كذبوهم، ثم ما الذي كذبوا فيه؟ في كل ما كانوا يقولون.
اللمسة التجويدية: الوقف على "تقولونَ"
الوقف على "تقولون" يعطي إحساساً بأن أقوالهم قد حُسم أمرها، وأنها قد رُدت عليهم.

الدلالة النفسية

هذه الجملة تحمل الصدمة الكبرى. إنها اللحظة التي يكتشف فيها المشركون أن كل ما كانوا يقولونه عن آلهتهم كان كذباً وافتراءً. وأن آلهتهم أنفسهم يكذبونهم ويعلنون براءتهم.
2
الجملة الثانية: ﴿فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا﴾
اللمسة البلاغية: الفاء الثانية لتفريع النتيجة
الفاء في "فما" تفريع على التكذيب. أي: بعد أن كذبوكم، فلا تستطيعون لأنفسكم صرفاً ولا نصراً.
"مَا تَسْتَطِيعُونَ" – نفي الاستطاعة
"ما تستطيعون" أي: لا تقدرون. والاستطاعة هي القدرة مع المشقة. فهم فقدوا حتى القدرة على فعل أي شيء لأنفسهم.
"صَرْفًا" – دفع العذاب
"صرفاً" أي: دفع العذاب عن أنفسكم، أو صرفه عنكم. فأنتم لا تستطيعون أن تدفعوا عنكم شيئاً مما حل بكم.
"وَلَا نَصْرًا" – من ينصركم؟
"ولا نصراً" أي: ولا أحد ينصركم. فلن تجدوا من يعينكم أو ينجيكم.

اللمسة البيانية: تقديم الصرف على النصر
قدم الصرف على النصر، لأن دفع العذاب أولى من طلب النصر. ثم ذكر النصر بعده ليبين أنه حتى لو طلبتم النصير، فلا ناصر.

الدلالة النفسية
هذه الجملة تصور أعلى درجات العجز واليأس. لا تستطيع أن تدفع عنك العذاب، ولا تجد من ينصرك. إنها لحظة الانقطاع الكامل عن كل أسباب القوة.
/3
الجملة الثالثة: ﴿وَمَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾
اللمسة البلاغية: الشرط والجزاء
"من يظلم منكم" شرط، "نذقه عذاباً كبيراً" جواب الشرط. وهي صيغة عامة تشمل كل ظالم.

"يَظْلِمْ" – ما هو الظلم هنا؟
الظلم هنا هو الشرك بالله، ووضع العبادة في غير موضعها. وهو أعظم الظلم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾.

"مِنْكُمْ" – الخطاب للمشركين
الخطاب هنا للمشركين الذين حشروا مع آلهتهم. والوعيد خاص بهم.

"نُذِقْهُ" – إذاقة العذاب
"نذقه" من الإذاقة، وهي تعني التذوق والوقوع في الشيء. وهي تدل على أن العذاب سيكون محسوساً وملموساً.

"عَذَابًا كَبِيرًا" – وصف العذاب
"عذاباً كبيراً" أي: عظيماً شديداً لا يُطاق. وهو عذاب الآخرة.

اللمسة البيانية: إفراد الظالم بالوعيد
هذه الجملة تفرد الظالم بالوعيد، وتعم كل من اتصف بالظلم. وهي تذكير بأن كل ظالم سيلقى جزاءه.

اللمسة التجويدية: الوقف على "كَبِيرًا"
الوقف على "كبيراً" يعطي إحساساً بالحسم النهائي. إنها نهاية المشهد، وعذاب كبير ينتظر الظالمين.

الدلالة النفسية
هذه الجملة تحمل الإنذار الشديد لكل من يظلم نفسه بالشرك أو بالمعاصي. إنها تذكير بأن الظلم له ثمن، وأن العذاب كبير.
ثالثا
الموضوع الأول1: المفاهيم المركزية في الآية
المفهوم الأول1: التكذيب المتبادل
الآية تثبت أن يوم القيامة سيشهد تكذيباً متبادلا ً: المعبودون يكذبون عابديهم، والعابدون يكذبون

معبوديهم. إنه انكشاف كامل للعلاقات الوهمية.
المفهوم الثاني2: العجز المطلق
المشركون في ذلك اليوم لا يستطيعون شيئاً: لا يستطيعون دفع العذاب عن أنفسهم، ولا يستطيعون أن يجدوا من ينصرهم. إنه عجز مطلق عن كل شيء.
المفهوم الثالث3: الظلم هو السبب
الشرك بالله هو ظلم عظيم. ومن يظلم نفسه بهذا الظلم، فسيذوق عذاباً كبيراً. فالجزاء من جنس العمل.
المفهوم الرابع4: عموم الوعيد
"من يظلم منكم" صيغة عامة تشمل كل ظالم. فهي تذكير بأن الظلم بكل أنواعه له عاقبة، لكن أعظمه الشرك بالله.
الموضوع الثاني2: القيم المستنبطة من الآية
1. قيمة التوحيد: إفراد الله بالعبادة، فهو الملجأ الوحيد.
2. قيمة عدم التعلق بغير الله: كل ما سواه سيتبرأ منك.
3. قيمة تحمل المسؤولية: لا تنتظر من أحد أن ينقذك يوم القيامة.
4. قيمة العدل الإلهي: كل ظالم سيلقى جزاءه.
5. قيمة اليقين بالآخرة: هناك يوم لن تنفعك فيه إلا أعمالك.
6. قيمة عدم الاغترار بالقوة: القوة الحقيقية عند الله.
7. قيمة الاستعداد للعرض على الله: فكل شيء سينكشف.
الموضوع الثالث3: الدروس والتوجيهات
الدرس الأول1: لا تعلق رجاءك بغير الله
كل ما تتعلق به من دون الله، سيتبرأ منك ويكذبك يوم القيامة. فلا تعلق رجاءك بمال، ولا بمنصب، ولا بشخص. تعلق بالله وحده.
الدرس الثاني2: لا تظن أن أحداً ينقذك
يوم القيامة، لا صرف ولا نصر. لن تجد من يدفع عنك العذاب، ولا من ينصرك. فاستعد لذلك اليوم بعملك الصالح.
الدرس الثالث3: الظلم له ثمن
الظلم بأي شكل من الأشكال له ثمن. لكن أعظم الظلم هو الشرك بالله. فاحذر أن تظلم نفسك بـ الشرك أو بالمعاصي.
الدرس الرابع4: لا تغتر بالدنيا
الدنيا قد تمتعك وتغريك، لكنها لن تنفعك يوم القيامة. فاستعد بما يبقى، لا بما يفنى.
الدرس الخامس5: تب قبل فوات الأوان
الآن، في الدنيا، تستطيع أن تتب وتستغفر. أما في الآخرة، فلا. فتب اليوم قبل أن تقول: ما تستطيع صرفاً ولا نصراً.
الموضوع الرابع4: التطبيقات العملية في حياتنا
تطبيق 1: في توجيه الرجاء
لا تعلق رجاءك الكبير إلا بالله. الناس أسباب، والله هو المسبب. فإذا أردت شيئاً، فاسأل الله. وإذا نزل بك ضر، فاستغث بالله.
تطبيق 2: في مراجعة التبعيات
اسأل نفسك: هل أنا متعلق بشيء أو شخص بشكل مفرط؟ هل أعتقد أن هذا الشيء سينقذني؟ هذه الآية تذكرك أن كل شيء سيتبرأ منك.
تطبيق 3: في تربية الأبناء
علم أبناءك ألا يعلقوا رجاءهم بغير الله. علمهم أن الله هو المعطي المانع، النافع الضار. لا تزرع فيهم التعلق بالأسباب المادية فقط.
تطبيق 4: في الاستعداد للآخرة
لا تؤجل العمل للآخرة. فاليوم تستطيع أن تعمل، وغداً لا تستطيع. استعد ليوم لا صرف ولا نصر.
الموضوع الخامس5: الرسائل النفسية للآية
رسالة إلى قلبك: لا تتعلق
الآية تهمس في قلبك: لا تتعلق بغير الله. كل شيء سيتبرأ منك. فعلق قلبك بمن لا يتبرأ أبداً.

رسالة إلى عقلك: لا تغتر
الآية تهمس في عقلك: لا تغتر بالأسباب. قد تكون لديك أموال، ومناصب، وعلاقات. لكنها كلها لن تنفعك يوم لا ينفع مال ولا بنون.

رسالة إلى إرادتك: اعمل

الآية تهمس في إرادتك: اعمل اليوم. غداً لا تستطيع. استغل فرصتك الآن.
الموضوع السادس6: دور مفاهيم الآية في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة
1. في بناء الإنسان المتزن

نفسياً
هذه الآية تمنح الإنسان الاستقلال النفسي من خلال:
· عدم تعلقه بغير الله.
· عدم خوفه من الناس أو الأسباب.
· يقينه أن الملجأ الحقيقي هو الله.

فكرياً
تزرع الآية في العقل:
· فهم حقيقة الأسباب: أنها مجرد أسباب، وليست غايات.
· إدراك قيمة العمل الصالح: هو ما ينفع يوم القيامة.
· التمييز بين الظلم والعدل: فكل ظالم سيلقى جزاءه.

سلوكياً
تعلم الإنسان:
· التوكل على الله: فلا يتعلق بالأسباب.
· العدل: فلا يظلم غيره.
· الاستعداد للآخرة: فلا تغره الدنيا.

2. في بناء المجتمع المسلم
المجتمع الذي يتدبر هذه الآية هو مجتمع:
· لا يتعلق أفراده بالأشخاص: فلا تقديس للبشر.
· تسوده العدالة: لأن الظلم له عاقبة.
· يستعد للآخرة: فلا تنشده الدنيا.
· يتوكل على الله: في كل شؤونه.

3. في بناء الحضارة الإسلامية
الحضارة الإسلامية قامت على التوكل على الله مع الأخذ بالأسباب. هذا المبدأ جعل المسلمين لا يتعلقون بالأسباب، ولا يغترون بها. فكانت حضارة متوازنة.
هذه الآية تحمي الحضارة من:
· التبعية: فلا تصبح تابعة لغيرها.
· الفساد: لأن الظالم يعلم أنه سيلقى جزاءه.
· الانهيار: لأنها لا تعتمد على أسباب واهية.
4. في البناء والتنمية
في مجال التنمية، هذه الآية تعطيك:
· التوكل مع العمل: تعمل بالأسباب، لكنك لا تعلق قلبك عليها.
· العدالة: التنمية لا تنجح بالظلم.
· الاستدامة: العمل الصالح يبقى، والعمل الفاسد يزول.
الخاتمة: كيف تعيش هذه الآية؟
· كل يوم، تذكر أن ما سينقذك هو عملك الصالح، لا ما تملكه من أسباب.
· عند كل تعلق، اسأل نفسك: هل هذا الذي أتعلق به سينفعني يوم القيامة أم سيتبرأ مني؟
· عند كل ظلم، تذكر أن للظلم ثمن. فلا تظلم، ولا ترض بالظلم.
· عند كل يأس، تذكر أن الله هو الملجأ الوحيد. فالتجئ إليه.
· عند كل عمل، اجعله لله، ليخلصك يوم لا صرف ولا نصر.
هذه الآية هي تذكيرك بأن يوم القيامة هو يوم الحقائق. فاستعد له اليوم. لا تعلق رجاءك بغير الله. لا تظلم نفسك أو غيرك. اعمل صالحاً، تنجو.
وقفة أخيرة: هل أنت مستعد؟
الآية تضعك أمام سؤال: هل أنت مستعد ليوم لا تستطيع فيه صرفاً ولا نصراً؟
اليوم الذي تتبرأ فيه كل ما كنت تتعلق به.
اليوم الذي لا ينفعك فيه مال ولا بنون.
اليوم الذي لا ينجيك إلا العمل الصالح.

فاستعد له اليوم
ثامنا
تفسير الآية العشرين من سورة الفرقان
قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾.
مقدمة: حين يرد الله على اعتراضهم بقانون الأنبياء
بعد أن سمعت في الآيات السابقة اعتراض المشركين على النبي ﷺ، قائلين: ﴿مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾، ثم بعد أن تبرأت الآلهة من عابديهم، وأعلنوا تكذيبهم لهم، تأتي هذه ا لآية وكأنها الإجابة النهائية على ذلك الاعتراض الذي بدأ السورة.
إنها آية تضع القاعدة الإلهية الثابتة في مسألة بشريّة الرسل. يقول الله: ليس أنت وحدك يا محمد من يأكل الطعام ويمشي في الأسواق. بل كل الرسل قبلك كانوا كذلك. هذه هي سنتي في المرسلين. فلا تستغرب، ولا يحزنك قولهم.
ثم تنتقل الآية إلى معنى أعمق: ليس هذا عيباً، بل هو فتنة وابتلاء. جعلنا بعضكم لبعض فتنة، لنرى أتصبرون على ما ترون من تفاوت الأحوال. ثم تختتم الآية بصفة عظيمة: وكان ربك بصيراً. أي: يعلم من يصبر ومن لا يصبر، ويعلم ما يصلح به عباده.
هذه الآية تخاطبك أنت أيضاً. كم مرة نظرت إلى شخص وظننت أن مكانته تعني أنه أقرب إلى الله؟ أو رأيت شخصاً في بلاء وظننت أن هذا يدل على نقصه؟ هذه الآية تذكرك أن الدنيا دار ابت لاء، وأن التفاوت في الأرزاق والأحوال هو اختبار من الله، ليرى أتصبر أم لا.
تعالَ نتأمل هذه الآية، وكأنها تنزل الآن. وكأن الله يقول لك: انظر إلى سنة الرسل، وافهم حكمة الا بتلاء، واعلم أن ربك بصير بك.
ً اولا: السياق – العلاقة بالآية التي قبلها
الربط بالآية التاسعة عشرة
الآية التاسعة عشرة قالت: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾.
جاءت هذه الآية بعد أن حكى الله عن المشركين اعتراضهم على بشريّة الرسول في الآية السابعة. والآن، بعد أن أنذرهم بالعذاب العظيم، يعود ليرد على اعتراضهم، ويبين لهم أن ما استنكروه من بشريّة الرسول هو سنة الله في جميع المرسلين. إنه تثبيت للنبي ﷺ، وإبطال لشبهة المشركين.
ثانيا تحليل الآية – قراءة في عمق الرد الإلهي
/1
الجملة الأولى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾.
اللمسة البلاغية: القصر بـ"ما" و"إلا"
"ما أرسلنا... إلا..." أسلوب قصر وحصر. أي: ما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا وهم بهذه الصفة. إنها سنة إلهية ثابتة لا تتغير.

"مِنَ الْمُرْسَلِينَ" – نكرة في سياق النفي
نكرة في سياق النفي تفيد العموم. أي: كل المرسلين، من أولهم إلى آخرهم، كانوا كذلك.

"إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ" – تأكيد بشريتهم
جاءت "إن" و"اللام" للتأكيد. تأكيداً لهذه الحقيقة: أنهم بشر يأكلون الطعام، يحتاجون إلى الغذاء كما يحتاج البشر.

"وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ" – الاختلاط بالناس
المشي في الأسواق يعني: قضاء الحوائج، والتردد على الناس، والعمل والتجارة. إنها صفة البشر، وليست عيباً.

اللمسة البيانية: تكرار الوصف من الآية السابعة
هذا الوصف مأخوذ من قول المشركين في الآية السابعة: ﴿يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾. والآن يرد الله عليهم: هذا ليس عيباً في رسولكم، بل هو صفة جميع الرسل.

اللمسة التجويدية: الوقف على "الْأَسْوَاقِ"
الوقف على "الأسواق" يعطي إحساساً بانتهاء هذا الجزء من الرد، وأن القاعدة قد ثبتت.

الدلالة العقلية
هذه الجملة تحمل الرد القاطع على شبهة المشركين. إنهم استنكروا أن يكون الرسول بشراً يأكل ويمشي، فجاء الرد: كل الرسل كانوا كذلك. فهذه سنة الله، وليست نقصاً.

/2
الجملة الثانية: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾
اللمسة البلاغية: الانتقال من سنة الرسل إلى سنة الابتلاء
بعد أن قرر الله سنة بشريّة الرسل، انتقل إلى سنة أخرى: سنة الابتلاء. فالتفاوت بين الناس ليس عبثاً، بل هو فتنة واختبار.
"فِتْنَةً" – الاختبار والامتحان
الفتنة هي الاختبار والامتحان. والمعنى: جعلنا بعضكم ابتلاء لبعض. فالغني فتنة للفقير، والفقير فتنة للغني. والقوي فتنة للضعيف، والضعيف فتنة للقوي. والرسول فتنة للناس، والناس فتنة للرسول.
"بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ" – عموم الابتلاء
هذا التعبير يشمل كل العلاقات الإنسانية. كل إنسان هو فتنة لغيره، وغيره فتنة له. فالزوج فتنة لزوجته، والوالد فتنة لولده، والصديق فتنة لصديقه.

اللمسة البيانية: تقديم المبتدأ "بعضكم" على الخبر
قدم "بعضكم" على "لبعض" للاهتمام والتخصيص. أي: أن هذا الابتلاء متبادل بينكم.

الدلالة النفسية
هذه الجملة تغير نظرتك للحياة. كل ما تراه من تفاوت بين الناس ليس عبثاً، بل هو اختبار. فالغنى اختبار، والفقر اختبار، والصحة اختبار، والمرض اختبار. فكيف تتعامل مع هذا الاختبار؟
/3
الجملة الثالثة: ﴿أَتَصْبِرُونَ﴾
اللمسة البلاغية: الاستفهام التحضيضي
"أتصبرون" استفهام بمعنى الأمر والحض. أي: اصبروا. لكن صيغة الاستفهام تفيد التحفيز والحث.
"أَتَصْبِرُونَ" – السؤال الذي يحدد المصير
هذا هو السؤال الحاسم. جعلنا بعضكم لبعض فتنة، لنرى: أتصبرون أم لا؟ الصبر هو مفتاح النجاة في هذه الفتن.
اللمسة التجويدية: الوقف على "أَتَصْبِرُونَ"
الوقف على "أتصبرون" يعطي إحساساً بأن السؤال معلق، وأن الإجابة ستحدد المصير.

الدلالة النفسية
هذه الكلمة الواحدة "أتصبرون" تحمل ثقل الحياة كلها. كل ما تمر به من ابتلاءات هو امتحان لصبرك. فمن صبر فاز، ومن لم يصبر خسر.
/4
الجملة الرابعة: ﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾
اللمسة البلاغية: ختم الآية بصفة البصير
ختم الله الآية بصفة "البصير". وهي صفة عظيمة تحمل معاني:
· البصر: أنه يرى كل شيء.
· البصيرة: أنه يعلم الحقائق.

"وَكَانَ" – الثبات والدوام
"كان" تفيد الثبات والدوام. أي: ربك لم يزل ولا يزال بصيراً.

"بَصِيرًا" – ماذا يعني هنا؟
البصير هنا يعني:
· يرى أعمالكم: فيجازيكم عليها.
· يرى صبركم: فيثيبكم عليه.
· يرى ما يصلحكم: فيدبر أمركم بحكمته.

اللمسة البيانية: اختتام الآية بالبصير
هذه الخاتمة تطمئن المؤمن: ربك يراك، ويرى صبرك، وسيجزيك عليه. وترعب الكافر: ربك يراك، ويرى كفرك، وسيجزيك عليه.

الدلالة النفسية
هذه الجملة تملأ القلب بالطمأنينة. فأنت لست وحدك في هذه الفتن. ربك بصير بك، يعلم ما تمر به ، وسيجزيك خيراً على صبرك.
ثالثا

الموضوع الأول1: المفاهيم المركزية في الآية
المفهوم الأول1: بشريّة الرسل سنة إلهية
الآية تثبت أن جميع الرسل كانوا بشراً يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق. هذه سنة الله التي لا تتغير. فبشريّة الرسول ليست عيباً، بل هي من تمام رحمته بالناس.
المفهوم الثاني2: الدنيا دار ابتلاء
"جعلنا بعضكم لبعض فتنة" تثبت أن الدنيا ليست دار جزاء، بل دار ابتلاء. فالتفاوت في الأرزاق وا لأحوال هو اختبار من الله.
المفهوم الثالث3: الصبر هو مفتاح النجاة
"أتصبرون" تضع الصبر كشرط للنجاة. فمن صبر على الفتن، فاز. ومن لم يصبر، خسر.
المفهوم الرابع4: علم الله المحيط
"وكان ربك بصيراً" تثبت أن الله يرى كل شيء، ويعلم كل شيء، وسيجازي كل إنسان بما يستحق.
الموضوع الثاني2: القيم المستنبطة من الآية
1. قيمة الثبات على سنة الله: لا تستنكر ما هو سنة الله في خلقه.
2. قيمة التواضع: فالرسل مع علو قدرهم كانوا بشراً.
3. قيمة العمل والسعي: المشي في الأسواق يدل على أن العمل ليس عيباً.
4. قيمة الصبر: هو السلاح الوحيد في مواجهة الفتن.
5. قيمة الإيمان بالابتلاء: لا تظن أن ما تمر به عبث.
6. قيمة اليقين بعلم الله: ربك بصير بك، فلا تخف.
7. قيمة النظر إلى العبرة لا إلى الظاهر: لا تحكم على الناس بظواهرهم.
الموضوع الثالث3: الدروس والتوجيهات
الدرس الأول1: لا تستنكر بشريّة الدعاة
قد تستنكر أن يكون الداعية بشراً يأكل ويشرب ويحتاج. هذه الآية تذكرك أن هذه سنة الله في جميع الرسل. فتقبل بشريتهم، وانظر إلى ما يحملون من رسالة.
الدرس الثاني2: كل ما تراه من تفاوت هو اختبار
لا تنظر إلى من هو أغنى منك فتحسده، ولا إلى من هو أفقر منك فتحتقره. كل هذا اختبار. فكيف تتعامل مع هذا الاختبار؟
الدرس الثالث3: الصبر هو المطلوب
في كل فتنة تواجهك، المطلوب هو الصبر. صبر على الطاعة، وصبر عن المعصية، وصبر على أقدار الله المؤلمة.
الدرس الرابع4: ربك يراك
في لحظات الضعف والشدة، تذكر أن ربك بصير بك. يراك، ويعلم حالك، وسيجزيك. هذه المعرفة تمنحك القوة.
الدرس الخامس5: لا تحكم على الناس من ظاهرهم
قد ترى شخصاً في نعيم فتظن أنه مقرب، وآخر في بلاء فتظن أنه مبعد. هذه الآية تذكرك أن هذا كله فتنة واختبار. فلا تحكم.
الموضوع الرابع4: التطبيقات العملية في حياتنا
تطبيق 1: عند الشعور بالعجب من بشريّة الدعاة
إذا رأيت داعية أو عالماً يأكل ويشرب ويمشي في الأسواق، لا تستنكر. هذه سنة الأنبياء.
تطبيق 2: عند النظر إلى تفاوت الناس
إذا رأيت من هو أغنى منك، لا تحسده. وقل: هذه فتنة، وأنا مختبر في صبري. وإذا رأيت من هو أفقر منك، لا تحتقره. وقل: هذه فتنة، وهو مختبر في صبره.
تطبيق 3: عند مواجهة الابتلاء
عندما تواجه أزمة مالية، أو مرضاً، أو فشلا ً، تذكر: هذه فتنة. والمطلوب هو الصبر. فاصبر، وثق أن ربك بصير بك.
تطبيق 4: في تربية الأبناء
علم أبناءك أن الدنيا دار ابتلاء. علمهم ألا يحسدوا من هو أغنى منهم، ولا يحتقروا من هو أفقر. وعلمهم الصبر.
الموضوع الخامس5: الرسائل النفسية للآية
رسالة إلى قلبك: اطمئن
الآية تهمس في قلبك: اطمئن. ما تمر به ليس عبثاً. إنه ابتلاء، وربك بصير بك. فاصبر، فإن العاقبة للمتقين.

رسالة إلى عقلك: تفكر
الآية تهمس في عقلك: تفكر في سنة الله. كل الرسل كانوا بشراً. وكل الناس مبتلون. فلماذا تستنكر

؟ ولماذا تحسد؟ تفكر تعرف الحكمة.

رسالة إلى إرادتك: اصبر
الآية تهمس في إرادتك: اصبر. هذا هو المطلوب. لا تستعجل النتيجة. اصبر، وسترى العاقبة.
الموضوع السادس6: دور مفاهيم الآية في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة
1. في بناء الإنسان المتزن

نفسياً
هذه الآية تمنح الإنسان التوازن النفسي من خلال:
· إدراكه أن ما يراه من تفاوت هو اختبار، فلا يحسد ولا يحتقر.
· علمه أن الرسل كانوا بشراً، فلا يطلب من نفسه أو غيره الكمال المطلق.
· ثقته بأن الله بصير به، فتطمئن نفسه.

فكرياً
تزرع الآية في العقل:
· فهم سنن الله: في المرسلين وفي الابتلاء.
· إدراك حكمة التفاوت: بين الناس.
· أهمية الصبر: كمفتاح للنجاة.

سلوكياً
تعلم الإنسان:
· الصبر: على الابتلاءات.
· التواضع: فلا يعجب بنفسه.
· العمل: فلا يرى العمل عيباً.

2. في بناء المجتمع المسلم
المجتمع الذي يتدبر هذه الآية هو مجتمع:
· لا طبقية فيه: فلا يعظم الغني لغناه، ولا يحتقر الفقير لفقره.
· يسوده الصبر: فلا يجزع عند الشدائد.
· يقدّر العمل: فلا يرى العمل عيباً.
· يتعاون على البر: لا على الحسد والتنافس.
3. في بناء الحضارة الإسلامية
الحضارة الإسلامية قامت على تقدير العمل والصبر على الابتلاء. هذا المبدأ جعل المسلمين يعملون دون كلل، ويصبرون دون يأس. فكانت حضارة قوية متينة.
هذه الآية تحمي الحضارة من:
· الطبقية: فلا تفرق بين الناس بحسب المال.
· اليأس: فلا تستسلم للشدائد.
· الكسل: فلا تحتقر العمل.
4. في البناء والتنمية
في مجال التنمية، هذه الآية تعطيك:
· تقدير العمل: التنمية تبدأ بتقدير العمل والعمال.
· الصبر: التنمية تحتاج إلى صبر واستمرار.
· العدالة: فلا تظلم فئة على حساب أخرى.
الخاتمة: كيف تعيش هذه الآية؟
· كل يوم، تذكر أن الدنيا دار ابتلاء، وأن المطلوب هو الصبر.
· عند كل تفاوت، لا تحسد ولا تحتقر. قل: هذه فتنة.
· عند كل بلاء، اصبر. وثق أن ربك بصير بك.
· عند كل عمل، لا تستنكر أن تعمل في سوق أو تجارة. فهذه سنة الأنبياء.
· عند كل نظر إلى الناس، لا تحكم بظواهرهم. فالله وحده يعلم بواطنهم.
هذه الآية هي مفتاح فهم الحياة. إنها تذكرك أن الدنيا دار ابتلاء، وأن الرسل كانوا بشراً، وأن الصبر هو الطريق، وأن ربك بصير بك. فاستعد للابتلاء بالصبر، ولا تغتر بالدنيا، وثق أن نهاية الصابرين جميلة.
وقفة أخيرة: أتصبرون؟
الآية تضعك أمام سؤال مصيري: أتصبرون؟

في كل يوم، وفي كل لحظة، أنت أمام اختبار. في السراء والضراء، في النعمة والبلاء، في الغنى و الفقر، في الصحة والمرض. المطلوب هو الصبر.
فهل أنت من الصابرين؟

المقطع الثاني
تفسير الآية الحادية والعشرين من سورة الفرقان
قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا﴾.
مقدمة: حين يطلبون رؤية الله بقلوب عمياء
بعد أن سمعت في الآية السابقة الرد الإلهي على اعتراض المشركين بشأن بشريّة الرسول، وبيّن الله أن جميع الرسل كانوا بشراً يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق، ثم بيّن أن الدنيا دار ابتلاء، وأن المطلوب هو الصبر، تأتي هذه الآية لتكشف عن أعلى درجات الاستكبار الذي وصل إليه المشركون.
إنهم لم يكتفوا بالاعتراض على بشريّة الرسول، بل تعدوا إلى طلب أشياء لا يطلبها إلا متكبر جاهل . قالوا: هلا أنزل علينا الملائكة، أو نرى ربنا؟! إنهم يطلبون رؤية الله في الدنيا، وهم لا يرجون لقاءه في الآخرة! يا لها من مفارقة عجيبة: أناس لا يريدون لقاء الله، وهم يطلبون رؤيته في الدنيا!
هذه الآية تخاطبك أنت أيضاً .كم مرة تمنيت أن ترى آية خارقة لتؤمن، مع أنك لا تؤمن بالآيات التي تراها كل يوم؟ كم مرة طلبت من الله أن يريكَ شيئاً، وقلبك غافل عنه؟ هذه الآية تذكرك أن الطلب ليس هو المشكلة، بل المشكلة في القلب الذي لا يرجو لقاء الله .فإذا صلح القلب، رأى الآيات في كل شيء .وإذا فسد، طلب الآيات ولا يرى.
تعالَ نتأمل هذه الآية، وكأنها تنزل الآن .وكأن الله يفضح حقيقة أولئك الذين يطلبون الآيات تعنتاً، ويكشف عن الاستكبار الذي في قلوبهم.
اولا ً: السياق – العلاقة بالآية التي قبلها
الربط بالآية العشرين
الآية العشرون قالت: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾.
جاءت هذه الآية لتبين أن المشركين لم يقتنعوا ببشريّة الرسول، بل طلبوا ما هو أعجب: إنزال الملا ئكة أو رؤية الله .إنها تصعيد في الطلب، وتكشف عن استكبارهم وعتوهم .فالآية السابقة أرست قاعدة بشريّة الرسل، وهذه الآية تظهر أن المشركين رفضوا هذه القاعدة، وطلبوا ما وراء قدرة البشر.
ثانيا ً: تحليل الآية – قراءة في عمق الاستكبار
/1
الجملة الأولى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾
اللمسة البلاغية: وصف القائلين بصفة النفي
لم يقل "وقال الذين كفروا"، بل قال "الذين لا يرجون لقاءنا" .هذا الوصف يكشف عن السبب الجذري لطلبهم .إنهم لا يرجون لقاء الله، أي: لا يؤمنون بالآخرة، ولا يطمعون في ثواب الله، ولا يخافون عقابه.

"لَا يَرْجُونَ" – نفي الرجاء
"لا يرجون" أي: لا يطمعون، ولا يأملون .والرجاء هو الأمل المصحوب بالعمل .فنفي الرجاء يعني: أنهم لا يعملون للآخرة، ولا ينتظرونها، بل هم منغمسون في الدنيا.

"لِقَاءَنَا" – لقاء الله في الآخرة
لقاء الله هو الموت وما بعده، والوقوف بين يديه للحساب .نفي الرجاء في هذا اللقاء يعني إنكار البعث والجزاء.

اللمسة البيانية: تقديم وصف عدم الرجاء
قدم الله هذا الوصف قبل ذكر طلبهم، ليبين أن هذا الطلب صادر عن قلوب خالية من الإيمان بالآخرة . فمن لا يرجو لقاء الله، لا يعرف قدر الله، فيطلب ما لا يليق.

الدلالة النفسية
هذه الجملة تحمل مفتاح فهم سلوك المشركين .لم يكن طلبهم نابعاً من حب الله ورغبة في رؤيته، بل كان نابعاً من الاستكبار وإنكار الآخرة .فالقلب الذي لا يرجو لقاء الله، قلبه ميت، وطلبه للآيات لا ينفعه.
/2
الجملة الثانية: ﴿لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا﴾
اللمسة البلاغية: "لولا" للتحضيض
"لولا" هنا للتحضيض والطلب، أي: هلا أنزل علينا الملائكة .وهو طلب تعنت، لا طلب استرشاد.
"أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ" – طلب أول
طلبوا أن تنزل عليهم الملائكة، كما نزلت على الأنبياء .وهذا طلب مستحيل، لأن الملائكة لا تنزل على الكفار، ولا يرونها إلا من أراد الله.

"أَوْ نَرَى رَبَّنَا" – طلب ثانٍ
طلبوا رؤية الله في الدنيا .وهذا طلب أعظم وأشد استكباراً .فكيف يرون ربهم وهم لا يريدون لقاءه في الآخرة؟!
اللمسة البيانية: "أو" للتنويع
"أو" للتنويع، أي: يطلبون أحد الأمرين: إما إنزال الملائكة، وإما رؤية الله .وكلاهما طلب متعنت لا ينبغي.

الدلالة العقلية
هذا الطلب يكشف عن جهلهم بالله .فلو علموا عظمة الله، لما طلبوا رؤيته في الدنيا .ولو علموا حكمة الله، لعلموا أن رؤيته لا تكون إلا في الآخرة للمؤمنين.
3
الجملة الثالثة: ﴿لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾
اللمسة البلاغية: "لقد" للتوكيد
"لقد" جملة قسمية تفيد التوكيد .والله يقسم على استكبارهم، تأكيداً لهذه الحقيقة.

"اسْتَكْبَرُوا" – صيغة المبالغة
استكبروا من الكبر، وصيغة استفعل تفيد التكلف والمبالغة .أي: أنهم تكلفوا الكبر، وتظاهروا به، وهم في الحقيقة أذل من ذلك.

"فِي أَنْفُسِهِمْ" – استكبار باطني
"في أنفسهم" أي: استقر الكبر في بواطنهم، وملأ قلوبهم .لم يكن كبراً ظاهرياً فقط، بل هو كبر داخلي عميق.

اللمسة البيانية: تقديم اللام المؤكدة
جاءت اللام في "لقد" للاهتمام بهذا الاستكبار، وإبرازه كحقيقة ثابتة.

الدلالة النفسية
هذه الجملة تصف حالتهم الباطنية .الاستكبار ليس مجرد فعل، بل هو صفة استقرت في نفوسهم .فهم متكبرون من الداخل، وهذا الكبر هو الذي منعهم من اتباع الحق.
/4
الجملة الرابعة: ﴿وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا﴾
اللمسة البلاغية: العتو – أشد أنواع الكبر
"عتوا" من العتو، وهو أشد أنواع الكبر والطغيان .وهو تجاوز الحد في الكبر والتمرد.

"عُتُوًّا كَبِيرًا" – تأكيد المصدر
جاء المصدر "عتواً كبيراً" مؤكداً للفعل، ومبالغاً فيه .أي: أن عتوهم كان عظيماً، لا نظير له.

اللمسة البيانية: التدرج في وصف الكبر
بدأت الآية بـ"استكبروا" وهو الكبر العادي، ثم انتقلت إلى "عتواً كبيراً" وهو أشد أنواع الكبر .هذا التدرج يصور تصاعد الكبر في قلوبهم.

اللمسة التجويدية: الوقف على "كَبِيرًا"
الوقف على "كبيراً" يعطي إحساساً بالانتهاء من وصف استكبارهم، وكأن القضية قد حُسمت.

الدلالة النفسية
هذه الجملة تختتم وصفهم بأعلى درجات الطغيان .إنهم ليسوا فقط متكبرين، بل هم عتاة طغاة، تجاوزوا كل حد في الكبر والتمرد على الله.
ثالثا
الموضوع الأول1: المفاهيم المركزية في الآية
المفهوم الأول1: عدم رجاء لقاء الله هو الأصل
كل طلبات المشركين واعتراضاتهم نابعة من أصل واحد: أنهم لا يرجون لقاء الله .فمن لا يؤمن بالآخرة، لا يعرف قدر الله، فيطلب ما لا يليق.
المفهوم الثاني2: طلب الآيات تعنتاً لا استرشاداً
المشركون لم يطلبوا الآيات ليؤمنوا، بل طلبوها تعنتاً واستكباراً .ولو أنزلت عليهم الملائكة، لما آمنوا . كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾.

المفهوم الثالث3: الاستكبار والعتو هما الحاجز
السبب الحقيقي لعدم إيمانهم ليس نقص الآيات، بل هو الاستكبار والعتو الذي في قلوبهم .فالكبر يحجب عن الحق.
المفهوم الرابع4: طلب رؤية الله في الدنيا مستحيل
رؤية الله لا تكون في الدنيا، بل في الآخرة للمؤمنين .وطلبها في الدنيا دليل على الجهل بعظمة الله، وعلى الاستكبار.
الموضوع الثاني2: القيم المستنبطة من الآية
.1قيمة الرجاء في لقاء الله: هو أساس الإيمان والعمل الصالح.
.2قيمة التواضع لله: فالكبر يحجب عن الحق.
.3قيمة عدم التعنت: لا تطلب الآيات تعنتاً، بل آمن بما عندك.
.4قيمة الإيمان بالغيب: فالله لا يُرى في الدنيا.
.5قيمة معرفة قدر الله: من عرف الله، لم يطلب رؤيته تعنتاً.
.6قيمة نقد الذات: ابحث في قلبك: هل هناك كبر يمنعك من الإيمان؟
.7قيمة العمل للآخرة: من رجا لقاء الله، عمل له.
الموضوع الثالث3: الدروس والتوجيهات
الدرس الأول1: لا تطلب الآيات بقلب لا يريد الإيمان
قد تطلب من الله آية أو معجزة، لكن اسأل نفسك: هل أنت مستعد للإيمان إذا رأيتها؟ أم أنك تطلبها تعنتاً؟ المشركون طلبوا الآيات، ولو أتتهم لما آمنوا.
الدرس الثاني2: افحص قلبك من الكبر
الكبر هو أعظم حاجز بينك وبين الحق .فإذا وجدت في نفسك تردداً في قبول الحق، فاسأل: هل هناك كبر في قلبي؟ هل أستكبر عن اتباع من هو دوني؟ هل أستكبر عن السؤال؟
الدرس الثالث3: رجاء لقاء الله هو مفتاح الإيمان
إذا أردت أن يفتح الله قلبك للإيمان، فأكثر من رجاء لقائه .تذكر أنك ستلقاه، وأن هذا اللقاء هو غايتك .هذا الرجاء سيجعلك تعمل للآخرة.
الدرس الرابع4: لا تطلب ما لا ينبغي
طلب رؤية الله في الدنيا طلب لا ينبغي .الله أعظم من أن يُرى في الدنيا .فاكتف بما آتاك من آيات، وآمن بها.
الدرس الخامس5: العتو والاستكبار يؤديان إلى الهلاك
العتو والاستكبار هما الطريق إلى الهلاك .فاحذر أن تكون من المتكبرين العتاة .تواضع لله، يرفعك.
الموضوع الرابع4: التطبيقات العملية في حياتنا
تطبيق1 : عند الشعور بالشك
إذا شعرت بالشك في الدين، لا تطلب آيات خارقة .بل ابحث في قلبك: هل هناك كبر يمنعك من الإ يمان؟ هل هناك عدم رجاء للقاء الله؟ عالج الأصل، تزول الشبهة.
تطبيق2 : في تربية الأبناء على التواضع
علم أبناءك التواضع لله وللناس .حذرهم من الكبر، وبيّن لهم أن الكبر هو الذي منع إبليس من السجود لآدم، وهو الذي منع المشركين من الإيمان.
تطبيق3 : في تجديد الإيمان
اجعل رجاء لقاء الله هو دافعك للعمل .تذكر أنك ستلقاه، وأن هذا اللقاء هو غايتك .هذا التذكر يجدد إيمانك ويقوي عملك.
تطبيق4 : في التعامل مع المتعنتين
إذا رأيت من يتعنت في طلب الآيات، فلا تنشغل به .اعلم أن المشكلة ليست في قلة الآيات، بل في قلبه .ادعه إلى الله بالحكمة، وتوكل على الله.
الموضوع الخامس5: الرسائل النفسية للآية
رسالة إلى قلبك: افحص نفسك
الآية تهمس في قلبك: افحص نفسك .هل في قلبك كبر؟ هل تطلب الآيات وأنت لا تريد الإيمان؟ هل لا ترجو لقاء الله؟ أصلح قلبك، يصلح دينك.

رسالة إلى عقلك: تفكر في سبب الطلب
الآية تهمس في عقلك: تفكر في سبب طلبهم .لماذا طلبوا الملائكة ورؤية الله؟ لأنهم لا يرجون لقاءه . فاحذر أن تكون مثلهم .آمن بالغيب، ولا تطلب ما لا ينبغي.

رسالة إلى إرادتك: تواضع
الآية تهمس في إرادتك: تواضع .الكبر طريق الهلاك .التواضع طريق الفلاح .اختر لنفسك طريق المتواضعين.
الموضوع السادس6: دور مفاهيم الآية في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة

.1في بناء الإنسان المتزن

نفسياً
هذه الآية تمنح الإنسان التواضع النفسي من خلال:
· إدراكه أن الكبر هو آفة المهلكة.
· تذكيره بأن الإيمان لا يحتاج إلى آيات خارقة، بل إلى قلب سليم.
· تحفيزه على رجاء لقاء الله، مما يمنحه أملا ً وأهدافاً.

فكرياً
تزرع الآية في العقل:
· فهم طبيعة الإيمان: أنه إيمان بالغيب، لا رؤية.
· إدراك أن المشكلة أحياناً في القلب لا في الدليل.
· أهمية التواضع في طلب العلم والحق.

سلوكياً
تعلم الإنسان:
· التواضع: فلا يستكبر عن الحق.
· الرجاء: فلا ييأس من رحمة الله.
· عدم التعنت: فلا يطلب الآيات تعنتاً.
.2في بناء المجتمع المسلم
المجتمع الذي يتدبر هذه الآية هو مجتمع:
· متواضع: لا كبر فيه ولا عتو.
· مؤمن بالغيب: فلا يطلب آيات خارقة ليثبت إيمانه.
· يرجو لقاء الله: فيعمل للآخرة.
· لا يتعنت: في طلب الأدلة.
.3في بناء الحضارة الإسلامية
الحضارة الإسلامية قامت على التواضع لله والإيمان بالغيب .هذا المبدأ جعل المسلمين لا يتعنتون في طلب الآيات، بل يعملون بما عندهم من علم .فكانت حضارة قائمة على اليقين، لا على التعنت.
هذه الآية تحمي الحضارة من:
· الغلو: فلا تطلب آيات خارقة كشرط للإيمان.
· التعنت: فلا ترفض الحق بحجة عدم وجود معجزة.
· الكبر: فلا تستكبر على غيرها.
.4في البناء والتنمية
في مجال التنمية، هذه الآية تعطيك:
· التواضع: في التعامل مع الآخرين.
· عدم التعنت: في طلب الكمال المطلق.
· الإيمان بالغيب: فتأخذ بالأسباب مع ثقتك بالله.
الخاتمة: كيف تعيش هذه الآية؟
· كل يوم، افحص قلبك: هل فيه كبر؟ هل تطلب الآيات وأنت لا تريد الإيمان؟ هل ترجو لقاء الله؟
· عند كل شك، لا تطلب آية خارقة .اسأل نفسك: ما الذي يمنعني من الإيمان؟ هل هو كبر؟ هل هو حب للدنيا؟
· عند كل تواضع، اعلم أنك على طريق الأنبياء .فاستمر.
· عند كل رجاء، اجعله في لقاء الله .فهذا الرجاء هو الذي يثمر العمل.
· عند كل لقاء مع الناس، ادعهم إلى التواضع، وحذرهم من الكبر.
هذه الآية هي مرآة قلبك .تنظر فيها فترى: هل ترجو لقاء الله أم لا؟ هل في قلبك كبر أم تواضع؟ هل تطلب الآيات تعنتاً أم تستجيب للحق؟ فانظر في مرآة قلبك، وأصلح ما تراه.
وقفة أخيرة: هل ترجو لقاء الله؟
الآية تضعك أمام سؤال مصيري: هل ترجو لقاء الله؟
من رجا لقاء الله، عمل له، واستعد له، وتواضع له.
من لم يرج لقاء الله، استكبر، وتعنت، وطلب ما لا ينبغي.
فأي الفريقين أنت؟
ثانيا
تفسير الآيتين الثانية والعشرين والثالثة والعشرين من سورة الفرقان
قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا * وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾.

مقدمة: حين تتحول البشارة إلى نذير
بعد أن سمعت في الآية السابقة طلب المشركين المتعنت: ﴿لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا﴾، تأتي هاتان الآيتان لترد عليهما بمنتهى الحسم. كانوا يطلبون نزول الملائكة، واليوم يرونها. لكن رؤيتهم لها ليست بشرى، بل هي نذير عذاب.
إنه مشهد مهيب من مشاهد يوم القيامة. الملائكة تنزل، والمجرمون يرونها، لكنهم لا يفرحون برؤيتها. بل يصرخون: ﴿حِجْرًا مَحْجُورًا﴾، أي: عياذاً بالله من هذه الرؤية! ثم تأتي المفاجأة الكبرى: كل ما عملوه من أعمال صالحة في الدنيا – من صلاة، صدقة، بر، صلة رحم – يذهب هباءً منثوراً. لأنها كانت لغير الله، أو لأنها أحبطت بالشرك.
هاتان الآيتان تخاطبانك أنت أيضاً. كم مرة تمنيت أن ترى الملائكة؟ وكم مرة عملت عملا ً صالحاً ثم أحبطته برياء أو بمعصية؟ هذه الآيات تذكرك أن العبرة ليست بكثرة العمل، بل بقبوله. وأن رؤية الملائكة قد تكون نذير عذاب لمن كان مجرماً.
تعالَ نتأمل هذين المشهدين، وكأنهما يُعرضان أمامنا الآن. وكأننا نسمع صراخ المجرمين: حجراً محجوراً. وكأننا نرى أعمالهم تتبخر وتتطاير كالهباء المنثور.
أولا ً: السياق – العلاقة بالآية التي قبلها

الربط بالآية الحادية والعشرين
الآية الحادية والعشرون قالت: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا﴾.
جاءت هاتان الآيتان لتريهم يوم يرون الملائكة الذي طلبوه. لكن الرؤية ليست كما تمنوا. إنها رؤية عذاب، لا رؤية بشرى. فالملائكة تنزل عليهم بالعذاب، فيصرخون خائفين. وهذا من أشد أنواع الخزي: أن يرى الإنسان ما كان يطلبه، فيكون سبب هلاكه.
ثانياً: تحليل الآيتين – قراءة في عمق المشهد

الآية الثانية والعشرون
الجملة الأولى: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ﴾
اللمسة البلاغية: "يَوْمَ" – الظرف المهول
"يوم" ظرف زمان، لكنه في هذا السياق يحمل معنى التهويل .إنه يوم عظيم، يوم يشهدون فيه ما كانوا يطلبون.

"يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ" – رؤية مطلوبة تتحول إلى نقمة
هذا هو اليوم الذي كانوا يقولون فيه: ﴿لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ﴾. ها هم يرونها. لكن الرؤية جاءت في غير وقتها. إنها رؤية عذاب، لا رؤية كرامة.

اللمسة التجويدية: مد "الْمَلَائِكَةَ"
كلمة "الملائكة" فيها مد طبيعي في الألف، مما يعطي إحساساً بالامتداد، وكأن الملائكة تنزل من كل أفق.
/2
الجملة الثانية: ﴿لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ﴾
اللمسة البلاغية: نفي البشرى
"لا بشرى" نفي مطلق .لا بشرى لهم في هذا اليوم، لا من الملائكة، ولا من أحد .فالملائكة تنزل عليهم بالعذاب، لا بالبشارة.

"يَوْمَئِذٍ" – تأكيد الزمان
"يومئذٍ" تأكيد على أن هذا اليوم خاص بهذه الحال .ليس كغيره من الأيام.

"لِلْمُجْرِمِينَ" – تخصيص المجرمين
البشرى منفية عن المجرمين، وهم المشركون. أما المؤمنون، فتبشرهم الملائكة في هذا اليوم. قال تعالى: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾.

الدلالة النفسية
هذه الجملة تحمل الصدمة الكبرى للمجرمين. كانوا يظنون أن رؤية الملائكة ستكون بشرى لهم. فإذا بها تنقلب عليهم نقمة.
/3
الجملة الثالثة: ﴿وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا﴾
اللمسة البلاغية: "حِجْرًا مَحْجُورًا" – صيغة التبرؤ

"حجراً محجوراً" أي: حراماً محرماً .وهي كلمة كانوا يتعوذون بها في الدنيا من الشيء المخيف . يقولونها الآن خوفاً من الملائكة والعذاب.
اللمسة البيانية: تكرار الجذر للتوكيد
"حجراً محجوراً" من الحجر، وهو المنع .تكرار الجذر يفيد التوكيد والمبالغة .أي: عياذاً بالله، حراماً أن تقربونا.
اللمسة التجويدية: الوقف على "مَحْجُورًا"
الوقف على "محجوراً" يعطي إحساساً بالانقطاع واليأس. كأنهم يصرخون ولا مجيب.
الدلالة النفسية
هذه الجملة تصور أعلى درجات الخوف واليأس. المجرمون يرون الملائكة فيصرخون: نستجير بالله منكم! لكن لا مجير.
المبحث الثاني
الآية الثالثة والعشرون
الجملة الأولى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ﴾
اللمسة البلاغية: "قَدِمْنَا" – الإتيان والقصد
"قدمنا" من القدوم، وهو الإتيان والقصد .والمعنى: قصدنا إلى أعمالهم التي عملوها في الدنيا.
"إِلَى مَا عَمِلُوا" – الإحاطة بكل عمل
"ما عملوا" تشمل كل ما عملوه: من صلاة، صدقة، بر، صلة رحم، عتق رقاب، وغيرها.

"مِنْ عَمَلٍ" – التنكير للاستغراق
"من عمل" نكرة في سياق الإثبات تفيد العموم .أي: كل عمل عملوه، صغيراً كان أم كبيراً.

اللمسة البيانية: التعبير بـ"قدمنا" لتجسيم المشهد
هذا التعبير يجعل المشهد حياً: كأن الله يقصد أعمالهم بيده، فيتناولها ويجعلها هباءً.
2
الجملة الثانية: ﴿فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾
اللمسة البلاغية: "هَبَاءً" – أضعف الأشياء
الهباء هو ما يرى في ضوء الشمس من الغبار المتطاير. وهو من أضعف الأشياء وأكثرها تفرقاً.
"مَنْثُورًا" – المتفرق في كل مكان
"منثوراً" أي: مفرقاً متناثراً .كالغبار الذي تطير به الريح فيتفرق كل متفرق.
اللمسة البيانية: التشبيه البليغ
شبه الله أعمالهم بالهباء المنثور، وهو لا قيمة له، ولا يثبت، ولا يبقى. إنه أبلغ وصف لإحباط الأعمال.

اللمسة التجويدية: مد "مَنْثُورًا"
كلمة "منثوراً" فيها مد طبيعي في الألف، ثم الوقف عليها يعطي إحساساً بالانتهاء، وكأن الأعمال قد تفرقت تماماً.

الدلالة النفسية
هذه الجملة تحمل أعظم خسارة. أن تعمل عمرك كله، ثم ترى أعمالك تذهب هباءً. لا أجر، لا ثواب، لا جزاء. كل شيء ضاع.
ثالثا
الموضوع الأول1: المفاهيم المركزية في الآيتين
المفهوم الأول1: رؤية الملائكة ليست بشرى للجميع
المشركون طلبوا نزول الملائكة، فإذا بها تنزل عليهم بالعذاب. فالملائكة تنزل على المؤمنين بالبشارة، وعلى المجرمين بالنقمة.
المفهوم الثاني2: المجرمون في أشد الخوف يوم القيامة
حين يرون الملائكة، لا يفرحون، بل يصرخون خائفين: حجراً محجوراً. إنه يوم لا ينفع فيه الخوف.
المفهوم الثالث3: إحباط الأعمال بالشرك
كل عمل عمله المشرك، مهما كان شكله حسناً، يذهب هباءً منثوراً. لأنه لم يكن لله، أو لأنه أحبط بـ الشرك.
المفهوم الرابع4: الهباء المنثور – أبلغ وصف للخسارة
الهباء هو الغبار المتطاير. لا قيمة له، ولا يثبت. كذلك أعمال المشركين، لا قيمة لها عند الله، ولا تبقى.
الموضوع الثاني2: القيم المستنبطة من الآيتين
.1قيمة الإخلاص: العمل لغير الله لا قيمة له.
.2قيمة الإيمان بالآخرة: من آمن بها عمل لها.
.3قيمة عدم التعنت: لا تطلب الآيات وأنت لا تريد الإيمان.

.4قيمة اليقين: أعمال الدنيا توزن في الآخرة.
.5قيمة التوحيد: هو شرط قبول الأعمال.
.6قيمة التوبة: فرصة لإصلاح ما أفسدته قبل فوات الأوان.
.7قيمة الخوف من الله: الذي يخاف الله يعمل له.
الموضوع الثالث3: الدروس والتوجيهات
الدرس الأول1: لا تطلب رؤية الملائكة تعنتاً
قد تظن أن رؤية الملائكة ستزيدك إيماناً. لكن هذه الآية تذكرك أن رؤيتها قد تكون عذاباً لمن لا يستحق. فاطلب الإيمان بالغيب، فهو أعظم.
الدرس الثاني2: الإخلاص هو مفتاح القبول
العمل بدون إخلاص كالهباء المنثور. لا وزن له، لا قيمة له. فاجعل عملك كله لله.
الدرس الثالث3: الشرك يحبط الأعمال
مهما عملت من صلاة وصدقة وبر، إذا كنت مشركاً، فكل ذلك هباء. فطهّر قلبك من الشرك.
الدرس الرابع4: لا تغتر بكثرة العمل
كثرة العمل لا تنفع إذا كان لغير الله. العمل القليل المخلص خير من الكثير المخلوط بالرياء.
الدرس الخامس5: استعد ليوم لا ينفعك فيه إلا عملك
يوم القيامة، لن ينفعك مال ولا ولد. لن ينفعك جاه ولا منصب. لن ينفعك إلا عمل صالح أخلصته لله.
الموضوع الرابع4: التطبيقات العملية في حياتنا
تطبيق 1: في تصحيح النية
قبل أي عمل، اسأل نفسك: هل هذا العمل لله؟ أم فيه شائبة رياء؟ أخلص نيتك لله، لئلا يذهب عملك هباءً.
تطبيق 2: في تربية الأبناء
علم أبناءك أن العمل بلا إخلاص لا قيمة له. علمهم أن يفعلوا الخير لله، لا ليقال عنهم أو ليراهم الناس.
تطبيق 3: في مراجعة الأعمال
كل يوم، راجع أعمالك: هل فيها شيء لله؟ هل فيها شيء لغير الله؟ أصلح ما فسد قبل فوات الأوان.
تطبيق 4: في الخوف من الله
اجعل خوف الله هو دافعك للعمل. فالخوف من الله يخلص العمل، ويحميك من الرياء.
الموضوع الخامس5: الرسائل النفسية للآيتين
رسالة إلى قلبك: لا تغتر
الآيتان تهمسان في قلبك: لا تغتر بعملك. قد تعمل كثيراً، لكن إذا كان لغير الله، فما هو إلا هباء منثور. فأخلص العمل لله.

رسالة إلى عقلك: فكر في النتيجة
الآيتان تهمسان في عقلك: فكر في نتيجة عملك. هل سيبقى أم سيذهب هباءً؟ هل سيُقبل أم سيرد؟ فكر قبل أن تعمل.

رسالة إلى إرادتك: أخلص
الآيتان تهمسان في إرادتك: أخلص العمل لله. لا تخلط عملك بالرياء. لا تشرك بالله. إرادتك هي التي ستخلص عملك.
الموضوع السادس6: دور مفاهيم الآيتين في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة
.1في بناء الإنسان المتزن
نفسياً
هاتان الآيتان تمنحان الإنسان التوازن بين العمل والنية من خلال:
· عدم اغتراره بكثرة العمل، بل يهتم بإخلاصه.
· خوفه من أن يذهب عمله هباءً، فيحرص على الإخلاص.
· تذكيره بأن الآخرة هي دار الجزاء، فلا ينشغل بالدنيا.

فكرياً
تزرع الآيتان في العقل:
· أهمية الإخلاص: كشرط لقبول العمل.
· فهم حقيقة الأعمال: أنها لا تنفع بلا إيمان.
· إدراك قيمة النية: فهي أساس العمل.

سلوكياً
تعلم الإنسان:

· الإخلاص: فلا يعمل إلا لله.
· الخوف من الله: فلا يقدم على ما يغضبه.
· مراجعة النية: قبل كل عمل.
.2في بناء المجتمع المسلم
المجتمع الذي يتدبر هاتين الآيتين هو مجتمع:
· تعم فيه النية الصالحة: فكل عمل يُبتغى به وجه الله.
· لا رياء فيه: لأن الناس يعلمون أن الرياء يحبط العمل.
· يسوده الإخلاص: في العبادة والمعاملة.
· يتعاون على البر: لا على السمعة.
.3في بناء الحضارة الإسلامية
الحضارة الإسلامية قامت على الإخلاص لله. هذا المبدأ جعل المسلمين يعملون لوجه الله، لا لسمعة و لا لمجد. فكانت حضارة قائمة على القيم لا على المظاهر.
هاتان الآيتان تحميان الحضارة من:
· الرياء: فلا يعمل الناس ليقال عنهم.
· المظاهر: فلا يهتمون بالشكل دون الجوهر.
· الانحلال: لأن الإخلاص يقي من الفساد.
.4في البناء والتنمية
في مجال التنمية، هاتان الآيتان تعطيانك:
· الإخلاص في العمل: فلا تعمل لترقية أو سمعة، بل لإتقان العمل.
· النزاهة: فلا تخلط العمل العام بمصلحة شخصية.
· الجودة: فالمخلص يعمل بإتقان.
الخاتمة: كيف تعيش هاتين الآيتين؟
· كل عمل تعمله، اسأل نفسك: هل هذا العمل لله؟ هل أخلصت فيه؟
· كل نية تحدث في قلبك، راجعها: هل فيها شائبة رياء؟ هل فيها شرك؟
· كل رؤية تطلبها، تذكر أن رؤية الملائكة قد تكون عذاباً لمن لا يستحق.
· كل خوف ينتابك، اجعله خوفاً من الله، لا خوفاً من الناس.
· كل لقاء مع الناس، اجعله لله، لا لسمعة ولا جاه.
هاتان الآيتان هما ميزان عملك. بهما تعرف: هل عملك مقبول أم هباء؟ هل نيتك صافية أم مشوبة؟ فاستخدم هذا الميزان قبل فوات الأوان.
وقفة أخيرة: أين عملك من الهباء؟
الآيتان تضعانك أمام سؤال: أين عملك من الهباء المنثور؟
هل هو عمل صالح خالص لله، ينفعك يوم لا ينفع مال ولا بنون؟
أم هو عمل فيه شائبة شرك أو رياء، يذهب هباءً منثوراً؟
غداً، عندما تقدم أعمالك بين يدي الله، ماذا ستجد؟ أعملا ً ثابتة، أم هباءً منثوراً؟
ثالثا
تفسير الآية الرابعة والعشرين من سورة الفرقان
قال تعالى: ﴿أَصْحَابُ الجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾
مقدمة: لحظة التباين الأبدي
بعد أن سمعت في الآيتين السابقتين مصير المجرمين يوم يرون الملائكة: ﴿لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ﴾، ورأيت أعمالهم تذهب ﴿هَبَاءً مَنْثُورًا﴾، تأتي هذه الآية وكأنها نافذة تفتح على النور بعد ظلام طويل.
إنها المقابلة الحاسمة بين الفريقين. هناك المجرمون يصرخون: ﴿حِجْرًا مَحْجُورًا﴾، وهنا أصحاب الجنة في قمة الطمأنينة. هناك أعمال تذهب هباءً، وهنا مستقر ومقيل لا يشبهه شيء. إنها آية تضع بين يديك الصورة الكاملة ليوم القيامة: فريق في أسفل سافلين، وفريق في أعلى عليين.
هذه الآية تخاطبك أنت أيضاً. إنها تبشرك بالخير إن كنت من أصحاب الجنة. وتذكرك أن ما تعانيه من تعب الدنيا ونصبها، هو مقدمة لهذا المستقر الحسن، وهذا المقيل الأحسن. فاصبر، وتأمل، واعلم أن العاقبة للمتقين.
تعالَ نتأمل هذه الآية، وكأنها تهمس في أذنك: أبشر، إن كنت من أهل الجنة، فلك يومئذ خير مستقر وأحسن مقيل. فلا تحزن، ولا تيأس.
أولا ً: السياق – العلاقة بالآية التي قبلها

الربط بالآية الثالثة والعشرين
الآية الثالثة والعشرون قالت: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾.
جاءت هذه الآية مباشرة لتقابل ذلك المشهد بمشهد آخر. فبعد أن بين الله مصير المجرمين وأعمالهم ، أراد أن يبين مصير المؤمنين. إنها مقابلة بين الفريقين، ليتبين كل ذي فضل فضله. فهذا حال

المجرمين: أعمالهم هباء، وهذا حال أصحاب الجنة: مستقرهم خير ومقيلهم أحسن.
ثانياً: تحليل الآية – قراءة في عمق المقابلة

الجملة الأولى: ﴿أَصْحَابُ الجَنَّةِ﴾
اللمسة البلاغية: تعريف الإضافة
"أصحاب الجنة" بالإضافة إلى الجنة، تدل على الملازمة والاختصاص. إنهم ليسوا زواراً عابرين، بل هم أصحابها، المختصون بها، الملازمون لها.

"أَصْحَابُ" – صفة الصحبة
الصحبة تفيد الملازمة والارتباط الوثيق. فهم مع الجنة، والجنة معهم، لا يفارقونها ولا تفارقهم.

اللمسة البيانية: تقديم أصحاب الجنة على الخبر
قدم المبتدأ "أصحاب الجنة" على الخبر "خير مستقراً" للاهتمام بهم. فالمقام مقام بشارة لهم، وإعلان عن فضلهم.

الدلالة النفسية
هذه البداية تملأ القلب طمأنينة. إنها تخبرك أن هناك فريقاً من الناس هم "أصحاب الجنة". وهذا الفريق ليس بعيداً عنك، بل أنت تستطيع أن تكون منهم.
2
الجملة الثانية: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾
اللمسة البلاغية: الإشارة إلى يوم القيامة
"يومئذٍ" إشارة إلى يوم القيامة، اليوم الذي يرون فيه الملائكة، اليوم الذي يذهب فيه عمل المجرمين هباءً. هذا اليوم العظيم، يكون فيه لأصحاب الجنة ما هو خير.
"يَوْمَئِذٍ" – الظرف المهول
هذا الظرف يذكرنا بعظمة ذلك اليوم. يوم تتغير فيه الموازين، وتنقلب فيه الأحوال. لكن أصحاب الجنة في أمان.
الدلالة النفسية
هذه الكلمة تذكرك بأن الدنيا مهما طالت، فهي زائلة، وأن الآخرة هي دار القرار. فاستعد لذلك اليوم.
3
الجملة الثالثة: ﴿خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا﴾
اللمسة البلاغية: "خَيْرٌ" – التفضيل
"خير" صيغة تفضيل تدل على أن مستقرهم في الجنة خير من مستقر غيرهم. وهو خير مطلق لا يقاس.
"مُسْتَقَرًّا" – تمييز
"مستقراً" تمييز منصوب، يبين المقام الذي هم فيه. المستقر هو مكان القرار والاستقرار. وفي الجنة، مستقر لا يزول.
اللمسة البيانية: تقديم "خير" على "مستقراً"
قدم "خير" على "مستقراً" للاهتمام بالخيرية. فالأهم أن مستقرهم خير، ثم بين أنه مستقر.

الدلالة النفسية
هذه الجملة تبعث الطمأنينة. المؤمنون في الآخرة لهم مستقر خير. ليسوا كالمجرمين الذين يصرخون خائفين. هم في قرار مستقر، آمنون مطمئنون.
/4
الجملة الرابعة: ﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾
اللمسة البلاغية: العطف بـ"أحسن"
عطف بـ"أحسن" على "خير". فالمقام لهم خير مستقر، وأحسن مقيل. إنه زيادة في النعيم.

"مَقِيلًا" – القيلولة
المقيل هو موضع القيلولة، وهي الاستراحة في نصف النهار. والمراد هنا: مكان الراحة والاستراحة. ف الجنة فيها أحسن مواضع الراحة.

اللمسة البيانية: تقديم المستقر على المقيل
قدم المستقر لأنه مكان الإقامة الدائمة، ثم ذكر المقيل لأنه مكان الراحة. وكلاهما خير وأحسن.

اللمسة التجويدية: الوقف على "مَقِيلًا"
الوقف على "مقيلا ً" يعطي إحساساً بالانتهاء، وكأن الوصف قد اكتمل: أصحاب الجنة لهم الخير

كله.

الدلالة النفسية
هذه الجملة تكمل صورة النعيم. ليس فقط مستقراً خيراً، بل أيضاً مقيلا ً أحسن. فكل شيء في الجنة أحسن مما يتصور.
ثالثا
الموضوع الأول1: المفاهيم المركزية في الآية
المفهوم الأول1: أصحاب الجنة لهم الخير كله
في يوم القيامة، حيث المجرمون في شدة وعذاب، يكون أصحاب الجنة في خير مستقر وأحسن مقيل. إنها المقابلة التي تبين عدل الله.
المفهوم الثاني2: المستقر والمقيل – نعيم شامل
جمعت الآية بين المستقر (مكان الإقامة الدائمة) والمقيل (مكان الراحة). وهذا يدل على أن نعيم الجنة شامل: فيه الاستقرار والراحة، لا انقطاع ولا تعب.
المفهوم الثالث3: خير وأحسن – التفضيل المطلق
استخدمت الآية صيغ التفضيل "خير" و"أحسن". وهذا يدل على أن ما عند المؤمنين في الآخرة خير من كل ما سواه، وأحسن من كل ما يمكن تصوره.
المفهوم الرابع4: التباين بين الفريقين يوم القيامة
الآية تتمم صورة التباين بين المؤمنين والمجرمين التي بدأت في الآيات السابقة. فالمجرمون في خوف وعذاب، والمؤمنون في أمن ونعيم.
الموضوع الثاني2: القيم المستنبطة من الآية
1. قيمة اليقين بالآخرة: الإيمان بأن هناك يوماً يكون فيه المؤمنون في خير مستقر.
2. قيمة الصبر: الصبر على مشاق الدنيا مقابل هذا النعيم.
3. قيمة العمل الصالح: هو الطريق إلى هذا المستقر الخير.
4. قيمة الأمل: لا تيأس، فالجزاء عند الله عظيم.
5. قيمة المقابلة بين الدارين: الدنيا دار عمل، والآخرة دار جزاء.
6. قيمة الاستعداد: استعد ليوم لا ينفع فيه إلا العمل الصالح.
7. قيمة البشارة: هذه الآية بشارة لكل مؤمن.
الموضوع الثالث3: الدروس والتوجيهات
الدرس الأول1: لا تغتر بالدنيا
الدنيا مهما طالت، فهي قصيرة. والآخرة هي دار القرار. فاجعل همك الآخرة، لا الدنيا.

الدرس الثاني2: اصبر على تعب الدنيا
ما تمر به من تعب ونصب في الدنيا، هو مقدمة للمستقر الخير والمقيل الأحسن. فاصبر، واحتسب.

الدرس الثالث3: أبشر إن كنت من أصحاب الجنة
هذه الآية بشارة عظيمة. إذا كنت تؤمن بالله، وتعمل صالحاً، فأنت من أصحاب الجنة، ولك يومئذ خير مستقر وأحسن مقيل.

الدرس الرابع4: استعد لذلك اليوم
لا تغفل عن يوم القيامة. استعد له بالإيمان والعمل الصالح. فاليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب و لا عمل.

الدرس الخامس5: لا تحسد المجرمين على متاع الدنيا
قد ترى المجرمين في نعيم الدنيا، فتحسدهم. هذه الآية تذكرك أن مستقرهم في الآخرة ليس خيراً، بل هو شر. فما عند الله خير وأبقى.
الموضوع الرابع4: التطبيقات العملية في حياتنا
تطبيق 1: في توجيه البوصلة
اجعل الآخرة هي بوصلة حياتك. كل عمل تعمله، اسأل: هل يقربني من الجنة؟ هل يبعدني عنها؟
تطبيق 2: في مواجهة الشدائد
عندما تواجه شدائد الدنيا، تذكر أن وراءها مستقراً خيراً ومقيلا ً أحسن. فلا تيأس، ولا تحزن.
تطبيق 3: في تربية الأبناء
علم أبناءك أن الجنة هي الغاية. حدثهم عن نعيمها، واشترها في قلوبهم. اجعل حب الجنة دافعاً لهم للعمل الصالح.
تطبيق 4: في تجديد الأمل
إذا شعرت باليأس من رحمة الله، أو من قبول عملك، فتذكر هذه الآية. تذكر أن الله أعد لأصحاب

الجنة خير مستقر وأحسن مقيل. فلا تيأس.
الموضوع الخامس5: الرسائل النفسية للآية
رسالة إلى قلبك: اطمئن
الآية تهمس في قلبك: اطمئن. إن كنت من أصحاب الجنة، فلك يوم القيامة خير مستقر وأحسن مقيل. فلا تحزن، ولا تخف.

رسالة إلى عقلك: فكر في الفرق
الآية تهمس في عقلك: فكر في الفرق بين الفريقين. المجرمون في خوف وعذاب. المؤمنون في أمن ونعيم. فأي الفريقين تختار؟

رسالة إلى إرادتك: اعمل
الآية تهمس في إرادتك: اعمل. الجنة لا تنال بالأماني، بل بالإيمان والعمل الصالح. فاعمل اليوم، تسترح غداً.
الموضوع السادس6: دور مفاهيم الآية في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة
1. في بناء الإنسان المتزن
نفسياً
هذه الآية تمنح الإنسان الطمأنينة النفسية من خلال:
· إيمانه بأن هناك مستقراً خيراً ينتظره.
· علمه بأن ما يعانيه في الدنيا ليس هو النهاية.
· ثقته بأن عدل الله سيجعله في أحسن مقيل.

فكرياً
تزرع الآية في العقل:
· فهم أولويات الحياة: أن الآخرة هي الأولى.
· إدراك أن الدنيا ليست غاية: بل هي وسيلة.
· اليقين بأن الجزاء عند الله: لا عند الناس.

سلوكياً
تعلم الإنسان:
· الصبر: على مشاق الدنيا.
· العمل: للآخرة.
· الأمل: فلا ييأس.
2. في بناء المجتمع المسلم
المجتمع الذي يتدبر هذه الآية هو مجتمع:
· يعمل للآخرة: فيعمر الدنيا بنية الآخرة.
· يصبر على الشدائد: فلا ييأس.
· يؤمن بعدل الله: فلا يظلم.
· يتباشر بالخير: فيسود التفاؤل.
3. في بناء الحضارة الإسلامية
الحضارة الإسلامية قامت على العمل للآخرة. هذا المبدأ جعل المسلمين لا يغترون بالدنيا، ولا ييأسون من شدائدها. فكانت حضارة متوازنة.
هذه الآية تحمي الحضارة من:
· المادية: فلا تصبح الدنيا هي الغاية.
· اليأس: فلا تستسلم للصعوبات.
· الظلم: لأن المؤمن يعلم أن العدل في الآخرة.
4. في البناء والتنمية
في مجال التنمية، هذه الآية تعطيك:
الرؤية البعيدة: التنمية الحقيقية تنظر إلى ما بعد الدنيا.
· الصبر: التنمية تحتاج إلى صبر.
· الأمل: لا تيأس من النتائج.
الخاتمة: كيف تعيش هذه الآية؟
· كل صباح، تذكر أن لك مستقراً خيراً إن كنت من أصحاب الجنة.
· كل مساء، تذكر أن لك مقيلا ً أحسن.
· عند كل شدة، تذكر أن هذه الدنيا ليست دار قرارك.
· عند كل تعب، تذكر أن وراءه راحة أبدية.

· عند كل يأس، تذكر أن الله أعد لك خيراً مما تترك.
هذه الآية هي بشرى لك في دنياك قبل آخرتك. إنها تذكرك أن هناك يوماً ستستقر فيه، وترتاح، وتنعم. فاستعد له اليوم.
وقفة أخيرة: هل أنت من أصحاب الجنة؟
الآية تضعك أمام سؤال: هل أنت من أصحاب الجنة؟
فكر: هل تؤمن بالله حقاً؟ هل تعمل صالحاً؟ هل تبتعد عن المعاصي؟ هل تخلص العمل لله؟
إن كنت كذلك، فأبشر. فلك يومئذ خير مستقر وأحسن مقيل.
وإن كنت مقصراً، فتب اليوم. فباب التوبة مفتوح. والله يغفر الذنوب جميعاً
رابعا.
تفسير الآيتين الخامسة والعشرين والسادسة والعشرين من سورة الفرقان
قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا * الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا﴾
مقدمة: لحظة انكشاف الستار
بعد أن سمعت في الآية السابقة بشارة أصحاب الجنة: ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾، تأتي هاتان الآيتان لترسما المشهد الكوني المهيب الذي يسبق ذلك المستقر الخير .إنه مشهد القيامة، حيث السماء تتشقق، والغمام يغطي الأرجاء، والملائكة تنزل في مشهد لا يشبهه مشهد.
ثم تعلن الآية الثانية عن الحقيقة الكبرى: الملك في هذا اليوم ليس لأحد سوى الرحمن .فالدنيا كانت ملكاً لله، لكن الناس تداولوها وتنازعوها وتجبروا فيها .أما في ذلك اليوم، فينكشف كل شيء، ويثبت أن الملك لله وحده .وهذا اليوم، الذي هو على المؤمنين خير مستقر وأحسن مقيل، هو على الكافرين عسير شديد.
هاتان الآيتان تخاطبانك أنت أيضاً .إنهما تريانك مشهداً من مشاهد الآخرة، لتستعد له .وترسيان في قلبك حقيقة: الملك الحقيقي لله وحده، وكل من يتجبر في الدنيا، سينكشف أمره يوم لا ينفع إلا العمل الصالح.
تعالَ نتأمل هاتين الآيتين، وكأن المشهد يُعرض أمامنا الآن .وكأن السماء تتشقق، والغمام يحيط بنا، و الملائكة تنزل .وكأن النداء يعلن: الملك اليوم لله وحده.
اولا ً: السياق – العلاقة بالآية التي قبلها
الربط بالآية الرابعة والعشرين
الآية الرابعة والعشرون قالت: ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾.
جاءت هاتان الآيتان لتصفا المشهد العام لذلك اليوم .فبعد أن بشر الله أصحاب الجنة بما لهم، أراد أن يصف اليوم نفسه .فهو يوم تتشقق فيه السماء، وتنزل الملائكة، ويظهر فيه الملك لله وحده .وهو يوم عسير على الكافرين .إنه تكامل في المشهد: أصحاب الجنة في نعيم، واليوم في عظمته، والكافرون في عسرهم.
ثانياتحليل الآيتين – قراءة في عمق المشهد الكوني
الآية الخامسة والعشرون
الجملة الأولى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ﴾
اللمسة البلاغية: "يَوْمَ" – الظرف المهول
"يوم" ظرف زمان، لكنه في هذا السياق يحمل معنى التهويل والتعظيم .إنه يوم عظيم، يوم تتغير فيه معالم الكون.

"تَشَقَّقُ" – انشقاق السماء
"تشقق" تفيد التصدع والانفراج .السماء التي كانت مرفوعة محكمة، تتشقق وتنفرج .هذا من أهوال يوم القيامة.

"بِالْغَمَامِ" – الغمام يغطي المشهد
الغمام هو السحاب الأبيض الرقيق .قيل: تنشق السماء مع الغمام، أو تنشق عن الغمام الذي يخرج منه . والمشهد: السماء تتصدع، والغمام يملأ الأرجاء.

اللمسة البيانية: تقديم الظرف "يوم" للتهويل
قدم "يوم" على الفعل للاهتمام بهذا اليوم العظيم، ولتهويله في نفوس السامعين.

الدلالة النفسية
هذا المشهد يملأ النفس رهبة .السماء التي نراها كل يوم ثابتة، تتشقق وتتصدع .إنه تذكير بأن الدنيا زائلة، وأن يوماً أعظم منها قادم.
/2
الجملة الثانية: ﴿وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا﴾

اللمسة البلاغية: "نُزِّلَ" – التضعيف للتكثير
"نزل" بتضعيف الزين للدلالة على التكثير .أي: تنزل الملائكة أفواجاً، جيلا ً بعد جيل، لا يحصى عددهم.

"المَلَائِكَةُ" – تنزيل الملائكة
الملائكة تنزل لتشهد ذلك اليوم، ولتتولى ما أمرها الله به من العذاب للمجرمين، والبشارة للمؤمنين.

"تَنْزِيلًا" – المصدر المؤكد
"تنزيلا ً" مصدر منصوب للتوكيد .أي: نزلوا تنزيلا ً عظيماً لا نظير له.

اللمسة البيانية: العطف على "تشقق"
عطف "ونزل" على "تشقق"، ليجمع بين مشهدين: مشهد السماء تتشقق، ومشهد الملائكة تنزل .وكأن السماء تفتح لتنزل الملائكة.

الدلالة النفسية
هذا المشهد يملأ النفس هيبة .الملائكة التي لا نراها، تنزل في ذلك اليوم بأعداد لا تحصى .إنه مشهد يعظم الله في النفس.
المبحث الثاني
الآية السادسة والعشرون
1
الجملة الأولى: ﴿المُلْكُ يَوْمَئِذٍ الحَقُّ لِلرَّحْمَنِ﴾
اللمسة البلاغية: تقديم "الملك" للاهتمام
بدأت الآية بـ"الملك" مقدماً على الخبر، للاهتمام بهذه الحقيقة العظيمة .فالملك في هذا اليوم هو الموضوع الأهم.

"يَوْمَئِذٍ" – تخصيص اليوم
"يومئذٍ" تخصيص .ليس الملك لله في هذا اليوم فقط، بل هو دائماً له .لكن في هذا اليوم، ينكشف للخلق أن الملك لله وحده.

"الحَقُّ" – صفة الملك
"الحق" صفة للملك .أي: الملك الثابت الذي لا زوال له، الحقيقي لا المجازي .ففي الدنيا كان هناك ملوك متجبرون، لكن ملكهم كان زائلا ً .أما في الآخرة، فالملك الحق لله.

"لِلرَّحْمَنِ" – اختيار الاسم "الرحمن"
جاء اسم "الرحمن" هنا في مقام الملك والعزة .وفيه إشارة إلى أن ملكه ملك رحمة .فهو الرحمن الذي وسعت رحمته كل شيء، ومن رحمته أنه أظهر ملكه في ذلك اليوم.

اللمسة البيانية: تعريف "الملك" وتعريف "الحق"
جاء "الملك" و"الحق" معرفتين، للدلالة على أن الملك في ذلك اليوم هو الملك المعروف، والحق الثابت . ليس هناك ملك غيره.

الدلالة النفسية
هذه الجملة تحمل أعظم حقيقة: في نهاية المطاف، الملك لله .كل من تجبر في الدنيا، سينتهي ملكه . والملك الحقيقي لله وحده .هذه الحقيقة تريح قلب المؤمن، وترعب قلب الكافر.
/2
الجملة الثانية: ﴿وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الكافِرِينَ عَسِيرًا﴾
اللمسة البلاغية: "كانَ" للثبات
"كان" تفيد الثبات والدوام .أي: هذا اليوم ثابت في علم الله، وسيكون، وهو على الكافرين عسير.
"يَوْمًا" – تنكير للتهويل
جاء "يوماً" نكرة للتهويل .أي: يوماً عظيماً في شدته.
"عَلَى الكافِرِينَ" – تخصيص العسر
العسر مخصوص بالكافرين .أما المؤمنون، فاليوم عليهم ليس بعسير، بل هو عليهم خير مستقر وأحسن مقيل.

"عَسِيرًا" – صيغة المبالغة
"عسيراً" صيغة مبالغة من العسر، أي: شديد الصعوبة، لا يقاس بعسر الدنيا.

اللمسة التجويدية: الوقف على "عَسِيرًا"
الوقف على "عسيرا" يعطي إحساساً بالانتهاء، وكأن الحكم قد صدر: هذا اليوم عسير على الكافرين.

الدلالة النفسية
هذه الجملة تضع حداً فاصلاً .هناك يوم عسير على الكافرين، ويوم يسير على المؤمنين .فمن منا يستعد لذلك اليوم؟
ثالثا
الموضوع الأول1: المفاهيم المركزية في الآيتين
المفهوم الأول1: أهوال يوم القيامة
الآيتان تصوران مشهداً من أهوال يوم القيامة: السماء تتشقق، والغمام يغطي، والملائكة تنزل .إنها تذكير بأن هناك يوماً أعظم من كل ما نعرفه.
المفهوم الثاني2: انكشاف الملك الحقيقي
في الدنيا، يختلط الأمر، ويتجبر الطغاة، ويظنون أن الملك لهم .أما في الآخرة، فينكشف كل شيء، ويثبت أن الملك لله وحده.
المفهوم الثالث3: تفاوت اليوم بين المؤمن والكافر
اليوم نفسه، هو على المؤمنين خير مستقر وأحسن مقيل، وعلى الكافرين عسير .فليس اليوم واحداً في تأثيره على الناس، بل يختلف بحسب إيمانهم.
المفهوم الرابع4: تنزيل الملائكة – مشهد العظمة
تنزيل الملائكة في ذلك اليوم مشهد مهيب .فالملائكة التي هي خلق الله العظيم، تنزل لتشهد ذلك اليوم، وتنفذ أمر الله.
الموضوع الثاني2: القيم المستنبطة من الآيتين
.1قيمة اليقين بالآخرة: الإيمان بأن هذه المشاهد ستحدث.
.2قيمة التوحيد: الملك الحقيقي لله وحده.
.3قيمة عدم الاغترار بسلطان الدنيا: كل سلطان زائل.
.4قيمة الاستعداد لذلك اليوم: فاليوم عسير على الكافرين.
.5قيمة رحمة الله: اختيار اسم "الرحمن" في مقام الملك.
.6قيمة الخوف من الله: من يخاف الله يستعد لذلك اليوم.
.7قيمة العمل الصالح: هو ما يخفف ذلك اليوم على صاحبه.
الموضوع الثالث3: الأبعاد المختلفة للآيتين
.1البعد التربوي
تربية الخوف والرجاء
هاتان الآيتان تربي في النفس خوفاً من ذلك اليوم، ورجاءً في رحمة الله .فالمشاهد المهيبة تزرع الخوف، واسم "الرحمن" يزرع الرجاء.

تربية التوحيد
الآيتان تتربان التوحيد في القلب، بإعلان أن الملك الحق لله وحده .فالمؤمن لا يخاف سلطان الدنيا، ولا يغتر به.

تربية الاستعداد
تربي الآيتان المؤمن على الاستعداد لذلك اليوم، بالعمل الصالح، والإخلاص لله.

.2البعد الفكري
فهم حقيقة الملك
الآيتان تقدمان مفهوماً عميقاً للملك: أنه ليس ملكاً حقيقياً إلا لله .كل من يتجبر في الدنيا، ملكه مؤقت زائل.

فهم سنن الله في الكون
تريان أن هناك يوماً تتغير فيه قوانين الكون: السماء تتشقق، والملائكة تنزل .وهذا يعلم المؤمن أن الدنيا ليست ثابتة، وأن هناك سنناً إلهية أخرى.

إدراك العدل الإلهي
اليوم عسير على الكافرين، وليس على المؤمنين .هذا يعلم المؤمن أن عدل الله سيظهر، وأن كل إنسان سيجد جزاء عمله.

.3البعد النفسي
تهدئة النفس المؤمنة
المؤمن يرى هذه المشاهد، ويعلم أن الله رحمن، وأن له مستقراً خيراً، فتطمئن نفسه.

إرعاب نفس الكافر
الآيتان ترعبان الكافر الذي يعيش في غفلته .تذكرانه بأن هناك يوماً عسيراً ينتظره.

التوازن النفسي
تجمع الآيتان بين الخوف والرجاء، فتعطي المؤمن توازناً نفسياً: يخاف الله فيعمل، ويرجو رحمته فلا ييأس.

.4البعد العقلي

التفكر في قدرة الله
السماء تتشقق، والملائكة تنزل .هذه مشاهد تدعو العقل إلى التفكر في قدرة الله العظيمة.

المقارنة بين الدارين
الآيتان تدفعان العقل إلى مقارنة الدنيا بالآخرة .فالدنيا ملكها زائل، والآخرة ملكها حق لله.

إدراك حقيقة الزمن
يوم القيامة ليس كأيام الدنيا .إنه يوم عظيم، يختلف في مدته وفي أحداثه .هذا يوسع مفهوم الزمن في العقل.
الموضوع الرابع4: الدروس والتوجيهات
الدرس الأول 1:لا تغتر بسلطان الدنيا
من رأى نفسه ملكاً أو سلطاناً، أو رأى طغاة الأرض، فليتذكر هذه الآية .الملك الحق لله، وكل سلطان في الدنيا زائل.
الدرس الثاني2: استعد لذلك اليوم
اليوم عسير على الكافرين .فإذا كنت مؤمناً، فاليوم عليك ليس بعسير، بل هو خير مستقر .لكن هذا لا يأتي بلا عمل .فاستعد بالإيمان والعمل الصالح.
الدرس الثالث3: السماء تتشقق – تذكر قدرة الله
كل يوم ترى السماء ثابتة، تذكر أنها ستتشقق يوماً .هذا التذكر يذكرك بقدرة الله، وعظمة يوم القيامة.
الدرس الرابع4: اسم الرحمن في مقام الملك
هذا يعلمك أن ملك الله ليس ملك جبروت فقط، بل هو ملك رحمة .فاطلب من الرحمن أن يرحمك في ذلك اليوم.
الدرس الخامس5: لا تخف من عسر ذلك اليوم إن كنت مؤمناً
اليوم عسير على الكافرين، وليس على المؤمنين .فلا تخف إن كنت من المؤمنين .بل استعد، واعمل، وثق برحمة الله.
الموضوع الخامس5: التطبيقات العملية في حياتنا
تطبيق1 : في تربية الأولاد على التوحيد
علم أبناءك أن الملك الحقيقي لله وحده .لا تخافوا من أحد، ولا تغتروا بسلطان أحد .الله هو المالك الحقيقي.
تطبيق2 : في تذكير النفس بالآخرة
كل يوم، تذكر أن السماء ستتشقق، وأن الملائكة ستنزل .هذا التذكر يوقظ القلب من الغفلة.
تطبيق3 : في مواجهة الطغيان
إذا رأيت طاغية يتجبر، تذكر أن ملكه زائل، وأن الملك الحق لله .هذا التذكر يمنحك القوة على الصبر.
تطبيق4 : في الاستعداد ليوم القيامة
اجعل لك وِرداً من العمل الصالح كل يوم، تستعد به لذلك اليوم .لا تؤجل.
الموضوع السادس6: الرسائل النفسية للآيتين
رسالة إلى قلبك: اطمئن
الآيتان تهمسان في قلبك: اطمئن .الملك الحق للرحمن، وهو أرحم بك من نفسك .فثق به، ولا تخف.

رسالة إلى عقلك: تفكر
الآيتان تهمسان في عقلك: تفكر في قدرة الله .السماء تتشقق .الملائكة تنزل .الملك لله .أي عظمة هذه ؟! تفكر تعظم الله.

رسالة إلى إرادتك: استعد
الآيتان تهمسان في إرادتك: استعد لذلك اليوم .لا تؤجل .اليوم تستطيع، وغداً قد لا تستطيع.
الموضوع السابع7: الآفاق التي تحملها الآيتان
.1الأفق الكوني
الآيتان تفتحان أمام المؤمن أفقاً كونياً واسعاً .إنهما تريانه أن الكون ليس مقصوراً على ما يراه، بل هناك مشاهد أعظم، وسماء تتشقق، وملائكة تنزل .هذا يوسع نظرته للوجود.

.2الأفق الزمني
تريانه أن الزمن ليس مقصوراً على الدنيا .هناك يوم آخر، يوم القيامة، وهو يوم عظيم .هذا يوسع نظره للزمن، ويدفعه للاستعداد لذلك اليوم.

.3الأفق الإيماني
تريانه أن الملك الحقيقي ليس لمن يتجبر في الدنيا، بل لله وحده .هذا يحرره من الخوف من سلطان البشر، ويربط قلبه باللّه.

.4الأفق السلوكي
تدفعه إلى العمل الصالح، والاستعداد لذلك اليوم، وعدم الاغترار بالدنيا.
الموضوع الثامن8: دور مفاهيم الآيتين في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة
.1في بناء الإنسان المتزن
نفسياً
تمنح الآيتان الإنسان الطمأنينة النفسية من خلال:
· معرفته أن الملك الحق للرحمن.
· علمه أن اليوم عسير على الكافرين، ليس عليه.
· ثقته بأن اللّه أرحم به من نفسه.

فكرياً
تزرع الآيتان في العقل:
· فهم حقيقة الملك: أنه لله وحده.
· إدراك عظمة يوم القيامة: فيستعد له.
· تصحيح المفاهيم عن السلطة: فلا يغتر بالسلطان الزائل.

سلوكياً
تعلم الإنسان:
· الاستعداد للآخرة: بالعمل الصالح.
· عدم الخوف من الطغاة: لأن ملكهم زائل.
· التوكل على اللّه: فهو المالك الحقيقي.
.2في بناء المجتمع المسلم
المجتمع الذي يتدبر هاتين الآيتين هو مجتمع:
· لا يخاف الطغاة: لأن الملك الحق لله.
· يستعد للآخرة: فيعمل الصالحات.
· يتوكل على اللّه: لا على الأسباب.
· تسوده الرحمة: لأن اللّه الرحمن.
.3في بناء الحضارة الإسلامية
الحضارة الإسلامية قامت على الإيمان بأن الملك لله وحده .هذا المبدأ جعل المسلمين لا يخضعون لطغاة البشر، ولا يغترون بسلطان الدنيا .فكانت حضارة قائمة على التوحيد.
هاتان الآيتان تحميان الحضارة من:
· الخضوع للطغاة: فلا تستعبدهم الأمم الأخرى.
· الاغترار بالسلطان: فلا تفسدهم القوة.
· النسيان: فتذكرهم باليوم الآخر.
.4في البناء والتنمية
في مجال التنمية، هاتان الآيتان تعطيانك:
· الرؤية البعيدة: التنمية الحقيقية تنظر إلى ما بعد الدنيا.
· التوكل على اللّه: مع الأخذ بالأسباب.
· عدم الخوف من الصعاب: فالملك لله.
الخاتمة: كيف تعيش هاتين الآيتين؟

· كل يوم، تذكر أن السماء ستتشقق، والملائكة ستنزل، والملك لله وحده.
· عند كل سلطان، تذكر أن الملك الحق للرحمن، فلا تخف، ولا تغتر.
· عند كل غفلة، تذكر أن اليوم على الكافرين عسير، فاستعد.
· عند كل عمل، اجعله لله، ليكون لك نوراً في ذلك اليوم.
· عند كل رحمة، اشكر الرحمن الذي وسعت رحمته كل شيء.
هاتان الآيتان هما تذكير لك بعظمة يوم القيامة، وحقيقة الملك، وضرورة الاستعداد .فاجعلها نصب عينيك، واعمل ليوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.
وقفة أخيرة: كيف سيكون ذلك اليوم بالنسبة لك؟
الآيتان تضعانك أمام سؤال: كيف سيكون ذلك اليوم بالنسبة لك؟
· هل سيكون يوم عسير عليك، لأنك من الكافرين؟
· أم سيكون عليك خير مستقر وأحسن مقيل، لأنك من المؤمنين؟
الخيار لك .فالدنيا دار عمل، والآخرة دار جزاء .فاعمل اليوم، تسترح غداً.
خامسا
تفسير الآية السابعة والعشرين من سورة الفرقان
قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾.
مقدمة: مشهد الندم الذي لا ينفع
هل تخيلت يوماً أن تندم ندامة تجعلك تعض على يديك؟ أن تقف في لحظة لا يمكن فيها التراجع، وتتمنى لو أنك اخترت طريقاً آخر، لكن الأوان قد فات؟ هذه الآية تأخذك إلى ذلك المشهد بالذات.
بعد أن سمعت في الآيات السابقة مشاهد القيامة: السماء تتشقق، والملائكة تنزل، والملك لله الرحمن، ويوم عسير على الكافرين ...تأتي هذه الآية لتصور لك لقطة مقربة من قلب ذلك اليوم .إنها لا تصف مشهداً كونياً، بل تصور مشهداً إنسانياً بامتياز .مشهد إنسان واحد، ظالم لنفسه، يقف في لحظة الحسرة، يعض على يديه، ويتمنى لو أنه اتبع الرسول.
هذه الآية تخاطبك أنت شخصياً .إنها تهمس في أذنك: قبل أن يحين ذلك اليوم، تأمل هذا المشهد . تخيل نفسك مكان هذا الظالم .هل ستكون أنت من يعض على يديه نادماً؟ أم ستكون من الذين اتبعوا الرسول ففازوا؟ المشهد معروض أمامك الآن، كأنه يحدث الآن .فانظر، وتأمل، واختر.
تعالَ ندخل إلى هذا المشهد، وكأننا نقف هناك .وكأننا نرى الظالم يعض على يديه .وكأننا نسمع صوته يتمنى: يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا ً.
اولا ً: السياق – العلاقة بالآية التي قبلها
الربط بالآية السادسة والعشرين
الآية السادسة والعشرون قالت: ﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا﴾.
جاءت هذه الآية لتكشف عن أحد مظاهر ذلك العسر على الكافرين .ليس العسر فقط في الأهوال الكونية، بل في الندم الذي يملأ قلوبهم .فالظالم في ذلك اليوم يعض على يديه حسرة، ويتمنى لو اتبع الرسول .لكن الأوان قد فات .هذا هو العسر الحقيقي: عسر الندم بعد فوات الأوان.
ثانيا: تحليل الآية – قراءة في عمق مشهد الندم
الجملة الأولى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ﴾
اللمسة البلاغية: "يَوْمَ" – الظرف المهول
"يوم" ظرف زمان، لكنه يحمل في هذا السياق معنى التهويل .إنه يوم عظيم، يوم تظهر فيه الحقائق، يوم لا ينفع الندم.

"يَعَضُّ" – فعل المضارعة لاستحضار المشهد
جاء الفعل مضارعاً "يعض" لاستحضار المشهد في الذهن، كأنه يحدث الآن .المشهد حي، متحرك، نراه أمام أعيننا.

"الظَّالِمُ" – من هو الظالم؟
الظالم هنا هو كل من ظلم نفسه بالكفر والمعصية، وكل من أشرك بالله، وكل من اتبع غير سبيل الرسول .إنه وصف جامع لكل من خالف أمر الله.

"عَلَى يَدَيْهِ" – عض اليدين
عض اليدين هو أعلى درجات الحسرة والندم .إنها حركة تلقائية تصدر من إنسان يريد أن يعاقب نفسه، أو يريد أن يوقف شعور الندم الذي يملأ قلبه.

اللمسة البيانية: إضافة اليدين إلى الضمير
"على يديه" إضافة إلى الضمير، تفيد أن هذه اليدين هما اللتان كانتا تفعلان المعاصي، أو هما اللتان لم تمدا إلى الخير .فالندم يتعلق بما فعلته هذه اليدان.

اللمسة التجويدية: الوقف على "يَدَيْهِ"
الوقف على "يديه" يعطي إحساساً بلحظة العض، كأن المشهد قد اكتمل: الظالم يعض على يديه، ثم يبدأ في قول الندم.

الدلالة النفسية
هذه الصورة تحفر في النفس .تخيل نفسك تعض على يديك ندماً .تخيل الألم الجسدي والنفسي معاً . هذه الصورة تمنعك من الوصول إلى هذه اللحظة.
/2
الجملة الثانية: ﴿يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾
اللمسة البلاغية: "يَقُولُ" – التمني بعد فوات الأوان
"يقول" مضارع أيضاً، لاستحضار المشهد .والقول هنا ليس قول عادي، بل هو صرخة من أعماق القلب.

"يَا لَيْتَنِي" – أداة التمني
"ليت" أداة تمني تدل على أن الأمر قد فات، وأن الأمل قد انقطع .إنها أداة يستخدمها الإنسان عندما يتمنى شيئاً لا يمكن تحقيقه.

"اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا" – ماذا يتمنى؟
يتمنى أن يكون اتخذ مع الرسول سبيلا ً .أي: طريقاً إلى الله، طريقاً إلى الجنة، طريقاً إلى النجاة . يتمنى أن يكون اتبع الرسول في الدنيا، واقتفى أثره، وسار على منهاجه.

اللمسة البيانية: التعبير بـ"اتخذت سبيلا ً" لا "اتبعته"
"اتخذت سبيلا ً" تفيد الاختيار والإرادة .فالاتباع كان اختيارياً .هو لم يجبر على ترك السبيل، بل هو اختار تركه .والآن يتمنى لو كان اختار غيره.

"مَعَ الرَّسُولِ" – الرفقة المباركة
"مع الرسول" تفيد الصحبة والرفقة .يتمنى أن يكون معه في الدنيا وفي الآخرة .لكن الصحبة تحتاج إلى اتباع.

الدلالة النفسية
هذه الجملة تحمل أعلى درجات الندم .إنها ليست أمنية عادية، بل هي صرخة يأس .يتمنى شيئاً لا يمكن تحقيقه .يتمنى لو أنه اختار الطريق الصحيح .لكن الأوان قد فات.
ثالثا
الموضوع الأول1: المفاهيم المركزية في الآية
المفهوم الأول1: الندم يوم القيامة لا ينفع
الظالم يعض على يديه، ويتمنى لو اتبع الرسول .لكن تمنيه لا ينفعه .فالدنيا كانت دار العمل، والآخرة دار الجزاء .من فاته العمل في الدنيا، فاته الخير في الآخرة.
المفهوم الثاني2: الظلم يبدأ من النفس
الآية تسمي الظالم "الظالم" .وهو ظلم نفسه أولا ً، ثم ظلم غيره .وأعظم الظلم هو الشرك بالله، وترك سبيل الرسول.
المفهوم الثالث3: سبيل الرسول هو طريق النجاة
الرسول ﷺ هو الطريق إلى الله .من اتخذ معه سبيلا ً، نجا .ومن تركه، هلك .وهذا هو معنى الشهادة: أن محمداً رسول الله.
المفهوم الرابع4: اليدان شاهدة على العمل
عض اليدين إشارة إلى أن اليدين كانتا تعملان ما لا يرضي الله .ففي ذلك اليوم، يشهد الجسد على صاحبه.
الموضوع الثاني2: القيم المستنبطة من الآية
.1قيمة اتباع الرسول: هو سبيل النجاة الوحيد.
.2قيمة عدم التسويف: لا تؤجل التوبة، فغداً قد تندم ولا ينفع الندم.
.3قيمة اختيار الطريق: أنت من يختار طريقك، فاختر سبيل الرسول.
.4قيمة الاستعداد للآخرة: اليوم عمل، وغداً حساب.
.5قيمة الحذر من الندم: لا تصل إلى لحظة تعض فيها على يديك.
.6قيمة الصحبة الصالحة: "مع الرسول" تدل على أهمية الصحبة.
.7قيمة البصيرة: انظر إلى العواقب قبل أن تندم.
الموضوع الثالث3: الدروس والتوجيهات
الدرس الأول1: لا تكن ممن يندمون

هذه الآية تحذرك من أن تكون من الظالمين الذين يعضون على أيديهم .لا تصل إلى هذه اللحظة . اختر اليوم سبيل الرسول.
الدرس الثاني2: اتبع الرسول في حياتك
سبيل الرسول ليس مجرد كلمة تقال، بل هو منهج حياة .اتبعه في عبادتك، في معاملتك، في أخلاقك، في كل شيء.
الدرس الثالث3: لا تؤجل التوبة
قد تقول: سأتوب غداً .هذه الآية تذكرك أن غداً قد لا يأتي، أو قد يأتي ولا ينفع الندم .فتب اليوم.
الدرس الرابع4: اختر رفاقك بعناية
"مع الرسول" تدل على أن الصحبة مهمة .اختر رفاقك ممن يذكرونك بالله، ويساعدونك على اتباع سبيل الرسول.
الدرس الخامس5: تذكر يوم الندم
كل يوم، تذكر هذا المشهد .تذكر الظالم يعض على يديه .هذا التذكر سيساعدك على الاستقامة.
الموضوع الرابع4: التطبيقات العملية في حياتنا
تطبيق1 : في توجيه البوصلة
اجعل سبيل الرسول هو بوصلة حياتك .كل قرار تتخذه، اسأل: هل هذا يوافق سبيل الرسول أم يخالفه؟
تطبيق2 : في تربية الأبناء
علم أبناءك أن اتباع الرسول هو سبيل النجاة .علمهم سيرته، وأخلاقه، ومنهجه .اجعل حبه في قلوبهم.
تطبيق3 : في مراجعة النفس
كل ليلة قبل النوم، اسأل نفسك: هل سلكت اليوم سبيل الرسول؟ هل قصرت؟ تب واستغفر.
تطبيق4 : في تجديد الإيمان
إذا شعرت بفتور في اتباع الرسول، فتذكر هذه الآية .تذكر مشهد الندم .هذا التذكر سيجدد إيمانك.
الموضوع الخامس5: الرسائل النفسية للآية
رسالة إلى قلبك: اختر اليوم
الآية تهمس في قلبك: اختر اليوم .لا تؤجل .كل يوم تؤجل فيه اتباع الرسول، تقترب من مشهد الندم .اختر اليوم سبيله.

رسالة إلى عقلك: تفكر في العواقب
الآية تهمس في عقلك: تفكر في العواقب .انظر إلى المستقبل .أين تريد أن تكون؟ مع الرسول أم مع الظالمين الذين يعضون على أيديهم؟

رسالة إلى إرادتك: تحرك
الآية تهمس في إرادتك: تحرك .لا تبقَ في مكانك .ابدأ اليوم .اتخذ سبيل الرسول .إرادتك هي التي ستقرر مصيرك.
الموضوع السادس6: الأبعاد المختلفة للآية
.1البعد النفسي
الإسقاط على الذات
الآية تدعوك لإسقاط المشهد على نفسك .تخيل نفسك مكان هذا الظالم .هل أنت راضٍ عن طريقك؟ هل ستكون ممن يندمون أم ممن يفوزون؟

الخوف المحفز
تخلق الآية خوفاً محفزاً، لا خوفاً مشلولاً .خوفاً يدفعك إلى العمل، لا إلى اليأس.

الندم الوقائي
تعلمك الآية أن تندم قبل فوات الأوان .ندماً يدفعك إلى التغيير، لا إلى الحسرة.

.2البعد التربوي
تربية الإرادة
تربي الآية في النفس الإرادة على اختيار الطريق الصحيح .تعلمك أنك مسؤول عن اختيارك.

تربية البصيرة
تدربك على النظر إلى عواقب الأمور قبل الإقدام عليها.
تربية القدوة
ترسخ في النفس أن الرسول هو القدوة، وأن اتباعه هو الطريق.
.3البعد الفكري

حرية الاختيار
الآية تؤكد أن الإنسان حر في اختيار طريقه ."اتخذت" تدل على الاختيار.

المسؤولية الفردية
كل إنسان مسؤول عن اختياره .الظالم يندم على اختياره، لا على إجبار أحد له.

قيمة الوقت
الآية تذكرك بأهمية اغتنام الوقت .فغداً قد لا ينفع الندم.

.4البعد العقلي
التفكير في المستقبل
تدعوك إلى التفكير في المستقبل البعيد، يوم القيامة .هذا التفكير يوجه سلوكك في الحاضر.

المقارنة بين المصيرين
تدعوك إلى مقارنة مصير من اتبع الرسول ومصير من تركه .هذه المقارنة تدفعك إلى الاختيار الصحيح.

استخدام الخيال
تستخدم الآية الصورة الحية) عض اليدين (لتخاطب خيالك، فتجعل المشهد واقعياً في ذهنك.
الموضوع السابع7: الآفاق التي تحملها الآية
.1الأفق الزمني
تفتح الآية أمامك أفقاً زمنياً يمتد من الدنيا إلى الآخرة .تذكرك أن قرارات اليوم تحدد مصير الغد.
.2الأفق الوجودي
تضعك أمام سؤال وجودي: لماذا أنا هنا؟ وما هو طريقي؟ ومن أين أتيت؟ وإلى أين أنا ذاهب؟ وتجيب: طريقك هو سبيل الرسول.
.3الأفق الأخلاقي
تفتح أمامك أفقاً أخلاقياً: أن تعيش حياتك وفق منهج الرسول، فتكون قدوة في أخلاقك وسلوكك.
.4الأفق الإيماني
ترفع إيمانك إلى مستوى أعلى: أن تعيش مع الرسول في قلبك، وتتخذه أسوة، وتتخذ معه سبيلا ً.
الموضوع الثامن8: دور مفاهيم الآية في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة
.1في بناء الإنسان المتزن
نفسياً
تمنح الآية الإنسان الاستقرار النفسي من خلال:
· وضوح الطريق: سبيل الرسول هو الطريق، فلا حيرة.
· البصيرة: يرى العواقب فيختار.
· عدم الندم: لأنه اختار الطريق الصحيح.
فكرياً
تزرع الآية في العقل:
· وضوح الرؤية: أن طريق النجاة هو اتباع الرسول.
· أهمية الاختيار: أن الإنسان مسؤول عن اختياره.
· قيمة البصيرة: أن تنظر إلى العواقب.
سلوكياً
تعلم الإنسان:
· اتباع الرسول: في كل شؤون حياته.
· عدم التسويف: المبادرة إلى الطاعة.
· الاستعداد للآخرة: بالعمل الصالح.
.2في بناء المجتمع المسلم
المجتمع الذي يتدبر هذه الآية هو مجتمع:
· يتخذ الرسول قدوة: في كل شؤونه.
· لا يسوّف في الخير: بل يبادر إليه.
· يستعد للآخرة: فيعمل لدنياه وآخرته.
· تسوده البصيرة: في اختياراته.
.3في بناء الحضارة الإسلامية
الحضارة الإسلامية قامت على اتباع الرسول ﷺ .هذا المبدأ جعل المسلمين يسيرون على منهاج واضح، لا يتخبطون، ولا يضلون .فكانت حضارة مستقرة، قائمة على أسس ثابتة.

هذه الآية تحمي الحضارة من:
· الانحراف: فتذكرها بالطريق الصحيح.
· التخبط: فتعطيها منهجاً واضحاً.
· الندم: فتدفعها للعمل قبل فوات الأوان.
.4في البناء والتنمية
في مجال التنمية، هذه الآية تعطيك:
· الرؤية الواضحة: هدف محدد تسعى إليه.
· عدم التسويف: المبادرة إلى العمل.
· البصيرة: النظر إلى العواقب قبل الإقدام.
الخاتمة: كيف تعيش هذه الآية؟
· كل صباح، قل في نفسك: اليوم سأتخذ مع الرسول سبيلا ً.
· كل قرار، اسأل: هل هذا هو سبيل الرسول؟
· كل خطأ، تب منه قبل أن تندم عليه يوم لا ينفع الندم.
· كل ليلة، راجع يومك: هل سلكت سبيل الرسول أم ضللت؟
· كل لقاء مع الناس، ادعهم إلى سبيل الرسول، لئلا يندموا غداً.
هذه الآية هي إنذارك قبل وقوع العذاب .إنها تهمس في أذنك: لا تكن من الظالمين الذين يعضون على أيديهم .اختر اليوم سبيل الرسول .فغداً قد لا تستطيع.
وقفة أخيرة: أين أنت من هذا المشهد؟
الآية تضعك أمام سؤال: تخيل نفسك في ذلك اليوم .أين ستكون؟
· هل ستكون من الظالمين الذين يعضون على أيديهم، ويقولون: يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا ً؟
· أم ستكون من الذين اتبعوا الرسول، فسلكوا السبيل، وفازوا بالجنة؟
الخيار لك .اليوم تستطيع أن تختار .اليوم تستطيع أن تتخذ سبيل الرسول .غداً لن تستطيع.
فاختر اليوم، قبل أن تعض على يديك ندماً.
سادسا
(تفسير الآيتين الثامنة والعشرين والتاسعة والعشرين من سورة الفرقان
قال تعالى: ﴿يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي ۗ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾
مقدمة: حين يتحول الحبيب إلى عدو
هل تخيلت يومًا أن تقف في لحظة الحسرة، وتتمنى لو أنك لم تعرف شخصًا معينًا؟ أن تنظر إلى من كان أقرب الناس إليك، وتقول: يا ليتني لم أتخذه خليلًا؟ هذه الآيات تأخذك إلى ذلك المشهد بالذات.
بعد أن سمعت في الآية السابقة الظالم يعض على يديه، ويتمنى لو اتبع الرسول سبيلًا، تأتي هاتان الآيتان لتكشفا عن سبب هذا الندم. إنه ليس ندمًا عابرًا، بل ندم على صحبة سوء. ندم على خليل كان سببًا في ضلاله. ندم على من أبعده عن ذكر الله.
ثم تأتي الخاتمة المدمرة: وكان الشيطان للإنسان خذولًا. أي: أن الشيطان الذي أغواه، يتخلى عنه في أشد لحظات حاجته إليه. إنه مشهد مرعب: الخليل يتخلى، والشيطان يخذل، والإنسان يقف وحيدًا مع ندمه.
هاتان الآيتان تخاطبانك أنت شخصيًا. إنهما تهمسان في أذنك: انظر إلى من تتخذ خليلًا. هل يقربك من الله أم يبعدك؟ هل يذكرك بالله أم ينسيك ذكره؟ ففي يوم القيامة، قد تندم ندامة لا تنفع، وتقول: يا ليتني لم أتخذ فلانًا خليلًا.
تعالَ نتأمل هاتين الآيتين، وكأن المشهد يُعرض أمامنا الآن. وكأننا نسمع صوت الظالم يصرخ: يا ويلتاه! ليتني لم أتخذ فلانًا خليلًا!
اولا السياق – العلاقة بالآية التي قبلها
الربط بالآية السابعة والعشرين
الآية السابعة والعشرون قالت: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾.
جاءت هاتان الآيتان لتكملا مشهد الندم، وتكشفا عن تفاصيله المؤلمة. فبعد أن تمنى الظالم لو اتبع الرسول، يبدأ الآن في تعداد أسباب ندمه. فيتذكر خليل السوء الذي أبعده عن الذكر، فيصرخ: يا ويلتاه! ليتني لم أتخذ فلانًا خليلًا. إنه تصوير دقيق لعملية الندم: من التمني إلى تذكر الأسباب.
ثانيا: تحليل الآيتين – قراءة في عمق مشهد الخذلان
الآية الثامنة والعشرون
1
الجملة الأولى: ﴿يَا وَيْلَتَى﴾
اللمسة البلاغية: صيغة النداء والتحسر
"يا" حرف نداء، و"ويلتى" مصدر بمعنى الهلاك والدمار .والمعنى: يا هلاكاه! يا حسرتاه! إنها صرخة من

أعماق القلب، تعبر عن أقصى درجات الندم والأسف.

"وَيْلَتَى" – إضافة إلى النفس
"ويلتى" أي: ويلتي أنا .إضافة إلى النفس تفيد أن الندم شخصي، خاص به .إنه ليس ندمًا عامًا، بل ندم على ما فعلته يداي، وعلى من اخترت.

اللمسة التجويدية: مد "وَيْلَتَى"
كلمة "ويلتى" فيها مد طبيعي في الألف، ، مما يعطي إحساسًا بامتداد الصرخة. كأن الصوت لا ينقطع.

الدلالة النفسية
هذه الصرخة تخرج من أعماق قلب محترق. إنها لحظة يرى فيها الإنسان عاقبة اختياراته، فيصرخ من شدة الحسرة. هذه الصرخة تحفر في النفس: هل سأكون ممن يصرخون هكذا؟
/2
الجملة الثانية: ﴿لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾
اللمسة البلاغية: "لَيْتَنِي" – التمني بعد فوات الأوان
"ليتني" أداة تمني تدل على أن الأمر قد فات .يتمنى شيئًا لا يمكن تحقيقه .يتمنى لو أنه لم يتخذ هذا الشخص خليلًا.

"فُلَانًا" – الإبهام للفظاعة
جاء "فلانًا" نكرة مبهمة. وهذا يدل على أن هذا الشخص معروف لديه، لكنه لا يريد أن يسميه؟ أو أن الإبهام يدل على أن كل من كان سببًا في ضلاله، هو محل ندمه.

"خَلِيلًا" – أعلى درجات الصداقة
الخليل هو الصديق المخلص، الذي تصل محبته إلى درجة الخلة. وهو أشد أنواع الصداقة. كان الظالم يعتبر هذا الشخص أقرب الناس إليه. والآن يتمنى لو لم يعرفه أبدًا.

اللمسة البيانية: تقديم النفي على الفعل
"لم أتخذ" قدم النفي على الفعل للتأكيد .أي: ليت هذا الأمر لم يحدث أبدًا.

الدلالة النفسية
هذه الجملة تحمل صدمة كبرى. أن تندم على أقرب الناس إليك. أن تتمنى لو أنك لم تعرفه. إنها لحظة انقلاب الموازين: الحبيب يصبح عدوًا، والخليل يصبح سببًا في الهلاك.
المبحث الثاني
الآية التاسعة والعشرون
/1
الجملة الأولى: ﴿لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي﴾
اللمسة البلاغية: "لَقَدْ" – القسم والتوكيد
"لقد" جملة قسمية تفيد التوكيد .إنه يقسم على ما قاله، تأكيدًا لحقيقة ما وقع.

"أَضَلَّنِي" – إسناد الإضلال إلى الخليل
الخليل هو الذي أضله. هذا الإسناد يكشف عن خطورة الصحبة السيئة: إنها لا تضر فقط، بل تضل عن سبيل الله.

"عَنِ الذِّكْرِ" – الضلال عن ذكر الله
"الذكر" هو القرآن، وهو ذكر الله، وهو كل ما يذكر بالله .هذا الخليل أبعده عن كل ذلك.

"بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي" – الفاجعة الكبرى
"بعد إذ جاءني" أي: بعد أن جاءه الحق، بعد أن عرف الطريق، بعد أن سمع القرآن .هذا هو أشد أنواع الضلال: أن تعرف الحق ثم يضلك صديق السوء عنه.

اللمسة البيانية: ترتيب الجملة
بدأ بـ"أضلني" ثم بـ"عن الذكر" ثم بـ"بعد إذ جاءني". هذا الترتيب يصور مراحل المأساة: جاءه الحق، ثم جاءه الخليل، فأبعده عن الحق. يا لها من خسارة!

الدلالة النفسية
هذه الجملة تصور أعلى درجات الخسارة. أن تعرف الحق ثم تفقده. أن يكون بين يديك النجاة، ثم

يأتي من يبعدك عنها. هذا هو الندم الحقيقي.
/2
الجملة الثانية: ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾
اللمسة البلاغية: الانتقال من الخليل إلى الشيطان
بعد أن ذكر الخليل الذي أضله، ينتقل إلى ذكر الشيطان الذي كان وراء كل شيء. إنه كشف للطبقات: الظاهر خليل السوء، والباطن الشيطان.

"كانَ" – الثبات والدوام
"كان" تفيد الثبات .أي: الشيطان صفته الثابتة أنه خذول للإنسان.

"خَذُولًا" – صيغة المبالغة
الخذول هو الذي يخذل صاحبه في وقت الحاجة. صيغة "فعول" تفيد المبالغة. أي: الشيطان خذول بطبعه، يغوي ثم يتخلى.

اللمسة البيانية: تقديم الشيطان على الخبر
قدم "الشيطان" للاهتمام بهذه الحقيقة. إنه العدو الحقيقي.

الدلالة النفسية
هذه الجملة تحمل الصدمة الأخيرة. الشيطان الذي أغوى الإنسان، يتخلى عنه في أشد لحظات حاجته. لا نصير، لا معين، لا شفيع. كل من كان يظنه ناصرًا له، خذله.
ثالثا
الموضوع الأول1: المفاهيم المركزية في الآيتين
المفهوم الأول1: خطورة صحبة السوء
الآيتان تحذران من خطورة اتخاذ خليل السوء. إنه لا يضر فقط، بل يضل عن ذكر الله، ويبعد عن الحق.
المفهوم الثاني2: خذلان الشيطان
الشيطان يغوي الإنسان، ثم يتخلى عنه في يوم الحاجة. إنه عدو لا يفي بوعده، ولا ينفع من اتبعه.
المفهوم الثالث3: ندم الصحبة يوم القيامة
في الدنيا، يفتخر الإنسان بعلاقاته. وفي الآخرة، يندم على علاقاته التي أبعدته عن الله. إنها لحظة انكشاف الحقائق.
المفهوم الرابع4:
أشد أنواع الندم: أن يأتيك الحق، ثم يضلك عنه صديق السوء. إنه ندمان: ندم على ضياع الحق، وندم على اتخاذ الخليل.
الموضوع الثاني2: القيم المستنبطة من الآيتين
.1قيمة اختيار الصحبة: اختر صديقًا يذكرك بالله، لا ينسيك إياه.
.2قيمة الحذر من الشيطان: هو العدو الذي يخذل في وقت الحاجة.
.3قيمة اغتنام الحق: إذا جاءك الحق، فلا تفرط فيه.
.4قيمة البصيرة: انظر إلى عواقب علاقاتك.
.5قيمة التوبة قبل فوات الأوان: لا تنتظر حتى تندم.
.6قيمة الاستقلالية: لا تكن تابعًا لأحد في دينك.
.7قيمة مراجعة العلاقات: اسأل نفسك: هل أصدقائي يقربونني من الله أم يبعدونني؟
الموضوع الثالث3: الدروس والتوجيهات
الدرس الأول1: راجع قائمة أصدقائك
من هم الذين تتخذهم خليلًا؟ هل يذكرونك بالله؟ هل يشجعونك على الطاعة؟ هل ينهونك عن المعصية؟ إذا لم يكن كذلك، فأعد النظر في علاقاتك.
الدرس الثاني2: لا تكن سببًا في ضلال أحد
قبل أن تندم على أصدقائك، تأكد أنك لا تكون سببًا في ضلال غيرك. لا تكن أنت "فلانًا" الذي يتمنى أحدهم لو لم يتخذه خليلًا.
الدرس الثالث3: احذر من الشيطان في صورة صديق
الشيطان قد يأتي في صورة صديق حميم، يزين لك المعصية، ويبعدك عن الذكر. فكن يقظًا.
الدرس الرابع4: لا تؤثر صحبة على دينك
أي علاقة تتعارض مع دينك، فهي علاقة خاسرة. قد تكلفك الدنيا، لكن لا تكلفك الآخرة.
الدرس الخامس5: تذكر يوم الندم
كل يوم، تذكر هذا المشهد. تذكر الظالم يصرخ: يا ويلتاه! ليتني لم أتخذ فلانًا خليلًا. هذا التذكر سيساعدك على اختيار الصحبة الصالحة.

الموضوع الرابع4: التطبيقات العملية في حياتنا
تطبيق 1: في اختيار الأصدقاء
لا تكن سطحيًا في اختيار أصدقائك. اختر من يزيدك إيمانًا، ويذكرك بالله، ويعينك على الطاعة. واجعل معيارك دينهم وأخلاقهم.
تطبيق 2: في مراجعة العلاقات
كل فترة، راجع علاقاتك. اسأل نفسك: هل هذه العلاقة تقربني من الله أم تبعدني؟ إذا كانت تبعدك، فانقطع عنها قبل فوات الأوان.
تطبيق 3: في تربية الأبناء
علم أبناءك أهمية اختيار الصحبة الصالحة. اجعلهم يفهمون أن الصديق السيء قد يكون سببًا في هلا كهم. علمهم أن يقولوا "لا" للصحبة الضارة.
تطبيق 4: في الدعوة إلى الله
إذا رأيت صديقًا لك على طريق الضلال، فحاول أن تعيده إلى الحق. لا تكن سببًا في ضلاله. كن ناصحًا أمينًا.
الموضوع الخامس5: الرسائل النفسية للآيتين
رسالة إلى قلبك: اختر صديقك بعناية
الآيتان تهمسان في قلبك: قلبك يتأثر بمن حولك. فاختر من يغذيه بالخير، لا من يسممه بالشر. الصديق الصالح يذكرك بالله، والصديق السيء ينسيك إياه.

رسالة إلى عقلك: فكر في العواقب
الآيتان تهمسان في عقلك: فكر في عواقب علاقاتك. هذا الصديق الذي تتخذه اليوم، هل سيكون سببًا في ندمك غدًا؟ فكر قبل أن تندم.

رسالة إلى إرادتك: اقطع العلاقات الضارة
الآيتان تهمسان في إرادتك: إذا كان لديك صديق يبعدك عن الله، فاقطع العلاقة. لا تتردد. إرادتك هي التي ستقرر مصيرك.
الموضوع السادس6: الأبعاد المختلفة للآيتين
.1البعد النفسي
الإسقاط على الذات
تدعوك الآيتان لتسأل نفسك: هل عندي أصدقاء سيكونون سببًا في ندمي يوم القيامة؟ من هم "فلان" في حياتي؟
الخوف المحفز
تخلق الآيتان خوفًا محفزًا: خوفًا من أن تكون صحبتك سببًا في ضلالك. هذا الخوف يدفعك إلى مراجعة علاقاتك.
الندم الوقائي
تعلمك الآيتان أن تندم قبل فوات الأوان. ندماً يدفعك إلى تغيير صحبتك اليوم.
.2البعد التربوي
تربية الاختيار
تربي الآيتان في النفس أهمية اختيار الصحبة. تعلمك أنك مسؤول عن من تتخذ صديقًا.
تربية البصيرة
تدربانك على النظر إلى العواقب. لا تنظر فقط إلى متعة اللحظة، بل إلى نتيجة العلاقة.
تربية الاستقلالية
تربيان فيك ألا تكون تابعًا لأحد في دينك. دينك بينك وبين الله، لا تسلمه لأحد.
.3البعد الفكري
فهم حقيقة الشيطان
الآيتان تظهران حقيقة الشيطان: أنه خذول، لا ينفع من اتبعه. هذا الفهم يحررك من سلطانه.
خطورة الصحبة
تثبتان أن الصحبة ليست أمرًا هامشيًا، بل هي عامل أساسي في الهدى أو الضلال.
قيمة الذكر
تذكر أن الذكر هو حياة القلب. من أضلك عن الذكر، فقد أضلك عن كل خير.
.4البعد العقلي
التفكير في العواقب
تدعوانك إلى التفكير في عواقب علاقاتك. هذا التفكير يوجه سلوكك في الحاضر.
المقارنة بين الصديقين
تدعوانك إلى مقارنة الصديق الذي يذكرك بالله، والصديق الذي ينسيك إياه. هذه المقارنة تدفعك إلى الاختيار الصحيح.

استخدام الصورة الحية
تستخدمان الصورة الحية (يا ويلتاه) لتخاطبا خيالك، فتجعل المشهد واقعيًا في ذهنك.
الموضوع السابع7: الآفاق التي تحملها الآيتان
.1الأفق الاجتماعي
تفتح الآيتان أمامك أفقًا اجتماعيًا: أن تختار مجتمعك بعناية. أن تحيط نفسك بمن يذكرونك بالله، وتبتعد عن من ينسونك إياه.
.2الأفق الأخلاقي
تفتحان أفقًا أخلاقيًا: أن تكون صديقًا صالحًا للآخرين، لا أن تكون "فلانًا" الذي يتمنى أحدهم لو لم يعرفه.
.3الأفق الإيماني

ترفعان إيمانك إلى مستوى أعلى: أن تجعل صحبتك كلها لله، وأن تكون علاقاتك في الله، وأن تتخذ خليلًا في الله.
.4الأفق الوقائي
تعطيانك أفقًا وقائيًا: أن تحمي نفسك من صحبة السوء قبل أن تندم. الوقاية خير من الندم.
الموضوع الثامن8: دور مفاهيم الآيتين في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة
.1في بناء الإنسان المتزن
نفسيًا
تمنح الآيتان الإنسان الاستقرار النفسي من خلال:
· اختيار صحبة صالحة تدعمه، لا صحبة تضره.
· تجنب ندم الصحبة في الآخرة.
· الشعور بالأمان من خلال صحبة الخير.
فكريًا
تزرع الآيتان في العقل:
· أهمية الاختيار: أنت من تختار صحبتك.
· خطورة الصحبة السيئة: أنها قد تكون سببًا في الهلاك.
· قيمة الصحبة الصالحة: أنها تذكر بالله.
سلوكيًا
تعلمان الإنسان:
· اختيار الصحبة الصالحة: فلا يصادق إلا من يذكره بالله.
· قطع العلاقات الضارة: فلا يتردد في ترك من يضله.
· أن يكون صديقًا صالحًا: فيعين غيره على الخير.
.2في بناء المجتمع المسلم
المجتمع الذي يتدبر هاتين الآيتين هو مجتمع:
· تسوده الصحبة الصالحة: فيتعاون أفراده على البر والتقوى.
· ينبذ الصحبة السيئة: فلا يسمح لأحد بأن يضل غيره.
· يتكافل أفراده: فيذكر بعضهم بعضًا بالله.
· يسوده الوعي الاجتماعي: فيختار كل فرد صحبته بعناية.
.3في بناء الحضارة الإسلامية
الحضارة الإسلامية قامت على الصحبة الصالحة. الصحابة رضوان الله عليهم كانوا صحبة صالحة للنبي ﷺ، فكانت حضارة عظيمة.
هاتان الآيتان تحميان الحضارة من:
· الانحراف: فتذكر أبناءها بأن الصحبة السيئة قد تضل.
· الضعف: فالصحبة الصالحة تقوي.
· التفكك: فالصحبة الصالحة توحد.
.4في البناء والتنمية
في مجال التنمية، هاتان الآيتان تعطيانك:
أهمية العمل الجماعي الصالح: لا تبنِ تنمية على صحبة فاسدة.
· اختيار الفريق المناسب: التنمية تحتاج إلى فريق صالح متعاون.
· الاستدامة: العلاقات القائمة على الخير تدوم.
الخاتمة: كيف تعيش هاتين الآيتين؟
· كل يوم، اسأل نفسك: من هم خلائي؟ هل يذكرونني بالله أم ينسونني إياه؟
· كل علاقة جديدة، فكر: هل هذه العلاقة ستقربني من الله أم ستبعده؟
· كل صديق سيء، اقطعه قبل أن تندم .لا تنتظر حتى تقول: يا ويلتاه!
· كل صديق صالح، احتفظ به، وأكرمه، واشكر الله عليه.

· كل لقاء مع الناس، كن أنت الصديق الصالح الذي يذكر بالله، لا الصديق السيء الذي يندم على صحبته.
هاتان الآيتان هما مرآة علاقاتك. انظر فيها: هل ستكون من الذين يندمون على خلائهم أم من الذين يفخرون بهم؟ اختر اليوم، قبل أن يحين يوم الندم.
وقفة أخيرة: من هو "فلان" في حياتك؟
الآيتان تضعانك أمام سؤال: من هو "فلان" الذي قد تتمنى لو لم تتخذه خليلًا؟
هل هناك من يبعدك عن ذكر الله؟ هل هناك من يشجعك على المعصية؟ هل هناك من يستهين بدينك ؟
إذا كان هناك، فاقطع العلاقة اليوم. لا تنتظر حتى تقول: يا ليتني لم أتخذ فلانًا خليلًا.
وإن لم يكن، فاشكر الله. واحرص على أن تكون أنت صديقًا صالحًا للآخرين، لا أن تكون "فلانًا" الذي يتمنى أحدهم لو لم يعرفه.
سابعا
تفسير الآية الثلاثين من سورة الفرقان
قال تعالى: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾.
مقدمة: شكوى الرسول التي تهز الضمير
هل تخيلت يومًا أن تقف في المحكمة الكبرى، وتسمع النبي ﷺ نفسه يشكو؟ ليس من أعدائه، ليس من المشركين الذين كذبوه وآذوه، بل يشكو من قومه الذين آمنوا به ثم هجروا كتاب ربه!
هذه الآية ليست مجرد خبر عن يوم القيامة .إنها صورة تهز كيان كل مسلم .إنها شكوى الرسول ﷺ إلى ربه من أمته التي اتخذت القرآن مهجورًا .مهجورًا يعني: متروكًا، مهملًا، لا يُقرأ، ولا يُتدبر، ولا يُعمل به.
هذه الآية تخاطبك أنت شخصيًا .إنها تهمس في أذنك: انظر إلى علاقتك بالقرآن .هل أنت من الذين يتخذونه مهجورًا؟ هل تقرأه ثم لا تعمل به؟ هل تتدبره ثم لا تتبع ما فيه؟ هل تسمعه ثم لا تخشع له؟
الرسول ﷺ سيشكو منك يوم القيامة إن كنت من المهجرين للقرآن .نعم، سيشكو منك .هذه الحقيقة وحدها كافية لتغير حياتك .تخيل أن النبي ﷺ الذي نرجو شفاعته، يقف يوم القيامة ويشكو منك . تخيل أنك كنت سببًا في شكواه.
تعالَ نتأمل هذه الآية، وكأنها تنزل الآن .وكأننا نسمع صوت رسول الله ﷺ وهو ينادي ربه: يا رب! إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورًا .وكأننا نرى دموعه على أمته التي هجرت كتاب ربها.
أولًا: السياق – العلاقة بالآية التي قبلها
الربط بالآية التاسعة والعشرين
الآية التاسعة والعشرون قالت: ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا﴾.
جاءت هذه الآية مباشرة لتكشف عن أعظم مظاهر الخذلان: ليس فقط خذلان الشيطان للإنسان، بل خذلان الإنسان للقرآن .فبعد أن تبرأ الشيطان من أتباعه، وبعد أن ندم الظالم على خلائه، يأتي المشهد الأعظم: رسول الله يشكو إلى ربه أن قومه هجروا القرآن .إنها تتويج لمشهد الندم: خذلان الشيطان، وخذلان الخليل، وخذلان الإنسان لكتاب ربه.
ثانيا: أهمية هذه الآية
هذه الآية ذات أهمية استثنائية لعدة أسباب:
الأول: أنها تحكي شكوى النبي ﷺ نفسه .ليست شكوى عادية، بل شكوى من أمته التي آمنت به.
الثاني: أن موضوع الشكوى هو هجر القرآن .فالهجر ليس فقط ترك التلاوة، بل هجر التدبر، وهجر العمل، وهجر التحاكم، وهجر التلاوة.
الثالث: أن هذه الشكوى ستكون يوم القيامة .فالمسلمون سيواجهون هذه الشكوى أمام الله.
الرابع: أنها تضعنا أمام مسؤولية عظيمة: أن نكون من الذين يرفعون القرآن، لا من الذين يتخذونه مهجورًا.
الخامس: أنها تجمع كل أنواع الهجر: هجر الإيمان به، وهجر التلاوة، وهجر التدبر، وهجر العمل، وهجر التحاكم إليه.
ثالثا: تحليل الآية – قراءة في عمق الشكوى النبوية
الجملة الأولى: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ﴾
اللمسة البلاغية: تقديم القول على الفاعل
"وقال الرسول" قدم الفعل على الفاعل للاهتمام بالقول .إنه قول عظيم، صادر عن أعظم الخلق .لا يمكن أن نمر عليه مرور الكرام.
"الرَّسُولُ" – تعريف بالألوهية
جاء "الرسول" معرفًا بأل، للدلالة على أنه الرسول المعروف، محمد ﷺ .إنه صاحب الرسالة، خاتم الأ نبياء، الذي نرجو شفاعته.
الدلالة النفسية
هذه الكلمات تضعنا في موقف المهيب .الرسول نفسه يتحدث .ليس ملكًا، ولا نبيًا من الأنبياء السابقين

، بل رسولنا محمد ﷺ .حديثه إلينا من وراء الزمان.
2
الجملة الثانية: ﴿يَا رَبِّ﴾
اللمسة البلاغية: نداء الربوبية
"يا رب" نداء يدل على التضرع والابتهال .إنه ليس نداء أمر، بل نداء شكوى وتوسل .الرسول ﷺ ينادي ربه بأحب الأسماء إليه: يا رب.
"رَبِّ" – إضافة إلى المتكلم
إضافة "رب" إلى المتكلم) الياء (تدل على خصوصية العلاقة .إنه ربي أنا، أنت الذي ربيتني، وأنعمت عليّ.

الدلالة النفسية
هذا النداء يملأ القلب خشوعًا .النبي ﷺ الذي هو أعظم الخلق، يتضرع إلى ربه .وهو يشكو من أمته . كيف سيكون حالنا نحن؟
3
الجملة الثالثة: ﴿إِنَّ قَوْمِي﴾
اللمسة البلاغية: "إنّ" للتوكيد
"إن" للتوكيد، تؤكد ما سيقوله .قوله قاطع لا شك فيه.
"قَوْمِي" – إضافة إلى الرسول
"قومي" إضافة إلى النبي ﷺ .وهم أمته من المؤمنين .فالشكوى ليست من الكفار الذين كذبوه، بل من المؤمنين الذين آمنوا به ثم هجروا القرآن.
الدلالة النفسية
هذه الإضافة تحمل ألمًا عظيمًا .إنه يقول "قومي" .أي الذين كانوا معي، الذين آمنوا بي، الذين كنت أرجو لهم الخير .هم الذين هجروا القرآن.
/4
الجملة الرابعة: ﴿اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾
اللمسة البلاغية: "اتّخَذُوا" – الاختيار
"اتخذوا" من الاتخاذ، وهو الاختيار .أي: اختاروا أن يجعلوا القرآن مهجورًا .لم يكن ذلك فرضًا عليهم، بل هو اختيارهم.

"هَذَا الْقُرْآنَ" – الإشارة للتقريب
"هذا" إشارة إلى القرآن، للتقريب والتشريف .كأنه يقول: هذا القرآن الذي أنزلته إليّ، هذا الكتاب العظيم.

"مَهْجُورًا" – ما معنى الهجر؟
الهجر لغة: الترك .لكنه في القرآن له معان متعددة:
.1هجر التلاوة: أن لا تقرأ القرآن.
.2هجر التدبر: أن تقرأه ولا تتفكر فيه.
.3هجر العمل: أن تعرف ما فيه ولا تعمل به.
.4هجر التحاكم: أن لا تحتكم إليه في حياتك.
.5هجر الاستشفاء: أن لا تطلب الشفاء منه لقلبك.
.6هجر الإيمان: أن لا تؤمن به أساسًا.
اللمسة البيانية: تقديم "القرآن" على "مهجورًا"
قدم "القرآن" على "مهجورًا" للاهتمام به .فالقرآن هو الشيء المهجور، وهو أعظم ما هجروه.
اللمسة التجويدية: الوقف على "مَهْجُورًا"
الوقف على "مهجورًا" يعطي إحساسًا بالانتهاء، وكأن الشكوى قد اكتملت .هذه الكلمة الأخيرة تبقى معلقة في الهواء: مهجورًا .مهجورًا .مهجورًا.
الدلالة النفسية
هذه الجملة هي أعظم صفعة للمسلمين .تخيل أن الرسول ﷺ يشكو منا! تخيل أن سبب شكواه هو أننا هجرنا القرآن! إنها كلمات تهز الضمير، وتوقظ القلب الغافل.
رابعا
الموضوع الأول1: المفاهيم المركزية في الآية
المفهوم الأول1: شكوى الرسول من أمته
الرسول ﷺ الذي كان رؤوفًا رحيمًا بالمؤمنين، سيشكو منهم يوم القيامة .ليس لأنهم آذوه، بل لأنهم هجروا كتاب الله .هذه حقيقة مؤلمة.
المفهوم الثاني2: الهجر أنواع متعددة

الهجر ليس مجرد عدم القراءة .إنه يشمل: هجر التلاوة، وهجر التدبر، وهجر العمل، وهجر التحاكم، وهجر الاستشفاء.
المفهوم الثالث3: الاختيار والمسؤولية
"اتخذوا" تدل على أن الهجر كان اختيارًا .ليس هناك من أجبرهم على هجر القرآن .هم اختاروا أن يهجروه .واليوم، نحن أيضًا نختار: أن نقرأه أم نهجره؟
المفهوم الرابع4: القرآن هو شعار الأمة
هجر القرآن يعني ضياع الأمة .فالقرآن هو دستورها، وهو منهاجها، وهو نورها .فإذا هجرته، تاهت.
الموضوع الثاني2: أنواع الهجر التي تشملها الآية
.1هجر الإيمان
أن لا تؤمن بأن القرآن من عند الله .وهذا كفر صريح.
.2هجر التلاوة
أن لا تقرأ القرآن .وهذا أعظم أنواع الهجر في زماننا .فكثير من المسلمين لا يقرأون القرآن.
.3هجر التدبر
أن تقرأ القرآن ولا تتفكر في معانيه .تلاوة بلا تدبر، كجسد بلا روح.
.4هجر العمل
أن تعرف ما في القرآن، ولا تعمل به .وهذا من أعظم أنواع الهجر.
.5هجر التحاكم
أن لا تحتكم إلى القرآن في حياتك، وأن تبحث عن قوانين غيره.
.6هجر الاستشفاء
أن لا تطلب الشفاء لقلبك من القرآن، مع أنه شفاء لما في الصدور.
.7هجر سماعه
أن لا تستمع إلى القرآن، أو تستمع ولا تخشع له.
الموضوع الثالث3: القيم المستنبطة من الآية
.1قيمة تعظيم القرآن: هو كتاب الله، لا يجوز هجره.
.2قيمة تدبر القرآن: لا يكفي قراءة الحروف، بل لا بد من فهم المعاني.
.3قيمة العمل بالقرآن: هو منهاج حياة، لا مجرد كتاب يقرأ.
.4قيمة التحاكم إلى القرآن: هو المرجع الأعلى في حياتنا.
.5قيمة الاستشفاء به: هو دواء القلوب.
.6قيمة التذكير به: أن نذكر أنفسنا وغيرنا بالقرآن.
.7قيمة خشية شكوى الرسول: أن نخاف أن يشكينا يوم القيامة.
الموضوع الرابع4: الدروس والتوجيهات
الدرس الأول1: اجعل للقرآن نصيبًا من يومك
لا تكن ممن يتخذون القرآن مهجورًا .اجعل له وردًا يوميًا، ولو آية واحدة تتدبرها .فالقلب الذي لا يدخله القرآن، يدخله غيره.
الدرس الثاني2: لا تقرأ القرآن فقط، بل تدبره
تلاوة القرآن بلا تدبر هي نوع من الهجر .فإذا قرأت، فاقرأ بتدبر .اسأل نفسك: ما الذي يريد الله أن يقوله لي في هذه الآية؟
الدرس الثالث3: احكم بالقرآن في حياتك
التحاكم إلى القرآن ليس فقط في القضاء، بل في كل شؤون حياتك .عندما تختار، اسأل: هل هذا يوافق القرآن؟ عندما تتصرف، اسأل: هل هذا من هدي القرآن؟
الدرس الرابع4: استشفِ بالقرآن
إذا شعرت بضيق في صدرك، أو حزن في قلبك، أو قسوة في مشاعرك، فاستشفِ بالقرآن .فهو شفاء لما في الصدور.
الدرس الخامس5: خشَ شكوى الرسول
تخيل أن الرسول ﷺ يشكو منك .تخيله يقول: يا رب، إن فلانًا اتخذ القرآن مهجورًا .هذه الصورة وحدها كافية لتغير حياتك.
الموضوع الخامس5: التطبيقات العملية في حياتنا
تطبيق1 : اجعل وردًا قرآنيًا يوميًا
لا تترك يومًا يمر دون أن تقرأ القرآن .ولو صفحة واحدة .اجعل لنفسك وردًا ثابتًا، ولو بعد الفجر أو قبل النوم.
تطبيق2 : تدبر ما تقرأ
لا تكن كمن يقرأ ولا يدري ما يقول .خذ وقتك في التدبر .استعن بكتب التفسير .اسأل أهل العلم . اجعل القراءة تدبرًا لا مجرد تلاوة.
تطبيق3 : احكم بالقرآن
في قراراتك اليومية، اجعل القرآن هو مرجعك .اسأل: ماذا يقول القرآن في هذا الأمر؟ إذا كانت الإ

إجابة لا تعرفها، فاسأل وتعلم.
تطبيق4 : استمع إلى القرآن بخشوع
لا تكن ممن يستمعون القرآن ولا يتأثرون .اجعل سماع القرآن عبادة .أغمض عينيك، واستمع بخشوع، ودع الآيات تلامس قلبك.
تطبيق5 : علم أولادك القرآن
لا تجعل القرآن مهجورًا في بيتك .علم أولادك تلاوته، وفهمه، وحفظه .اجعل القرآن أنيسهم في الصغر، ورفيقهم في الكبر.
الموضوع السادس6: الرسائل النفسية للآية
رسالة إلى قلبك: استيقظ
الآية تهمس في قلبك: استيقظ! الرسول ﷺ يشكو من هجر القرآن .وقلبك غافل عنه .ألم يحن الوقت لتقرأه وتتدبره؟

رسالة إلى عقلك: فكر
الآية تهمس في عقلك: فكر .كم من الوقت تقضيه في الدنيا، وكم من الوقت تقضيه مع القرآن؟ هل هذا هو الهجر أم الإقبال؟
رسالة إلى إرادتك: اختر
الآية تهمس في إرادتك: اختر .اليوم تختار: أن تقرأ القرآن أم تهجره؟ أن تتدبره أم تتركه؟ أن تعمل به أم تتخذه مهجورًا؟
الموضوع السابع7: أهمية هذه الآية في حياتنا المعاصرة
.1في زمن الغفلة
نحن نعيش في زمن كثرت فيه المشغلات، وتعددت فيه وسائل اللهو، وقل فيه الإقبال على القرآن . هذه الآية تذكرنا بأن الرسول ﷺ سيشكو منا إن هجرنا القرآن.
.2في زمن التحديات
نواجه تحديات كبرى في ديننا ودنيانا .والقرآن هو الحل .لكننا لا نقرأه، ولا نتدبره، ولا نعمل به .هذه الآيتذكرنا أننا نحن من هجرنا الحل.
.3في زمن الانشغال
نحن مشغولون بالدنيا، بالعمل، بالدراسة، بالترفيه .والقرآن في آخر القائمة .هذه الآية تذكرنا أن هذا هو الهجر بعينه.
.4في زمن التلاوة بلا تدبر
كثير منا يقرأ القرآن، لكنه يقرأ بلا تدبر، بلا خشوع، بلا تفكر .هذه الآية تذكرنا أن هذا أيضًا نوع من الهجر.
الموضوع الثامن8: الأبعاد المختلفة للآية
.1البعد العقدي
الآية تثبت أن القرآن هو كلام الله، وأنه مهجور من أمته .وتثبت أن الرسول ﷺ سيشكو منهم يوم القيامة.
.2البعد التربوي
تربي الآية في النفس حب القرآن، وتعظيم قدره، والخوف من هجره .تربي المسؤولية تجاه كتاب الله.
.3البعد النفسي
تخلق الآية خوفًا محفزًا: الخوف من شكوى الرسول .هذا الخوف يدفع إلى الإقبال على القرآن.
.4البعد الاجتماعي
تذكر الآية الأمة بأن وحدتها ونهضتها وقوتها في القرآن .فإذا هجرته، تفرقت وضعفت.
.5البعد الحضاري
القرآن هو أساس الحضارة الإسلامية .فإذا هُجر، انهارت الحضارة .وإذا أقبل عليه، قامت.
الموضوع التاسع9:دور مفاهيم الآية في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة
.1في بناء الإنسان المتزن
نفسيًا
تمنح الآية الإنسان الاستقرار النفسي من خلال:
· ارتباطه بالقرآن، فيجد فيه الشفاء والسكينة.
· شعوره بالمسؤولية تجاه كتاب ربه.
· خوفه من شكوى الرسول، فيحرص على التلاوة والتدبر.
فكريًا
تزرع الآية في العقل:
· أهمية القرآن: أنه أساس الدين.
· خطورة هجره: أنه سبب شكوى الرسول.
· قيمة التدبر: أن القراءة بلا تدبر هي هجر.

سلوكيًا
تعلم الإنسان:
· تلاوة القرآن يوميًا: فلا يتركه.
· تدبره: فلا يقرأ بلا فهم.
· العمل به: فلا يعرف ولا يعمل.
.2في بناء المجتمع المسلم
المجتمع الذي يتدبر هذه الآية هو مجتمع:
· يعظم القرآن: فيقرؤه ويتدبره ويعمل به.
· يحكم بالقرآن: فيجعله دستوره.
· يستشفي به: فيجد فيه دواء القلوب.
· لا يهجره: فلا يكون سببًا في شكوى الرسول.
.3في بناء الحضارة الإسلامية
الحضارة الإسلامية قامت على القرآن .القرآن هو الذي صنع هذه الحضارة، وأخرجها إلى النور .فإذا هُجر القرآن، انهارت الحضارة .وإذا أُقبل عليه، قامت.
هذه الآية تحمي الحضارة من:
· الانحراف: فالقرآن يقوّمها.
· الضعف: فالقرآن يقويها.
· الضياع: فالقرآن يهديها.
.4في البناء والتنمية
في مجال التنمية، هذه الآية تعطيك:
· المرجعية الصحيحة: القرآن هو المرجع الأعلى.
· الرؤية الواضحة: القرآن يبين الطريق.
· القوة الحقيقية: القرآن هو القوة.
الخاتمة: كيف تعيش هذه الآية؟
· كل صباح، افتح المصحف .لا تدع يومًا يمر دون أن تقرأ القرآن.
· كل آية تقرأها، تدبرها .اسأل: ماذا يريد الله أن يقول لي؟
· كل قرار تتخذه، اسأل: هل هذا يوافق القرآن؟
· كل ضيق تشعر به، استشفِ بالقرآن .فهو شفاء لما في الصدور.
· كل ليلة، راجع يومك: هل أعطيت القرآن حقه اليوم؟ أم هجرته؟
هذه الآية هي نداء من الرسول ﷺ إليك اليوم، قبل أن يكون شكوى عليك غدًا .إنها تهمس في أذنك: لا تكن ممن يتخذون القرآن مهجورًا .اقرأه، وتدبره، واعمل به، وتحاكم إليه، واستشفِ به .لعلك تكون من الذين يرفعون القرآن، لا من الذين يهجرونه.
وقفة أخيرة: هل تتخذ القرآن مهجورًا؟
الآية تضعك أمام سؤال: هل أنت ممن يتخذون القرآن مهجورًا؟
فكر:
· كم مرة تقرأ القرآن في اليوم؟
· هل تتدبر ما تقرأ؟
· هل تعمل بما فيه؟
· هل تحتكم إليه في حياتك؟
· هل تستشفي به لقلبك؟
إذا كانت الإجابة لا، فأنت من المهجرين للقرآن .والرسول ﷺ سيشكو منك يوم القيامة.
ولكن، لا زال الوقت متاحًا .لا زال باب التوبة مفتوحًا .ابدأ اليوم .اقرأ آية واحدة، وتدبرها .ثم آية أخرى، وآية أخرى .اجعل القرآن أنيسك في وحدتك، ورفيقك في حياتك، ونورك في قبرك، وشفيعك في أخرتك.
اللّهم إنا نشكو إليك قسوة قلوبنا، وغفلتنا عن كتابك .اللّهم اجعل القرآن ربيع قلوبنا، ونور صدورنا، وجلاء أحزاننا، وذهاب همومنا .اللّهم لا تجعلنا ممن يتخذون القرآن مهجورًا .اللّهم اجعلنا من أهله الذين هم أهلك وخاصتك .اللّهم إنا نسألك حب القرآن، وتدبره، والعمل به .اللّهم اشفع فينا نبيك محمدًا ﷺ، ولا تشكنا إليه.
ثامنا
تفسير الآية الحادية والثلاثين من سورة الفرقان
قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾.
مقدمة: حين تكتشف أن العدو ليس غضبًا عليك، بل سنة معك
هل شعرت يومًا أنك عندما تقترب من الله، يبتعد عنك ناس؟ عندما تمسك بالقرآن، يهجره آخرون؟ عندما تدعو إلى الحق، يظهر من يعاديك؟ هل شعرت بالوحشة، وتساءلت: لماذا أنا؟ لماذا كل هذا العداء؟

هذه الآية تنزل عليك كبلسم يمسح جراحك، وكإجابة تريح قلبك. إنها تقول لك: ليس أنت وحدك. ليس هذا غضبًا عليك، بل هذا سنة الله في كل نبي. كل نبي أرسله الله، جعل له أعداء من المجرمين. فأنت تتبع خطى الأنبياء، وهذا هو ثمن الطريق.
ثم تأتي الخاتمة التي تملأ قلبك طمأنينة: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾. أي: لا تحزن. لا تخف. ربك كافٍ لك. هو يهديك إلى الطريق، وهو ينصرك على من عاداك.
هذه الآية تخاطبك أنت شخصيًا. إنها تهمس في أذنك: انظر إلى الأنبياء قبلك. كلهم واجهوا أعداء. فاصبر كما صبروا. وثق أن ربك كافيك. نعم، هو وحده كافٍ. لا تحتاج إلى أحد سواه.
تعالَ نتأمل هذه الآية، وكأنها تنزل الآن. وكأن الله يقول لك: يا من تشعر بالوحشة من عداء الناس، يا من تتعب من كثرة المعارضين، اسمع: هذه سنتي في أنبيائي. وربك كافيك.
أولًا: السياق – العلاقة بالآية التي قبلها
الربط بالآية الثلاثين
الآية الثلاثون قالت: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾.
جاءت هذه الآية مباشرة لتكون تثبيتًا للنبي ﷺ بعد تلك الشكوى. فالنبي ﷺ يشكو هجران قومه للقرآن، فيأتيه الجواب: لا تحزن. هذه سنتي. كل نبي قبلك كان له أعداء من المجرمين. فأنت لست بدعًا من الرسل. ثم يأتي التعزية: وكفى بربك هاديًا ونصيرًا.
إنها راحة للقلب بعد شكوى الألم. وكأن الله يقول لنبيه: أنا معك. أنا كافيك. فلا تلتفت إلى أعدائك.
ثانيًا: تحليل الآية – قراءة في عمق التثبيت الإلهي
الجملة الأولى: ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾
اللمسة البلاغية: الكاف للتشبيه
"كذلك" أي: مثل ذلك الذي جعلناه لك من الأعداء. الكاف للتشبيه، والاسم للإشارة. أي: كما جعلنا لك أعداء، كذلك جعلنا لكل نبي قبلك أعداء.

"كَذَٰلِكَ" – الإشارة إلى سنة ثابتة
هذه الكلمة تحمل في طياتها أن ما يحدث لك ليس صدفة، ولا ناتجًا عن نقص فيك، بل هو سنة إلهية ثابتة. كل نبي مر بهذا.

الدلالة النفسية
هذه الكلمة تريح قلبك. إنها تقول: أنت لست وحدك. هذا الطريق سلكه الأنبياء قبلك. فما يحدث لك هو جزء من الطريق، لا عيب فيك.
2
الجملة الثانية: ﴿جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ﴾

اللمسة البلاغية: "جَعَلْنَا" – الإسناد إلى الله

"جعلنا" إسناد الفعل إلى الله. أي: هذا من تقدير الله، من سننه في خلقه. ليس الأمر أن الأعداء يظهرون بالصدفة، بل الله جعل ذلك سنة.

"لِكُلِّ نَبِيٍّ" – العموم والشمول
"لكل نبي" أي: ما من نبي إلا وله أعداء. ليس هناك نبي واحد عاش في راحة من أعدائه. هذه سنة مطردة.

"عَدُوًّا" – نكرة للعموم
جاء "عدوًا" نكرة للعموم. أي: لكل نبي أعداء، وليس عدوًا واحدًا فقط.

"مِنَ الْمُجْرِمِينَ" – صفة الأعداء
"من المجرمين" أي: من الكافرين المصرين على جرمهم. ليس كل المخالفين أعداء، بل الذين أصرّوا على الكفر والعدوان.

اللمسة البيانية: تقديم الجار والمجرور "لكل نبي" على المفعول
قدم "لكل نبي" على "عدوًا" للاهتمام بهذه الحقيقة. فالأهم أن لكل نبي أعداء، ثم وصفهم بأنهم من المجرمين.

الدلالة النفسية
هذه الجملة تحمل تثبيتًا عظيمًا. أنت لست وحدك. كل الأنبياء عانوا مما تعاني. إبراهيم واجه نمرود

، موسى واجه فرعون، عيسى واجه اليهود، ونبينا محمد ﷺ واجه قريشًا. فاصبر كما صبروا.
/3
الجملة الثالثة: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾
اللمسة البلاغية: "كفى" – فعل الاكتفاء
"كفى" فعل يدل على الاكتفاء. أي: ربك كافٍ لك. لا تحتاج إلى غيره.
"بِرَبِّكَ" – الباء للسببية أو التوكيد
الباء في "بربك" للتوكيد، أو للسببية. أي: حسبك ربك، أو: كفى بربك أن يكون هاديًا ونصيرًا.

"رَبِّكَ" – إضافة إلى الكاف
"ربك" إضافة إلى الخطاب للنبي ﷺ. وهي تحمل معنى التربية والرعاية. إنه الذي رعاك منذ البداية، وسيرعاك حتى النهاية.

"هَادِيًا وَنَصِيرًا" – صفتان عظيمتان
· هاديًا: يهديك إلى الطريق، ويهدي من تريد هدايته، ويهديك في مواجهة أعدائك.
· نصيرًا: ينصرك على أعدائك، ويعينك على ما تلقى من أذى.

اللمسة البيانية: تقديم "هاديًا" على "نصيرًا"
قدم الهداية على النصرة. لأن الهداية هي الأساس. إذا هداك الله، كنت على صواب، وكان النصر حليفك. فالنصر يأتي بعد الهداية.

اللمسة التجويدية: الوقف على "نَصِيرًا"
الوقف على "نصيرًا" يعطي إحساسًا بالانتهاء، وكأن الحكم قد صدر: ربك كافيك، وهو الهادي و النصير.

الدلالة النفسية
هذه الجملة تملأ القلب طمأنينة كاملة. ربك كافٍ. لا تحتاج إلى كثرة الأنصار، ولا إلى قوة المال. هو وحده كافٍ. هو يهديك إلى الطريق، وهو ينصرك على من عاداك. فلماذا الخوف؟ لماذا القلق؟
ثالثا
الموضوع الأول1 المفاهيم المركزية في الآية
المفهوم الأول1: سنة الأعداء في حياة الأنبياء
الآية تثبت سنة إلهية ثابتة: كل نبي له أعداء من المجرمين. هذه سنة لا تتغير. فمن سلك طريق ا لأنبياء، فليتوقع أن يواجه أعداء.
المفهوم الثاني2: كفاية الله للأنبياء
الله لا يترك أنبياءه وحيدين. هو كافٍ لهم. لا يحتاجون إلى أحد سواه. هو يهديهم، وهو ينصرهم.
المفهوم الثالث3: الهداية قبل النصرة
النصر يأتي بعد الهداية. فإذا كنت على هدى من الله، فالنصر آتٍ لا محالة.
المفهوم الرابع4: المجرمون هم الأعداء الحقيقيون
الأعداء ليسوا كل المخالفين، بل هم المجرمون الذين أصرّوا على كفرهم وعدوانهم.
الموضوع الثاني2: القيم المستنبطة من الآية
1. قيمة الثبات على الحق: الأعداء لا يمنعون الأنبياء عن طريقهم.
2. قيمة الصبر: الصبر على أذى الأعداء هو سنة الأنبياء.
3. قيمة التوكل على الله: ربك كافيك، فلا تخف.
4. قيمة الهداية: هي الأساس الذي يبنى عليه النصر.
5. قيمة النصر الإلهي: هو النصر الحقيقي.
6. قيمة الاقتداء بالأنبياء: سيرتهم هي قدوتنا.
7. قيمة عدم اليأس من كثرة الأعداء: الكثرة لا تضر مع الله.
الموضوع الثالث3: الدروس والتوجيهات
الدرس الأول1: لا تستغرب كثرة الأعداء
إذا كنت على طريق الحق، وتجد أناسًا يعادونك، فلا تستغرب. هذه سنة الله في أنبيائه. أنت تسير على طريقهم، فامشِ في آثارهم.
الدرس الثاني2: لا تخف من المجرمين
المجرمون مهما كثروا، ومهما عظموا، فهم تحت قدرة الله. ربك كافيك. لا تخف منهم، ولا ترهبهم.
الدرس الثالث3: اطلب الهداية قبل النصرة
لا تطلب النصر قبل أن تطلب الهداية. كن على هدى من الله، واثبت على الحق، فالنصر آتٍ.
الدرس الرابع4: ثق بكفاية الله

لا تحتاج إلى كثرة الأنصار. ربك وحده كافٍ. ثق به، وتوكل عليه.
الدرس الخامس5: لا تيأس من كثرة الأعداء
قد ترى كثرة الأعداء فتشعر بالوحشة. تذكر أن الله معك. فهو كافٍ. كثرة الأعداء لا تعني شيئًا مع نصر الله.
الموضوع الرابع4: التطبيقات العملية في حياتنا
تطبيق 1: في مواجهة المعارضين
إذا واجهت معارضة في دعوتك إلى الله، فتذكر هذه الآية. تذكر أن كل نبي واجه أعداء. فلا تيأس ، ولا تتراجع.
تطبيق 2: في تثبيت النفس
إذا شعرت بالوحشة من كثرة المخالفين، فكرر في نفسك: "كفى بربي هاديًا ونصيرًا". هذه الكلمات ستثبت قلبك.
تطبيق 3: في تربية الأبناء
علم أبناءك أن طريق الحق ليس مفروشًا بالورود. علمهم أن الأنبياء واجهوا أعداء، فصبروا. علمهم أن يثقوا بالله، فهو كافيهم.
تطبيق 4: في الدعوة إلى الله
لا تنتظر أن يصفق لك الناس. بل توقع أن يعاديك البعض. لكن ثق أن الله معك، وأن كفايته تكفيك.
الموضوع الخامس5: الرسائل النفسية للآية
رسالة إلى قلبك: اطمئن
الآية تهمس في قلبك: اطمئن. كل نبي واجه أعداء. فأنت لست وحدك. وربك كافيك. فلا تخف، ولا تحزن.

رسالة إلى عقلك: تفكر في سنة الله
الآية تهمس في عقلك: تفكر في سنة الله. لماذا جعل لكل نبي أعداء؟ ليظهر الصابرون من غيرهم. فتفكر، وتعلم.

رسالة إلى إرادتك: اثبت
الآية تهمس في إرادتك: اثبت. الطريق صعب، لكنه طريق الأنبياء. اصبر كما صبروا، واثبت كما ثبتوا. إرادتك هي التي ستوصلك.
الموضوع السادس6: الأبعاد المختلفة للآية
1. البعد العقدي
الآية تثبت سنة الله في أنبيائه. وتثبت أن الله كافٍ لهم. وتثبت أن الهداية والنصر من عنده.
2. البعد النفسي
تمنح الآية الطمأنينة النفسية. تخفف عن النفس شعور الوحشة. تعطيها القوة على مواجهة الأعداء.
3. البعد التربوي
تربي الآية في النفس الصبر، والثبات، والتوكل. تربي الاقتداء بالأنبياء.
4. البعد الاجتماعي
تذكر الآية المجتمع بأن دعاة الحق سيواجهون أعداء. فلا ينبغي أن يستغربوا، ولا أن يخذلوهم.
5. البعد الحضاري
الحضارة الإسلامية قامت على ثبات الدعاة في وجه الأعداء. هذه الآية تذكرهم بأن هذا هو طريق الأنبياء.
الموضوع السابع7: الآفاق التي تحملها الآية
1. الأفق التاريخي
تفتح الآية أمامك أفقًا تاريخيًا واسعًا: تاريخ الأنبياء، وصراعهم مع أعدائهم. هذا الأفق يعطيك العبرة والعظة.
2. الأفق النفسي
تمنحك أفقًا نفسيًا من الطمأنينة والثبات. تعلمك ألا تخاف من الأعداء، وأن تثق بالله.
3. الأفق الإيماني
ترفع إيمانك إلى مستوى أعلى: الإيمان بأن الله كافٍ. لا تحتاج إلى غيره.
4. الأفق الدعوي
تفتح أمامك أفقًا دعويًا: أن تستمر في الدعوة مهما كثر الأعداء، وأن تثق بنصر الله.
الموضوع الثامن8: دور مفاهيم الآية في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة
1. في بناء الإنسان المتزن
نفسيًا
تمنح الآية الإنسان الاستقرار النفسي من خلال:

· معرفته أن ما يواجهه من أعداء هو سنة الله.
· ثقته بأن الله كافيه.
· اطمئنانه بأن الهداية والنصر من عند الله.
فكريًا
تزرع الآية في العقل:
· فهم سنن الله: في حياة الأنبياء والدعاة.
· إدراك أن كثرة الأعداء ليست دليلًا على الباطل.
· أهمية التوكل على الله بدل التعلق بالأسباب.
سلوكيًا
تعلم الإنسان:
· الثبات: على الحق مهما كثر الأعداء.
· التوكل: على الله وحده.
· الصبر: على أذى الأعداء.
2. في بناء المجتمع المسلم
المجتمع الذي يتدبر هذه الآية هو مجتمع:
· لا يخذل دعاة الحق إذا واجهوا أعداء.
· يثبت على الحق مهما كثر المخالفون.
· يتوكل على الله لا على كثرة الأنصار.
· يعلم أن النصر من عند الله لا من كثرة العدد.
3. في بناء الحضارة الإسلامية
الحضارة الإسلامية قامت على ثبات الدعاة في وجه الأعداء. الأنبياء صبروا، والدعاة من بعدهم صبروا، فكانت الحضارة.
هذه الآية تحمي الحضارة من:
· الانهزامية: فلا تستسلم لكثرة الأعداء.
· اليأس: فلا تيأس من نصر الله.
· الاعتماد على غير الله: فتتوكل على الله وحده.
4. في البناء والتنمية
في مجال التنمية، هذه الآية تعطيك:
· الثبات: التنمية تحتاج إلى ثبات في وجه الصعوبات.
· التوكل: تعمل بالأسباب وتتوكل على الله.
· عدم الالتفات للمعارضين: لا تشغلك كثرة المعارضين عن هدفك.
الخاتمة: كيف تعيش هذه الآية؟
· كلما شعرت بالوحشة من كثرة المخالفين، تذكر: هذه سنة الله في أنبيائه.
· كلما شعرت بالخوف من الأعداء، تذكر: ربك كافيك.
· كلما شعرت بالضياع، تذكر: ربك هاديك.
· كلما شعرت بالضعف، تذكر: ربك ناصرك.
· كلما دعوت إلى الله، توقع الأعداء، ولا تخف.
هذه الآية هي سندك النفسي في طريق الدعوة. إنها تذكرك أنك تسير في طريق الأنبياء، وأن الله كافيك. فامضِ في طريقك، ولا تلتفت إلى الأعداء. ربك معك، وهو حسبك.
وقفة أخيرة: هل تشعر بالوحشة من كثرة المخالفين؟
الآية تضعك أمام سؤال: هل تشعر بالوحشة من كثرة من يعادونك أو يخالفونك؟
تذكر: كل نبي واجه أعداء. إبراهيم واجه قومه، موسى واجه فرعون، عيسى واجه اليهود، ونبينا محمد ﷺ واجه قريشًا. فأنت لست وحدك.
وثق: ربك كافيك. لا تحتاج إلى كثرة الأنصار. هو وحده كافٍ.
فامضِ في طريقك، ولا تخف.
القسم الثالث
اولا
تفسير الآية الثانية والثلاثين من سورة الفرقان
قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾.
مقدمة: حين يستعجلون نزول الكتاب كله دفعة واحدة!
هل تساءلت يومًا لماذا نزل القرآن مفرقًا على ثلاث وعشرين سنة؟ لماذا لم ينزل جملة واحدة كما نزلت الكتب السابقة؟ هذا ما تعجبه المشركون، فقالوا: لو نزل هذا القرآن دفعة واحدة، لكان أبلغ في ا لإعجاز! لكنهم لم يفهموا حكمة الله.
هذه الآية تنزل لتكشف عن الحكمة البالغة وراء نزول القرآن مفرقًا .إنها تخبرك أن الله لم ينزله مفرقًا

لأنه عاجز عن إنزاله جملة واحدة، بل فعل ذلك لحكمة عظيمة: ليثبت به فؤادك .أي: ليقوي قلبك يا محمد، وليثبتك على الحق.
ثم تخبرك الآية أن هذا التنزيل المفرق كان على أكمل وجه: ﴿وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ .أي: أنزلناه في أحسن ترتيب، وأجمل تدرج، وأكمل حكمة.
هذه الآية تخاطبك أنت أيضًا .كم مرة شعرت بالضيق لأنك لم تتغير فجأة؟ كم مرة أردت أن تكون مثاليًا بين ليلة وضحاها؟ هذه الآية تذكرك أن سنة الله في القرآن هي التدرج .وسنته في نفسك هي التدرج أيضًا .لا تطلب الكمال فجأة .كن مع الله خطوة خطوة.
تعالَ نتأمل هذه الآية، وكأنها تنزل الآن .وكأن الله يقول لك: أنا أعلم أنك تريد أن تتغير دفعة واحدة . لكني أنزلت القرآن مفرقًا لأعلمك أن الطريق إلى الله يحتاج إلى خطوات متدرجة.
اولا: السياق – العلاقة بالآية التي قبلها
الربط بالآية الحادية والثلاثين
الآية الحادية والثلاثون قالت: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾.
جاءت هذه الآية لتكمل الرد على المشركين .فبعد أن أثبت الله أن سنته في الأنبياء وجود الأعداء، وأنه كافٍ لهم هاديًا ونصيرًا، يأتي المشركون باعتراض جديد: لماذا نزل القرآن مفرقًا؟ والآن يرد الله عليهم، ويبين حكمة هذا التنزيل.
إنها حلقة في سلسلة الاعتراضات والردود .المشركون يعترضون على كل شيء، والله يرد بحكمته . وهنا يرد على اعتراضهم حول طريقة نزول القرآن.
ثانيا: تحليل الآية – قراءة في عمق الحكمة الإلهية
الجملة الأولى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾
اللمسة البلاغية: تكرار "قال الذين كفروا"
تكررت هذه العبارة في السورة عدة مرات .وهذا يدل على أن الكفار لا يملون من الاعتراضات .كلما رد الله على اعتراض، أتوا باعتراض جديد.

"الَّذِينَ كَفَرُوا" – وصف بالصفة
وصفهم بالكفر قبل ذكر قولهم، لبيان أن هذا القول صادر عن كفرهم .فالمؤمن لا يعترض على حكمة الله.

الدلالة النفسية
هذه الكلمة تذكرك أن الاعتراض على حكمة الله هو من صفات الكافرين .فالمؤمن يسلم لأمر الله، ولا يعترض على تدبيره.
/2
الجملة الثانية: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾
اللمسة البلاغية: "لَوْلَا" للتحضيض والاستفهام الإنكاري
"لولا" هنا للتحضيض والاستفهام الإنكاري .أي: هلا نزل عليه القرآن دفعة واحدة؟ ولماذا نزل مفرقًا؟

"نُزِّلَ" – التضعيف للدلالة على التكثير
"نزل" بتضعيف الزين، للدلالة على أن نزوله كان مفرقًا .لكن المشركين يستنكرون هذا التنزيل المفرق.

"جُمْلَةً وَاحِدَةً" – دفعة واحدة
"جملة واحدة" أي: مجتمعًا غير مفرق .كانوا يعتقدون أن إنزال الكتاب دفعة واحدة أبلغ في الإعجاز.

اللمسة البيانية: تقديم الظرف "عليه" على المفعول
قدم "عليه" على "القرآن" للاهتمام بأن هذا الاعتراض يتعلق بالنبي ﷺ .أي: لماذا لم ينزل عليه القرآن دفعة واحدة؟

الدلالة النفسية
هذه الجملة تحمل استعجالًا من المشركين .هم يستعجلون نزول القرآن كله، كما يستعجلون العذاب . لكن الله يعلم ما هو أصلح.
/3
الجملة الثالثة: ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾
اللمسة البلاغية: "كَذَٰلِكَ" – الإشارة إلى سنة التثبيت
"كذلك" أي: مثل هذا التنزيل المفرق أنزلناه .الكاف للتشبيه، والإشارة إلى الطريقة التي نزل بها القرآن.
"لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ" – الحكمة العظمى
اللام للتعليل .أي: أنزلناه مفرقًا لنثبت به فؤادك .الفؤاد هو القلب .والثبات هو القوة والطمأنينة .فكلما نزلت آية، تقوى بها قلب النبي ﷺ.

"بِهِ" – الباء للسببية
"به" أي: بالقرآن .فالقرآن هو سبب التثبيت.

"فُؤَادَكَ" – إضافة إلى النبي ﷺ
"فؤادك" إضافة إلى النبي ﷺ .والخطاب له، ولأمته من بعده .فكلما قرأ المؤمن القرآن، يثبت قلبه.

اللمسة البيانية: تقديم الغاية على الفعل
قدم "لنثبت" على "ورتلناه" للاهتمام بهذه الغاية العظيمة .فالتثبيت هو الهدف الأسمى من نزول القرآن مفرقًا.

الدلالة النفسية
هذه الجملة تحمل أعظم بشارة للمؤمن .القرآن نزل مفرقًا ليثبت قلبك .كلما قرأته، يقوى إيمانك .كلما تدبرته، تطمئن نفسك .إنه دواء القلوب.
/4
الجملة الرابعة: ﴿وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾
اللمسة البلاغية: "رَتَّلْنَاهُ" – الترتيل والتنسيق
"رتلناه" من الترتيل، وهو تحسين النظم والتنسيق .والترتيل في القراءة: التأني والتبيين .وفي الإنزال: التنظيم والإحكام.

"تَرْتِيلًا" – المصدر المؤكد
"ترتيلًا" مصدر منصوب للتوكيد .أي: رتلناه ترتيلًا حسنًا محكمًا.

اللمسة البيانية: العطف بـ"ورتلناه" على "نثبت"
عطف "ورتلناه" على "نثبت" .أي: فعلنا ذلك، ورتلناه ترتيلًا .فالتثبيت والترتيل معًا هما الحكمة.

اللمسة التجويدية: مد "تَرْتِيلًا"
كلمة "ترتيلًا" فيها مد طبيعي في الألف، مما يعطي إحساسًا بالامتداد والاستمرارية في الترتيل.

الدلالة النفسية
هذه الجملة تملأ القلب إعجابًا بتنزيل القرآن .إنه نزل بأحسن ترتيب، وأجمل تنظيم .كل آية في موضعها، كل سورة في ترتيبها .إنه إعجاز في التنزيل كما هو إعجاز في المضمون.
ثالثا
الموضوع الأول1: المفاهيم المركزية في الآية
المفهوم الأول1: الحكمة من نزول القرآن مفرقًا
الآية تعلن أن نزول القرآن مفرقًا كان لحكمة عظيمة: تثبيت قلب النبي ﷺ، وتثبيت قلوب المؤمنين . فكلما نزلت آية، ازدادوا إيمانًا.
المفهوم الثاني2: التدرج هو سنة الله
الله ينزل القرآن مفرقًا على ثلاث وعشرين سنة .وهذا يعلمنا أن التدرج هو سنة الله في التغيير .لا يحدث التغيير دفعة واحدة.
المفهوم الثالث3: القرآن مثبت للقلوب
القرآن ليس مجرد كتاب يُقرأ، بل هو مثبت للقلوب .يثبت الإيمان، ويقوي اليقين، ويملأ القلب طمأنينة.
المفهوم الرابع4: الترتيل والإحكام
القرآن نزل مرتلًا محكمًا .كل آية في مكانها، كل حكمة في موضعها .إنه إعجاز في النظم كما هو إعجاز في المضمون.
الموضوع الثاني2: أنواع التثبيت التي يحققها القرآن
.1تثبيت الإيمان
كل آية تنزل تزيد المؤمن إيمانًا .قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَانًا ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾.
.2تثبيت القلب عند الشدائد
عندما يواجه المؤمن الشدائد، يأتيه القرآن ليثبت قلبه .كما ثبت قلب النبي ﷺ عندما اشتدت عليه المعارضة.
.3تثبيت اليقين
القرآن يثبت اليقين في القلب، فيعلم المؤمن أن ما عند الله خير وأبقى.
.4تثبيت العزيمة

القرآن يثبت العزيمة على الاستمرار في الطريق، وعدم التردد.
.5تثبيت الصبر
القرآن يذكر المؤمن بقصص الأنبياء، فيصبر كما صبروا.
الموضوع الثالث3: القيم المستنبطة من الآية
.1قيمة التسليم لحكمة الله: لا تعترض على تدبير الله.
.2قيمة التدرج: في التغيير والتربية.
.3قيمة قراءة القرآن: فهي تثبت القلب.
.4قيمة التدبر: لا مجرد التلاوة.
.5قيمة الثبات: على الحق مهما اشتدت الصعاب.
.6قيمة الصبر: في طريق الدعوة.
.7قيمة الترتيل: في القراءة، فلا تستعجل.
الموضوع الرابع4: الدروس والتوجيهات
الدرس الأول1: لا تعترض على حكمة الله
المشركون اعترضوا على طريقة نزول القرآن .والمؤمن يسلم لأمر الله .فإذا رأيت أمرًا لا تفهم حكمته، فسلم .فالله أعلم بما يصلحك.
الدرس الثاني2: تدرج في تغيير نفسك
لا تطلب الكمال فجأة .سنة الله في القرآن هي التدرج .وسنته في نفسك هي التدرج أيضًا .ابدأ خطوة خطوة .تغيير صغير مستمر خير من تغيير كبير ثم انقطاع.
الدرس الثالث3: اجعل القرآن مثبتًا لقلبك
إذا شعرت بضعف إيمان، أو قسوة قلب، أو ضيق صدر، فأقبل على القرآن .فهو مثبت للفؤاد .اقرأه بتدبر، ستجد قلبك يثبت.
الدرس الرابع4: رتل القرآن ترتيلًا
لا تستعجل في قراءة القرآن .رتله ترتيلًا .تأنّ في تلاوته .تدبر معانيه .استشعر حلاوته .فالترتيل يعين على التدبر.
الدرس الخامس5: اصبر على طريق الدعوة
طريق الدعوة طويل .لا تنتظر النتائج فجأة .كما نزل القرآن مفرقًا، كذلك تأتي نتائج الدعوة متدرجة . فاصبر.
الموضوع الخامس5: التطبيقات العملية في حياتنا
تطبيق1 : في تغيير النفس
لا تطلب من نفسك أن تتغير بين ليلة وضحاها .ابدأ بخطوات صغيرة: آية تقرأها، ذكر تلتزم به، معصية تتركها .التدرج هو المفتاح.
تطبيق2 : في تربية الأبناء
لا تطلب من أولادك الكمال فجأة .ربهم بالتدرج .علمهم الصلاة أولًا، ثم حب القرآن، ثم الأخلاق .سنة الله في التربية هي التدرج.
تطبيق3 : في الدعوة إلى الله
لا تستعجل نتائج الدعوة .قد تستمر سنوات دون أن ترى ثمرة .كما نزل القرآن في ثلاث وعشرين سنة، كذلك الدعوة تحتاج إلى صبر وتدرج.
تطبيق4 : في قراءة القرآن
اجعل لك وردًا يوميًا من القرآن، وارتله ترتيلًا .لا تستعجل في التلاوة .خذ وقتك في التدبر .استشعر أن هذا الكلام يخاطبك أنت.
الموضوع السادس6: الرسائل النفسية للآية
رسالة إلى قلبك: اطمئن
الآية تهمس في قلبك: اطمئن .القرآن نزل مفرقًا ليثبت قلبك .فإذا شعرت بالضعف، فاقرأه .إذا شعرت بالحيرة، فتدبره .إنه مثبت القلوب.
رسالة إلى عقلك: تفكر في الحكمة
الآية تهمس في عقلك: تفكر في حكمة الله .لماذا نزل القرآن مفرقًا؟ ليثبت به الفؤاد .فتفكر في هذه الحكمة، تعظم الله.
رسالة إلى إرادتك: تدرج
الآية تهمس في إرادتك: لا تستعجل .تدرج في طريقك .لا تطلب الكمال فجأة .سنة الله هي التدرج . فاختر لنفسك طريق التدرج.
الموضوع السابع7: الأبعاد المختلفة للآية
.1البعد العقدي
الآية تثبت حكمة الله في تنزيل القرآن .وتثبت أن القرآن مثبت للقلوب .وتثبت أن التدرج سنة إلهية.
.2البعد النفسي
تمنح الآية الطمأنينة النفسية .تقول لك: لا تستعجل .التغيير يحتاج إلى وقت .الله أنزل القرآن في ثلا

اث وعشرين سنة، فلماذا تستعجل في تغيير نفسك؟
.3البعد التربوي
تربي الآية في النفس الصبر والتدرج .تعلمك ألا تطلب الكمال فجأة .تعلمك أن التغيير الحقيقي يحتاج إلى وقت.
.4البعد الدعوي
تعلم الآية الداعية أن يستمر في دعوته، ولا يستعجل النتائج .كما نزل القرآن مفرقًا، كذلك تأتي نتائج الدعوة متدرجة.
.5البعد الإيماني
ترفع الآية الإيمان إلى مستوى أعلى: الإيمان بأن كل شيء بحكمة .الإيمان بأن الله أعلم بما يصلح عباده.
الموضوع الثامن8: الآفاق التي تحملها الآية
.1الأفق الزمني
تفتح الآية أمامك أفقًا زمنيًا واسعًا .تذكرك أن الله أنزل القرآن في ثلاث وعشرين سنة .فالتغيير يحتاج إلى وقت .لا تستعجل الزمن.
.2الأفق النفسي
تمنحك أفقًا نفسيًا من الطمأنينة .لا تستعجل .لا تيأس .التغيير قادم خطوة خطوة.
.3الأفق التربوي
تفتح أمامك أفقًا تربويًا: أن تربي نفسك وغيرك بالتدرج .لا تطلب الكمال فجأة.
.4الأفق الإيماني
ترفع إيمانك إلى مستوى أعلى: الإيمان بحكمة الله في كل شيء.
الموضوع التاسع9: دور مفاهيم الآية في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة
.1في بناء الإنسان المتزن
نفسيًا
تمنح الآية الإنسان الاستقرار النفسي من خلال:
· عدم استعجاله النتائج.
· تذكيره بأن التغيير يحتاج إلى وقت.
· ثقته بأن الله يعلم ما يصلحه.
فكريًا
تزرع الآية في العقل:
· فهم سنة التدرج: في التغيير والتربية.
· أهمية الصبر: على طريق التغيير.
· الإيمان بحكمة الله: في تدبيره.
سلوكيًا
تعلم الإنسان:
· التدرج: في تغيير نفسه.
· الصبر: على طريق الدعوة.
· الترتيل: في قراءة القرآن.
.2في بناء المجتمع المسلم
المجتمع الذي يتدبر هذه الآية هو مجتمع:
· لا يستعجل النتائج: في التغيير والإصلاح.
· يتدرج في التربية: فينشأ جيل قوي.
· يقرأ القرآن ترتيلًا: فيتدبره ويعمل به.
· يثبت على الحق: مهما طال الزمن.
.3في بناء الحضارة الإسلامية
الحضارة الإسلامية قامت على التدرج .القرآن نزل مفرقًا، فتربى الصحابة على مدار ثلاث وعشرين سنة، فكانت حضارة عظيمة.
هذه الآية تحمي الحضارة من:
· الاستعجال: فلا تطلب النتائج فجأة.
· اليأس: فلا تيأس من طول الطريق.
· الانهيار: فالتدرج يعطي قوة وثباتًا.
.4في البناء والتنمية
في مجال التنمية، هذه الآية تعطيك:
· التدرج: التنمية لا تحدث بين ليلة وضحاها.
· الصبر: التنمية تحتاج إلى وقت.
· التخطيط الطويل: كما نزل القرآن في ثلاث وعشرين سنة.

الخاتمة: كيف تعيش هذه الآية؟
· كل يوم، تذكر أن التغيير يحتاج إلى وقت .لا تستعجل.
· كل خطوة تخطوها نحو الله، اعلم أنها خطوة في الطريق الصحيح .ولو كانت صغيرة.
· كل آية تقرأها، ارتلها ترتيلًا .تدبرها .استشعر أنها تثبت قلبك.
· كل ضعف تشعر به، أقبل على القرآن .فهو مثبت الفؤاد.
· كل دعوة تقدمها، لا تستعجل النتائج .كما نزل القرآن مفرقًا، كذلك تأتي النتائج متدرجة.
هذه الآية هي مفتاح الصبر في طريق الله .إنها تذكرك أن سنة الله هي التدرج .فلا تستعجل .وثق أن كل خطوة صغيرة تقربك من الله .وثق أن القرآن الذي تقرأه اليوم يثبت قلبك لغد .فاستمر، ولا تيأس.
وقفة أخيرة: هل تطلب الكمال فجأة؟
الآية تضعك أمام سؤال: هل تطلب من نفسك أن تتغير فجأة؟ هل تطلب من أولادك الكمال بين عشية وضحاها؟ هل تستعجل نتائج دعوتك؟
تذكر: القرآن نزل في ثلاث وعشرين سنة .سنة الله هي التدرج .فاصبر، وتدرج، واثقًا أن الله معك، وأنه يثبت قلبك بقرآنه.
ثانيا
تفسير الآية الثالثة والثلاثين من سورة الفرقان
قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا
مقدمة: وعد إلهي لا يتخلف
هل شعرت يومًا أن خصومك يأتونك بشبهة جديدة، أو بسؤال محرج، أو بمثل يريدون به إسكاتك؟ هل شعرت بالعجز وأنت تبحث عن رد؟ هل شعرت أن الحجج تتوالى عليك، وأنك وحدك في ميدان الجدال؟
هذه الآية تنزل عليك كوعد إلهي لا يتخلف .إنها تخبرك أن كل مثل يضربه المبطلون، وكل شبهة يثيرونها، وكل حجة يقدمونها، فإن الله سيرد عليها .ليس مجرد رد، بل رد ب-"الحق"، ثم بأحسن تفسير وأوضح بيان.
هذه الآية تخاطب النبي ﷺ أولًا، وتخاطب كل مؤمن من بعده .إنها تهمس في أذنك: لا تخف من شبهاتهم .لا ترعب من أسئلتهم .فالله معك .كلما أتوك بمثل، أتاك الله بالحق وأحسن تفسيرًا.
تعالَ نتأمل هذه الآية، وكأنها تنزل الآن .وكأن الله يقول لك: يا من تخوض معركة الفكر مع المبطلين، يا من تصد هجمات الشبهات عن دينك، أنا معك .كلما أتوك بشبهة، أتيتك بالرد .فلماذا تخاف؟ ولماذا تتردد؟
اولا: السياق – العلاقة بالآية التي قبلها
الربط بالآية الثانية والثلاثين
الآية الثانية والثلاثون قالت: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾.
جاءت هذه الآية لتكون استمرارًا لوعد الله لنبيه .فبعد أن رد الله على اعتراض المشركين حول نزول القرآن مفرقًا، وبيّن حكمته في ذلك، يأتي الآن بوعد عام: كل مثل يأتوك به، فالله سيأتيك بالحق وأحسن تفسيرًا.
إنها طمأنة للنبي ﷺ وللمؤمنين من بعده، بأن الله لن يتركهم في ميدان الجدال وحدهم .هو معهم بـ الحق والبيان.
ثانيا: تحليل الآية – قراءة في عمق الوعد الإلهي
الجملة الأولى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ﴾
اللمسة البلاغية: النفي ب-"لا" للاستغراق
"لا" نافية، وهي هنا تفيد نفي الوقوع في كل زمان ومكان .أي: مهما أتوك بمثل، في أي وقت، وفي أي مناسبة، فإن الله سيرد.
"يَأْتُونَكَ" – الإتيان بالشبهات
"يأتونك" فعل مضارع يدل على التجدد والاستمرار .أي: أنهم سيستمرون في إتيانك بالأمثال والشبهات . هذا هو سنتهم، ولن ينقطعوا.
"بِمَثَلٍ" – نكرة في سياق النفي
"بمثل" نكرة في سياق النفي، تفيد العموم .أي: أي مثل كان، أي شبهة كانت، أي حجة أتوا بها.
"مَثَل" – ما المقصود بالمثل؟
المثل هنا هو القول الذي يضربه الخصم للاستدلال به .والمقصود: كل شبهة يأتون بها، وكل حجة يثيرونها، وكل اعتراض يقدمونه.
الدلالة النفسية
هذه الجملة تحمل طمأنة عظيمة .أنت لست وحدك في مواجهة شبهاتهم .الله معك .كلما أتوك بشبهة، هو الذي سيرد.
/2

الجملة الثانية: ﴿إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾
اللمسة البلاغية: "إلّا" للاستثناء
"إلا" للاستثناء، والمعنى: كلما أتوك بمثل، إلا جئناك بالحق .أي: لا يخلو زمان من إتيانهم بمثل، إلا ونحن نجيب.
"جِئْنَاكَ" – الإتيان بالرد
"جئناك" من الإتيان، وهو وعد من الله بأن الرد سيأتي .والخطاب للنبي ﷺ، وللمؤمنين من بعده.
"بِالْحَقِّ" – الرد بالحق
"بالحق" أي: بالرد الحق، الذي لا شك فيه .الحق هو المقابل للباطل، وهو ما يظهر به زيف شبهاتهم.
اللمسة البيانية: تقديم الجواب على المثل
قدم "جئناك بالحق" على "وأحسن تفسيرًا" للاهتمام بهذا الجواب الأول: أن الرد سيكون حقًا لا باطلًا.
الدلالة النفسية
هذه الجملة تحمل بشارة عظيمة .ليس مجرد رد، بل رد بالحق .أي: رد يقنع العقل، ويرضي القلب، ويسكت الخصم.
3
الجملة الثالثة: ﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾
اللمسة البلاغية: "وَأَحْسَنَ" – التفضيل
"وأحسن" صيغة تفضيل، تدل على أن هذا التفسير أحسن من كل تفسير .وهو أحسن مما يطلبون، وأحسن مما يتوقعون.
"تَفْسِيرًا" – البيان والكشف
"تفسيرًا" من الفسر، وهو البيان والكشف .أي: نأتيك بأوضح بيان، وأكشف شرح، وأبين تفصيل.
اللمسة البيانية: العطف بـ"وأحسن"
عطف "وأحسن" على "بالحق" .أي: ليس فقط بالحق، بل بأحسن بيان وأوضح تفسير.
اللمسة التجويدية: الوقف على "تَفْسِيرًا"
الوقف على "تفسيرًا" يعطي إحساسًا بالانتهاء، وكأن الوعد قد اكتمل: الحق أولًا، ثم أحسن تفسير.
الدلالة النفسية
هذه الجملة تملأ القلب طمأنينة كاملة .ليس فقط الرد موجودًا، بل هو أحسن رد .ليس فقط حقًا، بل هو أوضح بيان .فلماذا الخوف؟ لماذا القلق؟
ثالثا
الموضوع الأول1: المفاهيم المركزية في الآية
المفهوم الأول1: وعد الله بالرد على الشبهات
الآية وعد إلهي لا يتخلف .كل شبهة يأتي بها المبطلون، فإن الله سيرد عليها بالحق وأحسن تفسير . هذا الوعد يشمل كل زمان ومكان.
المفهوم الثاني2: الحق هو الرد
الرد على الشبهات ليس أي رد، بل رد بالحق .أي: رد قائم على الحقيقة، لا على المغالطة .رد يسكت الباطل، ويثبت الحق.
المفهوم الثالث3: أحسن تفسير
ليس فقط حقًا، بل هو أحسن بيان .أي: أوضح شرح، وأبين تفصيل .إنه رد يفي بالمطلوب، ويزيد عليه.
المفهوم الرابع4: استمرارية الشبهات واستمرارية الرد
المشركون سيستمرون في إتيان الأمثال، والله سيستمر في إتيان الرد .هذه سنة الصراع بين الحق و الباطل.
الموضوع الثاني2: القيم المستنبطة من الآية
.1قيمة الثقة بوعد الله: الله لن يتخلى عنك.
.2قيمة عدم الخوف من الشبهات: فالرد آتٍ لا محالة.
.3قيمة طلب الحق: في الرد على المخالفين.
.4قيمة البيان الواضح: في الدعوة إلى الله.
.5قيمة الصبر: على استمرار الشبهات.
.6قيمة اليقين: بأن الحق سينتصر.
.7قيمة الاقتداء بالقرآن: في أسلوب الرد.
الموضوع الثالث3: الدروس والتوجيهات
الدرس الأول1: لا تخف من شبهات المخالفين
قد تواجه في حياتك شبهات كثيرة عن الإسلام .لا تخف .هذه الآية تعدك بأن الله سيرد عليها .قد لا تجد الرد فورًا، لكن الرد موجود.
الدرس الثاني2: اطلب الحق في الرد
عندما ترد على شبهة، لا ترد بباطل .كن صادقًا مع نفسك ومع الآخرين .اطلب الحق، وقل الحق.

الدرس الثالث3: احرص على البيان الواضح
لا تكتف بأن يكون ردك حقًا، بل اجعله واضحًا مبينًا .الناس يحتاجون إلى بيان واضح، لا إلى كلام معقد.
الدرس الرابع4: استمر في الدعوة رغم الشبهات
المشركون استمروا في إتيان الأمثال، والنبي ﷺ استمر في الدعوة .فاستمر أنت أيضًا .لا تترك الساحة للمبطلين.
الدرس الخامس5: ثق بأن الله معك
هذا هو أعظم درس في الآية: الله معك .كلما أتوك بشبهة، هو الذي سيرد .فثق به، وتوكل عليه.
الموضوع الرابع4: التطبيقات العملية في حياتنا
تطبيق1 : في مواجهة الشبهات
عندما تواجه شبهة عن الإسلام، لا تيأس .ابحث عن الرد .ثق أن الرد موجود .وإن لم تجده، فاسأل أهل العلم.
تطبيق2 : في الدعوة إلى الله
عندما تدعو الناس، توقع أن يأتوك بالشبهات .لا تنزعج .تذكر هذه الآية .وثق أن الله سيرزقك بالرد.
تطبيق3 : في تربية الأبناء
علم أبناءك ألا يخافوا من الشبهات .علمهم أن الإسلام دين الحق، وأن لكل شبهة ردًا .علمهم أن يطلبوا العلم ليعرفوا الرد.
تطبيق4 : في الحوار مع المخالفين
عندما تحاور مخالفًا، لا تنشغل بإثبات أنك على حق فقط، بل احرص على البيان الواضح .كن حريصًا على إيصال الفكرة بسهولة.
الموضوع الخامس5: الرسائل النفسية للآية
رسالة إلى قلبك: لا تخف
الآية تهمس في قلبك: لا تخف من شبهاتهم .الله معك .كلما أتوك بشبهة، أتاك بالحق .فلماذا الخوف؟
رسالة إلى عقلك: تفكر في قدرة الله
الآية تهمس في عقلك: تفكر في قدرة الله .الذي أنزل القرآن، والذي وعد بالرد على كل شبهة، قادر على أن يرد .فثق به.
رسالة إلى إرادتك: استمر
الآية تهمس في إرادتك: استمر في دعوتك .لا تترك الساحة للمبطلين .كلما أتوك بشبهة، استمر أنت في الحق .إرادتك هي التي ستنتصر.
الموضوع السادس6: الأبعاد المختلفة للآية
.1البعد العقدي
الآية تثبت أن الله هو الناصر لدينه .وأنه سيرد على كل شبهة .وأن الحق هو سبيله.
.2البعد النفسي
تمنح الآية الطمأنينة النفسية .تخفف عن النفس الخوف من الشبهات .تعطيها القوة على مواجهة المخالفين.
.3البعد التربوي
تربي الآية في النفس الثقة بوعد الله .تربي الصبر على مواجهة الشبهات .تربي الحرص على البيان الواضح.
.4البعد الدعوي
تعلم الآية الداعية ألا يخاف من الشبهات .وتعلمه أن يرد بالحق والبيان الواضح .وتعلمه أن يستمر في دعوته مهما كثرت الشبهات.
.5البعد المعرفي
تذكر الآية بأن لكل شبهة ردًا .وبأن الإسلام دين الحق .وبأن البيان الواضح هو السبيل لإيصال الحق.
الموضوع السابع7: الآفاق التي تحملها الآية
.1الأفق النفسي
تفتح الآية أمامك أفقًا نفسيًا من الطمأنينة والثقة .لا تخف من الشبهات، فالرد آتٍ.
.2الأفق المعرفي
تفتح أمامك أفقًا معرفيًا واسعًا: أن العلم موجود، والردود موجودة، وأن عليك أن تبحث عنها.
.3الأفق الدعوي
تفتح أمامك أفقًا دعويًا: أن تستمر في الدعوة، وأن تثق بنصر الله.
.4الأفق الإيماني
ترفع إيمانك إلى مستوى أعلى: الإيمان بأن الله معك، وأنه ناصرك، وأن الحق سينتصر.
الموضوع الثامن8: دور مفاهيم الآية في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة
.1في بناء الإنسان المتزن
نفسيًا

تمنح الآية الإنسان الاستقرار النفسي من خلال:
· ثقته بأن الله سيرد على كل شبهة.
· عدم خوفه من المخالفين.
· اطمئنانه بأن الحق سينتصر.
فكريًا
تزرع الآية في العقل:
· فهم أن الشبهات جزء من الصراع بين الحق والباطل.
· أهمية طلب العلم للرد على الشبهات.
· أهمية البيان الواضح في الدعوة.
سلوكيًا
تعلم الإنسان:
· الصبر: على مواجهة الشبهات.
· الثقة: بوعد الله.
· البيان: في الرد على المخالفين.
.2في بناء المجتمع المسلم
المجتمع الذي يتدبر هذه الآية هو مجتمع:
· لا يخاف من الشبهات: لأنه يعلم أن الله سيرد.
· يطلب العلم: ليعرف الرد على الشبهات.
· يدعو إلى الله بالبيان الواضح: فلا يعقد الأمور.
· يستمر في دعوته: مهما كثرت الشبهات.
.3في بناء الحضارة الإسلامية
الحضارة الإسلامية قامت على العلم والبيان .العلماء المسلمون ردوا على كل شبهة، وقدموا البيان الواضح .فكانت حضارة قوية.
هذه الآية تحمي الحضارة من:
· الانهزامية: فلا تستسلم للشبهات.
· الغموض: فلا تعقد الأمور.
· التراجع: فلا تترك الساحة للمبطلين.
.4في البناء والتنمية
في مجال التنمية، هذه الآية تعطيك:
· الثقة: في مواجهة الصعوبات.
· البيان الواضح: في توصيل الأفكار.
· الاستمرارية: رغم العقبات.
الخاتمة: كيف تعيش هذه الآية؟
· كلما واجهت شبهة، تذكر: الله سيرد عليها.
· كلما شعرت بالعجز عن الرد، تذكر: الرد موجود، واسأل أهل العلم.
· كلما دعوت إلى الله، توقع الشبهات، ولا تخف.
· كلما حاورت مخالفًا، احرص على البيان الواضح.
· كلما شعرت باليأس من كثرة الشبهات، تذكر: الله معك، وسينصرك.
هذه الآية هي سندك الفكري والدعوي .إنها تعدك بأن الله سيرد على كل شبهة .فامض في طريقك، و لا تخف .وثق أن الحق سينتصر، وأن البيان الواضح هو سبيلك.
وقفة أخيرة: هل تخاف من الشبهات؟
الآية تضعك أمام سؤال: هل تخاف من الشبهات التي تثار حول الإسلام؟ هل تشعر بالعجز أمامها؟
تذكر: الله وعدك أن كل شبهة يأتون بها، سيأتيك بالحق وأحسن تفسيرًا .هذا وعد من الله لا يتخلف . فثق به.
وإن كنت لا تعرف الرد، فتعلم .اسأل أهل العلم .اقرأ كتب الرد على الشبهات .فالعلم هو السلاح.
ثالثا
تفسير الآية الرابعة والثلاثين من سورة الفرقان
قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾.
مقدمة: مشهد الهوان الأكبر
هل تخيلت يومًا أن تُحشر على وجهك؟ أن تُسحب إلى موقف الحساب ليس كرامةً على الأقدام، بل إذلالًا على الوجوه؟ أن تكون هذه هي النهاية لمن استكبروا في الدنيا عن اتباع الحق؟ هذه الآية تأخذك إلى ذلك المشهد المرعب.
بعد أن سمعت في الآية السابقة وعد الله لنبيه بأن كل مثل يأتيه المشركون به، سيجيئه الله بالحق وأحسن تفسيرًا، تأتي هذه الآية لترد على أولئك الذين كانوا يستكبرون عن اتباع الحق .إنها تريهم نهايتهم التي اختاروها بأيديهم.

هذه الآية تخاطبك أنت أيضًا .إنها تهمس في أذنك: انظر إلى من استكبروا في الدنيا .كيف ستكون نهايتهم؟ كيف سيكون حشرهم؟ وكيف سيكون مصيرهم؟ ثم قارن بينهم وبين من اتبع الحق .ثم اختر لنفسك الطريق.
تعالَ نتأمل هذه الآية، وكأن المشهد يُعرض أمامنا الآن .وكأننا نرى أولئك الذين استكبروا عن الحق، يُحشرون على وجوههم إلى جهنم .وكأننا نسمع نداء الحق يقول: هؤلاء هم الذين اختاروا الضلال . وهؤلاء هم شر مكانًا وأضل سبيلًا.
اولا: السياق – العلاقة بالآية التي قبلها
الربط بالآية الثالثة والثلاثين
الآية الثالثة والثلاثون قالت: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾.
جاءت هذه الآية مباشرة لترد على أولئك الذين كانوا يأتون بالأمثال والشبهات .إنها تريهم عاقبة استكبارهم .فالآية السابقة وعدت بالرد على كل شبهة، وهذه الآية تريهم أنهم مع كل هذه الشبهات، هم في النهاية شر مكانًا وأضل سبيلًا.
إنها خاتمة مشهد من مشاهد السورة: المشركون يعترضون، والله يرد، ثم يختم ببيان مصيرهم .هكذا تتكرر في السورة: اعتراض، رد، ثم بيان مصير.
ثانيا: تحليل الآية – قراءة في عمق مشهد الهوان
الجملة الأولى: ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾
اللمسة البلاغية: "الذين" – بدل أو صفة
"الذين" تعود على المشركين المذكورين في الآيات السابقة .وهي صفة لهم، أو بدل .والمعنى: هؤلاء الذين كانوا يعترضون ويستكبرون، هم الذين يُحشرون على وجوههم.
"يُحْشَرُونَ" – الحشر بالسوق
الحشر هو الجمع والسوق .وهو هنا يدل على أنهم يُساقون إلى جهنم قسرًا، لا يستطيعون التخلف.
"عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ" – أقصى درجات الإذلال
الحشر على الوجوه هو أشد أنواع الإذلال .في الدنيا كانوا يمشون على الأقدام متكبرين، وفي الآخرة يُسحبون على وجوههم ذليلين.

اللمسة البيانية: تقديم الجار والمجرور "على وجوههم" على المفعول
قدم "على وجوههم" على "إلى جهنم" للاهتمام بهذه الصورة المهينة .فالأهم هو كيف يُحشرون، ثم أين يُحشرون.
اللمسة التجويدية: الوقف على "وُجُوهِهِمْ"
الوقف على "وجوههم" يعطي إحساسًا بلحظة الإذلال، كأن المشهد يتوقف عند هذه الصورة: وجوههم تلامس الأرض، وهم يُسحبون.
الدلالة النفسية
هذه الصورة تحفر في النفس .تخيل نفسك تُسحب على وجهك .تخيل الذل والهوان .هذا هو جزاء من استكبر عن الحق في الدنيا.
/2
الجملة الثانية: ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾
اللمسة البلاغية: "إلى جهنم" – المصير النهائي
"إلى جهنم" بيان للمصير .يُحشرون على وجوههم إلى جهنم .لا إلى جنة، ولا إلى نعيم .بل إلى النار.
"جَهَنَّمَ" – اسم النار
جهنم هي الدركة السفلى من النار .وهي أشدها عذابًا.
الدلالة النفسية
هذه الجملة تكمّل الصورة .ليس فقط يُحشرون على وجوههم، بل يُحشرون إلى جهنم .إنها نهاية لا يريدها أحد.
3
الجملة الثالثة: ﴿أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَكَانًا﴾
اللمسة البلاغية: "أُولَٰئِكَ" – اسم الإشارة للبعيد
"أولئك" اسم إشارة للبعيد، للدلالة على بعد منزلتهم في الشر والخزي .هم في أسفل سافلين.

"شَرٌّ" – صيغة التفضيل
"شر" صيغة تفضيل تدل على أن مكانهم شر من كل مكان .لا مكان أسوأ من مكانهم.

"مَكَانًا" – تمييز
"مكانًا" تمييز منصوب، يبين أن المقارنة في المكان .مكانهم في جهنم شر من كل مكان.
اللمسة البيانية: تقديم "شر" على "مكانًا"
قدم "شر" على "مكانًا" للاهتمام بهذا الوصف .فالأهم أنهم شر، ثم بين أن هذا الشر في المكان.

الدلالة النفسية
هذه الجملة تحمل الحكم النهائي .هم شر مكانًا .ليس فقط في النار، بل هم في أسفل النار .لا مكان أسوأ منه.
4
الجملة الرابعة: ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾
اللمسة البلاغية: "وَأَضَلُّ" – التفضيل في الضلال
"أضل" صيغة تفضيل تدل على أن سبيلهم أضل من كل سبيل .لا سبيل أضل من سبيلهم.

"سَبِيلًا" – تمييز
"سبيلًا" تمييز منصوب، يبين أن المقارنة في السبيل .سبيلهم أضل من كل سبيل.

اللمسة البيانية: العطف بـ"وأضل"
عطف "وأضل" على "شر" .أي: هم شر مكانًا، وأضل سبيلًا .فجمعوا بين سوء المصير وسوء الطريق.

الدلالة النفسية
هذه الجملة تختتم الآية بأعلى درجات الذم .هم شر مكانًا في الآخرة، وأضل سبيلًا في الدنيا .ضلوا في الدنيا، فكان جزاؤهم شر مكان في الآخرة.
ثالثا
الموضوع الأول1: المفاهيم المركزية في الآية
المفهوم الأول1: جزاء الاستكبار
الذين استكبروا في الدنيا عن اتباع الحق، جزاؤهم أن يُحشروا على وجوههم في الآخرة .الذل في الآ خرة جزاء الكبر في الدنيا.
المفهوم الثاني2: الحشر على الوجوه
الحشر على الوجوه هو أقصى درجات الإذلال .وهو جزاء لمن كان يمشي متكبرًا في الدنيا.
المفهوم الثالث3: شر مكانًا وأضل سبيلًا
الآية تجمع بين وصفهم في الدنيا والآخرة .في الدنيا: أضل سبيلًا .في الآخرة: شر مكانًا .فالضلال في الدنيا يؤدي إلى سوء المصير في الآخرة.
المفهوم الرابع4: المقابلة بين المؤمن والكافر
الآيات السابقة وصفت المؤمنين بأنهم في الجنة خير مستقرًا وأحسن مقيلًا .وهذه الآية تصف الكافرين بأنهم شر مكانًا وأضل سبيلًا .مقابلة تظهر عدل الله.
الموضوع الثاني2: القيم المستنبطة من الآية
.1قيمة التواضع: الكبر يؤدي إلى الذل في الآخرة.
.2قيمة اتباع الحق: هو سبيل النجاة.
.3قيمة النظر إلى العواقب: لا تنظر إلى متعة اللحظة، بل إلى نهاية الطريق.
.4قيمة الخوف من سوء المصير: هذا الخوف يدفع إلى الاستقامة.
.5قيمة اليقين بعدل الله: كل مستكبر سيلقى جزاءه.
.6قيمة اختيار الطريق: أنت من يختار سبيلك، فاختر سبيل الهدى.
.7قيمة المقارنة بين الفريقين: قارن بين مصير المؤمن والكافر، ثم اختر.
الموضوع الثالث3: الدروس والتوجيهات
الدرس الأول1: احذر من الكبر
الكبر هو الذي منع إبليس من السجود لآدم .وهو الذي منع المشركين من اتباع الحق .وهو الذي يؤدي إلى هذا المصير .فاحذر من الكبر في قلبك.
الدرس الثاني2: تواضع في الدنيا ترفع في الآخرة
من تواضع لله في الدنيا، رفعه الله في الآخرة .ومن استكبر، أذله الله .فاختر التواضع.
الدرس الثالث3: انظر إلى عواقب الأمور
قد تبدو لك طريق الضلال سهلة ممتعة .لكن انظر إلى نهايتها: حشر على الوجه إلى جهنم، شر مكانًا وأضل سبيلًا .هل تستحق هذه النهاية متعة لحظة؟
الدرس الرابع4: اختر سبيل الهدى
السبيلان واضحان: سبيل الهدى يؤدي إلى الجنة، وسبيل الضلال يؤدي إلى هذا المصير .فاختر سبيل الهدى.
الدرس الخامس5: لا تغتر بالدنيا
الدنيا قصيرة .وما فيها من متعة زائلة .أما الآخرة فهي دار القرار .فاختر ما يبقى على ما يفنى.
الموضوع الرابع4: التطبيقات العملية في حياتنا
تطبيق1 : في تربية النفس على التواضع
كل يوم، راجع نفسك: هل في قلبك كبر؟ هل تشعر أنك أفضل من غيرك؟ تذكر هذه الآية .تذكر أن

الكبر يؤدي إلى هذا المصير .فتواضع.
تطبيق2 : في تربية الأبناء
علم أبناءك التواضع .لا تزرع فيهم الكبر .علمهم أن الكبر مذموم، وأن الله يبغض المتكبرين .علمهم أن يتواضعوا لله وللناس.
تطبيق3 : في اختيار الطريق
عندما تختار طريقًا في الحياة، اسأل: هل هذا الطريق يوصلني إلى الله؟ أم هو طريق الضلال؟ اختر طريق الهدى.
تطبيق4 : في المقارنة بين المصيرين
تأمل في مصير المؤمنين: خير مستقر وأحسن مقيل .وتأمل في مصير الكافرين: شر مكانًا وأضل سبيلًا .هذه المقارنة تدفعك إلى اختيار طريق المؤمنين.
الموضوع الخامس5: الرسائل النفسية للآية
رسالة إلى قلبك: تواضع
الآية تهمس في قلبك: تواضع .الكبر طريق الذل .التواضع طريق العز .فاختر لنفسك طريق المتواضعين.
رسالة إلى عقلك: فكر في العواقب
الآية تهمس في عقلك: فكر في عواقب طريقك .أين يوصل؟ إلى الجنة أم إلى جهنم؟ فكر قبل أن تندم.
رسالة إلى إرادتك: اختر
الآية تهمس في إرادتك: اختر .الطريقان واضحان .النتيجتان معروفتان .فاختر سبيل الهدى .إرادتك هي التي ستقرر مصيرك.
الموضوع السادس6: الأبعاد المختلفة للآية
.1البعد العقدي
الآية تثبت أن الله يعاقب المستكبرين .وتثبت أن الجزاء من جنس العمل: من استكبر في الدنيا أذل في الآخرة.
.2البعد النفسي
تمنح الآية الإنسان الخوف المحفز .تخوفه من سوء المصير فتجعله يستقيم .وتريحه بأن العدل الإلهي سيتحقق.
.3البعد التربوي
تربي الآية في النفس التواضع .تربيه على النظر إلى العواقب .تربيه على اختيار الطريق الصحيح.
.4البعد الاجتماعي
تذكر الآية المجتمع بأن الكبر مذموم .وأن المتكبرين سيلقون جزاءهم .فالمجتمع المتواضع هو المجتمع الناجح.
.5البعد الحضاري
الحضارة الإسلامية قامت على التواضع لله .هذا المبدأ جعل المسلمين لا يستكبرون على غيرهم، ولا يستكبرون على الحق.
الموضوع السابع7: الآفاق التي تحملها الآية
.1الأفق النفسي
تفتح الآية أمامك أفقًا نفسيًا من التواضع .تذكرك أن الكبر طريق الذل .فتواضع ترفع.
.2الأفق الأخلاقي
تفتح أمامك أفقًا أخلاقيًا: أن التواضع هو خلق الأنبياء .وأن الكبر خلق الشيطان .فاختر خلق الأنبياء.
.3الأفق الإيماني
ترفع إيمانك إلى مستوى أعلى: الإيمان بأن الله يرفع المتواضعين، ويذل المتكبرين.
.4الأفق المقارن
تفتح أمامك أفقًا للمقارنة بين مصير المؤمنين ومصير الكافرين .هذه المقارنة تدفعك إلى الاختيار الصحيح.
الموضوع الثامن8: دور مفاهيم الآية في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة
.1في بناء الإنسان المتزن
نفسيًا
تمنح الآية الإنسان التواضع النفسي من خلال:
· إدراكه أن الكبر يؤدي إلى الذل.
· معرفته أن التواضع هو طريق العز.
· خوفه من سوء المصير فيدفعه إلى الاستقامة.
فكريًا
تزرع الآية في العقل:
· فهم عاقبة الكبر: أنه الذل في الآخرة.

· أهمية التواضع: أنه طريق الجنة.
· أهمية النظر إلى العواقب: في اختيار الطريق.
سلوكيًا
تعلم الإنسان:
· التواضع: فلا يتكبر على أحد.
· اختيار الطريق الصحيح: فينظر إلى العواقب قبل أن يختار.
· الاستعداد للآخرة: فيعمل ليوم الحشر.
.2في بناء المجتمع المسلم
المجتمع الذي يتدبر هذه الآية هو مجتمع:
· تسوده روح التواضع: فلا كبر فيه.
· يختار الطريق الصحيح: في أموره كلها.
· ينظر إلى العواقب: فلا ينشغل باللحظة.
· يخاف من سوء المصير: فيعمل للآخرة.
.3في بناء الحضارة الإسلامية
الحضارة الإسلامية قامت على التواضع لله .هذا المبدأ جعل المسلمين لا يستكبرون على غيرهم، ولا يستكبرون على الحق .فكانت حضارة عادلة رحيمة.
هذه الآية تحمي الحضارة من:
· الكبر: فيبقى أفرادها متواضعين.
· الاستكبار على الحق: فيقبلون الحق من أي مصدر.
· سوء المصير: فيعملون للآخرة.
.4في البناء والتنمية
في مجال التنمية، هذه الآية تعطيك:
· التواضع: في التعامل مع الآخرين.
· النظر إلى العواقب: في التخطيط.
· اختيار الطريق الصحيح: في اتخاذ القرارات.
الخاتمة: كيف تعيش هذه الآية؟
· كل يوم، راجع نفسك: هل في قلبك كبر؟ تذكر أن الكبر يؤدي إلى الحشر على الوجه.
· كل تواضع تشعر به، اعلم أنه طريق العز في الآخرة.
· كل طريق تختاره، اسأل: هل هو طريق الهدى أم طريق الضلال؟ تذكر أن أضل سبيلًا هو طريق الكافرين.
· كل مقارنة بين الفريقين، اختر أن تكون من المؤمنين.
· كل خوف من سوء المصير، اجعله دافعًا إلى الاستقامة.
هذه الآية هي تذكيرك بأن الكبر له ثمن .وأن التواضع له عاقبة .فاختر لنفسك طريق المتواضعين . ففي الآخرة، هم في خير مستقر وأحسن مقيل .أما المتكبرون، ففي شر مكان وأضل سبيل.
وقفة أخيرة: كيف سيكون حشرك؟
الآية تضعك أمام سؤال: كيف سيكون حشرك يوم القيامة؟
· هل ستُحشر على وجهك إلى جهنم، لأنك استكبرت عن الحق في الدنيا؟
· أم ستُحشر على الأقدام إلى الجنة، لأنك تواضعت لله واتبعت سبيله؟
الخيار لك .الدنيا دار عمل .الآخرة دار جزاء .فاختر اليوم الطريق الذي تريد أن تحشر عليه غدًا.
القسم الثالث
تفسير الآيتين الخامسة والثلاثين والسادسة والثلاثين من سورة الفرقان
قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا * فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا﴾.
مقدمة: عندما تصبح القصة درسًا في القيادة وسنة في النصر
هل تعلم أن قصص الأنبياء ليست مجرد حكايات تُحكى للتسلية؟ هل تعلم أنها تحمل في طياتها قوانين كونية وسننًا إلهية لا تتغير؟ هذه الآيات تأخذك إلى واحدة من أعظم القصص في التاريخ: قصة موسى وهارون عليهما السلام. لكنها لا تسرد القصة كاملة، بل تلتقط منها لحظة التأسيس، لحظة بناء الفريق، لحظة توزيع المهام، لحظة الانطلاق إلى أعظم طاغوت في التاريخ.
هذه الآيات تخاطبك أنت أيضًا. إنها تهمس في أذنك: انظر كيف أدار الله قيادة أعظم مهمة في التاريخ. كيف اختار القائد، وكيف جعل معه وزيرًا، وكيف وزع المهام، وكيف كان النصر. ثم اسأل نفسك: هل أنت مستعد لقيادة مهمتك في الحياة بهذه الطريقة؟
تعالَ نتأمل هاتين الآيتين، وكأنهما تنزلان الآن. وكأن الله يعلمك قواعد القيادة، ويفتح أمامك آفاق فهم التاريخ، ويربيك على أن النصر ليس صدفة، بل هو سنة إلهية لمن يتبع المنهج.
اولا: السياق – العلاقة بالآية التي قبلها
الربط بالآية الرابعة والثلاثين

الآية الرابعة والثلاثون قالت: ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾.
جاءت هاتان الآيتان لتقدما نموذجًا تاريخيًا لهذه السنة الإلهية. فبعد أن بين الله مصير المستكبرين المكذبين، يأتي بقصة موسى وفرعون لتكون دليلًا حيًا على أن هذه السنة مطردة. فرعون كان من أشد المستكبرين، وآتاه الله موسى وهارون، فلما كذبوا دمّرهم الله تدميرًا.
إنها ربط بين الحاضر والماضي، وبين الحكم النظري والتطبيق التاريخي. وكأن الله يقول: هذه سنتي في المستكبرين، وقد رأيتموها في فرعون، فاحذروا أن تكونوا مثله.
ثانيا: تحليل الآيتين – قراءة في عمق القصة والحكمة
المبحث الأول
الآية الخامسة والثلاثون
الجملة الأولى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾
اللمسة البلاغية: "وَلَقَدْ" – القسم والتوكيد
"لقد" جملة قسمية تفيد التوكيد. الله يقسم على هذا الخبر، لبيان أهميته. إنه ليس خبرًا عاديًا، بل هو سنة إلهية ثابتة.
"آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ" – أعظم عطاء
إيتاء الكتاب لموسى هو أعظم نعمة أنعمها الله عليه. والكتاب هو التوراة. وهذا العطاء هو الذي جعله قائدًا لأمة.

الدلالة النفسية
هذه الجملة تذكرك بأن القيادة الحقيقية تبدأ بالكتاب. من أراد أن يقود، فعليه أن يكون له كتاب من الله. أي: علم، ومنهج، ودستور.
/2
الجملة الثانية: ﴿وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا﴾
اللمسة البلاغية: "جَعَلْنَا" – التقدير الإلهي
"جعلنا" تفيد أن هذا الترتيب كان بتقدير من الله. لم يكن اختيارًا بشريًا، بل وحيًا إلهيًا. وهذا يعلمنا أن التوزيع الصحيح للمهام يحتاج إلى توفيق من الله.
"مَعَهُ" – الصحبة والرفقة
"معه" تفيد أن هارون ليس قائدًا منفردًا، بل هو مع موسى، يعاونه ويؤازره. إنها صورة للفريق المتكامل.

"أَخَاهُ هَارُونَ" – اختيار القريب الثقة
اختار الله أخاه هارون. لماذا؟ لأنه الأقرب إليه، والأوثق به، والأعلم به. وهذا يعلمنا أن القائد يحتاج إلى من يثق به، ومن يعرفه معرفة عميقة.

"وَزِيرًا" – الوزير والمؤازر
الوزير من الوزر، وهو الحمل الثقيل. والوزير هو المعين الذي يتحمل مع القائد أعباء المهمة. هارون كان وزيرًا لموسى، يساعده في التبليغ، ويعينه في الدعوة.

اللمسة البيانية: تقديم "معه" على "أخاه"
قدم "معه" على "أخاه" للاهتمام بالصحبة أولًا، ثم بقرابة الدم. فالصحبة في المهمة أهم من قرابة الدم.

الدلالة النفسية
هذه الجملة تحمل درسًا عظيمًا في القيادة. القائد لا يستطيع العمل بمفرده. يحتاج إلى وزير، إلى معين، إلى فريق. واختيار هذا الفريق يكون من الأقربين الموثوقين.
المبحث الثاني
الآية السادسة والثلاثون
الجملة الأولى: ﴿فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾
اللمسة البلاغية: "فَقُلْنَا" – الفاء للتفريع
الفاء تفريع على ما سبق. أي: بعد أن آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه هارون وزيرًا، قلنا لهما: اذهبا.
"اذْهَبَا" – الأمر بالانطلاق
"اذهبا" أمر بالانطلاق إلى المهمة. الخطاب لموسى وهارون معًا. إنهما معًا يذهبان، لا واحد منهما فقط.

"إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا" – وصف المدعوين

وصف القوم بأنهم الذين كذبوا بآيات الله. وهذا يعلمنا أن الدعوة تستهدف من كذب بالحق، ليؤمنوا به.

اللمسة البيانية: وصف القوم بالتكذيب
وصفهم بالتكذيب قبل أن يذهبوا إليهم، لبيان أن مهمتهم صعبة، وأنهم سيواجهون عنادًا. لكن هذا لم يمنعهم من الانطلاق.

الدلالة النفسية
هذه الجملة تعلمك أن المهمة الصعبة لا تمنع القائد من الانطلاق. القائد الحقيقي هو من يواجه التحديات، لا من يهرب منها.
/2
الجملة الثانية: ﴿فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا﴾
اللمسة البلاغية: "فَدَمَّرْنَاهُمْ" – الفاء للنتيجة
الفاء تفريع على تكذيبهم. أي: لما كذبوا واستمروا على كفرهم، دمرناهم.

"دَمَّرْنَاهُمْ" – التدمير الكامل
"دمرناهم" من التدمير، وهو الإهلاك الشامل. والتضعيف في الفعل يدل على التكرار والشدة. أي: أهلكناهم إهلاكًا كاملًا لا بقاء بعده.

"تَدْمِيرًا" – المصدر المؤكد
"تدميرًا" مصدر منصوب للتوكيد. أي: دمرناهم تدميرًا لا نظير له.

اللمسة البيانية: الإيجاز في ذكر العذاب
لم يذكر كيف دمرهم، بل أشار إشارة موجزة. وهذا يدل على أن العبرة ليست في تفاصيل العذاب، بل في السنة: أن من كذب بآيات الله وأصر، فإن الله يدمّره.

الدلالة النفسية
هذه الجملة تحمل الإنذار الشديد. من يكذب بآيات الله ويصر، فإن عاقبته التدمير. هذه سنة لا تتغير.
ثالثا
الموضوع الأول1: خصوصية القصة وأهميتها
لماذا اختار الله قصة موسى وهارون هنا؟
1. لأنها أعظم نموذج للقيادة المشتركة: موسى قائد، وهارون وزير. هذا نموذج فريد في إدارة المهام الكبرى.
2. لأنها تظهر سنة الله في النصر: فرعون كان أشد طاغوت في التاريخ، ومع ذلك دمّره الله.
3. لأنها تربط بين الوحي والقيادة: موسى أوتي الكتاب أولًا، ثم قاد الأمة.
4. لأنها تعلم أن الدعوة تحتاج إلى فريق: لم يرسل الله موسى وحده، بل أرسل معه أخاه.
5. لأنها تظهر أن النصر ليس بالكثرة: موسى وهارون كانا اثنين، وفرعون كان له جنود، لكن النصر كان للمؤمنين.
الموضوع الثاني2: السنن الإلهية في القصة
1. سنة الإعداد قبل الانطلاق
آتى الله موسى الكتاب أولًا، ثم جعل معه وزيرًا، ثم أرسله. هذا يعلمنا أن القائد يحتاج إلى إعداد: علم (الكتاب)، وفريق (الوزير).
2. سنة التكليف مع الإعداد
الله لا يكلف أحدًا إلا وقد أعد له ما يحتاج. أرسل موسى وهارون معًا، ليكون لكل منهما دور.
3. سنة الاختبار والابتلاء
الذهاب إلى فرعون كان اختبارًا للإيمان. من يثبت ينصر، ومن يكذب يدمّر.
4. سنة الاستدراج والتمكين
فرعون تمتع بملكه طويلًا، ثم جاءه العذاب. هذه سنة الاستدراج: الله يملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته.
5. سنة النصر للمؤمنين
النهاية كانت تدمير فرعون وقومه، ونجاة موسى وقومه. هذه سنة ثابتة.
الموضوع الثالث3: كيف تربي الآية المؤمن على القيادة وتوزيع المهام
1. القيادة تبدأ بالكتاب
موسى لم يقم بقيادة إلا بعد أن أوتي الكتاب. القائد الحقيقي هو من عنده علم ومنهج. لا قيادة بـ

لا علم.
2. القائد يحتاج إلى وزير
أعظم قائد في التاريخ (موسى) احتاج إلى وزير. فكيف بغيره؟ القيادة الفردية فشل، والقيادة الجماعية نجاح.
3. اختر الوزير المناسب
هارون كان أخا موسى: قريبًا، ثقة، عالمًا به. اختر فريقك من الأقربين إليك في الثقة والدين.
4. توزيع المهام بحسب القدرات
هارون كان أفصح من موسى لسانًا، فكان دوره في التبليغ. موسى كان صاحب العزيمة والقيادة، فكان دوره القيادي. كل حسب قدراته.
5. الانطلاق بروح الفريق
"اذهبا" خطاب لاثنين. القائد لا ينطلق بمفرده، بل ينطلق بفريقه.
6. الصبر على المهمة الصعبة
الذهاب إلى فرعون كان مهمة صعبة جدًا. لكنهم ذهبوا. القائد لا يهرب من التحديات.
7. الثقة بنصر الله
النهاية كانت تدمير فرعون. القائد يثق أن النصر آتٍ، ولو بعد حين.
الموضوع الرابع4: المفاهيم المركزية في الآيتين
المفهوم الأول1: القيادة بالكتاب
الكتاب هو أساس القيادة. من لا كتاب له، لا قيادة له. والعلم والمنهج هما أساس أي نجاح.
المفهوم الثاني2: الفريق القيادي
القائد يحتاج إلى معين. الوزير هو شريك في المهمة، لا تابع فقط.
المفهوم الثالث3: التكامل في الأدوار
موسى وهارون لكل منهما دور. القائد لا يفعل كل شيء، بل يوزع المهام.
المفهوم الرابع4: سنة النصر والهلاك
من يتبع الحق ينصر، ومن يكذب يدمّر. هذه سنة لا تتغير.
الموضوع الخامس5: القيم المستنبطة من الآيتين
1. قيمة العلم: القيادة تبدأ بالكتاب.
2. قيمة الفريق: لا نجاح بلا فريق.
3. قيمة التكامل: كل شخص له دور.
4. قيمة الثقة: فيمن تختارهم لفريقك.
5. قيمة الشجاعة: في مواجهة التحديات.
6. قيمة الصبر: على طول الطريق.
7. قيمة اليقين: بنصر الله.
8. قيمة قراءة التاريخ: لفهم السنن الإلهية.
الموضوع السادس6: قراءة الأحداث التاريخية من خلال السنن الإلهية
كيف نقرأ التاريخ؟
هذه الآيات تعلمنا أن التاريخ ليس مجرد سرد لأحداث، بل هو تطبيق للسنن الإلهية. من يقرأ التاريخ بدون فهم هذه السنن، يقرأه قراءة سطحية.
السنن التي يمكن قراءتها في التاريخ:
1. سنة الإعداد قبل التمكين: كل نهضة تبدأ بإعداد القادة والكوادر.
2. سنة الفريق القيادي: النهضات الكبرى كانت بقيادة فرق، لا أفراد.
3. سنة الصراع بين الحق والباطل: التاريخ صراع مستمر بين الحق والباطل.
4. سنة النصر للمؤمنين: النهاية دائمًا للمؤمنين، ولو بعد حين.
5. سنة تدمير الظالمين: الظالمون يدمّرون ولو طال ملكهم.
تطبيق ذلك على واقعنا:
· أي نهضة تحتاج إلى إعداد علمي (كتاب).
· أي نجاح يحتاج إلى فريق متكامل (قائد ووزير).
· أي تحدٍ كبير يحتاج إلى شجاعة (الذهاب إلى فرعون).
· أي صبر على الباطل سينتهي بنصر الحق (تدمير فرعون).
الموضوع السابع7: الأبعاد المختلفة للآيتين
1. البعد التاريخي
تفتح الآيتان أمامك أفقًا تاريخيًا واسعًا. تريانك كيف كانت بداية أعظم رسالة، وكيف واجهت أعظم طاغوت، وكيف كانت النهاية.
2. البعد القيادي
تريانك كيف تُبنى القيادة: بالكتاب أولًا، ثم بالفريق، ثم بالانطلاق، ثم بالصبر، ثم بالنصر.

3. البعد التربوي
تربيان في النفس حب العلم، وحب العمل الجماعي، وحب مواجهة التحديات، والصبر على الطريق.
4. البعد النفسي
تمنحان الطمأنينة بأن النصر آتٍ، وأن الظلم زائل، وأن الله مع المؤمنين.
5. البعد الحضاري
تريانك أن الحضارات تبنى بالكتاب أولًا، ثم بالفريق القيادي، ثم بالانطلاق إلى التحديات.
6. البعد الاجتماعي
تريانك أن المجتمع الناجح هو الذي يقوده كتاب، ويديره فريق متكامل، ويواجه تحدياته بشجاعة.
7. البعد الإيماني
ترفعان إيمانك إلى مستوى أعلى: الإيمان بأن الله مع المؤمنين، وأن النصر قادم.
الموضوع الثامن8: الآفاق التي تحملها الآيتان
1. الأفق القيادي
تفتح أمامك أفقًا قياديًا: كيف تكون قائدًا ناجحًا؟ كيف تبني فريقك؟ كيف تواجه التحديات؟
2. الأفق التاريخي
تفتح أمامك أفقًا تاريخيًا: كيف تقرأ التاريخ بفهم السنن الإلهية؟ كيف تستفيد من قصص الماضين؟
3. الأفق التربوي
تفتح أمامك أفقًا تربويًا: كيف تربي نفسك على القيادة؟ كيف تربي غيرك على العمل الجماعي؟
4. الأفق الإيماني
تفتح أمامك أفقًا إيمانيًا: كيف تثق بنصر الله؟ كيف تصبر على طول الطريق؟
5. الأفق الحضاري
تفتح أمامك أفقًا حضاريًا: كيف تبني حضارة؟ كيف تواجه الطغاة؟
الموضوع التاسع9: دور مفاهيم الآيتين في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة
1. في بناء الإنسان المتزن
نفسيًا
تمنح الآيتان الإنسان الطمأنينة والثقة من خلال:
· معرفته أن الله مع المؤمنين.
· علمه بأن النصر قادم ولو بعد حين.
· إدراكه أن الفريق القوي هو أساس النجاح.
فكريًا
تزرع الآيتان في العقل:
· فهم السنن الإلهية في التاريخ.
· أهمية العلم والكتاب في القيادة.
· أهمية الفريق في الإنجاز.
سلوكيًا
تعلمان الإنسان:
· طلب العلم: كأساس للقيادة.
· بناء الفريق: واختيار الأعضاء المناسبين.
· مواجهة التحديات: بشجاعة.
· الصبر: على طول الطريق.
2. في بناء المجتمع المسلم
المجتمع الذي يتدبر هاتين الآيتين هو مجتمع:
يقوده الكتاب: فالعلماء هم قادته.
· يدار بفريق متكامل: فكل له دور.
· يواجه التحديات: لا يهرب منها.
· يؤمن بالنصر: ولو بعد حين.
· يقرأ التاريخ: بفهم السنن الإلهية.
3. في بناء الحضارة الإسلامية
الحضارة الإسلامية قامت على الكتاب والفريق. الكتاب (القرآن) هو أساسها، والفريق (الصحابة) هم قادتها. ثم انتشرت في الأرض.
هاتان الآيتان تحميان الحضارة من:
· الانحراف: فالكتاب يقوّمها.
· الانفراد: فالفريق يحميها من الفردية.
· اليأس: فسنة النصر تمنحها الأمل.
· الظلم: فسنة تدمير الظالمين تردعها.

4. في البناء والتنمية
في مجال التنمية، هاتان الآيتان تعطيانك:
· أهمية العلم: التنمية تبدأ بالعلم.
· أهمية الفريق: لا تنمية بلا فريق.
· أهمية مواجهة التحديات: التنمية تواجه صعوبات.
· أهمية الصبر: التنمية تحتاج إلى وقت.
الخاتمة: كيف تعيش هاتين الآيتين؟
· كل صباح، تذكر أن القيادة تبدأ بالكتاب. فاجعل لك علمًا تتعلمه.
· كل مشروع تبدأه، ابحث عن فريق. لا تعمل بمفردك.
· كل تحدٍ تواجهه، تذكر أن موسى واجه فرعون. فكن شجاعًا.
· كل صعوبة تمر بها، تذكر أن النصر قادم. فاصبر.
· كل تاريخ تقرأه، اقرأه بفهم السنن الإلهية. لا تقرأه قراءة سطحية.
هاتان الآيتان هما درس في القيادة، وفهم في التاريخ، وأمل في النصر. إنهما تريانك كيف بدأت أعظم رسالة، وكيف واجهت أعظم طاغوت، وكيف كانت النهاية. فتعلم منهما، وطبقهما في حياتك، تكن من القادة الصابرين، ومن الناجحين في الدنيا والآخرة.
وقفة أخيرة: هل أنت مستعد لقيادة مهمتك؟
الآيتان تضعانك أمام سؤال: هل أنت مستعد لقيادة مهمتك في الحياة؟
· هل لديك كتاب (علم ومنهج) يقودك؟
· هل لديك فريق يعينك؟
· هل أنت مستعد لمواجهة التحديات؟
· هل أنت صابر على طول الطريق؟
· هل أنت مؤمن بأن النصر قادم؟
إن كنت مستعدًا، فانطلق. كما انطلق موسى وهارون. وثق أن النهاية ستكون كما كانت معهما: نصر للمؤمنين، وتدمير للظالمين.
اللهم إنا نسألك القيادة بالكتاب، والفريق المعين، والشجاعة في مواجهة التحديات، والصبر على طول الطريق، واليقين بالنصر. اللهم اجعلنا من أتباع أنبيائك، ومن السائرين على منهجهم، ومن الفائزين بنصرك.

القصه الثانيه

تفسير الآية السابعة والثلاثين من سورة الفرقان
قال تعالى: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.
مقدمة: حين يصبح التاريخ عبرة والعبرة تتحول إلى آية
هل تعلم أن قصة نوح عليه السلام ليست مجرد حكاية طوفان؟ هل تعلم أنها تحمل في طياتها أعظم درس في الصبر على الدعوة، وأقسى مثال على عاقبة التكذيب، وأوضح آية على سنن الله في الأمم؟ هذه الآية تأخذك إلى تلك القصة، لكنها لا تسردها كاملة، بل تلتقط منها جوهر العبرة: تكذيب الرسل يؤدي إلى الإغراق، والإغراق يصبح آية للناس، والآية تتحول إلى إنذار للظالمين.
هذه الآية تخاطبك أنت أيضًا. إنها تهمس في أذنك: انظر إلى قوم نوح. كم لبثوا في الدعوة؟ تسعمائة وخمسون سنة. كم صبر نوح على تكذيبهم؟ طويلًا جدًا. وماذا كانت النهاية؟ أغرقهم الله. لماذا؟ لأنهم كذبوا الرسل. ثم جعلهم الله آية للناس. أي: عبرة وعظة لمن بعدهم. ثم ختمت الآية بوعيد عام: وأعتدنا للظالمين عذابًا أليمًا.
تعالَ نتأمل هذه الآية، وكأنها تنزل الآن. وكأن الله يقول لك: انظر إلى عاقبة من كذب الرسل. انظر إلى نوح وقومه. ثم انظر إلى نفسك: هل أنت من الظالمين الذين أعد الله لهم عذابًا أليمًا؟ أم أنت من المؤمنين الذين ينتظرهم النصر؟
اولا: السياق – العلاقة بالآية التي قبلها
الربط بالآيتين الخامسة والثلاثين والسادسة والثلاثين
الآيتان السابقتان تحدثتا عن موسى وهارون وقوم فرعون: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا * فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا﴾.
جاءت هذه الآية لتضيف نموذجًا آخر من نماذج التكذيب والعاقبة. فبعد أن أخذ الله العبرة من قصة فرعون، يأخذ العبرة من قصة نوح. وكأن الله يقول: هذه سنتي في المكذبين، وقد رأيتموها في فرعون، ورأيتموها في قوم نوح، فاعتبروا.
إنها تعدد في الأمثلة لتأكيد القاعدة. ليس فرعون فقط من دمر، بل قوم نوح أيضًا. فمن كان مثلهما، فسيناله مثل ما نالهما.
ثانيا: تحليل الآية – قراءة في عمق العبرة
الجملة الأولى: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ﴾
اللمسة البلاغية: النصب على الاختصاص

"وقوم نوح" منصوب على الاختصاص، أو على العطف على ما قبله. والمعنى: وأذكر قوم نوح. إنه تنبيه إلى أن هؤلاء قوم لهم شأن عظيم.
"نوح" – أولو العزم
نوح عليه السلام هو أول الرسل، وأول أولي العزم. قصته هي أطول قصص الصبر في القرآن. قومه كذبوه تسعمائة وخمسين سنة، ومع ذلك صبر.

الدلالة النفسية
هذه الكلمة تحمل عظمة الصبر. نوح صبر طويلًا، وكانت النهاية نصرًا له وهلاكًا لقومه. فمن صبر على الحق، وإن طال البلاء، فالنصر آت.
الجملة الثانية: ﴿لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ﴾
اللمسة البلاغية: "لمّا" – الظرفية الشرطية
"لما" ظرف بمعنى "حين". أي: حين كذبوا الرسل. وهي تفيد أن التكذيب كان هو سبب الإغراق.
"كذّبُوا الرُّسُلَ" – التكذيب المتعدد
لم يقل "كذبوا نوحًا"، بل قال "كذبوا الرسل". لماذا؟ لأن تكذيب رسول واحد تكذيب لجميع الرسل. فالرسل دعوتهم واحدة، فمن كذب واحدًا منهم، فكأنما كذب الجميع.

اللمسة البيانية: التعبير بـ"الرسل" بدل "نوحًا"
هذا التعبير فيه تأكيد لشدة جرمهم. لم يكتفوا بتكذيب رسولهم، بل كذبوا جميع الرسل. وهو أيضًا تثبيت للنبي ﷺ، فكما أن تكذيب قوم نوح لنوح هو تكذيب للرسل كلهم، فكذلك تكذيب قومك لك هو تكذيب للرسل كلهم.

الدلالة النفسية
هذه الجملة تحمل تهويلًا لجريمة التكذيب. من يكذب رسولًا واحدًا، فكأنما كذب جميع الرسل. فاحذر أن تكون من المكذبين.
2
الجملة الثالثة: ﴿أَغْرَقْنَاهُمْ﴾
اللمسة البلاغية: الإغراق – عذاب الاستئصال
"أغرقناهم" من الإغراق، وهو الإهلاك بالماء. وهذا العذاب كان جزاء لتكذيبهم. وهو عذاب استؤصلوا به من الأرض.

اللمسة البيانية: الإسناد إلى الله
"أغرقناهم" إسناد الفعل إلى الله، لبيان أن هذا العذاب من عنده. وهو الذي قدره، وهو الذي نفذه.

الدلالة النفسية
هذه الكلمة تحمل الرهبة. الماء الذي كان مصدر حياتهم، أصبح سبب هلاكهم. فمن كذب الرسل، قد تنقلب عليه نعمه نقمًا.
3
الجملة الرابعة: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً﴾
اللمسة البلاغية: "جَعَلْنَاهُمْ" – التحويل إلى عبرة
"جعلناهم" من الجعل، وهو التحويل. أي: حولناهم من أمة عاقبة إلى عبرة لمن بعدهم.
"لِلنَّاسِ" – عموم العبرة
"للناس" أي: لكل الناس في كل زمان ومكان. قصتهم ليست خاصة بقومهم فقط، بل هي عبرة للعالمين.
"آيَةً" – العلامة والعبرة
"آية" أي: علامة دالة على قدرة الله، وعبرة لمن يعتبر. قصتهم أصبحت درسًا يُتلى، وقصة تُحكى، وعبرة تُذكر.
اللمسة البيانية: تقديم "للناس" على "آية"
قدم "للناس" على "آية" للاهتمام بأن هذه العبرة عامة لكل الناس، لا لقومهم فقط.

الدلالة النفسية
هذه الجملة تحمل التذكير بالعبرة. كلما قرأت قصة نوح، تذكر أن الله جعلها آية. فهل أنت ممن يتعظ بها، أم ممن تمر عليه مرور الكرام؟
5
الجملة الخامسة: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾
اللمسة البلاغية: "أَعْتَدْنَا" – الإعداد والتهيئة

"أعتدنا" من الإعداد، أي: هيأنا وأعددنا. وهذا الإعداد يدل على أن العذاب ليس عفوًا، بل هو معَدّ مسبقًا للظالمين.
"لِلظَّالِمِينَ" – عموم الوعيد
"للظالمين" أي: لكل ظالم، وليس لقوم نوح فقط. الوعيد عام يشمل كل من ظلم نفسه بالكفر و المعصية.

"عَذَابًا أَلِيمًا" – وصف العذاب
"عذابًا أليمًا" أي: مؤلمًا موجعًا. وهو عذاب الآخرة الذي لا يطاق.

اللمسة البيانية: الانتقال من الخاص إلى العام
بدأت الآية بقوم نوح (خاص)، ثم انتقلت إلى الظالمين (عام). وهذا يفيد أن ما حدث لقوم نوح هو نموذج لما سيلقاه كل ظالم. فالعبرة من الخاص، والوعيد للعام.

اللمسة التجويدية: الوقف على "أَلِيمًا"
الوقف على "أليمًا" يعطي إحساسًا بالانتهاء، وكأن الحكم قد صدر: للظالمين عذاب أليم.

الدلالة النفسية
هذه الجملة تحمل الإنذار الشديد. الظلم له ثمن. والله أعد للظالمين عذابًا أليمًا. فمن كان ظالمًا، فليتب قبل فوات الأوان.
ثالثا
الموضوع الأول1: خصوصية قصة نوح وأهميتها
لماذا اختار الله قصة نوح هنا؟
1. لأنها أطول قصة صبر في القرآن: نوح دعا قومه تسعمائة وخمسين سنة. وهذا يعلمنا أن الصبر على الدعوة قد يطول، والنصر آتٍ لا محالة.
2. لأنها تظهر أن التكذيب ليس جديدًا: قوم نوح كذبوا قبلك، وقوم فرعون كذبوا قبلك، فاصبر كما صبروا.
3. لأن فيها أشد أنواع العذاب: الإغراق بالماء، ثم جعلهم آية. فمن كذب، فله عذاب الدنيا والآخرة.
4. لأنها تربط بين تكذيب رسول واحد وتكذيب جميع الرسل: "كذبوا الرسل" تعني أن تكذيب نوح كان تكذيبًا لجميع الرسل.
5. لأنها تخرج من الخاص إلى العام: بدأت بقوم نوح، ثم ختمت بالوعيد لكل ظالم.
الموضوع الثاني2: السنن الإلهية في قصة نوح
1. سنة الصبر على الدعوة
نوح صبر تسعمائة وخمسين سنة. هذه سنة الله في الدعوة: قد تطول، وقد يقصر، لكن الصبر هو المفتاح.
2. سنة الاستجابة للمؤمنين
رغم طول المدة، استجاب الله لدعوة نوح، وأغرق قومه. فمن صبر، استجاب الله له.
3. سنة تحويل العذاب إلى عبرة
لم يغرقهم الله فقط، بل جعل قصتهم آية للناس. فالعبرة تبقى، والعظة تخلد.
4. سنة العموم في الوعيد
ما حدث لقوم نوح ليس خاصًا بهم. كل ظالم سيناله مثل ما نالهم، أو أشد.
5. سنة ارتباط تكذيب رسول واحد بتكذيب جميع الرسل
من كذب رسولًا واحدًا، فكأنما كذب جميع الرسل. لأن دعوتهم واحدة.
الموضوع الثالث3: كيف تربي الآية المؤمن على الصبر والدعوة
1. الصبر على طول الطريق
نوح صبر تسعمائة وخمسين سنة. الطريق طويل، والنصر يحتاج إلى صبر. فلا تيأس من طول الطريق.
2. لا تنتظر النصر الفوري
قد تدعو سنوات دون أن ترى نتيجة. هذه سنة الله. نوح دعا طويلًا، ثم جاء النصر.
3. اعلم أن التكذيب ليس جديدًا
قبل أن تكذب أنت، كذب قوم نوح، وكذب قوم فرعون. فاصبر كما صبروا.
4. اجعل قصتك عبرة للآخرين
قد لا ترى ثمرة دعوتك في حياتك، لكنها قد تكون عبرة لمن بعدك. كما جعل الله قوم نوح آية للناس.
5. احذر من الظلم
الآية تختم بالوعيد للظالمين. الظلم عاقبته وخيمة. فاحذر أن تكون من الظالمين.

الموضوع الرابع4: المفاهيم المركزية في الآية
المفهوم الأول1: تكذيب الرسول تكذيب لجميع الرسل
من كذب نبيًا واحدًا، فكأنما كذب جميع الأنبياء. لأن دعوتهم واحدة.
المفهوم الثاني2: العذاب قد يكون في الدنيا والآخرة
قوم نوح عذبوا في الدنيا بالإغراق، ولهم عذاب الآخرة. فمن كذب، له عذاب الدنيا وعذاب الآخرة.
المفهوم الثالث3: التاريخ آية وعبرة
قصص الماضين ليست مجرد أخبار، بل هي آيات وعبر. فمن يعتبر، ينجو. ومن يغفل، يهلك.
المفهوم الرابع4: الظلم عاقبته وخيمة
الآية تختتم بالوعيد للظالمين. الظلم بأي صورة، عاقبته وخيمة.
المفهوم الخامس5: الصبر على الدعوة طويل
نوح صبر طويلًا. وهذا يعلمنا أن الدعوة تحتاج إلى صبر، وأن النصر آتٍ ولو بعد حين.
الموضوع الخامس5: القيم المستنبطة من الآية
1. قيمة الصبر: الصبر على الدعوة وعلى الأذى.
2. قيمة التوحيد: تكذيب الرسول تكذيب للرسل جميعًا.
3. قيمة العبرة: الاستفادة من قصص الماضين.
4. قيمة الإنذار: التحذير من عاقبة التكذيب.
5. قيمة العدل الإلهي: الله يعاقب الظالمين.
6. قيمة النصر للمؤمنين: النهاية للمؤمنين ولو بعد حين.
7. قيمة قراءة التاريخ: بفهم السنن الإلهية.
الموضوع السادس6: قراءة الأحداث التاريخية من خلال السنن الإلهية
كيف نقرأ قصة نوح؟
هذه القصة تعلمنا أن التاريخ ليس مجرد سرد لأحداث، بل هو تطبيق للسنن الإلهية. من يقرأ قصة نوح بدون فهم هذه السنن، يقرأها قراءة سطحية.
السنن التي يمكن قراءتها في قصة نوح:
1. سنة الصبر على الدعوة: الدعوة قد تطول، والنصر آتٍ.
2. سنة الاستجابة للمؤمنين: الله يستجيب لدعوة المؤمنين ولو بعد حين.
3. سنة تحويل العذاب إلى عبرة: ما يحدث للأمم السابقة يكون عبرة لمن بعدها.
4. سنة العموم في الوعيد: ما حدث لقوم نوح يمكن أن يحدث لكل ظالم.
5. سنة ارتباط تكذيب رسول واحد بتكذيب جميع الرسل: الدين واحد، والرسل واحدة.
تطبيق ذلك على واقعنا:
· أي دعوة إلى الله تحتاج إلى صبر.
· أي تكذيب للرسول هو تكذيب للدين كله.
· أي ظلم سينتهي بهلاك الظالم.
· أي قصة من قصص الماضين هي عبرة لنا اليوم.
الموضوع السابع7: الأبعاد المختلفة للآية
1. البعد التاريخي
تفتح الآية أمامك أفقًا تاريخيًا واسعًا. تريك كيف بدأت أعظم قصص الصبر، وكيف واجهت أطول فترة دعوة، وكيف كانت النهاية.
2. البعد الدعوي
تربيك على الصبر في الدعوة. تعلمك أن الطريق طويل، وأن النصر آتٍ.
3. البعد التربوي
تربي في النفس الصبر، والعبرة، والخوف من الظلم.
4. البعد النفسي
تمنح الطمأنينة بأن النصر آتٍ، وأن الله مع المؤمنين. وترعب الكافرين بأن العذاب معَدّ لهم.
5. البعد الإيماني
ترفع إيمانك إلى مستوى أعلى: الإيمان بأن الله لا يخلف وعده، وأن سنة الله في الأمم لا تتغير.
6. البعد الحضاري
تريك أن الحضارات تبنى بالصبر على الدعوة، وتنهار بالتكذيب والظلم.
الموضوع الثامن8: الآفاق التي تحملها الآية
1. الأفق التاريخي
تفتح أمامك أفقًا تاريخيًا: كيف تقرأ قصص الماضين بفهم السنن الإلهية.
2. الأفق الدعوي
تفتح أمامك أفقًا دعويًا: كيف تصبر على الدعوة، وكيف تنتظر النصر.
3. الأفق التربوي

تفتح أمامك أفقًا تربويًا: كيف تربي نفسك على الصبر، وكيف تربي غيرك على العبرة.
4. الأفق الإيماني
تفتح أمامك أفقًا إيمانيًا: كيف تثق بوعد الله، وكيف تؤمن بأن النصر قادم.
5. الأفق الحضاري
تفتح أمامك أفقًا حضاريًا: كيف تبني حضارة على الصبر والدعوة، وكيف تحميها من الظلم و التكذيب.
الموضوع التاسع9: دور مفاهيم الآية في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة
1. في بناء الإنسان المتزن
نفسيًا
تمنح الآية الإنسان الطمأنينة والصبر من خلال:
· معرفته أن الصبر على الدعوة سنة الله.
· علمه بأن النصر آتٍ ولو بعد حين.
· إدراكه أن الله مع المؤمنين.
فكريًا
تزرع الآية في العقل:
· فهم السنن الإلهية في التاريخ.
· أهمية الصبر في الدعوة.
· خطورة الظلم والتكذيب.
سلوكيًا
تعلم الإنسان:
· الصبر: على طول الطريق.
· العبرة: من قصص الماضين.
· الابتعاد عن الظلم: خوفًا من عاقبته.
2. في بناء المجتمع المسلم
المجتمع الذي يتدبر هذه الآية هو مجتمع:
· يصبر على الدعوة: فلا يستعجل النتائج.
· يعتبر بقصص الماضين: فيقرأ التاريخ بفهم.
· يخاف من الظلم: فيبتعد عنه.
· يؤمن بالنصر: ولو بعد حين.
3. في بناء الحضارة الإسلامية
الحضارة الإسلامية قامت على الصبر على الدعوة. الصحابة صبروا طويلًا، ثم جاء النصر. فكانت حضارة عظيمة.
هذه الآية تحمي الحضارة من:
· اليأس: فلا تيأس من طول الطريق.
· الاستعجال: فلا تطلب النتائج فجأة.
· الظلم: فلا تسقط في فخ الظلم.
4. في البناء والتنمية
في مجال التنمية، هذه الآية تعطيك:
· الصبر: التنمية تحتاج إلى وقت.
· العبرة: الاستفادة من تجارب الأمم السابقة.
· العدل: فلا تنمية بلا عدل
الخاتمة: كيف تعيش هذه الآية؟
· كل صباح، تذكر أن نوحًا صبر تسعمائة وخمسين سنة. فاصبر أنت على طريقك.
· كل دعوة تقدمها، لا تستعجل النتيجة. النصر آتٍ ولو بعد حين.
· كل قصة تقرأها من قصص الماضين، اعتبر بها. فالتاريخ آية وعبرة.
· كل ظلم تراه، تذكر أن الله أعد للظالمين عذابًا أليمًا. فابتعد عن الظلم.
· كل تكذيب تواجهه، تذكر أن من كذب رسولًا واحدًا فكأنما كذب جميع الرسل. فاصبر ولا تحزن.
هذه الآية هي تذكير لك بأن الصبر على الدعوة طويل، لكن النصر قادم. وأن التكذيب ليس جديدًا، وأن الله مع المؤمنين. فاصبر كما صبر نوح، واثقًا أن النهاية ستكون كما كانت معه: نصر للمؤمنين، وهلاك للمكذبين.
وقفة أخيرة: هل أنت من المعتبرين أم من الغافلين؟
الآية تضعك أمام سؤال: هل أنت ممن يعتبر بقصة نوح؟ أم ممن تمر عليه القصة مرور الكرام؟
نوح صبر طويلًا، وقومه كذبوا، فأغرقهم الله وجعلهم آية. فهل تعتبر بهذه القصة؟ هل تصبر على دعوتك؟ هل تخاف من التكذيب؟ هل تبتعد عن الظلم؟

تذكر: من يعتبر، ينجو. ومن يغفل، يهلك.
اللهم إنا نسألك الصبر على الدعوة، والعبرة بقصص الماضين، والابتعاد عن الظلم. اللهم اجعلنا من الذين يعتبرون بآياتك، ويصبرون على طريقك، ويفوزون بنصرك.
ثالثا
تفسير الآيتين الثامنة والثلاثين والتاسعة والثلاثين من سورة الفرقان
قال تعالى: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا * وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ ۖ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا﴾.
مقدمة: جولة في متحف التاريخ الإلهي
هل تعلم أن القرآن يأخذك في جولة في متحف التاريخ؟ ليس متحفًا به تماثيل صامتة، بل متحفًا ناطقًا بآيات الله. كل أمة في هذا المتحف هي درس، وكل حضارة فيه هي عبرة، وكل نهاية فيه هي إنذار.
هاتان الآيتان تأخذانك في جولة سريعة لكنها عميقة، تمر على أمم عظيمة: عاد، ثمود، أصحاب الرّسّ، وقرون كثيرة بين ذلك. تمر عليها لترى: كيف بدأت؟ كيف عاشت؟ كيف كذبت؟ وكيف كانت نهايتها؟
ثم تأتي الخاتمة المدوية: ﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا﴾. كل أمة أنذرناها، وضربنا لها الأمثال، فلما لم تعتبر، تبرناها تتبيرًا: أهلكناها إهلاكًا كاملًا.
هاتان الآيتان تخاطبانك أنت أيضًا. إنهما تهمسان في أذنك: انظر إلى عاد، كانوا أصحاب قوة وبأس شديدين. أين هم؟ انظر إلى ثمود، كانوا ينحتون الجبال بيوتًا. أين هم؟ انظر إلى أصحاب الرسّ، وإلى القرون الكثيرة التي سبقتك. كلهم كانوا أقوى منك، وأكثر مالًا، وأطول عمرًا. فأين هم؟ ذهبوا كما لم يكونوا. لأنهم كذبوا الرسل، واستمروا في غيهم، فجاءهم العذاب.
تعالَ نتأمل هاتين الآيتين، وكأنهما تنزلان الآن. وكأن الله يأخذ بيدك ليجول بك في متحف التاريخ، ويقول لك: انظر، وتأمل، واعتبر، قبل أن تصبح أنت أيضًا درسًا لمن بعدك.
أولًا: السياق – العلاقة بالآية التي قبلها
الربط بالآية السابعة والثلاثين
الآية السابعة والثلاثون قالت: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.
جاءت هاتان الآيتان لتضيفا نماذج أخرى من الأمم التي كذبت فدمّرت. فبعد أن ذكر الله قوم نوح، يذكر الآن عادًا وثمود وأصحاب الرسّ وقرونًا كثيرة بين ذلك. إنه تعدد في الأمثلة لتأكيد القاعدة، وتنويع في العبر لتشمل كل أشكال التكذيب.
وكأن الله يقول: لا تظن أن قصة نوح كانت استثناءً. انظر إلى عاد، انظر إلى ثمود، انظر إلى أصحاب الرسّ، انظر إلى القرون الكثيرة. كلهم كذبوا، وكلهم دُمّروا. فهذه سنتي، ولن تجد لسنتي تبديلًا.
ثانيًا: تحليل الآيتين – قراءة في عمق العبرة التاريخية
المبحث الأول
الآية الثامنة والثلاثون
الجملة الأولى: ﴿وَعَادًا﴾.
اللمسة البلاغية: النصب على الاختصاص

"وعادًا" منصوب على الاختصاص، أي: وأذكر عادًا. وهو تنبيه إلى أن لهذه الأمة شأنًا عظيمًا.
"عَادًا" – قوم هود
عاد هم قوم هود عليه السلام. كانوا أصحاب قوة وبأس شديدين. قال تعالى عنهم: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ * الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾. كانوا طوال القامة، شديدي البأس، لكنهم كذبوا رسولهم هودًا، فأهلكهم الله بريح صرصر عاتية.

الدلالة النفسية
هذه الكلمة تحمل عبرة القوة. عاد كانوا أقوى الأمم في زمانهم، لكن قوتهم لم تنفعهم حين جاء عذاب الله. فمن اغتر بقوته، فليتذكر عادًا.
2
الجملة الثانية: ﴿وَثَمُودَ﴾.
اللمسة البلاغية: "وَثَمُودَ" – قوم صالح
ثمود هم قوم صالح عليه السلام. كانوا ينحتون الجبال بيوتًا، وكانوا أصحاب حضارة عظيمة. لكنهم كذبوا رسولهم صالحًا، وعقروا الناقة التي كانت آية لهم، فأهلكهم الله بالصيحة أو بالرجفة.

الدلالة النفسية
هذه الكلمة تحمل عبرة الحضارة. ثمود كانت حضارة عظيمة، لكن حضارتهم لم تنفعهم حين كذبوا

رسولهم. فمن اغتر بحضارته، فليتذكر ثمودًا.
3
الجملة الثالثة: ﴿وَأَصْحَابَ الرَّسِّ﴾
اللمسة البلاغية: "أَصْحَابَ الرَّسِّ" – قوم مجهولون بحكمتهم
أصحاب الرسّ: قيل هم قوم من بقايا ثمود، أو قوم في اليمن، أو قوم قتلوا نبيهم وألقوه في بئر (الرسّ). والرسّ هو البئر المطمومة. وهم قوم كذبوا نبيهم، فأهلكهم الله.
اللمسة البيانية: التنكير والإبهام
هؤلاء القوم لم يذكروا بالاسم في القرآن كثيرًا. وهذا الإبهام فيه عبرة: أن العبرة ليست باسم القوم، بل بفعلهم وعاقبتهم. وكأن الله يقول: لا تشغل نفسك بمن هم، وانظر ماذا فعلوا وماذا حل بهم.

الدلالة النفسية
هذه الكلمة تحمل عبرة التواضع. قد لا يكون اسمك معروفًا في التاريخ، لكن عملك محفوظ عند الله. فكن حريصًا على عملك، لا على اسمك.
/4
الجملة الرابعة: ﴿وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا﴾
اللمسة البلاغية: "قُرُونًا" – الأمم المتعاقبة
القرون هي الأمم التي جاءت بعد عاد وثمود. والمعنى: وقرونًا كثيرة بين عاد وثمود وأصحاب الرسّ ، أو بين هذه الأمم وأمة محمد ﷺ.
"بَيْنَ ذَٰلِكَ" – الإشارة إلى الأمم المذكورة
"بين ذلك" أي: بين هذه الأمم التي ذكرناها. هناك قرون كثيرة أهلكناها ولم نذكرها.
"كَثِيرًا" – الكثرة والعموم
"كثيرًا" نكرة للعموم، تفيد أن القرون التي أهلكناها كثيرة لا تُحصى. كل أمة كذبت رسلها، أهلكناها.
اللمسة البيانية: الإجمال بعد التفصيل
بعد أن ذكر الله بعض الأمم بالتفصيل، قال "وقرونًا بين ذلك كثيرًا". هذا الأسلوب يفيد أن ما ذكر ليس كل شيء، بل هناك أمم كثيرة لم تذكر، لكن العبرة واحدة.
الدلالة النفسية
هذه الجملة تحمل عبرة العموم. ليس عادًا وثمود فقط من هلكوا، بل أمم كثيرة جدًا. فمن ظن أنه سينجو بما عنده من قوة أو حضارة، فليتذكر هذه القرون الكثيرة.
المبحث الثاني
الآية التاسعة والثلاثون
الجملة الأولى: ﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ﴾
اللمسة البلاغية: "كُلًّا" – العموم والشمول
"كلًا" منصوب على المفعولية، وتعني: كل أمة من هذه الأمم. أي: ما من أمة إلا وقد أنذرناها، وبيّنا لها الحق، وضربنا لها الأمثال.
"ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ" – الإنذار بالبيان
ضرب الأمثال هو التقريب والتوضيح. أي: بيّنا لهم الحق بأوضح صورة، وأنذرناهم بالعذاب، وقدّمنا لهم الأدلة والبراهين.
اللمسة البيانية: تقديم "كلًا" على الفعل
قدم "كلًا" على الفعل للاهتمام بالعموم. فكل أمة أخذت حجتها، ولم يهلكها الله إلا بعد أن أنذرها وأوضح لها الطريق.

الدلالة النفسية
هذه الجملة تحمل عبرة العدل. الله لم يهلك أمة إلا بعد أن أقام عليها الحجة، وبيّن لها الحق، وضرب لها الأمثال. فمن هلك، هلك عن بينة.
/2
الجملة الثانية: ﴿وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا﴾
اللمسة البلاغية: "تَبَّرْنَا" – الإهلاك الكامل
"تبرنا" من التتبير، وهو الإهلاك والتدمير الكامل. والتضعيف في الفعل يدل على الشدة والمبالغة.
"تَتْبِيرًا" – المصدر المؤكد
"تتبيرًا" مصدر منصوب للتوكيد. أي: أهلكناهم إهلاكًا كاملًا لا بقاء بعده.
اللمسة البيانية: الطباق بين "ضربنا الأمثال" و"تبرنا تتبيرًا"
هناك طباق رائع بين الجملتين: أقام الله عليهم الحجة (ضربنا الأمثال)، فلما لم يستجيبوا، أهلكهم (تبرنا تتبيرًا). هذا هو العدل الإلهي.
اللمسة التجويدية: الوقف على "تَتْبِيرًا"
الوقف على "تتبيرًا" يعطي إحساسًا بالانتهاء، وكأن الحكم قد صدر: كل أمة أهلكناها إهلاكًا كاملًا.

الدلالة النفسية
هذه الجملة تحمل الإنذار الشديد. من أقام الله عليه الحجة، ثم كذب، فسيناله التتبير. لا مهرب، ولا مناص.
ثالثا
الموضوع الأول1: خصوصية هذه الأمم وأهميتها
لماذا اختار الله هذه الأمم؟
1. عاد: نموذج القوة والبطش. كانوا أقوى الأمم، لكن قوتهم لم تنفعهم.
2. ثمود: نموذج الحضارة والعمران. كانوا ينحتون الجبال بيوتًا، لكن حضارتهم لم تنفعهم.
3. أصحاب الرسّ: نموذج الأمم التي طمست آثارها. لا نعرف الكثير عنهم، لكن العبرة موجودة.
4. قرونًا كثيرة: إشارة إلى أن القاعدة عامة، وليست خاصة بهذه الأمم فقط.
الدروس المستفادة من تنوع الأمثلة
· تنوع أشكال القوة: كل أمة كانت قوية بشكل مختلف. عاد بالقوة البدنية، ثمود بالحضارة، غيرهم بالمال أو العدد. لكن كلها لم تنفع.
· تنوع أشكال العذاب: عاد بالريح، ثمود بالصيحة، أصحاب الرسّ بما لا نعلم، وقوم نوح بالغرق. كلها آيات وعبر.
· تنوع الزمان والمكان: أمم في أزمنة مختلفة، وأماكن متفرقة، لكن العاقبة واحدة لمن كذب.
الموضوع الثاني2: السنن الإلهية في هذه الآيات
1. سنة الإنذار قبل الإهلاك
"وكلًا ضربنا له الأمثال". لم يهلك الله أمة إلا بعد أن أنذرها، وبيّن لها الطريق، وأقام عليها الحجة.
2. سنة الاستدراج
هذه الأمم أعطيت فرصًا طويلة، واستمرت في كفرها، حتى جاءها العذاب. هذه سنة الاستدراج: الله يملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته.
3. سنة التنوع في العذاب
عذب الله كل أمة بما يناسب حالها. عاد وكانوا أصحاب قوة، فأهلكهم بريح شديدة. ثمود وكانوا أصحاب حضارة، فأهلكهم بالصيحة. وهذا يدل على قدرة الله.
4. سنة العموم
"وقرونًا بين ذلك كثيرًا" تدل على أن هذه السنة ليست خاصة ببعض الأمم، بل هي عامة. كل من كذب الرسل، أهلكه الله.
5. سنة العدل
لم يهلك الله أمة إلا بعد أن أقام عليها الحجة. فمن هلك، هلك عن بينة.
الموضوع الثالث3: كيف تربي الآية المؤمن على الاعتبار والعبرة
1. انظر إلى عاقبة المكذبين
كل هذه الأمم كانت أقوى منك، وأكثر مالًا، وأطول عمرًا. أين هم؟ ذهبوا كما لم يكونوا. فمن اغتر بقوته أو ماله، فليتذكر.
2. لا تغتر بقوتك
عاد كانوا أقوى الأمم، لكن قوتهم لم تنفعهم. فقوتك اليوم لن تنفعك إذا كنت على غير الحق.
3. لا تغتر بحضارتك
ثمود كانوا أصحاب حضارة عظيمة، لكن حضارتهم لم تنفعهم. فحضارتك اليوم لن تنفعك إذا كنت على غير الحق.
4. لا تغتر بكثرة القرون
قرون كثيرة مضت، وكانت أقوى منكم، وأكثر مالًا، وأطول أعمارًا. لكنهم هلكوا. فأنت أيضًا ستهلك إن لم تتبع الحق.
5. اعلم أن الحجة قد أقيمت عليك
كل أمة ضُربت لها الأمثال. وهذه الآيات التي تقرؤها هي أمثالك. فقد أقيمت عليك الحجة. فإما أن تؤمن، وإما أن تهلك.
الموضوع الرابع4: المفاهيم المركزية في الآيتين
المفهوم الأول1: تنوع الأمم ووحدة العاقبة
الأمم تختلف في قوتها وحضارتها وزمانها، لكن العاقبة واحدة لمن كذب: الهلاك والتتبير.
المفهوم الثاني2: الإنذار قبل الإهلاك
الله لا يهلك أمة إلا بعد أن يقيم عليها الحجة، ويضرب لها الأمثال.
المفهوم الثالث3: الإهلاك الكامل (التتبير)
"تبرنا تتبيرًا" تدل على أن الإهلاك كان كاملًا لا بقاء بعده. لا عودة، ولا نجاة.
المفهوم الرابع4: العموم والشمول
"وقرونًا بين ذلك كثيرًا" تدل على أن هذه السنة تشمل كل الأمم، وليست خاصة ببعضها.

المفهوم الخامس5: التاريخ آية وعبرة
قصص هذه الأمم ليست مجرد أخبار، بل هي آيات وعبر لمن يعتبر.
الموضوع الخامس5: القيم المستنبطة من الآيتين
1. قيمة الاعتبار: النظر في عاقبة الأمم السابقة.
2. قيمة التواضع: عدم الاغترار بالقوة أو الحضارة.
3. قيمة الخوف: الخوف من عاقبة التكذيب.
4. قيمة العدل الإلهي: أن الله لا يهلك إلا بعد إقامة الحجة.
5. قيمة الإنذار: التحذير قبل وقوع العذاب.
6. قيمة العموم: أن سنة الله واحدة في كل الأمم.
7. قيمة قراءة التاريخ: لفهم السنن الإلهية.
الموضوع السادس6: قراءة الأحداث التاريخية من خلال السنن الإلهية
كيف نقرأ تاريخ هذه الأمم؟
هذه الآيات تعلمنا أن التاريخ ليس مجرد سرد لأحداث، بل هو تطبيق للسنن الإلهية. من يقرأ قصة عاد وثمود بدون فهم هذه السنن، يقرأها قراءة سطحية.
السنن التي يمكن قراءتها:
1. سنة التنوع في القوة: كل أمة كانت قوية بشكل، لكن القوة لا تنفع مع التكذيب.
2. سنة الإنذار قبل الإهلاك: الله لا يهلك أمة إلا بعد أن ينذرها.
3. سنة الاستدراج: قد يمهل الله الظالمين طويلًا، لكنه لا يهملهم.
4. سنة العموم: كل من كذب، هلك. لا استثناء.
5. سنة العبرة: ما حدث مع الأمم السابقة هو عبرة للأمم اللاحقة.
تطبيق ذلك على واقعنا:
· أي أمة تكذب الرسل، مصيرها الهلاك.
· أي قوة أو حضارة لا تنفع مع التكذيب.
· الإنذار بالحق واجب قبل حلول العذاب.
· التاريخ يعيد نفسه لمن لم يعتبر.
الموضوع السابع7: الأبعاد المختلفة للآيتين
1. البعد التاريخي
تفتح الآيتان أمامك أفقًا تاريخيًا واسعًا. تريانك أممًا عظيمة كانت، ثم أين هي؟ تريانك كيف تبدأ الحضارات، وكيف تنتهي.
2. البعد النفسي
تمنحان الطمأنينة للمؤمن: بأن الله معه. وترعبان الكافر: بأن العاقبة لهلاك من كذب.
3. البعد التربوي
تربيان في النفس الاعتبار، والتواضع، وعدم الاغترار الدنيا.
4. البعد الإيماني
ترفعان الإيمان إلى مستوى أعلى: الإيمان بأن سنة الله لا تتغير، وأن التاريخ يعيد نفسه لمن لا يعتبر.
5. البعد الحضاري
تريانك أن الحضارات تزول إذا ابتعدت عن الحق. وأن القوة وحدها لا تكفي للبقاء.
الموضوع الثامن8: الآفاق التي تحملها الآيتان
1. الأفق التاريخي
تفتح أمامك أفقًا تاريخيًا: كيف تقرأ تاريخ الأمم بفهم السنن الإلهية. كيف ترى أن التاريخ ليس مجرد أحداث، بل هو آيات.
2. الأفق النفسي
تفتح أمامك أفقًا نفسيًا من التواضع والخوف. لا تغتر بقوتك، ولا بحضارتك.
3. الأفق التربوي
تفتح أمامك أفقًا تربويًا: كيف تربي نفسك على الاعتبار، وكيف تربي غيرك على العبرة.
4. الأفق الإيماني
تفتح أمامك أفقًا إيمانيًا: كيف تثق بعدل الله، وكيف تخاف من عاقبة التكذيب.
5. الأفق الحضاري
تفتح أمامك أفقًا حضاريًا: كيف تبني حضارة على الحق، وكيف تحميها من الزوال.
الموضوع التاسع9: دور مفاهيم الآيتين في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة
1. في بناء الإنسان المتزن
نفسيًا
تمنح الآيتان الإنسان التواضع والخوف من خلال:

· إدراكه أن القوة لا تنفع مع التكذيب.
· معرفته أن الحضارة لا تحمي من العذاب.
· خوفه من أن يكون مصيره كمصير هذه الأمم.
فكريًا
تزرع الآيتان في العقل:
· فهم السنن الإلهية في التاريخ.
· أهمية الاعتبار بمن سبق.
· عدم الاغترار بالدنيا وزينتها.
سلوكيًا
تعلمان الإنسان:
· الاعتبار: من قصص الماضين.
· التواضع: فلا يغتر بقوته.
· الاستعداد: للآخرة.
2. في بناء المجتمع المسلم
المجتمع الذي يتدبر هاتين الآيتين هو مجتمع:
· يعتبر بمن سبق: فيقرأ التاريخ بفهم.
· لا يغتر بقوته: فلا يتكبر.
· يخاف من عاقبة التكذيب: فيستقيم.
· يؤمن بعدل الله: فلا يظن أن أحدًا سينجو بالباطل.
3. في بناء الحضارة الإسلامية
الحضارة الإسلامية قامت على الاعتبار والتواضع. المسلمين لم يغتروا بقوتهم، بل كانوا يتذكرون عاقبة الأمم السابقة. فكانت حضارة متوازنة.
هاتان الآيتان تحميان الحضارة من:
· الغرور: فلا تغتر بقوتها.
· التكبر: فلا تستعلي على غيرها.
· الزوال: فتذكرها بأن كل حضارة زائلة إلا ما كان لله.
4. في البناء والتنمية
في مجال التنمية، هاتان الآيتان تعطيانك:
· التواضع: لا تغتر بإنجازاتك.
· الاعتبار: استفد من تجارب الآخرين.
· الاستدامة: لا تنمية بلا أخلاق.
الخاتمة: كيف تعيش هاتين الآيتين؟
· كل صباح، تذكر عادًا وثمود وأصحاب الرسّ. تذكر أنهم كانوا أقوى منك، وأكثر مالًا. أين هم؟
· كل قوة تشعر بها، تذكر أن قوة عاد لم تنفعهم. فتواضع.
· كل حضارة تراها، تذكر أن حضارة ثمود لم تنفعهم. فلا تغتر.
· كل أمة تقرأ تاريخها، تذكر أن القرون الكثيرة هلكت. فاعتبر.
· كل حجة تقام عليك، تذكر أن الله ضرب الأمثال. فاستجب قبل أن تتبّر.
هاتان الآيتان هما جولة في متحف التاريخ الإلهي. تأخذانك لترى أممًا عظيمة كانت، ثم أين هي؟ لترى قوة لا تضاهى، ثم أين ذهبت؟ لترى حضاراتٍ عظيمة، ثم ماذا بقي منها؟ لتقول لك: كل هذا زال. فما الذي يبقى؟ يبقى ما كان لله. فاجعل عملك لله، تبقى.
وقفة أخيرة: أي أمة أنت؟
الآيتان تضعانك أمام سؤال: أي أمة أنت؟
· هل أنت كعاد؟ تغتر بقوتك؟
· هل أنت كثمود؟ تغتر بحضارتك؟
· هل أنت كأصحاب الرسّ؟ تطمس آثار الحق؟
· أم أنت ممن يعتبر بمن سبق، فينجو؟
تذكر: كل أمة ضربت لها الأمثال، وكل أمة تبّرت تتبيرًا لمن كذب. فاختر لنفسك طريق النجاة.
رابعا
تفسير الآية الأربعين من سورة الفرقان
قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ ۚ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا ۚ بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا﴾
مقدمة: حين تمر على العبرة ولا تعتبر
هل سبق لك أن مررت على مكان فيه عبرة، ثم مررت عليه مرور الكرام؟ هل رأيت بأم عينيك ما يدل على قدرة الله، ثم غفلت عنه بعد لحظات؟ هل سمعت قصة قوم عذبوا بسبب كفرهم، ثم لم تهزك القصة؟

هذه الآية تأخذك إلى مشهد من مشاهد الغفلة البشرية. إنها تصور لك قومًا يمرون على القرية التي أمطرت مطر السوء، التي هي قرية قوم لوط، التي قلبها الله وأمطر عليها حجارة من سجيل. يمرون عليها في أسفارهم، يرونها رأي العين، لكنهم لا يعتبرون. لماذا؟ لأنهم لا يرجون نشورًا. لأنهم لا يؤمنون بالآخرة، فآيات الدنيا لا تؤثر فيهم.

هذه الآية تخاطبك أنت أيضًا. إنها تهمس في أذنك: كم من آية رأيتها في حياتك؟ كم من عبرة مررت عليها؟ كم من درس تعلمته ثم نسيته؟ لماذا لا تعتبر؟ هل لأنك لا تريد أن تعتبر؟ أم لأنك لا تؤمن بأن هناك يومًا ستحاسب فيه؟ أم أن قلبك قسا حتى صار لا يتأثر بآيات الله؟
تعالَ نتأمل هذه الآية، وكأنها تنزل الآن. وكأن الله يقول لك: أنت تمر على آياتي كل يوم. ترى الشمس تشرق، وترى المطر ينزل، وترى الأرض تحيا بعد موتها، وترى آثار من كانوا قبلك. فلماذا لا تعتبر؟ ألأنك لا ترجو نشورًا؟ ألأنك لا تؤمن بأنك ستبعث وتحاسب؟
أولًا: السياق – العلاقة بالآية التي قبلها
الربط بالآيتين الثامنة والثلاثين والتاسعة والثلاثين
الآيتان السابقتان ذكرتا أممًا عديدة: عادًا وثمود وأصحاب الرسّ وقرونًا كثيرة بين ذلك. وكان الختام: ﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا﴾.
جاءت هذه الآية لتكشف عن غفلة المشركين المعاصرين للنبي ﷺ. هؤلاء القوم كانوا يمرون على آثار قوم لوط في أسفارهم إلى الشام. كانوا يرون بأعينهم القرى التي قلبها الله، والتي أمطر عليها مطر السوء. ومع ذلك، لم يعتبروا. وكأن الله يقول: لقد أريتم الآيات، ومررتم على العبرات، فلماذا لا تعتبرون؟
إنها ربط بين الحاضر والماضي. الماضي فيه عبر، والحاضر فيه غفلة. والمشركون يمرون على العبرة ولا يعتبرون.
ثانيًا: تحليل الآية – قراءة في عمق الغفلة
الجملة الأولى: ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ﴾
اللمسة البلاغية: "وَلَقَدْ" – القسم والتوكيد
"لقد" جملة قسمية تفيد التوكيد. الله يقسم على هذا الخبر، لبيان أهميته. إنه ليس خبرًا عاديًا، بل هو واقع تاريخي لا شك فيه.

"أَتَوْا" – المجيء والمرور
"أتوا" أي: جاءوا ومرّوا. والمقصود: مشركو قريش كانوا يمرون في أسفارهم إلى الشام على قرى قوم لوط. كانوا يرونها بأعينهم.

"عَلَى الْقَرْيَةِ" – قرية سدوم
القرية هي قرية قوم لوط، وهي سدوم وعمورة. كانت قرى معروفة في طريق تجارة قريش إلى الشام.

"الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ" – عذاب الاستئصال
"أمطرت مطر السوء" أي: أنزل عليها عذاب من السماء. مطر السوء هو الحجارة من سجيل. وهو أشد أنواع العذاب، لأنه جاء من السماء التي كانت مصدر رحمتهم.

اللمسة البيانية: "مَطَرَ السَّوْءِ" – إضافة إلى السوء
"مطر السوء" إضافة تفيد أن هذا المطر كان مطر سوء، لا مطر رحمة. فالمطر عادة رحمة، لكنه هنا صار عذابًا.

الدلالة النفسية
هذه الجملة تحمل تذكيرًا بالعبرة. القرى التي يمرون عليها هي قرى عذبها الله. هي شاهدة على قدرة الله، وعلى عاقبة المكذبين.
/2
الجملة الثانية: ﴿أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا﴾
اللمسة البلاغية: الاستفهام الإنكاري
"أفلم" استفهام إنكاري. أي: أليسوا يرونها؟ إنهم يرونها بأعينهم، فلماذا لا يعتبرون؟

"يَكُونُوا يَرَوْنَهَا" – رؤية العين
"يرونها" رؤية بصرية. ليسوا بحاجة إلى أخبار، فهم يشاهدون بأعينهم آثار العذاب. رؤية العين أشد تأثيرًا من السماع.

اللمسة البيانية: تقديم النفي على الرؤية
"أفلم يكونوا يرونها" أي: ألم تكن لهم عيون يرون بها؟ إنهم يرون، لكن الرؤية لا تنفع إذا كان القلب مغلقًا.

اللمسة التجويدية: الوقف على "يَرَوْنَهَا"
الوقف على "يرونها" يعطي إحساسًا بالعجب. كيف يرون ولا يعتبرون؟ كيف تشهد أعينهم ولا تتعظ قلوبهم؟

الدلالة النفسية
هذه الجملة تحمل توبيخًا عظيمًا. أنت ترى بعينيك، ومع ذلك لا تعتبر. أنت تمر على العبرة، ومع ذلك لا تتعظ. فما الذي يمنعك؟
3
الجملة الثالثة: ﴿بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا﴾
اللمسة البلاغية: "بَلْ" – الإضراب والانتقال
"بل" للإضراب والانتقال. أي: ليس الأمر أنهم لا يرون، بل الأمر أنهم لا يرجون نشورًا. فالمشكلة ليست في العيون، بل في القلوب.
"كانُوا" – الثبات والاستمرار
"كانوا" تفيد أن هذه الصفة ثابتة فيهم: لا يرجون نشورًا.
"لَا يَرْجُونَ" – نفي الرجاء
"لا يرجون" أي: لا يأملون، ولا يخافون. الرجاء هنا بمعنى الخوف والأمل معًا. فهم لا يخافون الآخرة، ولا يأملون في ثوابها.
"نُشُورًا" – البعث والحساب
"نشورًا" هو البعث بعد الموت. أي: لا يؤمنون بالبعث والجزاء. لأنهم لا يؤمنون بالآخرة، فلا ترتجف قلوبهم من آيات الدنيا.
اللمسة البيانية: تقديم السبب الحقيقي
هذه الجملة تكشف عن السبب الجذري للغفلة. ليس ضعف البصر، بل ضعف البصيرة. ليس غياب العبرة، بل غياب الإيمان بالآخرة.

الدلالة النفسية
هذه الجملة تحمل المفتاح لفهم سلوك الغافلين. من لا يؤمن بالآخرة، لا تتأثر نفسه بآيات الدنيا. يرى العبرة بعينه، لكن قلبه لا يتحرك. لأن قلبه لا يخاف يومًا يجازى فيه.
ثالثا
الموضوع الأول1: خصوصية قصة قوم لوط وأهميتها
لماذا اختار الله قوم لوط هنا؟
1. لأن آثارهم كانت باقية: قرى قوم لوط كانت باقية في زمن النبي ﷺ، وكانت على طريق تجارة قريش إلى الشام. فالعبرة كانت حاضرة، والعيان كان ممكنًا.
2. لأن عذابهم كان معجزة: أمطروا حجارة من السماء، وقلبت ديارهم. هذا عذاب نادر، يستحق التأمل.
3. لأن قريشًا كانت تمر عليهم: في رحلتي الشتاء والصيف، كانوا يمرون على هذه القرى. فكانوا يشاهدون العبرة بأعينهم.
4. لأنهم من أشد الناس غفلة: مع كل هذه المشاهدات، لم يعتبروا. وهذا أبلغ دليل على قسوة قلوبهم.
الدروس المستفادة
· رؤية العين ليست كافية: العبرة تحتاج إلى قلب يخاف الله.
· الإيمان بالآخرة هو المفتاح: من آمن بالآخرة، تأثر بآيات الدنيا.
· العبرة في القلب لا في العين: كم من عين ترى، وقلب لا يعي.
الموضوع الثاني2: السنن الإلهية في هذه الآية
1. سنة العيان
الله جعل آثار الأمم السابقة باقية، لتكون عبرة لمن بعدهم. فالذين يرونها بأعينهم، حجتهم أشد.
2. سنة الارتباط بين الإيمان بالآخرة والتأثر بالعبر
من لا يؤمن بالآخرة، لا يتأثر بآيات الدنيا. لأن قلبه لا يخاف من عاقبة.
3. سنة توبيخ الغافلين
الله يوبخ من يمر على العبرة ولا يعتبر. لأنهم لا عذر لهم بعد هذه المشاهدات.
4. سنة الإمهال والاستدراج
الله أمهل قوم لوط طويلًا، ثم جاءهم العذاب. ثم جعل آثارهم عبرة. فمن لم يعتبر، فله مثل ما

لهم.
الموضوع الثالث3: كيف تربي الآية المؤمن على الاعتبار
1. انظر بعين قلبك، لا بعين رأسك
الرؤية البصرية لا تكفي. اجعل مع عين رأسك عين قلبك. انظر إلى العبرة بعين البصيرة، فتتأثر.
2. آمن بالآخرة لتتأثر بالدنيا
من آمن بالآخرة، رأى في كل آية من آيات الدنيا تذكيرًا بها. ومن لم يؤمن بالآخرة، رأى الآيات فمرّ عليها.
3. لا تكن ممن يمر على العبرة ولا يعتبر
كم من آية رأيتها في حياتك؟ كم من درس تعلمته ثم نسيته؟ كم من عبرة مررت عليها ولم تهزك؟ تذكر هذه الآية، وكن من المعتبرين.
4. استحضر أنك ستبعث

"لا يرجون نشورًا" هي سبب الغفلة. فإذا استحضرت أنك ستبعث، وأن هناك يومًا تحاسب فيه، اهتز قلبك، واعتبرت بآيات الله.
الموضوع الرابع4: المفاهيم المركزية في الآية
المفهوم الأول1: العيان ليس كافيًا للإيمان
المشركون رأوا القرى المدمرة بأعينهم، ومع ذلك لم يؤمنوا. فالعبرة ليست بالرؤية فقط، بل بالقلب.
المفهوم الثاني2: الإيمان بالآخرة هو أساس التأثر بالعبر من لا يؤمن بالآخرة، لا تتأثر نفسه بآيات الدنيا. لأنه لا يخاف عاقبة، ولا يرجو ثوابًا.
المفهوم الثالث3: الغفلة عن العبر سببها القلب لا العين
المشكلة ليست في غياب العبرة، بل في قسوة القلب. فالقلب القاسي لا يتأثر بأعظم الآيات.
المفهوم الرابع4: آثار الأمم السابقة آيات للناس
آثار قوم لوط وغيرهم ليست مجرد خرائب، بل هي آيات وعبر. من يتأملها، يجد فيها درسًا.
الموضوع الخامس5: القيم المستنبطة من الآية
1. قيمة الاعتبار: النظر في آثار الأمم السابقة.
2. قيمة البصيرة: أن ترى بعين قلبك، لا بعين رأسك.
3. قيمة الإيمان بالآخرة: هو أساس التأثر بالعبر.
4. قيمة عدم الغفلة: أن لا تمر على العبرة ولا تعتبر.
5. قيمة خشية الله: أن تخاف عاقبة التكذيب.
6. قيمة التأمل: في آيات الله الكونية.
7. قيمة الاستعداد للآخرة: أن تعمل ليوم البعث.
الموضوع السادس6: قراءة الأحداث التاريخية من خلال السنن الإلهية
كيف نقرأ قصة قوم لوط؟
هذه الآية تعلمنا أن آثار الأمم السابقة ليست مجرد حجارة قديمة، بل هي آيات ناطقة. من يقرأها بعين البصيرة، يجد فيها عبرًا عظيمة.
السنن التي يمكن قراءتها:
1. سنة العذاب بالاستئصال: قوم لوط أهلكهم الله بالحجارة، وقلب ديارهم. فمن كذب، فله مثلها.
2. سنة بقاء الآثار: الله أبقى آثارهم لتكون عبرة لمن بعدهم.
3. سنة ارتباط الإيمان بالآخرة بالتأثر بالعبر: من لا يؤمن بالآخرة، لا يتأثر بآيات الدنيا.
4. سنة توبيخ الغافلين: الذين يرون العبرة ولا يعتبرون.
تطبيق ذلك على واقعنا:
· أي أمة تكذب، قد يبقي الله آثارها عبرة.
· نحن اليوم نرى آثار أمم كثيرة. هل نعتبر؟ أم نمر مرور الكرام؟
· رحلاتنا اليوم تمر على أماكن فيها عبر. هل نتأمل؟ هل نتعظ؟
الموضوع السابع7: الأبعاد المختلفة للآية
1. البعد التاريخي
تفتح الآية أمامك أفقًا تاريخيًا: قوم لوط كانوا في منطقة قريبة من جزيرة العرب، وكانت آثارهم باقية في زمن النبي ﷺ. المشركون كانوا يرونها. فما بالنا نحن؟
2. البعد النفسي
تكشف الآية عن سبب الغفلة: عدم رجاء النشور. من لا يؤمن بالآخرة، لا تتأثر نفسه بالعبر.
3. البعد التربوي
تربي الآية في النفس الاعتبار، وتذكرها بأن رؤية العبرة لا تكفي بدون بصيرة.
4. البعد الإيماني
ترفع الآية الإيمان إلى مستوى أعلى: الإيمان بالآخرة هو الذي يحرك القلب.

5. البعد الحضاري
تذكر الآية أن الحضارات تزول إذا كذبت، وأن آثارها تبقى عبرة.
الموضوع الثامن8: الآفاق التي تحملها الآية
1. الأفق التاريخي
تفتح أمامك أفقًا تاريخيًا: كيف تنظر إلى آثار الأمم السابقة؟ كمجرد حجارة، أم كآيات وعبر؟
2. الأفق النفسي
تفتح أمامك أفقًا نفسيًا: لماذا لا تتأثر بآيات الله؟ هل لأنك لا تؤمن بالآخرة؟
3. الأفق التربوي
تفتح أمامك أفقًا تربويًا: كيف تربي نفسك على الاعتبار، وكيف تربي غيرك على البصيرة؟
4. الأفق الإيماني
تفتح أمامك أفقًا إيمانيًا: الإيمان بالآخرة هو مفتاح التأثر بالآيات.
5. الأفق السياحي
تفتح أمامك أفقًا سياحيًا: إذا سافرت إلى أماكن فيها آثار، فتأمل، واعتبر، ولا تكن كمن يمر ولا يعتبر.
الموضوع التاسع9: دور مفاهيم الآية في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة
1. في بناء الإنسان المتزن
نفسيًا
تمنح الآية الإنسان البصيرة والخشية من خلال:
· إدراكه أن رؤية العين لا تكفي.
· علمه أن الإيمان بالآخرة هو أساس التأثر.
· تذكيره بأن يخاف من عاقبة الغفلة.
فكريًا
تزرع الآية في العقل:
· فهم سبب الغفلة: عدم رجاء النشور.
· أهمية البصيرة: في قراءة الآيات.
· أهمية الإيمان بالآخرة: في توجيه السلوك.
سلوكيًا
تعلم الإنسان:
· الاعتبار: بآثار الأمم السابقة.
· البصيرة: أن يرى بعين قلبه.
· الاستعداد للآخرة: فيعمل ليوم البعث.
2. في بناء المجتمع المسلم
المجتمع الذي يتدبر هذه الآية هو مجتمع:
· يعتبر بآثار الأمم السابقة: فيقرأ التاريخ ببصيرة.
· يؤمن بالآخرة: فيتأثر بآيات الدنيا.
· لا يمر على العبرة دون اعتبار: فيتعظ بغيره.
· يخاف من عاقبة الغفلة: فيستقيم.
3. في بناء الحضارة الإسلامية
الحضارة الإسلامية قامت على الاعتبار والإيمان بالآخرة. المسلمون كانوا يسافرون ويرون آثار الأمم السابقة، فيتأثرون ويتعظون. فكانت حضارة متوازنة.
هذه الآية تحمي الحضارة من:
· الغفلة: فتذكرها بأن تعتبر بمن سبق.
· الغرور: فلا تغتر بقوتها.
· الانهيار: فتذكرها بأن الأمم تزول إذا كذبت.
4. في البناء والتنمية
في مجال التنمية، هذه الآية تعطيك:
· الاعتبار: استفد من تجارب الآخرين.
· البصيرة: انظر إلى العواقب.
· الاستدامة: لا تنمية بلا قيم.
الخاتمة: كيف تعيش هذه الآية؟
· كل سفر تسافره، انظر إلى ما حولك. هل ترى آثارًا لعبرة؟ تأمل، واعتبر.
· كل آية تراها في الكون، لا تمر عليها مرور الكرام. اسأل نفسك: ماذا تريد أن تقول لي؟
· كل قصة تسمعها عن أمم سابقة، اعتبر بها. لا تظن أنك أفضل منهم.
· كل غفلة تشعر بها، اسأل نفسك: هل أنا لا أرجو نشورًا؟ جدد إيمانك بالآخرة.

· كل عبرة تمر بك، لا تتركها دون أن تهز قلبك.
هذه الآية هي تذكير لك بأن العبرة ليست في الرؤية، بل في القلب. وبأن الإيمان بالآخرة هو الذي يحرك القلب. فاجعل قلبك حيًا بالإيمان بالآخرة، ترَ بعين قلبك ما لا تراه عين رأسك.
وقفة أخيرة: هل تمر على العبرة ولا تعتبر؟
الآية تضعك أمام سؤال: كم مرة مررت على عبرة ولم تعتبر؟ كم مرة رأيت آية ولم تتأثر؟ كم مرة سمعت قصة ولم تهزك؟
هل لأنك لا ترجو نشورًا؟ هل لأن قلبك قسا حتى صار لا يتأثر؟
جدد إيمانك بالآخرة. استحضر أنك ستبعث. استحضر أنك ستقف بين يدي الله. هذا الإيمان هو مفتاح قلبك.
اللهم إنا نسألك البصيرة في آياتك، والاعتبار بمن سبق، والإيمان بالآخرة حتى تتحرك قلوبنا. اللهم لا تجعلنا ممن يمرون على العبرة ولا يعتبرون، ولا ممن يرون الآيات ولا يتأثرون. اللهم اجعلنا من الذين يرجون نشورك، ويخافون عذابك، ويعتبرون بآياتك.
القسم الرابع
تفسير الآية الحادية والأربعين من سورة الفرقان
قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾
مقدمة: حين يواجه الحق أسلحة السخرية
هل سبق لك أن شعرت بأن دعوتك إلى الحق تقابل بالسخرية والاستهزاء؟ هل مررت بتجربة أن نظر الناس إليك نظرة ازدراء، وقالوا: "هذا الذي يدّعي أنه يعرف الحقيقة؟" هل شعرت بالوحشة عندما تكون وحيدًا في موقفك، والآخرون يضحكون عليك؟
هذه الآية تنزل عليك كبلسم يمسح جراحك. إنها تخبرك أن ما تمر به ليس غريبًا، بل هو سنة الله في أنبيائه. تخبرك أن المشركين كانوا ينظرون إلى النبي ﷺ فيسخرون منه، ويقول بعضهم لبعض مستهزئين: "أهذا الذي بعث الله رسولًا؟" يستنكرون اختيار الله له، ويستصغرون شأنه.
لكن السخرية لم تكن مجرد كلمات تخرج من أفواههم. كانت تعبيرًا عن استكبارهم، وعن عدم إيمانهم بالآخرة، وعن جهلهم بمعايير الله في اختيار رسله. فهم كانوا يظنون أن الرسول يجب أن يكون غنيًا، أو ذا سلطان، أو من أشراف القوم. فلما جاءهم من هو أفقرهم وأضعفهم، استهزأوا به.
هذه الآية تخاطبك أنت أيضًا. إنها تهمس في أذنك: لا تحزن إذا سخروا منك. فهذه سنة الأنبياء. و لا تستغرب إذا استنكروا دعوتك، فهذه سنة المكذبين. وتذكر أن معايير الله ليست كمعايير الناس. قد يختار الله من هو أضعفهم وأفقرهم ليكون رسوله، ليكون أبلغ في العزة والقوة.
تعالَ نتأمل هذه الآية، وكأنها تنزل الآن. وكأن الله يقول لك: انظر إليهم وهم يسخرون من رسولي. انظر كيف يستنكرون اختياري. ثم اسأل نفسك: هل أنت من الذين يسخرون؟ أم أنت من الذين يصبرون على السخرية؟
أولًا: السياق – العلاقة بالآية التي قبلها
الربط بالآية الأربعين

الآية الأربعون قالت: ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا﴾.
جاءت هذه الآية لتكشف عن أسلوب آخر من أساليب التكذيب: السخرية والاستهزاء. فبعد أن ذكر الله أن المشركين يمرون على العبرة ولا يعتبرون لأنهم لا يرجون نشورًا، يأتي الآن ليصور كيف كانوا يستقبلون الرسول ﷺ نفسه. كانوا يسخرون منه، ويستهزئون به، ويستنكرون اختيار الله له.
إنها صورة من صور التعامل مع الحق. بعض الناس يمر على العبرة ولا يعتبر، وبعض الناس يواجه الداعي بالسخرية والاستهزاء. وكلا الصنفين سببه واحد: عدم الإيمان بالآخرة.
ثانيًا: تحليل الآية – قراءة في عمق السخرية
الجملة الأولى: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ﴾
اللمسة البلاغية: "إذا" – الفجائية
"إذا" هنا للفجائية والمفاجأة. أي: كلما رأوك فجأة، كان رد فعلهم هو السخرية. لم يكن الأمر مترويًا، بل كان انطباعًا فوريًا.

"رَأَوْكَ" – رؤية العين
"رأوك" رؤية بصرية. لم يكونوا يحتاجون إلى تأمل أو تفكير. مجرد أن تقع أبصارهم عليه، كانوا يستهزئون.

الدلالة النفسية
هذه الجملة تحمل ألم الإحساس بالغربة. أن تكون أنت النبي الكريم، وهم كلما رأوك سخروا منك. أن تكون أنت صاحب الرسالة العظيمة، وهم كلما نظروا إليك استهزأوا. إنها صورة مؤلمة، لكنها سنة الأنبياء.

/2
الجملة الثانية: ﴿إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾
اللمسة البلاغية: القصر بـ"إن" و"إلا"
"إن يتخذونك إلا هزؤًا" أسلوب قصر وحصر. أي: ما يتخذونك إلا هزؤًا. لا يرونك رسولًا، ولا نبيًا، ولا صادقًا. يرونك فقط موضعًا للسخرية.

"يَتَّخِذُونَكَ" – اتخاذ السخرية
"يتخذونك" من الاتخاذ، وهو الجعل والاختيار. أي: جعلوك هدفًا لهزؤهم. اختاروك ليكونوا موضع سخرية لهم.

"هُزُوًا" – السخرية والاستهزاء
الهزو هو الاستهزاء والسخرية. وهو أسلوب من أساليب التكذيب. عندما يعجز الإنسان عن مواجهة الحق بالحجة، يلجأ إلى السخرية.

اللمسة البيانية: تقديم المفعول "يتخذونك" على الفعل
قدم "يتخذونك" على "هزؤًا" للاهتمام بهذا الفعل. أي: هم يتخذونك، أنت شخصيًا، موضعًا للسخرية.

الدلالة النفسية
هذه الجملة تحمل وصفًا لحال المكذبين. هم لا يملكون حجة، فيلجأون إلى السخرية. وهذا أسلوب ضعيف، يدل على عجزهم.
3
الجملة الثالثة: ﴿أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾
اللمسة البلاغية: الاستفهام الإنكاري
"أهذا" استفهام إنكاري توبيخي. أي: أهذا الذي يستحق أن يبعثه الله رسولًا؟ إنه إنكار لاختيار الله، واستنكار لشخص النبي ﷺ.

"هَذَا" – الإشارة للتحقير
"هذا" اسم إشارة للقريب، لكنها هنا للتحقير والاستصغار. كأنهم يقولون: أهذا الشخص الحقير الضعيف؟

"الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا" – استنكار الاختيار الإلهي
يستنكرون أن يكون الله اختار هذا الشخص بالذات ليكون رسولًا. وفي استنكارهم هذا، جهل بحكمة الله، وكبر على قبول الحق.

اللمسة البيانية: حذف مفعول الرؤية
لم يقل "أهذا الذي بعث الله رسولًا إليه"، بل حذف المفعول. وهذا يدل على أن استنكارهم كان مطلقًا. يستنكرون أن يكون رسولًا أصلًا.

اللمسة التجويدية: الوقف على "رَسُولًا"
الوقف على "رسولًا" يعطي إحساسًا بالانتهاء، وكأن الاستنكار قد اكتمل: أهذا هو الرسول؟!

الدلالة النفسية
هذه الجملة تحمل أعلى درجات الاستكبار. إنهم يستنكرون اختيار الله، ويستصغرون من اختاره الله. وهذا هو الكبر بعينه. فمن ذا الذي يستنكر على الله اختياره؟
ثالثا
الموضوع الأول1: سنن الله في التعامل مع الدعوة
1. سنة السخرية
كل نبي واجه السخرية من قومه. قال تعالى عن نوح: ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ﴾. وقال عن هود: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾. وهذه الآية تثبت أن النبي ﷺ لم يكن استثناءً.
2. سنة الاستنكار
المكذبون يستنكرون اختيار الله لرسله. قالوا عن النبي ﷺ: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾. يظنون أن الرسول يجب أن يكون غنيًا أو ذا سلطان. وهذا جهل بحكمة الله.
3. سنة الكبر
السبب الحقيقي للسخرية والاستنكار هو الكبر. المشركون كانوا يستكبرون عن اتباع من هو دونهم

في المال أو المنصب. فكانوا يسخرون منه.
4. سنة العجز عن الحجة
السخرية غالبًا ما تكون غطاء للعجز. عندما يعجز الإنسان عن الرد بالحجة، يلجأ إلى السخرية.
الموضوع الثاني2: كيف تربي الآية المؤمن على الثبات
1. لا تحزن من السخرية
النبي ﷺ سخروا منه، فما بالك أنت؟ لا تحزن، فهذه سنة الله في أنبيائه.
2. لا تستغرب الاستنكار
المشركون استنكروا اختيار الله لنبيه. وقد يستنكر الناس اليوم اختيار الله لك أنت لتحمل دينه. فلا تستغرب.
3. اعلم أن معايير الله غير معايير الناس
الناس يعظمون الغني والسلطان. والله يختار من يشاء من عباده. قد يكون أفقرهم وأضعفهم. فمعايير الله مختلفة.
4. استمر في دعوتك رغم السخرية
النبي ﷺ لم يتوقف عن الدعوة لأنهم سخروا منه. استمر، فالنهاية له.
5. لا ترد السخرية بالسخرية
النبي ﷺ لم يسخر منهم. كان يعرض الحق بصبر وحكمة. فكن مثله.
الموضوع الثالث3: المفاهيم المركزية في الآية
المفهوم الأول1: السخرية أسلوب المكذبين
عندما يعجز المكذبون عن مواجهة الحق بالحجة، يلجأون إلى السخرية. وهو أسلوب ضعيف يدل على العجز.
المفهوم الثاني2: الاستنكار ناتج عن الكبر
المشركون استنكروا اختيار الله للنبي ﷺ. وهذا الاستنكار ناتج عن كبرهم. فمن استكبر عن الحق، استنكر طريقه.
المفهوم الثالث3: الرؤية البصرية لا تكفي للإيمان
كانوا يرون النبي ﷺ رأي العين، ومع ذلك لم يؤمنوا. بل كانت رؤيتهم سببًا في السخرية. فالعبرة بـ القلب لا بالعين.
المفهوم الرابع4: سنة الأنبياء في مواجهة السخرية
الأنبياء لم يردوا السخرية بالسخرية. كانوا يصبرون، ويواصلون الدعوة، ويتركون النتيجة لله.
الموضوع الرابع4: القيم المستنبطة من الآية
1. قيمة الصبر: على السخرية والاستهزاء.
2. قيمة الثقة بالله: فالله هو الذي اختارك.
3. قيمة عدم الالتفات: لا تشغل نفسك بمن يسخرون.
4. قيمة التواضع: لا تغتر بمعايير الناس.
5. قيمة الاستمرار: لا تتوقف عن الدعوة بسبب السخرية.
6. قيمة معرفة سنن الله: في تعامل الناس مع الحق.
7. قيمة اليقين: بأن النهاية للمؤمنين.
الموضوع الخامس5: الدروس المستفادة من الآية
الدرس الأول1: السخرية ليست دليلًا على الباطل
قد يظن البعض أن كثرة الساخرين دليل على بطلان الدعوة. هذه الآية ترد هذا الظن. فالنبي ﷺ سخروا منه، وكان على حق.
الدرس الثاني2: لا تحكم على الحق بموقف الناس منه
الناس قد يسخرون من الحق، وقد يستنكرونه. لكن هذا لا يعني أنه باطل. احكم على الحق بحقيقته، لا بموقف الناس.
الدرس الثالث3: اختبار الله للدعاة بالسخرية
السخرية من أشد الاختبارات التي يواجهها الداعية. فهي تختبر صبره، وثباته، وإيمانه.
الدرس الرابع4: معايير الله غير معايير الناس
الناس يظنون أن الرسول يجب أن يكون غنيًا أو ذا سلطان. والله يختار من يشاء. فلا تحكم على الدعاة بمعايير الناس.
الدرس الخامس5: السخرية تكشف عن عجز الساخر
من يسخر، غالبًا ما يكون عاجزًا عن الرد بالحجة. فالسخرية اعتراف بالعجز.
الموضوع السادس6: الأبعاد المختلفة للآية
1. البعد النفسي
تكشف الآية عن ألم السخرية. لكنها تمنح الداعية القوة: أنت لست وحدك، فالنبي ﷺ مر بهذا. فاصبر كما صبر.

2. البعد التربوي
تربي الآية في النفس الصبر على السخرية، وعدم الالتفات إليها، والثقة بأن الله معها.
3. البعد الإيماني
ترفع الآية الإيمان إلى مستوى أعلى: الإيمان بأن معايير الله غير معايير الناس، وأن الله يختار من يشاء.
4. البعد الدعوي
تعلم الآية الداعية ألا يتوقف بسبب السخرية. وأن يواصل دعوته بصبر وحكمة.
5. البعد الاجتماعي
تذكر الآية المجتمع بأن السخرية من الدعاة ليست جديدة، وأن الأنبياء عانوا منها. فلا ينبغي أن يخذلوا الدعاة بسببها.
الموضوع السابع7: الآفاق التي تحملها الآية
1. الأفق النفسي
تفتح أمامك أفقًا نفسيًا من الصبر والثبات. لا تحزن من السخرية، فهذه سنة الأنبياء.
2. الأفق الدعوي
تفتح أمامك أفقًا دعويًا: كيف تواجه السخرية بالصبر والاستمرار.
3. الأفق الإيماني
تفتح أمامك أفقًا إيمانيًا: الثقة بأن الله يختار من يشاء، وأن معاييره غير معايير الناس.
4. الأفق التاريخي
تفتح أمامك أفقًا تاريخيًا: الأنبياء كلهم واجهوا السخرية. فأنت تسير على طريقهم.
الموضوع الثامن8: دور مفاهيم الآية في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة
1. في بناء الإنسان المتزن
نفسيًا
تمنح الآية الإنسان الصبر والثبات من خلال:
· معرفته أن السخرية سنة الأنبياء.
· علمه بأن معايير الله غير معايير الناس.
· ثقته بأن النهاية للمؤمنين.
فكريًا
تزرع الآية في العقل:
· فهم سنن الله في تعامل الناس مع الحق.
· أهمية الصبر على السخرية.
· عدم الاغترار بمعايير الناس.
سلوكيًا
تعلم الإنسان:
· الصبر: على السخرية.
· الاستمرار: في الدعوة.
· عدم الالتفات: للساخرين.
2. في بناء المجتمع المسلم
المجتمع الذي يتدبر هذه الآية هو مجتمع:
· لا يسخر من دعاة الحق: بل يحترمهم.
· لا يخذل الدعاة إذا سخروا منهم.
· يثبت على الحق رغم السخرية.
· يعلم أن معايير الله غير معايير الناس.
3. في بناء الحضارة الإسلامية
الحضارة الإسلامية قامت على الصبر على السخرية. النبي ﷺ صبر، والصحابة صبروا، فكانت الحضارة.
هذه الآية تحمي الحضارة من:
· الانهزامية: فلا تستسلم للسخرية.
· اليأس: فلا تيأس من كثرة الساخرين.
· الاستعجال: فلا تطلب النتائج فجأة.
4. في البناء والتنمية
في مجال التنمية، هذه الآية تعطيك:
· الصبر: على الانتقادات والسخرية.
· الثبات: على الأهداف.
· عدم الالتفات: للمثبطين.

الخاتمة: كيف تعيش هذه الآية؟
· كلما سخر منك أحد، تذكر أن النبي ﷺ سخروا منه. فاصبر.
· كلما استنكر أحد اختيار الله لك، تذكر أن معايير الله غير معايير الناس. فاثبت.
· كلما شعرت بالوحشة، تذكر أن الأنبياء كلهم مروا بهذا. فاستمر.
· كلما رأيت الساخرين، لا تشغل نفسك بهم. استمر في دعوتك.
· كلما ضعفت، تذكر أن الله معك، وأن النهاية لك.
هذه الآية هي سندك في مواجهة السخرية. إنها تذكرك أنك تسير في طريق الأنبياء، وأن السخرية جزء من الطريق. فاصبر، واثبت، واستمر. وثق أن النهاية لك.
وقفة أخيرة: هل أنت من الساخرين أم من الصابرين؟
الآية تضعك أمام سؤال: أي الفريقين أنت؟
· هل أنت من الذين يسخرون من دعاة الحق؟ يستنكرون اختيار الله لهم؟ يستصغرون شأنهم؟
· أم أنت من الذين يصبرون على السخرية، ويثبتون على الحق، ويستمرون في الدعوة؟
تذكر: السخرية أسلوب المكذبين. والصبر أسلوب الأنبياء.
فاختر لنفسك طريق الأنبياء.
اللهم إنا نسألك الصبر على السخرية، والثبات على الحق، والاستمرار في الدعوة. اللهم لا تجعلنا من الساخرين بدعاة الحق، ولا من المستنكرين لاختيارك. اللهم اجعلنا من الصابرين الذين يمضون في طريقهم رغم السخرية، ويثقون بنصرك.

ثانيا

تفسير الآية الثانية والأربعين من سورة الفرقان
قال تعالى: ﴿إِنْ كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾.
مقدمة: حين يتحول الحق إلى تهمة
هل تخيلت يومًا أن الحق نفسه يمكن أن يُتهم بأنه يُضل عن الباطل؟ هل رأيت كيف يقلب المبطلون المعايير، فيجعلون الهدى ضلالًا، والضلال هدى؟ هذه الآية تأخذك إلى مشهد من أعجب مشاهد الصراع بين الحق والباطل.
المشركون، بعد أن سخروا من النبي ﷺ في الآية السابقة، يأتون الآن بتهمة جديدة: إنهم يتهمون القرآن بأنه كاد يُضلهم عن آلهتهم! يتهمون الهدى بأنه ضلال! يتهمون كلمة التوحيد بأنها انحراف! ويتهمون النبي ﷺ بأنه يريد أن يصرفهم عن عبادة الأصنام التي ورثوها عن آبائهم.
ثم يضيفون: "لولا أن صبرنا عليها" أي: لولا أن تمسكنا بها وثبتنا عليها، لكان هذا القرآن قد أضلنا عن آلهتنا. إنهم يعتبرون تمسكهم بالباطل "صبرًا"، ويظنون أنهم على حق.
لكن الآية لا تتركهم في هذا الادعاء. تختم بوعيد شديد: "وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلًا". سوف يعلمون يوم القيامة، حين يرون العذاب بأعينهم، من كان الضال حقًا: أهم أم من اتبع الحق؟
هذه الآية تخاطبك أنت أيضًا. إنها تهمس في أذنك: كم مرة رأيت من يتهم الحق بأنه ضلال؟ كم مرة سمعت من يقول: "هذا الدين يُضل الناس"؟ كم مرة رأيت من يتمسك بالباطل ويظن أنه على حق؟ هذه الآية تريكم أن هذا ليس جديدًا. المشركون قالوا مثل هذا الكلام من قبل. لكن النهاية واحدة: سيعلمون حين يرون العذاب من كان أضل سبيلًا.
تعالَ نتأمل هذه الآية، وكأنها تنزل الآن. وكأن الله يقول لك: انظر إلى هؤلاء، كيف يتهمون الهدى بأنه ضلال. وانظر كيف يتمسكون بالباطل ويسمونه صبرًا. ثم تأمل: من منهم سيكون أضل سبيلًا حين يرون العذاب؟
أولًا: السياق – العلاقة بالآية التي قبلها

الربط بالآية الحادية والأربعين
الآية الحادية والأربعون قالت: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾.
جاءت هذه الآية لتكشف عن الاتهام الجديد الذي أضافه المشركون إلى سخرهمهم. فبعد أن سخروا من النبي ﷺ واستنكروا اختيار الله له، أضافوا اتهامًا أشد: أن هذا النبي وهذا القرآن يكادان يضلا نهما عن آلهتهما. إنهم ينتقلون من السخرية إلى التهمة، ومن الاستنكار إلى الاتهام.
وهذا هو مسار المبطلين: يبدأون بالسخرية، فإذا لم تنفع، انتقلوا إلى الاتهام. لكن النهاية واحدة: سيعلمون حين يرون العذاب.
ثانيًا: تحليل الآية – قراءة في عمق الاتهام
الجملة الأولى: ﴿إِنْ كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا﴾.

اللمسة البلاغية: "إنْ" المخففة
"إن" هنا مخففة من الثقيلة، واللام في "ليضلنا" هي الفارقة. والمعنى: إن هذا القرآن أو هذا النبي كاد ليضلنا عن آلهتنا.

"كادَ" – المقاربة
"كاد" فعل مقاربة يدل على أن الأمر قارب الحدوث. أي: كاد هذا القرآن يوقعنا في الضلال، كاد يصرفنا عن عبادة آلهتنا.

"لَيُضِلُّنَا" – إسناد الإضلال إلى الحق
"يضلنا" إسناد الإضلال إلى القرآن أو إلى النبي ﷺ. وفي هذا أعظم بهتان: أن يتهم الحق بأنه يُضل، وأن يتهم الهدى بأنه ضلال.

"عَنْ آلِهَتِنَا" – إضافة الآلهة إلى أنفسهم
"آلهتنا" إضافة إلى ضمير المتكلم، تعبر عن تمسكهم بهذه الآلهة، وكأنها جزء لا يتجزأ من هويتهم. إنهم يعتزون بها، ويفتخرون بها، ويتهمون من يدعوهم إلى تركها بأنه يُضلهم.

اللمسة البيانية: تقديم "إن كاد" للتهويل
قدم "إن كاد" على "ليضلنا" للاهتمام بهذه المقاربة. أي: كاد الأمر أن يكون، وكاد أن يحدث.

الدلالة النفسية
هذه الجملة تحمل انقلابًا في الموازين. الحق يُتهم بأنه ضلال، والهدى يُتهم بأنه إضلال. هذا من أعجب ما يكون من قلب الحقائق.
2
الجملة الثانية: ﴿لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾
اللمسة البلاغية: "لَوْلَا" – الامتناع للوجود
"لولا" هنا للامتناع، أي: لولا أن صبرنا على آلهتنا وتمسكنا بها، لكان هذا القرآن قد أضلنا. فهم يعتبرون أن تمسكهم بالباطل هو "صبر"، ويظنون أن هذا الصبر يحمدون عليه.

"صَبَرْنَا عَلَيْهَا" – تسمية التمسك بالباطل صبرًا
"صبرنا عليها" أي: تمسكنا بها وثبتنا عليها. إنهم يسمون جمودهم على الباطل صبرًا، ويعتبرونه فضيلة. وهذا من انقلاب الموازين.

اللمسة البيانية: تقديم "لولا أن صبرنا" على ما بعدها
قدم "لولا أن صبرنا" لبيان أن هذا الصبر هو الذي حال بينهم وبين الضلال - كما يزعمون. فهم يفتخرون بأنهم لم يتبعوا الحق، ويظنون أن هذا من صبرهم.

الدلالة النفسية
هذه الجملة تحمل المفارقة العجيبة. الباطل يُسمى صبرًا، والجمود يُسمى ثباتًا. إنهم يظنون أنهم على حق، وهم على باطل. وهذا من أعظم ما يكون من خداع النفس.
3
الجملة الثالثة: ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾
اللمسة البلاغية: "سَوْفَ" – التسويف للتهويل
"سوف" حرف تسويف، لكنها هنا للتهويل. أي: سيعلمون علمًا يقينًا لا شك فيه، حين يرون العذاب.

"يَعْلَمُونَ" – العلم بعد الجهل
"يعلمون" علمًا يقينًا بعد أن كانوا في جهل وغرور. في الدنيا كانوا يظنون أنهم على حق. في الآخرة سيعلمون حقيقة أنفسهم.

"حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ" – وقت الرؤية
"حين يرون العذاب" أي: عندما يعاينون العذاب بأعينهم. الرؤية هنا رؤية عيان، لا رؤية خبر. سيرون النار، وسيرون العذاب، وسيعلمون عندها.

"مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا" – سؤال مصيري
"من أضل سبيلًا" استفهام للتقرير، والمعنى: سيعلمون أنهم هم الضالون، وليس النبي ﷺ ولا المؤمنون. سيعلمون أن من اتبع الحق كان على هدى، ومن اتبع الباطل كان أضل سبيلًا.

اللمسة البيانية: تقديم "من أضل سبيلًا" على ما قبلها
جاء "من أضل سبيلًا" بعد "سوف يعلمون" ليكون هو المعلوم. أي: الذي سيعلمونه هو أنهم هم الأ

أضل سبيلًا.
اللمسة التجويدية: الوقف على "سَبِيلًا"
الوقف على "سبيلًا" يعطي إحساسًا بالانتهاء، وكأن الحكم قد صدر: سيعلمون. سيعلمون يوم القيامة من كان أضل سبيلًا.
الدلالة النفسية
هذه الجملة تحمل أعلى درجات التهديد والوعيد. هم الآن يظنون أنهم على حق، ويرون أنفسهم صابرين متمسكين. لكنهم سيعلمون. سيعلمون حين لا ينفع العلم. سيعلمون حين يرون العذاب أنهم كانوا أضل سبيلًا.
ثالثا
الموضوع الأول1: المفاهيم المركزية في الآية
المفهوم الأول1: انقلاب الموازين
المشركون قلبوا المعايير: جعلوا الحق ضلالًا، والباطل هدى. وجعلوا التمسك بالباطل صبرًا، واتباع الحق انحرافًا. هذا من أعظم ما يكون من خداع النفس.
المفهوم الثاني2: تسمية الباطل صبرًا
"لولا أن صبرنا عليها" يعكس عقلية المتعصبين الذين يظنون أن تمسكهم بالباطل فضيلة. هم لا يعتبرون أنهم على خطأ، بل يعتبرون أنفسهم صابرين على الحق.
المفهوم الثالث3: العلم بعد فوات الأوان
"سوف يعلمون حين يرون العذاب" يعلمون علمًا لا ينفع. يعلمون الحقيقة بعد أن فات أوان العمل بها. وهذا من أشد أنواع الحسرة.
المفهوم الرابع4: الحكم النهائي لله
من يحدد من هو أضل سبيلًا؟ الله هو الذي يحكم يوم القيامة. ليس الناس، ولا الظنون، ولا الأ هواء. الحكم لله.
الموضوع الثاني2: القيم المستنبطة من الآية
1. قيمة اليقين: أن الحق حق، وإن قل من يتبعه. والباطل باطل، وإن كثر من يتبعه.
2. قيمة عدم الانخداع بالمظاهر: لا تظن أن كثرة المتمسكين بباطل يعني أنهم على حق.
3. قيمة الصبر الحقيقي: الصبر الحقيقي هو الصبر على طاعة الله، لا الصبر على الباطل.
4. قيمة الاستعداد للآخرة: لا تنتظر حتى ترى العذاب لتعلم الحقيقة.
5. قيمة التواضع: لا تظن أنك على حق لمجرد أنك تمسكت بما ورثته.
6. قيمة الحذر من قلب الحقائق: لا تجعل الأهواء تقلب عندك الموازين.
7. قيمة العلم النافع: العلم الذي ينفع هو العلم الذي يسبق العمل.
الموضوع الثالث3: الدروس والتوجيهات
الدرس الأول1: لا تظن أن كثرة المتمسكين بباطل تعني أنه حق
المشركون كانوا كثيرًا، وكانوا متمسكين بدين آبائهم. ومع ذلك كانوا على باطل. فكثرة المتمسكين لا تعني صحة ما هم عليه.
الدرس الثاني2: لا تسمِّ الباطل صبرًا
البعض يظن أن تمسكه بالعادات والتقاليد الباطلة هو "صبر" و"ثبات". هذه الآية ترد هذا الوهم. الصبر الحقيقي هو الصبر على طاعة الله.
الدرس الثالث3: لا تنتظر حتى ترى العذاب لتعلم الحقيقة
المشركون سيعلمون حين يرون العذاب. لكن ذلك العلم لا ينفعهم. فاغتنم الفرصة الآن. تعلم الحقيقة اليوم، قبل أن ترى العذاب.
الدرس الرابع4: احذر من قلب الحقائق
قد يزين لك الشيطان أو هواك أن تسمي الباطل حقًا، والحق باطلًا. احذر من قلب الموازين.
الدرس الخامس5: ثق بأن الحكم لله في النهاية
قد يظن الناس أنهم على حق. لكن الحكم النهائي لله. يوم القيامة سينكشف كل شيء.
الموضوع الرابع4: الأبعاد المختلفة للآية
1. البعد العقدي
الآية تثبت أن الحق لا يتغير بكثرة أتباعه أو قلتهم. وتثبت أن الحكم النهائي لله يوم القيامة.
2. البعد النفسي
تكشف الآية عن آلية الدفاع عن الباطل. المشركون شعروا أن دعوة الإسلام تهدد آلهتهم، فاتهموها بأنها تُضل. وهذا من دفاعات النفس عن معتقداتها.
3. البعد التربوي
تربي الآية في النفس عدم الاغترار بالكثرة، والحذر من تسمية الباطل صبرًا، والاستعداد للحكم الإ لهي.
4. البعد الدعوي

تعلم الآية الداعية ألا يستغرب إذا اتهم الحق بأنه يُضل. فهذه سنة المكذبين.
5. البعد الإيماني
ترفع الآية الإيمان إلى مستوى أعلى: الإيمان بأن الحكم لله، وأن ما عند الله هو الحق.
الموضوع الخامس5: الآفاق التي تحملها الآية
1. الأفق النفسي
تفتح أمامك أفقًا نفسيًا لفهم كيف يدافع الناس عن باطلهم. يدافعون بالاتهام، وبتسمية الباطل صبرًا.
2. الأفق الإيماني
تفتح أمامك أفقًا إيمانيًا: الثقة بأن الحكم لله، وأن الحق سينتصر.
3. الأفق الدعوي
تفتح أمامك أفقًا دعويًا: كيف تواجه الاتهامات بالصبر، وكيف تثق بأن النهاية للمؤمنين.
4. الأفق التاريخي
تفتح أمامك أفقًا تاريخيًا: المشركون اتهموا النبي ﷺ بأنه يُضل، كما يتهم اليوم دعاة الحق. وهذا ليس جديدًا.
الموضوع السادس6: دور مفاهيم الآية في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة
1. في بناء الإنسان المتزن
نفسيًا
تمنح الآية الإنسان الثبات على الحق من خلال:
· علمه بأن اتهامات المبطلين لا تغير من الحق شيئًا.
· معرفته أن الحكم النهائي لله.
· ثقته بأن الذين على باطل سيعلمون عاقبتهم.
فكريًا
تزرع الآية في العقل:
· فهم آلية دفاع المبطلين: أنهم يتهمون الحق بأنه ضلال.
· أهمية عدم الاغترار بالكثرة: فالكثرة لا تعني الحق.
· اليقين بأن الحكم لله: في الدنيا والآخرة.
سلوكيًا
تعلم الإنسان:
· الصبر: على اتهامات المبطلين.
· الثبات: على الحق.
· عدم الاغترار: بظواهر الأمور.
2. في بناء المجتمع المسلم
المجتمع الذي يتدبر هذه الآية هو مجتمع:
· لا يغتر بكثرة المخالفين: فلا يظن أن الحق مع الكثرة.
· لا يتهم الحق بأنه ضلال: بل يثبت عليه.
· يستعد للحكم الإلهي: فلا يظن أن الدنيا هي النهاية.
· يصحح الموازين: فلا يسمي الباطل صبرًا.
3. في بناء الحضارة الإسلامية
الحضارة الإسلامية قامت على الثبات على الحق رغم الاتهامات. النبي ﷺ اتهم بأنه يُضل، لكنه ثبت. والصحابة ثبتوا، فكانت الحضارة.
هذه الآية تحمي الحضارة من:
· الانهزامية: فلا تستسلم لاتهامات المخالفين.
· الاغترار بالكثرة: فلا تظن أن الحق مع الأكثرية.
· قلب الموازين: فلا تسمي الباطل صبرًا.
4. في البناء والتنمية
في مجال التنمية، هذه الآية تعطيك:
· الثبات: على الأهداف رغم الاتهامات.
· عدم الاغترار: بالرأي السائد.
· اليقين: بأن النتائج تظهر في النهاية.
الخاتمة: كيف تعيش هذه الآية؟
· كلما سمعت من يتهم الحق بأنه ضلال، تذكر أن هذا قول المشركين.
· كلما رأيت متمسكين بباطل، تذكر أنهم يظنون أن تمسكهم صبر.
· كلما شعرت بالوحشة من كثرة المخالفين، تذكر أن الحكم لله في النهاية.
· كلما اتهمت في دينك، تذكر أن هذا ما قيل للنبي ﷺ.
· كلما نظرت إلى العاقبة، تذكر أن سيعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلًا.

هذه الآية هي تذكير لك بأن الحق قد يُتهم بأنه ضلال، والباطل قد يُسمى صبرًا. لكن النهاية واحدة: سيعلمون. سيعلمون يوم القيامة من كان أضل سبيلًا. فاثبت على الحق، ولا تغتر بظواهر الأ مور.
وقفة أخيرة: من هو أضل سبيلًا؟
الآية تضعك أمام سؤال: من هو أضل سبيلًا في نظرك؟
· هل هو من يدعو إلى عبادة الله وحده؟
· أم من يتمسك بعبادة الأصنام والأوهام؟
المشركون قالوا: النبي ﷺ يضلهم عن آلهتهم.
والله يقول: سيعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلًا.
فأي الفريقين تختار؟ ومن تريد أن تكون معه حين ترى العذاب؟
ثالثا
تفسير الآية الثالثة والأربعين من سورة الفرقان
قال تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾
مقدمة: أعظم أصنام الأرض.. ذلك الذي يسكن في صدرك
هل تصوّر يومًا أن أعظم الأصنام التي عُبِدت في التاريخ ليست مصنوعة من حجر أو خشب؟ أن أشدها خطرًا ليس منحوتًا بمطرقة وإزميل، بل هو كامن في أعماق النفس البشرية؟ هذه الآية تأخذك إلى أعظم اكتشاف في رحلة معرفة الإنسان: أن أعمى أنواع العبادة هو أن يعبد الإنسان هواه.
لقد تحدثت الآيات السابقة عن أصنام المشركين الظاهرة: أصنام من حجر، وأوثان من خشب. وهذه الآية تنتقل إلى الأوثان الخفية: الهوى. إنها تكشف أن كثيرًا من الناس تركوا عبادة الله، واتخذوا رؤوس أموالهم، أو شهوات بطونهم، أو أهواء قلوبهم آلهة يعبدونها من دون الله.
ثم تأتي الخاتمة التي تضع النبي ﷺ – وتضع كل داعية من بعده – أمام حقيقة صارمة: ﴿أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾. أي: لستَ مسؤولًا عن هدايتهم. ليس عليك إكراههم. ليس بيدك أن تسلبهم هواهم. دورك البلاغ، لا التحكم في القلوب.
هذه الآية تخاطبك أنت أيضًا. إنها تهمس في أذنك: تأمل في نفسك. هل أنت من الذين اتخذوا إلههم هواهم؟ هل تتبع شهواتك دون ميزان؟ هل تقدم رغبتك على أمر الله؟ ثم تهمس لك: لا تحمل على عاتقك هداية من يعبد هواه. ليس عليك إلا البلاغ.
تعالَ نتأمل هذه الآية، وكأنها تنزل الآن. وكأن الله يضع أمامك مرآة ترى فيها أعظم أصنامك، ثم يقول لك: ليس عليك هدايتهم. ليس بيدك أن تغير قلوبهم.
أولًا: السياق – العلاقة بالآية التي قبلها

الربط بالآية الثانية والأربعين
الآية الثانية والأربعون قالت: ﴿إِنْ كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾.
جاءت هذه الآية لترد على اتهامهم بأن القرآن يكاد يضلهم عن آلهتهم. تقول لهم: آلهتكم التي تزعمون أنكم تصبرون عليها، هي في الحقيقة ليست أصنامًا فقط، بل أهواؤكم هي آلهتكم الحقيقية.
ثم تضع النبي ﷺ – وكل داعية – أمام حقيقة: ليس عليك هدايتهم.
إنها انتقال من الحديث عن الأصنام الظاهرة إلى الأصنام الباطنة. فالأخطر ليس الأصنام التي يعبدها الناس بأيديهم، بل الأهواء التي يعبدونها بقلوبهم.
ثانيًا: تحليل الآية – قراءة في عمق العبودية الخفية

الجملة الأولى: ﴿أَرَأَيْتَ﴾
اللمسة البلاغية: الاستفهام للتعجيب والتنبيه
"أرأيت" استفهام يفيد التعجيب والتنبيه. إنه يحمل معنى: هل عجبت؟ هل تأملت؟ هل تفكرت؟ إنه يوجه انتباه النبي ﷺ – وانتباه كل قارئ – إلى أمر عظيم.

"أَرَأَيْتَ" – أداة لتوجيه النظر
هذه الكلمة تأتي في القرآن غالبًا لتوجيه النظر إلى أمر خطير، لفت النظر، واستحضار العجب. إنها تقول: انظر، وتأمل، وتعجب.

الدلالة النفسية
هذه الكلمة توقظ القلب. إنها تجعلك تتوقف عند هذا المشهد. كأن الله يقول: توقف لحظة، وانظر إلى هذا الإنسان العجيب. انظر إلى من يتخذ هواه إلهًا.
2
الجملة الثانية: ﴿مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ﴾

اللمسة البلاغية: "اتخَذَ" – الاختيار والجعل
"اتخذ" من الاتخاذ، وهو الجعل والاختيار. أي: جعل هواه إلهًا، واختار أن يكون هواه هو الذي يحكم حياته.
"إِلَٰهَهُ" – العبادة والتأليه
"إلهه" أي: معبوده الذي يطيعه، ويخضع له، ويقدم أمره على كل أمر. وهذا هو أعظم انحراف: أن يجعل الإنسان هواه هو الذي يأمره فيطيعه، ويحرمه فيجتنب.

"هَوَاهُ" – ما هو الهوى؟
الهوى هو ميل النفس إلى ما تشتهي، دون نظر إلى الحق. وهو الشهوة المتسلطة، والرغبة الجامحة. الهوى قد يكون في الطعام، أو في المال، أو في الجاه، أو في النساء، أو في أي شيء يحبه الإ نسان ويفضله على طاعة الله.

اللمسة البيانية: إضافة "إلهه" إلى الضمير
"إلهه" إضافة إلى الضمير، تفيد أن هذا الإله خاص به. هو إلهه الذي اختاره لنفسه، وصنعه بيديه. إنه ليس إلهًا منزلًا من السماء، بل هو إله مصنوع من رغبات نفسه.

اللمسة التجويدية: الوقف على "هَوَاهُ"
الوقف على "هواه" يعطي إحساسًا بانتهاء هذا الجزء من الكلام، وكأن الصورة قد اكتملت: هذا هو ا لإنسان الذي اتخذ هواه إلهًا. هذه هي صورته.

الدلالة النفسية
هذه الجملة تحمل أخطر وصف للإنسان الضال. ليس أعظم ضلال من أن تكون شهوتك هي إلهك. أن تنحني أمام رغباتك. أن تقدم هواك على أمر خالقك. هذه هي العبودية الخفية، وهي أشد خطرًا من عبادة الأصنام الظاهرة.
3
الجملة الثالثة: ﴿أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾
اللمسة البلاغية: الاستفهام الإنكاري
"أفأنت" استفهام إنكاري توبيخي. والمعنى: أتظن أنك تستطيع أن تكون وكيلًا عليه؟ أن تهديه؟ أن تسلب عنه هواه؟ ليس ذلك إليك.
"تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا" – الوكالة والحفظ
الوكيل هو المسؤول عن الأمر، المتولي لشؤون غيره. والمعنى: لست أنت المسؤول عن هدايته، ولا المتولي لأمره. ليس عليك إكراهه، ولا إجباره، ولا إزالة هواه من قلبه.

اللمسة البيانية: تقديم "أفأنت" للاهتمام
قدم "أفأنت" على "تكون" للاهتمام بالاستفهام. أي: أأنت وحدك، أنت أيها الرسول، الذي تكون وكيلًا عليهم؟ ليس ذلك لأحد.
الدلالة النفسية
هذه الجملة تحمل تخفيفًا على النبي ﷺ وعلى كل داعية. لا تحمل هم هداية من اتخذ هواه إلهًا. ليس عليك أن تجبرهم على الإيمان. ليس بيدك أن تسلبهم هواهم. دورك البلاغ. والهداية بيد الله.
ثالثا
الموضوع الأول1: أنواع اتخاذ الهوى إلهًا
1. عبادة الشهوة
أن يكون الدافع الأول في حياة الإنسان هو قضاء شهواته. لا يسأل: أهذا حلال أم حرام؟ بل يسأل: أهذا لذيذ أم لا؟ شهوة البطن، وشهوة الفرج، وشهوة المال تصبح هي التي تحكمه.
2. عبادة المال
أن يصبح المال هو الغاية القصوى. يبيح من أجله الحرام، ويرتكب من أجله المحرم. يطيعه كما يطيع العبد ربه.
3. عبادة الجاه والسلطان
أن يجعل طلب المنصب والجاه هو الذي يوجه حياته. يذل من أجله، ويخضع له، ويضحي بكل شيء من أجله.
4. عبادة العادة والتقليد
أن يتبع ما وجد عليه آباءه دون نظر، ويجعل التقليد هو إلهه. لا يسأل عن الحق، بل يسأل: ما الذي اعتاده الناس؟
5. عبادة الرأي والهوى الفكري
أن يجعل رأيه هو المرجع الأعلى. لا يقبل نقدًا، ولا يخضع لدليل. هواه الفكري هو إلهه.

الموضوع الثاني2: الفرق بين عبادة الأصنام وعبادة الهوى
عبادة الأصنام الظاهرة عبادة الهوى الباطنة
يصنعها الإنسان بيده يصنعها الإنسان بهواه
يراها الناس فيستنكرونها لا يراها الناس فيستسهلونها
يعرف صاحبها أنه يعبد غير الله يظن صاحبها أنه حر، وهو أعبد الناس
يتركها المؤمن إذا عرف الحق يصعب تركها لأنها ملتصقة بالنفس
الموضوع الثالث3: السنن الإلهية في هذه الآية
1. سنة الاختيار
الإنسان حر في اختيار إلهه. قد يختار الله، وقد يختار هواه. وهذا الاختيار هو الذي يحدد مصيره.
2. سنة عدم الإكراه في الدين
"أفأنت تكون عليه وكيلًا" تثبت أن الله لم يجعل أحدًا وكيلًا على قلوب الناس. الهداية بيد الله وحده.
3. سنة التدرج في الكشف
القرآن يكشف أولًا عن الأصنام الظاهرة، ثم ينتقل إلى الأصنام الباطنة. لأن الأخطر هو ما يخفى.
4. سنة التخفيف على الدعاة
الله يخفف عن النبي ﷺ وعن كل داعية: لا تتحمل مسؤولية هدايتهم. عليك البلاغ.
الموضوع الرابع4: كيف تربي الآية المؤمن على الإخلاص
1. افحص نفسك: من هو إلهك؟
قف مع نفسك. اسأل: من الذي يحكم حياتي؟ هل هو الله وأمره؟ أم هو هواي وشهوتي؟ هذا السؤال هو بداية التغيير.
2. تعرف على هوى نفسك
الهوى خفي، وقد يتنكر في صور شتى. تعرف على ما تهواه نفسك، حتى لا تتخذه إلهًا من دون الله.
3. لا تكن ممن يقدم هواه على أمر الله
إذا تعارض هواك مع أمر الله، فأيهما تختار؟ اختيارك يحدد من هو إلهك.
4. لا تحمل هم هداية غيرك
قد ترى من يعبد هواه، فتحزن. تذكر: "أفأنت تكون عليه وكيلًا". ليس عليك هدايته. عليك البلاغ.
5. اجعل الله وحده هو إلهك
لا شريك له، لا في ظاهر العبادة، ولا في باطنها. اجعل هواه تابعًا لأمره، لا أمره تابعًا لهواه.
الموضوع الخامس5: المفاهيم المركزية في الآية
المفهوم الأول1: الهوى أعظم الأصنام
عبادة الهوى أخطر من عبادة الأصنام الظاهرة. لأنها أشد خفاء، وألصق بالنفس، وأصعب علاجًا.
المفهوم الثاني2: الإنسان حر في اختيار إلهه
"اتخذ" تدل على الاختيار. الإنسان هو الذي يختار من يعبد. والنتيجة على اختياره.
المفهوم الثالث3: الهداية بيد الله
ليس بيد النبي ﷺ ولا بيد أي داعية أن يهدي من اتخذ هواه إلهًا. الهداية بيد الله وحده.
المفهوم الرابع4: التخفيف عن الدعاة
الداعية ليس وكيلًا على الناس. لا يحاسب على هدايتهم. عليه البلاغ، والله يحاسب.
الموضوع السادس6: القيم المستنبطة من الآية
1. قيمة الإخلاص: ألا يكون للهوى سلطان على القلب.
2. قيمة مراجعة النفس: أن تسأل نفسك: من إلهي حقًا؟
3. قيمة التوحيد الباطني: ألا تشرك بالله خفيًا.
4. قيمة عدم التسلط على الناس: لا تجبرهم على ما تريد.
5. قيمة التوكل على الله: الهداية بيده وحده.
6. قيمة البلاغ لا الإكراه: دورك أن تبلغ، لا أن تسيطر.
7. قيمة الصبر: على من يعبد هواه.
الموضوع السابع7: الأبعاد المختلفة للآية
1. البعد العقدي
الآية تثبت أن الشرك لا يقتصر على عبادة الأصنام الظاهرة، بل يشمل عبادة الهوى. وتثبت أن الهداية بيد الله وحده.
2. البعد النفسي
تفتح الآية أفقًا للتأمل الذاتي. تجعلك تسأل نفسك: من هو إلهي حقًا؟ هذا السؤال هو بداية التغيير العميق.
3. البعد التربوي

تربي الآية في النفس مراجعة النوايا، وكشف خفايا النفس، وعدم الاغترار بالظاهر.
4. البعد الدعوي
تخفف عن الداعية: ليس عليك هداية الناس. ليس بيدك أن تسلبهم هواهم. عليك البلاغ، واترك النتيجة لله.
5. البعد الاجتماعي
تذكر الآية المجتمع بأن الناس أحرار في اختيار معتقداتهم. لا إكراه في الدين. دور الدعاة هو البلاغ ، لا القسر.
الموضوع الثامن8: الآفاق التي تحملها الآية
1. الأفق النفسي
تفتح أمامك أفقًا نفسيًا لاكتشاف أعماقك. من هو الإله الحقيقي في حياتك؟ هذا السؤال يغير كل شيء.
2. الأفق الإيماني
ترفع إيمانك إلى مستوى أعلى: الإيمان بأن الله وحده هو المستحق للعبادة الظاهرة والباطنة.
3. الأفق الدعوي
تفتح أمامك أفقًا دعويًا: لا تحمل هم هداية الناس. ليس عليك إكراههم. بلغ، واترك النتيجة لله.
4. الأفق التحرري
تحررك من عبودية الهوى. تخبرك أنك تستطيع أن تتحرر من سلطان شهواتك، وأن تجعل الله هو إلهك الوحيد.
الموضوع التاسع9: دور مفاهيم الآية في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة
1. في بناء الإنسان المتزن
نفسيًا
تمنح الآية الإنسان التحرر من عبودية الهوى من خلال:
· إدراكه أن الهوى قد يكون أخطر الأصنام.
· مراجعته لنفسه لاكتشاف ما يتحكم فيه.
· قدرته على اختيار الله بدلًا من هواه.
فكريًا
تزرع الآية في العقل:
· فهم أن الشرك أنواع: ظاهر وباطن.
· أهمية مراجعة الذات: لا الاكتفاء بالمظاهر.
· التمييز بين العبادة الحقيقية والعبادة الخفية.
سلوكيًا
تعلم الإنسان:
· مراجعة النية: قبل كل عمل.
· كشف الهوى: ومحاربته.
· عدم التسلط: على الآخرين في الدين.
2. في بناء المجتمع المسلم
المجتمع الذي يتدبر هذه الآية هو مجتمع:
· يقدس حرية الاعتقاد: فلا إكراه في الدين.
· يربي أفراده على مراجعة الذات: لا على الحكم على الآخرين.
· يعلم أن الإيمان الحقيقي في القلب: لا في المظاهر فقط.
· يتعامل بالبلاغ لا بالإكراه: في الدعوة.
3. في بناء الحضارة الإسلامية
الحضارة الإسلامية قامت على مبدأ لا إكراه في الدين. هذا المبدأ مستمد من هذه الآية ومن أمثالها. فكانت حضارة تسامح، لا إكراه فيها، ولا إجبار.
هذه الآية تحمي الحضارة من:
· التطرف: فلا تجبر الناس على الإيمان.
· الاستبداد: فلا تستخدم السلطة في تغيير القلوب.
· النفاق: فتعلم أن الإيمان الحقيقي في القلب.
4. في البناء والتنمية
في مجال التنمية، هذه الآية تعطيك:
· احترام حرية الآخرين: لا تنمية بلا احترام.
· التركيز على ما يمكن تغييره: لا تضيع وقتك في ما لا تستطيع تغييره.
· العمل على النفس أولًا: قبل العمل على الآخرين.
الخاتمة: كيف تعيش هذه الآية؟

· كل صباح، اسأل نفسك: من هو إلهي اليوم؟ هل هو الله أم هوائي؟
· كل قرار تتخذه، اسأل: هل هذا القرار يوافق أمر الله أم يوافق هواي؟
· كل شهوة تعرض عليك، تذكر: أتريد أن تتخذها إلهًا؟
· كل من تراه ضالًا، لا تحمل هم هدايته. بلغ، ودع الهداية لله.
· كل شعور بالضيق من عناد الناس، تذكر: "أفأنت تكون عليه وكيلًا".
هذه الآية هي مرآتك الحقيقية. انظر فيها: من ترى؟ هل ترى عبدًا لله أم عبدًا لهواه؟ ثم هي راحتك النفسية: لا تحمل هم غيرك. ليس عليك إكراههم. عليك البلاغ. والله يتولى الهداية.
وقفة أخيرة: من هو إلهك؟
الآية تضعك أمام سؤال لا مفر منه: من هو إلهك؟
هل هو الله الذي خلقك ورزقك وهداك؟
أم هو هواك الذي يسكن صدرك ويحرك جوارحك؟
إذا قلت: الله. فاسأل نفسك: هل تقدم أمره على هواك؟ هل تترك ما تهوى إذا أمرك بتركه؟ هل تفعل ما تكره إذا أمرك بفعله؟
إن فعلت، فالله إلهك حقًا.
وإن لم تفعل، فاعلم أن هواك هو إلهك. فتب، واستغفر، واجعل الله وحده هو إلهك.
اللهم إنا نعوذ بك أن نتخذ هوانا إلهًا من دونك. اللهم اجعل حبك وطاعتك أغلى عندنا من كل شيء. اللهم لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين. اللهم أنت مولانا، فلا إله لنا سواك.
خامسا
تفسير الآية الرابعة والأربعين من سورة الفرقان
قال تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾.
مقدمة: حين يصبح الإنسان أقل من بهيمة
هل تخيلت يومًا أن تكون أقل من حيوان؟ أن تفقد القدرة على استخدام أعظم ما ميزك الله به عن سائر المخلوقات؟ هذه الآية تأخذك إلى مشهد من أقسى مشاهد الانحطاط البشري: أن يصير الإنسان بفضل إعراضه عن الحق، أسوأ حالًا من البهيمة.
لقد تحدثت الآية السابقة عن أخطر الأصنام الباطنة: اتخاذ الهوى إلهًا. وهذه الآية تأتي لتكشف عن نتيجة ذلك الاتخاذ. إنها تصور لنا حال من يعبد هواه: يفقد قدرته على السماع الحق، ويعطل عقله عن التفكر، ثم ينحدر إلى درجة يصير فيها كالأنعام. بل وأسوأ منها.
ثم تأتي الصدمة الكبرى: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾. الأنعام تسمع وتطيع فاطرها، أما هؤلاء فيسمعون ولا يتبعون. الأنعام تعرف طريق مصلحتها، أما هؤلاء فيضلون عن طريق الحق مع أنهم أوتوا من العقل ما لم تؤته البهائم.
هذه الآية تخاطبك أنت أيضًا. إنها تهمس في أذنك: لا تكن ممن يفقدون نعمة السماع والعقل. لا تكن ممن ينحدرون إلى درجة الأنعام. أنت أكرم من ذلك. أنت خلقت لتكون خليفة الله في الأرض. فلماذا تختار أن تكون أقل من بهيمة؟
تعالَ نتأمل هذه الآية، وكأنها تنزل الآن. وكأن الله يقول لك: انظر إلى حال من يعبد هواه. انظر كيف يفقد سمعه وعقله. انظر كيف يصير كالأنعام بل أضل سبيلًا. ثم اسأل نفسك: أتريد أن تكون منهم؟ أم تريد أن تكون ممن يستخدمون عقولهم وقلوبهم في طاعة الله؟
أولًا: السياق – العلاقة بالآية التي قبلها

الربط بالآية الثالثة والأربعين
الآية الثالثة والأربعون قالت: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾.
جاءت هذه الآية لتكشف عن نتيجة اتخاذ الهوى إلهًا. فبعد أن بين الله أن الهوى قد يكون أخطر ا لأصنام، يأتي الآن ليصف حال من اتخذ هواه إلهًا: إنهم يفقدون القدرة على السماع الحق، ويعطلون عقولهم عن التفكر، ويصيرون كالأنعام بل أضل سبيلًا.
إنها ربط بين العبادة الخفية والانحطاط البشري. من يعبد هواه، يفقد ما ميزه الله به عن الأنعام. يصير أسوأ حالًا من البهيمة التي تتبع فطرتها وتطيع خالقها.
ثانيًا: تحليل الآية – قراءة في عمق الانحطاط
الجملة الأولى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ﴾
اللمسة البلاغية: "أَمْ" للانتقال والاستفهام
"أم" هنا للانتقال من غرض إلى آخر، وهي تفيد الاستفهام التوبيخي. والمعنى: أتظن أيها الرسول – أتظن أيها المؤمن – أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون؟

"تحْسَبُ" – الظن والحسبان
"تحسب" من الحسبان، وهو الظن غير اليقيني. والاستفهام هنا يفيد النفي: لا تظن ذلك. فإن أكثرهم ليسوا بأهل للسماع والعقل.

الدلالة النفسية
هذه الجملة تحمل تصحيحًا لظن قد يخطر ببال الداعية. قد يظن أن كثرة الناس تعني كثرة المستجيبين. قد يظن أن السماع والعقل منتشر بين الناس. لكن الله يقول: لا تحسب ذلك.
2
الجملة الثانية: ﴿أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ﴾
اللمسة البلاغية: "أَكْثَرَهُمْ" – الأكثرية لا الكل
"أكثرهم" أي: غالبهم، وليس كلهم. فهناك قلة تستمع وتعي. لكن الأكثرية فقدت القدرة على السماع النافع والعقل المفكر.
"يَسْمَعُونَ" – السماع الجسدي
السماع هنا هو السماع الجسدي. لكنه سماع بلا تدبر، بلا تفكر، بلا استجابة. سماع كسماع البهائم. تسمع الصوت، ولا تفهم معناه.
"أَوْ يَعْقِلُونَ" – العقل والتدبر
العقل هو الفهم والتدبر. وهو أعلى درجات الإدراك. فالأكثرية لا يعقلون. لا يستخدمون عقولهم في التفكر في آيات الله.
اللمسة البيانية: تقديم السماع على العقل
قدم السماع على العقل، لأن السماع هو المدخل للعقل. فإذا فسد السماع، فسد العقل. وإذا ضعف العقل، ضعف السماع.
الدلالة النفسية
هذه الجملة تحمل حقيقة صادمة. الأكثرية لا يسمعون سماع تدبر، ولا يعقلون عقل تفكر. هم موجودون بأجسادهم، غائبون بقلوبهم.
3
الجملة الثالثة: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ﴾
اللمسة البلاغية: القصر بـ"إن" و"إلا"
"إن هم إلا كالأنعام" أسلوب قصر وحصر. أي: ما هم إلا مثل الأنعام. لا زيادة لهم عليها. الأنعام تسمع وتنقاد، وهؤلاء يسمعون ولا ينقادون. الأنعام تعرف راعيها، وهؤلاء لا يعرفون خالقهم.
"الْأَنْعَامِ" – ما هي الأنعام؟
الأنعام هي البهائم: الإبل، البقر، الغنم. وهي مخلوقات لا تملك عقلا ً يدرك به الحقائق. وقد شبه الله بهم من أعرضوا عن الحق.
اللمسة البيانية: التشبيه البليغ
شبههم بالأنعام في أنهم لا ينتفعون بما أوتوا من حواس. الأنعام لها آذان تسمع، وأعين تبصر، لكنها لا تعقل. وهؤلاء كذلك. أعطاهم الله آذانًا وأعينًا وعقولًا، فلم ينتفعوا بها.
الدلالة النفسية
هذه الجملة تحمل إهانة عظيمة لمن أعرض عن الحق. إنهم ليسوا بشرًا في سلوكهم، بل هم ك البهائم. بل هم أسوأ منهم.
4
الجملة الرابعة: ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾
اللمسة البلاغية: "بَلْ" للإضراب والانتقال
"بل" للإضراب والانتقال إلى ما هو أشد. أي: ليسوا كالأنعام فقط، بل هم أضل سبيلًا منها.

"أَضَلُّ" – صيغة التفضيل
"أضل" صيغة تفضيل تدل على أن ضلالهم أشد من ضلال الأنعام. فالأنعام قد تضل أحيانًا، لكنها إذا وجدت الطريق المستقيم تتبعه. أما هؤلاء فيعرفون الحق ويتركونه.

"سَبِيلًا" – الطريق
السبيل هو الطريق إلى الحق وإلى الجنة. هؤلاء أضل سبيلًا من الأنعام. فالأنعام قد تصل إلى مرادها، وهؤلاء لا يصلون إلى الحق.

اللمسة البيانية: المقارنة بين الأنعام والإنسان
الأنعام تسمع صوت الراعي فتتبعه. وهؤلاء يسمعون صوت الحق فيعرضون عنه. الأنعام تسعى إلى ما ينفعها. وهؤلاء يسعون إلى ما يضرهم. فالأنعام خير منهم.

الدلالة النفسية
هذه الجملة تحمل أعلى درجات الذم. أن تصير أسوأ من بهيمة. أن تفقد ما ميزك الله به عن سائر المخلوقات. هذا هو الجزاء لمن اتخذ هواه إلهًا.
ثالثا

الموضوع الأول1: الفرق بين الإنسان والأنعام
1. الإنسان أوتي العقل، والأنعام لا تعقل
الإنسان ميزه الله بالعقل الذي يدرك به الحقائق. فإذا أعرض عن استخدام عقله في طاعة الله، فقد نزل عن درجته.
2. الإنسان أوتي السمع والبصر والقلب
قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾. فإذا لم يستخدمها في طاعة الله، كان كمن لا يملكها.
3. الأنعام تتبع فطرتها
الأنعام تتبع ما جبلت عليه. أما الإنسان فيعرف الحق ثم يعرض عنه. فإعراضه بعد المعرفة أشد ضلالًا.
4. الأنعام قد تصل إلى مرادها
الأنعام إذا سارت في الطريق الصحيح وصلت. أما الإنسان الضال، فقد يعرف الطريق ولا يسير فيه.
الموضوع الثاني2: أسباب الانحطاط إلى درجة الأنعام
1. اتخاذ الهوى إلهًا
من جعل هواه إلهه، فقد عطل عقله عن التفكر، وسمعه عن التدبر. فصار كالأنعام التي لا تعقل.
2. عدم استخدام العقل في التفكر
الله أعطى الإنسان عقلًا ليتفكر في آياته. فمن لم يستخدمه، خسر أعظم نعمة.
3. السماع بلا تدبر
كثير من الناس يسمعون القرآن ولا يتدبرونه. هذا السماع لا ينفع، كسماع الأنعام.
4. الإعراض عن الحق بعد معرفته
أشد أنواع الضلال: أن تعرف الحق ثم تعرض عنه. فالأنعام لو عرفت الطريق لاتبعت.
الموضوع الثالث3: كيف تربي الآية المؤمن على التفكر
1. استخدم عقلك
أعظم نعمة أنعمها الله عليك هي العقل. فاستخدمه في التفكر في آيات الله، وفي معرفة الحق.
2. لا تكن ممن يسمعون ولا يعقلون
اجعل لسماعك تدبرًا. عندما تسمع القرآن، لا تمر الآيات على قلبك مرور الكرام. تدبر، تفكر، تعقل.
3. لا تنحدر إلى درجة الأنعام
أنت خلقته الله خليفة في الأرض. لا تختار لنفسك أن تكون كالبهائم. ارتق بنفسك إلى ما خلقت له.
4. احذر أن تكون أضل سبيلًا من الأنعام
الأنعام قد تهدي إلى مرادها. فإذا كنت تعرف الحق ولا تتبعه، فأنت أضل منها.
5. تذكر أن الأكثرية لا يعقلون
لا تغتر بكثرة الناس. الأكثرية قد تكون على ضلال. فاطلب الحق، ولو كنت وحدك.
الموضوع الرابع4: المفاهيم المركزية في الآية
المفهوم الأول1: السماع الحقيقي هو سماع التدبر
ليس كل سماع نافعًا. السماع النافع هو الذي يتبعه تدبر وعمل.
المفهوم الثاني2: العقل نعمة تحتاج إلى استخدام
العقل ليس مجرد ملكة، بل هو نعمة تحتاج إلى استخدام. من لا يستخدم عقله، يفقد قيمته.
المفهوم الثالث3: الإنسان قد يكون أسوأ من الأنعام
الأنعام تتبع فطرتها وتطيع خالقها. والإنسان قد يعصي ربه مع علمه. فهو إذن أضل سبيلًا.
المفهوم الرابع4: الأكثرية ليست مقياسًا للحق
كثرة الناس لا تعني أنهم على حق. فالأكثرية قد تكون ضالة.
الموضوع الخامس5: القيم المستنبطة من الآية
1. قيمة استخدام العقل: أعظم نعمة تحتاج إلى شكر بالاستخدام.
2. قيمة التدبر: لا يكفي السماع، بل لا بد من التدبر.
3. قيمة عدم الاغترار بالكثرة: الحق لا يُعرف بكثرة أتباعه.
4. قيمة الارتقاء بالنفس: أن لا تنحدر إلى درجة الأنعام.
5. قيمة التفكر: في آيات الله وفي النفس.
6. قيمة طاعة الله: بعد معرفة الحق.
7. قيمة الحذر من الضلال: فالإنسان قد يكون أضل من الأنعام.
الموضوع السادس6: الأبعاد المختلفة للآية
1. البعد المعرفي
تفتح الآية أفقًا لفهم حقيقة الإنسان: أنه إن لم يستخدم عقله، نزل عن درجته. وتعلم أن المعرفة وحدها لا تكفي، بل لا بد من العمل.

2. البعد النفسي
تصدم النفس بحقيقة أن أكثر الناس لا يعقلون. وتجعلها تتفكر: هل أنا من هؤلاء؟ وتدفعها إلى استخدام عقلها.
3. البعد التربوي
تربي الآية في النفس حب التدبر، واستخدام العقل، وعدم الاغترار بالكثرة.
4. البعد الإيماني
ترفع الإيمان إلى مستوى أعلى: الإيمان بأن الإنسان مكرم بالعقل، وأنه مسئول عن استخدامه.
5. البعد الاجتماعي
تذكر الآية المجتمع بأن الأكثرية ليست دائمًا على حق. وأن المعايير الحقيقية هي العقل والتدبر.
الموضوع السابع7: الآفاق التي تحملها الآية
1. الأفق المعرفي
تفتح أمامك أفقًا لفهم حقيقة الإنسان: أن قيمته بعقله، لا بجسده. فإذا عطل عقله، فقد قيمته.
2. الأفق النفسي
تفتح أمامك أفقًا للتأمل الذاتي: هل أنا ممن يسمعون ويعقلون؟ أم أنا كالأنعام؟
3. الأفق التربوي
تفتح أمامك أفقًا لتربية نفسك على التدبر واستخدام العقل.
4. الأفق الإيماني
تفتح أمامك أفقًا للإيمان بأن الله كرم الإنسان بالعقل، فشكر هذه الكرمة باستخدامه.
الموضوع الثامن8: دور مفاهيم الآية في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة
1. في بناء الإنسان المتزن
نفسيًا
تمنح الآية الإنسان الوعي الذاتي من خلال:
· إدراكه أن قيمته بعقله وتدبره.
· معرفته أن الأكثرية قد تكون على ضلال.
· حثه على استخدام حواسه وعقله في طاعة الله.
فكريًا
تزرع الآية في العقل:
· أهمية التدبر: لا يكفي السماع.
· عدم الاغترار بالكثرة: الحق لا يُعرف بالعدد.
· أهمية استخدام العقل: في التفكر في آيات الله.
سلوكيًا
تعلم الإنسان:
· التدبر: في القراءة والسماع.
· استخدام العقل: في كل شؤون الحياة.
· الارتقاء: عن درجة الأنعام.
2. في بناء المجتمع المسلم
المجتمع الذي يتدبر هذه الآية هو مجتمع:
· يعتمد على العقل والتدبر: لا على التقليد الأعمى.
· لا يغتر بالكثرة: فيقرأ الواقع بعين الناقد.
· يربي أفراده على استخدام حواسهم: لا على التبلد.
· يعرف أن قيمته بعقله: فيسعى لتنميته.
3. في بناء الحضارة الإسلامية
الحضارة الإسلامية قامت على العقل والتدبر. العلماء المسلمون تفكروا في آيات الله، فكانت حضارة علمية عظيمة.
هذه الآية تحمي الحضارة من:
· الجمود: فتدعو إلى استخدام العقل.
· التقليد الأعمى: فلا تتبع الأكثرية بلا تفكير.
· الانحطاط: فتحث على الارتقاء عن درجة الأنعام.
4. في البناء والتنمية
في مجال التنمية، هذه الآية تعطيك:
· أهمية التعليم والتفكير: التنمية تبدأ بالعقل.
· عدم الاغترار بالأكثرية: لا تتبع النمط السائد دون تفكير.
· الارتقاء بالإنسان: هو أساس التنمية.
الخاتمة: كيف تعيش هذه الآية؟

· كل يوم، اسأل نفسك: هل أستخدم عقلي في التفكر في آيات الله؟ أم أنا كالأنعام؟
· كل آية تسمعها، لا تمر عليها مرور الكرام. تدبر، تفكر، تعقل.
· كل رأي سائد، لا تتبعه لمجرد أنه رأي الأكثرية. استخدم عقلك.
· كل شعور بالتكاسل عن التفكر، تذكر أنك إن لم تستخدم عقلك، كنت كالأنعام.
· كل لحظة، تذكر أن الله كرمك بالعقل. فاشكره باستخدامه.
هذه الآية هي تذكير لك بقيمتك الحقيقية. أنت لست جسدًا فقط. أنت عقل وقلب. فإذا عطلت عقلك، نزلت عن درجتك. وإذا استخدمته، ارتقيت إلى ما خلقت له.
وقفة أخيرة: هل أنت كالأنعام أم فوقها؟
الآية تضعك أمام سؤال: هل أنت ممن يستخدمون عقولهم في طاعة الله؟ أم أنت كالأنعام تسمع و لاتعقل، وترى ولا تتدبر؟
تذكر: الأنعام تتبع فطرتها. فإذا كنت تتبع هواك، فأنت أسوأ منها. الأنعام تعرف راعيها. فإذا كنت لا تعرف خالقك، فأنت أضل سبيلًا.
فاختر لنفسك اليوم. كن إنسانًا بعقلك، لا بهيمًا بهواك.

المقطع الثالث
تفسير الآيتين الخامسة والأربعين والسادسة والأربعين من سورة الفرقان
قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا * ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾.
مقدمة: عندما يكون الظل آية والضوء درسًا
هل وقفت يومًا تتأمل ظلك الممتد على الأرض مع بزوغ الشمس أو عند غروبها؟ هل سألت نفسك: لماذا يمتد الظل ثم يقصر؟ لماذا لا يبقى ساكنًا؟ لماذا هذه الدقة المتناهية في حركته؟ هذه الآيات تأخذك في رحلة تأملية مع أعظم الظواهر الكونية التي تمر عليها كل يوم ولا تتأملها.
بعد أن وصفت الآية السابقة حال المشركين الذين لا يسمعون ولا يعقلون، يأتي الله بهذه الآيات ليقول: انظر إلى الظل! انظر إلى الشمس! انظر إلى الليل والنهار! هذه آياتي في الكون، لمن يعقل .إنها تدعوك لتستخدم عينيك وعقلك وقلبك، فتتفكر في خلق الله، فتزداد إيمانًا وبصيرة.
هاتان الآيتان تحملان في طياتهما إعجازًا علميًا يسبق عصره بقرون .تتحدثان عن حركة الظل التي هي نتيجة دوران الأرض حول الشمس، وعن جعل الشمس دليلًا على الظل، وعن قبض الظل قبضًا يسيرًا .إنها تصف بدقة متناهية ظاهرة فيزيائية لا يمكن أن يعلمها بشر قبل اكتشاف دوران الأرض.
هاتان الآيتان تخاطبانك أنت أيضًا .إنهما تهمسان في أذنك: انظر إلى الظل الذي تراه كل يوم .أليس هو آية على قدرة الله؟ انظر كيف يمتد في الصباح، ثم يقصر في الظهيرة، ثم يعود في المساء . أليس هذا دليلًا على أن هناك من يدبر هذا الكون؟ انظر إلى الشمس التي تجعل الظل مرئيًا .أليس هذا دليلًا على أن الله جعل لكل شيء دليلًا؟
تعالَ نتأمل هاتين الآيتين، وكأنهما تنزلان الآن .وكأن الله يأخذ بيدك ليتأمل معك الظل الذي تراه كل يوم، ليكتشف فيه أعظم الآيات، ويبني به عقلك وقلبك.
اولا: السياق – العلاقة بالآية التي قبلها
الربط بالآية الرابعة والأربعين
الآية الرابعة والأربعون قالت: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾.
جاءت هاتان الآيتان لتكونا التطبيق العملي لما ينبغي أن يكون عليه المؤمن .فبعد أن ذم الله الذين لا يسمعون ولا يعقلون، يأتي ليوجه المؤمن إلى التأمل في آياته الكونية .كأنه يقول: لا تكن كالذين لا يعقلون .انظر إلى آياتي في الكون .تأمل الظل والشمس والليل والنهار .استخدم عينيك وعقلك.
إنها دعوة للتفكر بعد ذم الغافلين .والمؤمن هو الذي يرى في الظل آية، وفي الشمس دليلًا، وفي الليل والنهار عبرة.
ثانيا:تحليل الآيتين – قراءة في عمق المشهد الكوني
المبحث الأول تفسير الآية الخامسة والأربعون
/1
الجملة الأولى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾
اللمسة البلاغية: الاستفهام التقريري
"ألم تر" استفهام للتقرير، أي: ألم تنظر وتتأمل؟ والمعنى: انظر إلى فعل ربك .إنه دعوة للتأمل والتفكر.

"إِلَى رَبِّكَ" – توجيه النظر إلى الفاعل
"إلى ربك" أي: انظر إلى فعل ربك، إلى قدرته، إلى صنعه .ليس المطلوب رؤية الذات الإلهية، بل رؤية آثار قدرته.

"كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ" – التعجب من الإتقان
"كيف" للتعجب من عظمة الصنع وإحكامه ."مد الظل" أي: بسطه ومده على وجه الأرض.

"الظِّلَّ" – ما هو الظل؟
الظل هو المنطقة التي لا تصلها أشعة الشمس المباشرة .وهو ظاهرة طبيعية تحدث نتيجة دوران الأ رض حول نفسها وحول الشمس .والآية تشير إلى أن الله هو الذي خلق هذه الظاهرة وأتقنها.

اللمسة البيانية: تقديم "كيف" للتعجب
قدم "كيف" للتعجب من إتقان هذا الخلق .وكأنه يقول: انظر إلى هذا الإتقان، انظر إلى هذه الدقة، أليست دليلًا على عظمة الخالق؟

الدلالة العقلية) الإعجاز العلمي(
هذه الآية تشير إلى أن الظل ليس ثابتًا، بل هو ممتد .وهذا الامتداد هو نتيجة دوران الأرض حول محورها، مما يجعل أشعة الشمس تصل إلى الأرض بزوايا مختلفة، فيتغير طول الظل .وهذا ما يسمى في العلم الحديث "حركة الظل" .والقرآن يصف هذه الظاهرة بدقة متناهية قبل أن يعرفها البشر

بقرون.
/2
الجملة الثانية: ﴿وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا﴾
اللمسة البلاغية: الشرط الدال على القدرة
"لو شاء لجعله ساكنًا" أي: لو شاء الله لجعل الظل ثابتًا لا يتحرك .وهذا دليل على أن حركة الظل وامتداده إنما هو بمشيئة الله وحكمته.

"سَاكِنًا" – الثبات وعدم الحركة
"ساكنًا" أي: ثابتًا لا يمتد ولا يقصر .والله قادر على أن يجعله ساكنًا، لكنه جعله متحركًا لحكم عظيمة.

الدلالة العقلية) الإعجاز العلمي(
هذه الآية تشير إلى أن الظل لو كان ساكنًا لاختل نظام الحياة على الأرض .فحركة الظل هي نتيجة حركة الأرض، ولو توقفت الأرض عن الدوران، لفسد النظام الكوني .والله يذكر هنا قدرته على جعله ساكنًا، لكنه لم يفعل لحكمة بالغة.
/3
الجملة الثالثة: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾
اللمسة البلاغية: "ثمّ" للترتيب والتعقيب
"ثم" للترتيب والتعقيب .أي: بعد أن خلق الظل ومدّه، جعل الشمس دليلًا عليه .فالشمس هي التي تجعل الظل مرئيًا، وهي التي تحدد طوله واتجاهه.

"جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا" – ما معنى كون الشمس دليلًا على الظل؟
الشمس هي الدليل على الظل: لأن الظل لا يظهر إلا بوجود الشمس .فإذا غابت الشمس، اختفى الظل . وإذا أشرقت، ظهر .كما أن موقع الشمس في السماء يحدد طول الظل .فعندما تكون الشمس عالية يقصر الظل، وعندما تكون منخفضة يطول.
اللمسة البيانية: تقديم "الشمس" على "دليلًا"
قدم "الشمس" على "دليلًا" للاهتمام بهذه الآية العظيمة .فالشمس هي التي تجعل الظل مرئيًا ومقدرًا.
الدلالة العقلية) الإعجاز العلمي(
هذه الآية تشير إلى علاقة الظل بالشمس، وهي علاقة فيزيائية دقيقة .فطول الظل يتناسب طرديًا مع عكس ارتفاع الشمس .وهذا ما يعرفه العلماء اليوم بقوانين البصريات والهندسة .والقرآن يذكر هذه العلاقة بدقة بالغة: "جعلنا الشمس عليه دليلًا" .فالشمس هي التي تدل على الظل وتحدد مقاييسه.
المبحث الثاني
الآية السادسة والأربعون
الجملة الأولى: ﴿ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾
اللمسة البلاغية: "ثمّ" للترتيب الزمني
"ثم" للترتيب الزمني .أي: بعد أن يمتد الظل في أول النهار وآخره، نقبضه قبضًا يسيرًا.

"قَبَضْنَاهُ" – قبض الظل
"قبضناه" أي: أزلناه ورفعناه .والقبض هو الجمع والرفع .والمراد: أن الظل بعد امتداده في الصباح و المساء، يقبض في وقت الظهيرة فيقصر جدًا، أو يقبض بالكلية إذا كانت الشمس في السمت.

"إِلَيْنَا" – الإضافة إلى الله
"إلينا" أي: إلى حكمنا وقدرتنا .وهذا يدل على أن الظل تحت تصرف الله، يبسطه متى شاء ويقبضه متى شاء.

"قَبْضًا يَسِيرًا" – القبض السهل السريع
"قبضًا يسيرًا" أي: قبضًا سهلًا سريعًا .وهو وصف لدقة الحركة وسرعتها .فالظل لا يقبض فجأة، بل يتدرج في القبض بيسر وسهولة.

اللمسة البيانية: وصف القبض ب-"يسيرًا"
هذا الوصف يعطي صورة دقيقة لحركة الظل .فهو لا يختفي فجأة، بل يتدرج في الانقباض بيسر وسهولة .وهذا من إتقان الخلق.

الدلالة العقلية) الإعجاز العلمي(
هذه الآية تصف بدقة حركة الظل خلال اليوم .ففي الصباح، الظل طويل .ثم يبدأ في القبض) الا نكماش (تدريجيًا حتى يصل إلى أقصر طول له عند الظهيرة .ثم يعود في الامتداد بعد الظهر .وهذا ما يعرف في العلم الحديث بحركة الشمس الظاهرية نتيجة دوران الأرض .والقرآن يصف هذه الظاهرة

ب-"قبضًا يسيرًا"، أي: قبضًا متدرجًا سهلًا، وهو وصف دقيق للحركة المستمرة للظل.

ثالثا

الموضوع الأول1: الإعجاز العلمي في الآيتين

.1حركة الظل ودوران الأرض

الآيات تصف حركة الظل من الامتداد إلى القبض .وهذا يحدث نتيجة دوران الأرض حول محورها، مما يجعل أشعة الشمس تصل إلى الأرض بزوايا متغيرة .فطول الظل يتغير باستمرار، وهو ما تشير إليه الآيات.

.2العلاقة بين الظل والشمس

"جعلنا الشمس عليه دليلًا" تشير إلى أن الشمس هي التي تجعل الظل مرئيًا ومقدرًا .فبدون الشمس لا يظهر الظل .وبزاوية الشمس يختلف طول الظل .هذه علاقة فيزيائية دقيقة ذكرها القرآن بدقة.

.3القبض اليسير

"قبضًا يسيرًا" تشير إلى أن الظل لا يقبض فجأة، بل يتدرج في القبض بيسر وسهولة .وهذا ما يحدث بالفعل: الظل يقصر تدريجيًا حتى الظهيرة، ثم يعود في الامتداد.

.4السكون لو شاء

"ولو شاء لجعله ساكنًا" تشير إلى أن الله قادر على أن يجعل الظل ثابتًا لا يتحرك .لكنه جعله متحركًا بحكمته .وهذا إشارة إلى أن نظام الكون قائم على الحركة، ولو توقفت الحركة لفسد النظام.

الموضوع الثاني2: الظواهر الكونية ودورها في بناء العقل والقلب

.1الظل آية على قدرة الله

الظل الذي تراه كل يوم هو آية من آيات الله .تأمله: كيف يمتد في الصباح، ثم يقصر في الظهيرة، ثم يعود .هذه الدقة والإتقان تدل على عظمة الخالق.

.2الشمس دليل على الظل

كما أن الشمس دليل على الظل، فكل شيء في الكون له دليل يدل عليه .هذا يعلم المؤمن أن يبحث عن الأدلة، وأن يستخدم عقله في الاستدلال.

.3التدرج في الخلق

القبض اليسير يدل على أن الله خلق الكون بتدرج وإتقان .وهذا يعلم المؤمن أن يتدرج في حياته، و لا يستعجل النتائج.

.4الكون كله آيات

كل ظاهرة في الكون هي آية تدعو إلى التفكر .فالمؤمن يرى في الظل آية، وفي الشمس آية، وفي الليل والنهار آية .هذه الآيات تبني عقله وتقوي إيمانه.

الموضوع الثالث3: كيف تربي الآية المؤمن على التفكر

.1انظر إلى الظل الذي تراه كل يوم

لا تمر على الظل مرور الكرام .توقف، تأمل، تفكر .لماذا يمتد؟ لماذا يقصر؟ من الذي يتحكم في حركته؟ هذه الأسئلة تفتح لك باب الإيمان.

.2استخدم عقلك في قراءة الكون

الكون كله آيات .فكما تقرأ القرآن، اقرأ الكون .انظر إلى الشمس والقمر والنجوم، وتفكر في خلقها .هذا يبني عقلك ويقوي إيمانك.

.3تذكر أن كل شيء بمقدار

الظل يمتد بمقدار، ويقبض بمقدار .هذا يعلمك أن كل شيء في الكون له مقدار .فلا تقلق، فالأرزاق مقدرة، والأعمار مقدرة، والأحداث مقدرة.

.4لا تغفل عن آيات الله

الغفلة عن آيات الله هي سبب الضلال .فالمؤمن يتذكر ويتفكر، والكافر يغفل ويعرض .فاجعل من نفسك من المتذكرين.

الموضوع الرابع4: المفاهيم المركزية في الآيتين

المفهوم الأول1: الظل آية كونية

الظل ليس مجرد ظاهرة عابرة، بل هو آية من آيات الله .فيه دلالة على قدرته وحكمته وإتقانه.

المفهوم الثاني2: التدرج في الخلق

"قبضًا يسيرًا" تدل على أن الله خلق الكون بتدرج وإتقان .وهذا يعلم المؤمن أن يتدرج في حياته.

المفهوم الثالث3: العلاقة بين الظل والشمس

الشمس دليل على الظل .هذا يعلم المؤمن أن لكل شيء دليلًا، وأن عليه أن يبحث عن الأدلة.

المفهوم الرابع4: مشيئة الله وقدرته

"ولو شاء لجعله ساكنًا" تدل على أن كل شيء بمشيئة الله .وهو قادر على أن يغير نظام الكون متى شاء.

الموضوع الخامس5: القيم المستنبطة من الآيتين

.1قيمة التفكر: التأمل في خلق الله.

.2قيمة الاستدلال: استخدام العقل في معرفة الله.

.3قيمة الإتقان: الله خلق كل شيء بإتقان.
.4قيمة التدرج: في الخلق وفي الحياة.
.5قيمة التوكل: فكل شيء بمقدار.
.6قيمة النظر: في آيات الله الكونية.
.7قيمة الشكر: على نعمة العقل الذي يدرك هذه الآيات.
الموضوع السادس6: الأبعاد المختلفة للآيتين
.1البعد العلمي) الإعجاز(
الآيتان تحتويان على إشارات علمية دقيقة: حركة الظل، العلاقة بين الظل والشمس، القبض اليسير . هذه الإشارات تثبت أن القرآن من عند الله.
.2البعد الإيماني
تزرع الآيتان الإيمان في القلب من خلال مشاهدة آيات الله في الكون .فمن رأى الظل يتغير، عرف أن هناك من يدبر هذا الكون.
.3البعد العقلي
تدعو الآيتان إلى استخدام العقل في التفكر .فالإيمان ليس مجرد تقليد، بل هو تفكر وتدبر.
.4البعد التربوي
تربي الآيتان في النفس حب التأمل، وعدم الاغترار بالمظاهر، والبحث عن الأدلة.
.5البعد النفسي
تمنح الآيتان الطمأنينة بأن الكون منظم ومقدر .فلا خوف من الفوضى، فالكل تحت قدرة الله.
الموضوع السابع7: دور مفاهيم الآيتين في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة
.1في بناء الإنسان المتزن
عقليًا
تزرع الآيتان في العقل منهجية التفكر والاستدلال .المؤمن لا يقبل الأمور دون دليل، بل ينظر إلى آيات الله في الكون فيستدل بها على عظمة الخالق.
نفسيًا
تمنح الآيتان الإنسان الطمأنينة بأن الكون منظم، وأن كل شيء بمقدار .فلا يقلق من المستقبل، ولا يجزع من الحاضر.
إيمانيًا
ترفع الآيتان الإيمان من مجرد التقليد إلى الإيمان المبني على اليقين .فالمؤمن يرى آيات الله في كل شيء.
.2في بناء المجتمع المسلم
المجتمع الذي يتدبر هذه الآيات هو مجتمع:
· يعتمد على العلم والتفكر: فلا يكتفي بالتقليد.
· ينظر إلى الكون بعين البصيرة: فيرى في كل ظاهرة آية.
· يقدس العقل: ويجعله أداة لفهم الكون.
· يؤمن بأن النظام الكوني من عند الله: فلا يخشى الفوضى.
.3في بناء الحضارة الإسلامية
الحضارة الإسلامية قامت على التفكر في آيات الله .العلماء المسلمون نظروا إلى الكون وتفكروا فيه، فكانت حضارة علمية عظيمة.
هاتان الآيتان تحميان الحضارة من:
· الجمود: فتدعو إلى التفكر.
· الخرافة: فتعتمد على العقل والدليل.
· الانبهار بالمادة: فتذكر أن كل شيء آية من آيات الله.
.4في البناء والتنمية
في مجال التنمية، هاتان الآيتان تعطيانك:
· أهمية البحث العلمي: التنمية تبدأ بالتفكر.
· النظام والدقة: كما أن الظل له نظام، فالتنمية تحتاج إلى نظام.
· التدرج: التنمية لا تحدث فجأة، بل تحتاج إلى تدرج.
الخاتمة: كيف تعيش هاتين الآيتين؟
· كل صباح، عندما ترى ظلك ممتدًا، تذكر أن الله هو الذي مده.
· كل ظهيرة، عندما ترى الظل يقصر، تذكر أن الله هو الذي قبضه قبضًا يسيرًا.
· كل مساء، عندما يمتد الظل مرة أخرى، تذكر أن الله هو الذي يدبر هذا الكون.
· كل مرة ترى فيها الشمس، تذكر أنها دليل على الظل، ودليل على قدرة الله.
· كل مرة تشعر فيها بالقلق، تذكر أن الكون كله منظم، وأن الله يدبره بحكمة.
هاتان الآيتان هما دعوة للتأمل في أعظم آيات الله الكونية .إنهما تفتحان عينيك على ما تراه كل يوم ولا تراه .الظل الذي يمتد ويقبض هو آية .والشمس التي تدل عليه هي آية .فكن ممن يرون الآيات

في كل شيء، وتفكرون في خلق الله.
وقفة أخيرة: هل ترى الظل بعين قلبك؟
الآيتان تضعانك أمام سؤال: هل ترى الظل بعين قلبك؟ أم تمر عليه مرور الكرام؟
الظل الذي تراه كل يوم هو آية من آيات الله .فيه دلالة على قدرته وحكمته وإتقانه .فإذا رأيته، فتذكر .وإذا تذكرت، فتفكر .وإذا تفكرت، فازدد إيمانًا.

ثانيا

تفسير الآية السابعة والأربعين من سورة الفرقان
قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا﴾
مقدمة: حين يكون الليل عباءة والنوم راحة والنهار بعثًا
هل تأملت يومًا في عظمة الليل؟ ذلك السكون الذي يغشى الكون، فتخفت الأصوات، وتستريح الأجساد، وتهدأ النفوس .هل سألت نفسك: لماذا جعل الله الليل لِباسًا؟ لماذا جعل النوم سُباتًا؟ لماذا جعل النهار نُشورًا؟ هذه الآية تأخذك في رحلة تأملية مع أعظم نعمة تمر عليها كل يوم دون أن تشعر بها.
لقد تحدثت الآية السابقة عن الظل والشمس، تلك الآية الكونية التي تدعو إلى التفكر .وهذه الآية تأتي لتكمل المشهد، وتضيف نعمًا أعظم: الليل والنوم والنهار .إنها ثلاثية عظيمة: الليل لِباسًا يغطيك، و النوم سُباتًا يريحك، والنهار نُشورًا تبعث فيه إلى العمل.
هذه الآية تخاطبك أنت أيضًا .إنها تهمس في أذنك: انظر إلى الليل كيف يغشاك، كيف يلفك كما يلف الثوب جسدك .انظر إلى النوم كيف يجعل جسدك في حالة من السكون والراحة .انظر إلى النهار كيف تنتشر فيه كالبعث بعد الموت .هذه كلها نعم من الله، فهل أنت من الشاكرين؟
تعالَ نتأمل هذه الآية، وكأنها تنزل الآن .وكأن الله يأخذ بيدك ليتأمل معك الليل الذي تنام فيه، و النوم الذي تستريح به، والنهار الذي تعمل فيه .ليكتشف فيه أعظم النعم، وليبني به عقلك وقلبك.

اولا : السياق – العلاقة بالآية التي قبلها
الربط بالآيتين الخامسة والأربعين والسادسة والأربعين
الآيتان السابقتان تحدثتا عن الظل والشمس: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا * ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾.
جاءت هذه الآية لتضيف نعمًا أخرى من نعم الله الكونية .فبعد أن تحدث عن الظل الذي يدل على الشمس، تحدث عن الليل والنهار والنوم .إنها تدرج في ذكر النعم، من الظل إلى الليل إلى النوم إلى النهار .وكأن الله يقول: تأملوا في هذه النعم التي تمرون عليها كل يوم، لعلكم تشكرون.

ثانيا : تحليل الآية – قراءة في عمق النعم
/1
الجملة الأولى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾
اللمسة البلاغية: "وَهُوَ الَّذِي" – أسلوب الحصر
"وهو الذي" أسلوب يفيد الحصر والتخصيص .أي: الله وحده هو الذي جعل لكم الليل لباسًا .لا أحد غيره.

"جَعَلَ لَكُمُ" – التخصيص والامتنان
"جعل لكم" أي: خلق هذا لأجلكم، من أجل راحتكم .إنه امتنان من الله على عباده.

"اللَّيْلَ" – ظلام الليل
الليل هو ظلام الليل .وهو نعمة عظيمة، فبدونه لتعذر النوم ولتعب الأجساد.

"لِبَاسًا" – تشبيه الليل باللباس
شبه الليل باللباس من وجوه:
· اللباس يغطي الجسد، والليل يغطي الكون بظلامه.
· اللباس يستر العيوب، والليل يستر الناس في حركاتهم.
· اللباس يحمي من الحر والبرد، والليل يحمي من حرارة الشمس.
· اللباس يريح الجسد، والليل يريح النفس.

اللمسة البيانية: التشبيه البليغ
شبه الليل باللباس تشبيهًا بليغًا، يوحي بأن الليل يغطي الكون ويستره كما يغطي الثوب الجسد .وهذا من روعة التعبير القرآني.

الدلالة النفسية
هذه الجملة تمنح النفس الشعور بالأمان .الليل كاللباس، يسترك ويحميك ويؤمنك .فأنت في ظلامه آمن مطمئن .هذا الشعور يبعث في النفس السكينة.
/2

الجملة الثانية: ﴿وَالنَّوْمَ سُبَاتًا﴾
اللمسة البلاغية: "سُبَاتًا" – الراحة والقطع
"سباتًا" من السبت، وهو القطع والانقطاع .والنوم سبات؛ لأنه يقطع حركة الجسد ونشاطه، فيريحه.

"النَّوْمَ" – نعمة النوم
النوم هو نعمة عظيمة .فبدونه لا يستطيع الجسد أن يعمل .وقد جعله الله راحة للجسد والنفس.

اللمسة البيانية: التمييز بين الليل والنوم
الليل نعمة خارجية، والنوم نعمة داخلية .الليل يهيئ الجو، والنوم يريح الجسد .وكأن الليل لباس من الخارج، والنوم سبات من الداخل.

الدلالة النفسية
هذه الجملة تمنح النفس الطمأنينة .النوم سبات، أي: انقطاع عن العمل والقلق .فيه ترتاح النفس، وتهدأ الأعصاب، وتتجدد الطاقات .إنه هبة إلهية عظيمة.
/3
الجملة الثالثة: ﴿وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا﴾
اللمسة البلاغية: "نُشُورًا" – البعث والانتشار
"نشورًا" من النشر، وهو البعث والانتشار .والنهار نشور؛ لأن الناس ينتشرون فيه في الأرض لطلب الرزق والعمل.

"النَّهَارَ" – ضوء النهار
النهار هو نعمة الضوء التي تمكن الإنسان من الرؤية والعمل والسعي.

اللمسة البيانية: تشبيه النهار بالنشور
شبه النهار بالنشور، وهو البعث بعد الموت .فكما يبعث الله الموتى للحساب، يبعث الناس في النهار من منامهم للعمل .وهذا التشبيه يوحي بأن النهار هو حياة بعد موت الليل.

الدلالة النفسية
هذه الجملة تمنح النفس النشاط والحركة .النهار نشور: فيه تنطلق، تعمل، تسعى، تنتشر في الأرض .إنه دعوة للحياة والعمل.
ثالثا
الموضوع الأول 1: الجوانب النفسية في الآية
.1الليل لباسًا – الأمن والطمأنينة
الليل عندما يغطي الكون بظلامه، يشعر الإنسان بالأمن .فهو يستره كما يستر الثوب .هذه النعمة النفسية عظيمة: أن تشعر أنك في ظلام الليل آمن، لا يراك أحد، لا يزعجك أحد.
.2النوم سباتًا – الراحة والانقطاع
النوم هو انقطاع عن العالم .فيه تنقطع عن مشاغل النهار، وتتوقف عن القلق .إنه راحة للجسد و النفس .فبدون النوم يصاب الإنسان بالتوتر والاكتئاب والأمراض النفسية.
.3النهار نشورًا – النشاط والحركة
النهار هو بعث للنشاط .فيه تنطلق النفس وتتحرك وتسعى .إنه دعوة للحياة، ورفض للكسل .من لا يستغل النهار، يفوت عليه خير كثير.
.4التوازن بين الليل والنهار
الآية تجمع بين نعمتين متكاملتين: الليل والنوم من جهة، والنهار من جهة أخرى .هذا التوازن ضروري للصحة النفسية .فالنوم بلا عمل يؤدي إلى الكسل، والعمل بلا راحة يؤدي إلى الإرهاق .التوازن هو المفتاح.

الموضوع الثاني2: الجوانب العقلية في الآية
.1التفكر في خلق الليل والنهار
الآية تدعو العقل إلى التفكر: لماذا جعل الله الليل لباسًا؟ لماذا جعل النوم سباتًا؟ لماذا جعل النهار نشورًا؟ هذه الأسئلة تفتح باب التفكر في حكمة الخالق.
.2الاستدلال على قدرة الله
هذه النعم دليل على قدرة الله .من خلق الليل والنهار والنوم؟ من نظم هذه الدورة العجيبة؟ لا بد أن يكون خالقًا عظيمًا.
.3فهم حاجة الإنسان
الآية تعلم الإنسان أن الله يعرف حاجته .فهو الذي جعل الليل لباسًا، والنوم سباتًا، والنهار نشورًا .هذا

يعلم العقل أن الإنسان ليس متروكًا، بل هناك من يعرف حاجته ويدبر أمره.
.4التأمل في التوازن الكوني
الليل والنهار يتعاقبان بتوازن دقيق .لو طال الليل لملّ الناس، ولو طال النهار لتعبت الأجساد .هذا التوازن يدل على إتقان الخلق.

الموضوع الثالث3: الجوانب التربوية في الآية
.1تربية الشكر
الآية تربي في النفس شكر النعم .الليل نعمة، والنوم نعمة، والنهار نعمة .فكم مرة شكرت الله على هذه النعم؟
.2تربية التوازن
الآية تربي على التوازن بين العمل والراحة .الليل للراحة، والنهار للعمل .من لا يراعي هذا التوازن، يمرض جسده ونفسه.
.3تربية تنظيم الوقت
الآية تعلم أن الوقت مقسم: الليل للراحة والنوم، والنهار للعمل والنشور .هذا يعلم المؤمن أن ينظم وقته، فلا يعكسه فيجعل الليل نهارًا والنهار ليلًا.
.4تربية التفكر
الآية تربي على التفكر في خلق الله .فبدل أن تمر على الليل والنهار مرور الكرام، تتأمل فيها وتتفكر.
.5تربية الإيمان
الآية تربي الإيمان بأن الله هو الذي خلق هذه النعم .فمن آمن بذلك، ازداد يقينًا وشكرًا.
الموضوع الرابع4: المفاهيم المركزية في الآية
المفهوم الأول1: الليل لباس
الليل نعمة تستر الإنسان وتؤمنه وتهيئه للراحة .هو كاللباس الذي يغطي العيوب ويحمي من الحرارة و البرودة.
المفهوم الثاني2: النوم سبات
النوم هو انقطاع عن النشاط، وفيه راحة الجسد والنفس .هو هبة إلهية لا يمكن الاستغناء عنها.
المفهوم الثالث3: النهار نشور
النهار هو بعث للحياة والعمل .فيه ينتشر الناس في الأرض لطلب الرزق.
المفهوم الرابع4: التوازن بين الليل والنهار
الآية تعلم أن الحياة تحتاج إلى توازن بين العمل والراحة، بين النشاط والسكون.
المفهوم الخامس5: الامتنان الإلهي
"جعل لكم" تدل على أن هذه النعم خصصت لكم .فالله لم يخلق الليل لنفسه، بل خلق لأجلكم.
الموضوع الخامس5: القيم المستنبطة من الآية
.1قيمة الشكر: شكر الله على نعمة الليل والنهار والنوم.
.2قيمة التوازن: بين العمل والراحة.
.3قيمة تنظيم الوقت: الليل للراحة والنهار للعمل.
.4قيمة التفكر: التأمل في خلق الله.
.5قيمة الأمن: الليل يعطيك شعورًا بالأمن.
.6قيمة الصحة: النوم صحة للجسد والنفس.
.7قيمة النشاط: النهار دعوة للعمل والإنتاج.
الموضوع السادس6: الأبعاد المختلفة للآية
.1البعد النفسي
تمنح الآية الإنسان الطمأنينة والأمن من خلال الليل، الراحة والانقطاع من خلال النوم، النشاط و الحركة من خلال النهار .وتعلمه التوازن النفسي بين الراحة والعمل.
.2البعد العقلي
تدعو الآية العقل إلى التفكر في حكمة الله في خلق الليل والنهار .وتعلمه الاستدلال على قدرة الله من خلال هذه النظم الدقيقة.
.3البعد التربوي
تربي الآية في النفس الشكر، والتوازن، وتنظيم الوقت، والتفكر.
.4البعد الإيماني
تزرع الآية الإيمان بأن الله هو المدبر لهذا الكون، وأن كل شيء بتقدير منه.
.5البعد الصحي
تشير الآية إلى أهمية النوم للصحة الجسدية والنفسية، وأهمية النهار للنشاط والعمل.
الموضوع السابع7: الآفاق التي تحملها الآية
.1الأفق النفسي
تفتح الآية أمامك أفقًا نفسيًا: أن تعيش في توازن بين العمل والراحة .أن تشعر بالأمن في الليل، و

النشاط في النهار.
2.الأفق العقلي
تفتح أمامك أفقًا عقليًا: التفكر في آيات الله، والاستدلال على قدرته من خلال نظام الليل والنهار.
3.الأفق التربوي
تفتح أمامك أفقًا تربويًا: كيف تربي نفسك على الشكر والتوازن، وكيف تربي غيرك على تنظيم الوقت.
4.الأفق الإيماني
تفتح أمامك أفقًا إيمانيًا: أن تشعر بأن الله معك في كل لحظة، فهو الذي جعل الليل لباسًا والنوم سباتًا والنهار نشورًا.
5.الأفق الحضاري
تفتح أمامك أفقًا حضاريًا: المجتمعات التي تحترم نظام الليل والنهار، وتوازن بين العمل والراحة، هي مجتمعات ناجحة.
الموضوع الثامن8: دور مفاهيم الآية في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة
1.في بناء الإنسان المتزن
نفسيًا
تمنح الآية الإنسان التوازن النفسي من خلال:
· شعوره بالأمان في الليل.
· حصوله على الراحة في النوم.
· نشاطه وحركته في النهار.
عقليًا
تزرع الآية في العقل:
· التفكر في حكمة الخالق: لماذا جعل الليل لباسًا؟ لماذا جعل النوم سباتًا؟
· فهم التوازن الكوني: الليل والنهار متوازنان، فكذلك يجب أن تكون حياة الإنسان.
· الاستدلال على قدرة الله: من خلال إتقان هذه النظم.
تربويًا
تعلم الآية الإنسان:
· الشكر: على النعم التي لا يحصيها.
· التوازن: بين العمل والراحة.
· تنظيم الوقت: الليل للراحة والنهار للعمل.
2.في بناء المجتمع المسلم
المجتمع الذي يتدبر هذه الآية هو مجتمع:
· يعرف قيمة النوم والراحة: فلا يستهين بها.
· يعرف قيمة النهار: فيستغله في العمل والإنتاج.
· يعرف قيمة الليل: فيجعله للراحة والعبادة.
· يعيش في توازن: بين الروح والجسد، بين العمل والعبادة.
3.في بناء الحضارة الإسلامية
الحضارة الإسلامية قامت على التوازن .المسلمون عرفوا كيف يوازنون بين العمل والعبادة، بين الراحة والنشاط .فكانت حضارة متزنة، لا إفراط فيها ولا تفريط.
هذه الآية تحمي الحضارة من:
· الإرهاق: فلا يستنزف الناس أنفسهم في العمل بلا راحة.
· الكسل: فلا يستسلمون للنوم والراحة على حساب العمل.
· الانحراف: في نظام الحياة.
4.في البناء والتنمية
في مجال التنمية، هذه الآية تعطيك:
· أهمية الراحة: التنمية تحتاج إلى عمالة مريحة نفسيًا وجسديًا.
· أهمية تنظيم الوقت: ساعات العمل وساعات الراحة.
· التوازن: لا تنمية بلا راحة، ولا راحة بلا عمل.
الخاتمة: كيف تعيش هذه الآية؟
· كل ليلة، عندما يغشاك الليل، تذكر أنه لباس يسترك ويؤمنك .اشكر الله على هذه النعمة.
· كل مرة تنام فيها، تذكر أن النوم سبات، راحة من الله .اشكره عليها.
· كل صباح، عندما تستيقظ، تذكر أن النهار نشور، بعث للحياة والعمل .اشكر الله على هذه النعمة.
· كل يوم، حاول أن توازن بين وقتك: جزء للراحة، وجزء للعمل، وجزء للعبادة.
· كل غفلة، تذكر أن هذه النعم قد تزول .فاغتنمها قبل أن تفقدها.
هذه الآية هي تذكير لك بأعظم النعم التي تمر عليها كل يوم .الليل لباس، والنوم سبات، والنهار نشور .
فكم مرة شكرت الله عليها؟ وكم مرة تفكرت فيها؟
وقفة أخيرة: هل أنت من الشاكرين؟

الآية تضعك أمام سؤال: هل أنت من الشاكرين لهذه النعم؟
الليل يغشاك كل يوم، والنوم يأتيك كل ليلة، والنهار يشرق كل صباح .فهل تقابل هذه النعم بالشكر؟
أم تمر عليها مرور الكرام؟
تذكر: من شكر، زاده الله .ومن كفر، أخذ الله نعمه.

ثالثا

(تفسير الآيات الثامنة والأربعين والتاسعة والأربعين والخمسين من سورة الفرقان
قال تعالى: ﴿وَهُوَ الذي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۚ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا * لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا * وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾.
مقدمة: حين تكون الرياح بشرى والماء حياة
هل شعرت يومًا برياح هادئة تأتي قبل المطر، فتملأ نفسك بالرجاء والتفاؤل؟ هل تأملت في قطرة الماء كيف تنزل من السماء فتحيي الأرض بعد موتها، وتخرج من باطنها الزرع والثمر؟ هل تفكرت في كيف أن الماء الواحد ينزل على قوم فيشربون منه هم وأنعامهم، وعلى آخرين فلا ينتفعون؟ هذه الآيات تأخذك في رحلة تأملية مع أعظم نعمة بعد الإيمان: الماء الذي به حياة كل شيء.
بعد أن تحدثت الآية السابقة عن الليل والنهار والنوم، تأتي هذه الآيات الثلاث لتكمل لوحة النعم الكونية، وتضيف إليها نعمًا أعظم: الرياح التي تحمل البشارة، والماء الطهور الذي ينزل من السماء، والأرض الميتة التي تحيا به، والأنعام والأناسي الذين يسقون منه. ثم تختم الآية بملاحظة مؤلمة: مع كل هذه النعم، أكثر الناس لا يشكرون.
هذه الآيات تخاطبك أنت أيضًا. إنها تهمس في أذنك: انظر إلى الرياح كيف تأتي بشرى. انظر إلى الماء كيف ينزل طهورًا. انظر إلى الأرض كيف تحيا بعد موتها. انظر إلى نفسك كيف تشرب هذا الماء. أليس هذا دليلًا على قدرة الله؟ أليس هذا داعيًا إلى الشكر؟
تعالَ نتأمل هذه الآيات الثلاث، وكأنها تنزل الآن. وكأن الله يأخذ بيدك ليتأمل معك الرياح والمطر والأرض المحيية، ليكتشف فيها أعظم الآيات، وليبني بها عقلك وقلبك.
اولا : السياق – العلاقة بالآية التي قبلها
الربط بالآية السابعة والأربعين
الآية السابعة والأربعون قالت: ﴿وَهُوَ الذي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا﴾.
جاءت هذه الآيات الثلاث لتضيف نعمًا أخرى من نعم الله الكونية. فبعد أن تحدث عن الليل والنهار و النوم، تحدث عن الرياح والمطر والأرض المحيية. إنها تدرج في ذكر النعم من النعم اليومية إلى النعم الموسمية، ومن النعم المتعلقة بالراحة إلى النعم المتعلقة بالحياة. وكأن الله يقول: تأملوا في هذه النعم التي تمرون عليها، لعلكم تشكرون.
ثانيا: تحليل الآيات – قراءة في عمق النعم
المبحث الأول
الآية الثامنة والأربعون
الجملة الأولى: ﴿وَهُوَ الذي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾
اللمسة البلاغية: "وَهُوَ الذي" – أسلوب الحصر
"وهو الذي" أسلوب يفيد الحصر والتخصيص .أي: الله وحده هو الذي أرسل الرياح .لا أحد غيره.

"أَرْسَلَ الرِّيَاحَ" – إرسال الرياح
"أرسل" فعل يدل على أن الرياح بتسيير الله وتدبيره .والرياح جمع ريح، وهي تيارات هوائية متحركة .وقد تأتي بالبشارة وتأتي بالعذاب، وهنا جاءت بالبشارة.

"بُشْرًا" – بشارة بالمطر
"بشرًا" أي: تبشر الناس بالمطر القادم .فالرياح التي تهب قبل المطر تحمل معها البشرى، وتملأ القلوب رجاء.

"بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ" – تقدم البشارة على الرحمة
"بين يدي رحمته" أي: أمام رحمته التي هي المطر .فالبشارة تأتي أولًا، ثم تأتي الرحمة .وهذا من لطف الله بعباده: يبشرهم أولًا لتهدأ نفوسهم، ثم ينزل عليهم الخير.

اللمسة البيانية: تأنيث الرياح في مقام الرحمة
جاءت "الرياح" مؤنثة جمعًا، وفي موضع آخر جاءت "الريح" مفردة مذكرة في مقام العذاب. هذا من دقة القرآن: الرياح التي تحمل البشارة كثيرة متنوعة، والريح التي تحمل العذاب واحدة شديدة.

الدلالة النفسية
هذه الجملة تمنح النفس الأمل والرجاء. الرياح التي تأتي قبل المطر تحمل البشرى، وتذكرك بأن بعد

الشدة فرجًا، وبعد الجدب مطرًا، وبعد العسر يسرًا.
/2
الجملة الثانية: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾
اللمسة البلاغية: "أَنْزَلْنَا" – إنزال من السماء
"أنزلنا" إسناد إلى الله .والماء ينزل من السحاب الذي هو في السماء .وهو من أعظم النعم.

"مَاءً طَهُورًا" – وصف الماء
"طهورًا" أي: طاهرًا في نفسه، مطهرًا لغيره .وهو وصف دقيق للماء: فهو طاهر لا نجاسة فيه، ومطهر يزيل الأنجاس .وهذا من دلائل قدرة الله.

اللمسة البيانية: وصف الماء بالطهور
وصف الماء بالطهور فيه إشارة إلى أنه ليس فقط للشرب، بل للوضوء والغسل والتطهير. وهو نعمة عظيمة.

الدلالة النفسية
هذه الجملة تذكر النفس بنعمة الماء. فبدون الماء لا حياة. وهو نعمة قد ننساها حتى نفقده. فإذا شربت كأسًا من الماء، فتذكر أن الله أنزله من السماء طهورًا.
المبحث الثاني
الآية التاسعة والأربعون
الجملة الأولى: ﴿لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا﴾
اللمسة البلاغية: "لِنُحْيِيَ" – الغاية من إنزال الماء
اللام للتعليل. أي: أنزلنا الماء لإحياء الأرض الميتة. فالغاية عظيمة: إحياء الموتى. والأرض بعد الجدب تكون ميتة، فإذا نزل المطر، عادت حية.

"بَلْدَةً مَيْتًا" – وصف الأرض بالجفاف
"بلدة ميتًا" أي: أرض يابسة لا نبات فيها .وهي مثل الأرض القاحلة التي لا حياة فيها .فإذا نزل الماء، تحولت إلى جنة خضراء.

اللمسة البيانية: تشبيه الأرض الميتة بالإنسان الميت
شبه الأرض الميتة بالإنسان الميت، ثم أحيائها بالمطر. وهذا يعلم أن القادر على إحياء الأرض بقادر على إحياء الموتى. فهو دليل على البعث.

الدلالة النفسية
هذه الجملة تبعث في النفس الرجاء. كما أن الأرض الميتة تحيا بالمطر، فالقلب الميت قد يحيا بالذكر. وكما أن الله قادر على إحياء الأرض، فهو قادر على إحياء القلوب.
/2
الجملة الثانية: ﴿وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا﴾
اللمسة البلاغية: "وَنُسْقِيَهُ" – سقي الأنعام والأناسي
"ونسقيه" أي: نسقي ذلك الماء، أو نسقي به .والمعنى: نجعل الماء سقيًا لما خلقنا من الأنعام والأناسي.

"أَنْعَامًا" – الأنعام
الأنعام هي الإبل والبقر والغنم. وهي من أعظم نعم الله على الإنسان، فمنها الطعام واللباس والركوب.

"وَأَنَاسِيَّ" – الناس
"أناسي" جمع إنسان، وهو الناس .ووصفهم ب"كثيرًا" للدلالة على كثرة المنتفعين بالماء.

اللمسة البيانية: تقديم الأنعام على الأناسي
قدم الأنعام على الأناسي مع أن الأناسي أهم. لماذا؟ لأن الأنعام مخلوقة من الماء أيضًا، ولأن الإنسان لا يستغني عنها. وهذا من دقة البيان القرآني.

الدلالة النفسية
هذه الجملة تذكر الإنسان بتواضع حاجته. فالإنسان لا يستغني عن الماء، كما لا يستغني عن الأنعام. فكلاهما من نعم الله التي يجب شكرها.
المبحث الثالث
الآية الخمسون
الجملة الأولى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ﴾

اللمسة البلاغية: "صَرَّفْنَاهُ" – التصريف والتوزيع
"صرفناه" من التصريف، وهو التنويع والتوزيع .أي: صرفنا الماء بين الناس .فمرة ينزل على قوم، ومرة على آخرين .ومرة يكون غزيرًا، ومرة قليلًا.

"بَيْنَهُمْ" – التفاوت في النصيب
"بينهم" أي: بين الناس .فليس كل الناس يحصلون على الماء بالتساوي .فهذا قوم لهم ماء غزير، وهذا قوم محرومون.

اللمسة البيانية: التصريف يدل على الحكمة
التصريف يدل على أن الأمر ليس عشوائيًا، بل هو بتقدير من حكيم عليم. فكل قوم يعطون ما يناسبهم.

الدلالة النفسية
هذه الجملة تربي في النفس الرضا. فالماء مقسم بين الناس بحكمة. فمن أعطي الكثير فليشكر، ومن أعطي القليل فليصبر، فالأمر بيد الله.
/2
الجملة الثانية: ﴿لِيَذَّكَّرُوا﴾
اللمسة البلاغية: "لِيَذَّكَّرُوا" – الغاية من التصريف
اللام للتعليل. أي: صرفنا الماء بينهم ليذكروا. ليتذكروا قدرة الله، ويتذكروا نعمته، ويتذكروا أنهم بحاجة إليه.

"لِيَذَّكَّرُوا" – التذكر والاعتبار
التذكر هو استحضار ما في الذاكرة. والمطلوب أن يتذكروا نعمة الماء، ويتذكروا أن الله هو المنعم، ويتذكروا أنهم سيسألون عن الشكر.

الدلالة النفسية
هذه الجملة تحمل الغاية العظمى من كل هذه النعم: التذكر. فالنعم تنزل لتذكر الإنسان بربه، لا لتلهيه عن ربه.
/3
الجملة الثالثة: ﴿فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾
اللمسة البلاغية: "فَأَبَىٰ" – الإباء والرفض
"فأبى" أي: رفض أكثر الناس .رفضوا أن يتذكروا .رفضوا أن يشكروا .رفضوا أن يعتبروا.

"أَكْثَرُ النَّاسِ" – الأكثرية
"أكثر الناس" وليس كلهم .فهناك قلة تشكر وتتذكر .لكن الأكثرية ترفض.

"إِلَّا كُفُورًا" – القصر والحصر
"إلا كفورًا" أسلوب قصر .أي: ما أبى أكثر الناس إلا كفورًا .أي: أن إباءهم كان كفرًا وجحودًا للنعمة.

اللمسة البيانية: "كُفُورًا" – صيغة المبالغة
"كفورًا" صيغة مبالغة من الكفر، تدل على كثرة كفرهم وجحودهم .فليس مجرد كفر، بل كفور.

الدلالة النفسية
هذه الجملة تحمل ملاحظة مؤلمة. أكثر الناس لا يشكرون. أكثر الناس لا يتذكرون. أكثر الناس يمرون على النعم ولا يعتبرون. فاجعل نفسك من القلة الشاكرة.
ثالثا
الموضوع الأول1: الإعجاز العلمي في الآيات
.1الرياح بشرى بين يدي الرحمة
الآية تشير إلى أن الرياح تأتي قبل المطر. وهذا ما أثبته العلم الحديث: أن الرياح تحمل السحب وتحركها، وتنقل بخار الماء من البحار إلى اليابسة. فالرياح هي البشارة بالمطر.
.2الماء طهورًا
وصف الماء بأنه طهور دقيق علميًا. فالماء النقي هو مذيب طبيعي، يزيل الأوساخ والجراثيم. وهو طاهر في ذاته، مطهر لغيره.
.3إحياء الأرض الميتة
الآية تشبه الأرض القاحلة بالأرض الميتة. والماء ينزل فيحييها. وهذا تشبيه دقيق، فالأرض الجافة تشبه الميت، والماء يعيد إليها الحياة.

.4تصريف الماء بينهم
الماء يوزع على الأرض بشكل غير متساو. فهناك مناطق غنية بالمياه، وأخرى فقيرة. وهذا التصريف هو نظام إلهي حكيم.
الموضوع الثاني2: الجوانب النفسية في الآيات
.1الرياح بشرى – الأمل والتفاؤل
الرياح التي تأتي قبل المطر تحمل البشرى. هذا يعلم النفس أن تكون متفائلة، وأن تنتظر الفرج بعد الشدة.
.2الماء طهورًا – التطهير النفسي
الماء ليس فقط يطهر الجسد، بل يطهر النفس أيضًا. فالوضوء والغسل به يزيل الهموم، ويجدد النشاط.
.3إحياء الأرض – تجديد الأمل
كما أن الأرض الميتة تحيا بالمطر، فالقلب الميت قد يحيا بالذكر. فلا تيأس من رحمة الله.
.4تصريف الماء – الرضا والتسليم
الماء مقسم بين الناس بحكمة. فمن أعطي كثيرًا فليشكر، ومن أعطي قليلًا فليصبر. هذه تربي في النفس الرضا.
.5كفورًا – التحذير من جحود النعمة
أكثر الناس لا يشكرون. هذه ملاحظة تدفعك إلى أن تكون من القلة الشاكرة.
الموضوع الثالث3: الجوانب العقلية في الآيات
.1التفكر في دورة الماء
الآيات تدعو العقل إلى التفكر في دورة الماء: من السماء إلى الأرض، ومن الأرض إلى الأنعام والأ ناسي. هذه دورة عجيبة تدل على قدرة الخالق.
.2الاستدلال على البعث
إحياء الأرض الميتة دليل على إحياء الموتى. فمن قدر على إحياء الأرض بعد موتها، قدر على إحياء البشر بعد موتهم.
.3فهم نظام الرياح
الرياح تسير بتقدير إلهي. هذا يعلم العقل أن الكون ليس فوضويًا، بل له نظام محكم.
.4التفاوت في الأرزاق
الماء مقسم بين الناس بتفاوت. هذا يعلم العقل أن الأرزاق موزعة بحكمة، فلا يحسد من أعطي أكثر.
الموضوع الرابع4: الجوانب التربوية في الآيات
.1تربية الشكر
الآيات تربي في النفس شكر النعم. فالماء نعمة عظيمة، يستحق الشكر.
.2تربية التفكر
تدعو الآيات إلى التفكر في خلق الله، لا المرور عليها مرور الكرام.
.3تربية الرضا
تصريف الماء بين الناس يربي في النفس الرضا بقضاء الله وقدره.
.4تربية الأمل
بشارة الرياح بالمطر تربي في النفس الأمل وعدم اليأس.
.5تربية التواضع
الإنسان يحتاج إلى الماء والأنعام. هذا يربيه على التواضع، وأنه ليس غنيًا عن الله.
الموضوع الخامس5: المفاهيم المركزية في الآيات
المفهوم الأول1: الرياح بشرى
الرياح التي تأتي قبل المطر تحمل البشرى. فيها أمل وتفاؤل، وتذكر بأن بعد العسر يسرًا.
المفهوم الثانى 2: الماء طهور
الماء نعمة عظيمة، طاهر في نفسه، مطهر لغيره. وهو أساس الحياة.
المفهوم الثالث 3: إحياء الأرض
الأرض الميتة تحيا بالمطر. وهذا دليل على قدرة الله على إحياء الموتى.
المفهوم الرابع4: سقي الأنعام والأناسي
الماء يسقي الإنسان والحيوان. فالجميع يشترك في هذه النعمة.
المفهوم الخامس5: تصريف الماء
الماء مقسم بين الناس بحكمة. وهو اختبار لهم: أيشكرون أم يكفرون؟
المفهوم السادس6: كفورًا
أكثر الناس لا يشكرون. هذه حقيقة مؤلمة، لكن المؤمن يجعل نفسه من القلة الشاكرة.
الموضوع السادس6: القيم المستنبطة من الآيات
.1قيمة الشكر: شكر الله على نعمة الماء.
.2قيمة الأمل: لا تيأس، فالرياح تحمل بشارة.

.3قيمة التفكر: التأمل في آيات الله الكونية.
.4قيمة الرضا: بقسمة الله للماء والأرزاق.
.5قيمة التواضع: الإنسان بحاجة إلى الماء والأنعام.
.6قيمة الإيمان بالبعث: إحياء الأرض دليل على إحياء الموتى.
.7قيمة عدم الاغترار: أكثر الناس لا يشكرون، فلا تكن منهم.
الموضوع السابع7: الأبعاد المختلفة للآيات
.1البعد العلمي) الإعجاز(
الآيات تحتوي على إشارات علمية دقيقة: دورة الماء، دور الرياح، تطهير الماء، إحياء الأرض.
.2البعد النفسي
تمنح الآيات الأمل والرجاء، وتربي الرضا والتواضع، وتحذر من جحود النعمة.
.3البعد العقلي
تدعو الآيات إلى التفكر في خلق الله، والاستدلال على قدرته، وفهم نظام الكون.
.4البعد التربوي
تربي الآيات الشكر، والتفكر، والرضا، والأمل، والتواضع.
.5البعد الإيماني
تزرع الآيات الإيمان بأن الله هو المنعم، وأنه قادر على كل شيء، وأن البعث حق.
.6البعد الاجتماعي
تذكر الآيات أن الماء مورد مشترك بين الناس والأنعام، فيه تعاون وتراحم.
الموضوع الثامن8: الآفاق التي تحملها الآيات
.1الأفق النفسي
تفتح أمامك أفقًا نفسيًا: أن تعيش بالأمل والرجاء، وأن تشكر على النعم، وأن ترضى بقضاء الله.
.2الأفق العقلي
تفتح أمامك أفقًا عقليًا: التفكر في آيات الله، والاستدلال على قدرته، وفهم نظام الكون.
.3الأفق التربوي
تفتح أمامك أفقًا تربويًا: كيف تربي نفسك على الشكر والتفكر، وكيف تربي غيرك على الاعتبار.
.4الأفق الإيماني
تفتح أمامك أفقًا إيمانيًا: الإيمان بأن الله هو المدبر لهذا الكون، وأن البعث حق.
.5الأفق البيئي
تفتح أمامك أفقًا بيئيًا: الحفاظ على الماء كمورد حيوي، وشكر الله عليه.
الموضوع التاسع9: دور مفاهيم الآيات في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة
.1في بناء الإنسان المتزن
نفسيًا
تمنح الآيات الإنسان الأمل والرجاء من خلال بشارة الرياح، والرضا والتسليم من خلال تصريف الماء، والتواضع من خلال حاجته إلى الماء والأنعام.
عقليًا
تزرع الآيات في العقل التفكر والاستدلال: من خلال دورة الماء، وإحياء الأرض، وتصريف الرياح.
تربويًا
تعلم الآيات الإنسان الشكر والتفكر، والرضا والتواضع، والأمل وعدم اليأس.
.2في بناء المجتمع المسلم
المجتمع الذي يتدبر هذه الآيات هو مجتمع:
· يشكر النعم: فلا يبذر الماء ولا يضيعه.
· يتفكر في الكون: فيتقدم علميًا.
· يتواضع: فلا يتكبر على غيره.
· يرضى بقسمة الله: فلا يحسد ولا يطمع.
· يؤمن بالبعث: فيعمل للآخرة.
.3في بناء الحضارة الإسلامية
الحضارة الإسلامية قامت على شكر النعم والتفكر في الكون. المسلمون عرفوا قيمة الماء، فبنوا القنوات والسدود. وتفكروا في نظام الكون، فتقدموا في العلوم.
هذه الآيات تحمي الحضارة من:
· الإسراف: في استخدام الماء.
· الكفران: نسيان فضل الله.
· اليأس: من رحمة الله.
· الغفلة: عن آيات الله.
.4في البناء والتنمية
في مجال التنمية، هذه الآيات تعطيك:

· أهمية الموارد المائية: الماء أساس الحياة والتنمية.
· التفكر والتخطيط: كما صرف الله الماء بحكمة.
· الشكر والحفاظ: على النعم.
· التوازن: بين الإنسان والأنعام والبيئة.
الخاتمة: كيف تعيش هذه الآيات؟
· كل يوم، عندما تشرب الماء، تذكر أنه نزل من السماء طهورًا .اشكر الله عليه.
· كل مرة تمطر، تذكر أن الرياح جاءت بشرى بين يدي رحمة الله .تفاءل.
· كل مرة ترى فيها أرضًا يابسة، تذكر أن الله قادر على إحيائها .لا تيأس.
· كل مرة تشرب فيها أنت وأنعامك، تذكر أن الماء نعمة مشتركة .لا تبذر.
· كل غفلة، تذكر أن أكثر الناس لا يشكرون .فاجعل نفسك من القلة الشاكرة.
هذه الآيات هي تذكير لك بأعظم النعم: الماء. الرياح تبشر به، والماء ينزل طهورًا، والأرض تحيا به، وا لأنعام والأناسي تسقى به. فكم مرة شكرت الله على هذه النعمة؟ وكم مرة تفكرت فيها؟
وقفة أخيرة: هل أنت من الشاكرين أم من الكفورين؟
الآيات تضعك أمام سؤال: هل أنت من الشاكرين لهذه النعم؟ أم من الكفورين الجاحدين؟
الماء ينزل من السماء، والرياح تبشر به، والأرض تحيا به، والأنعام والأناسي تسقى به. فهل تقابل هذه النعم بالشكر؟ أم تمر عليها مرور الكرام؟
تذكر: من شكر، زاده الله. ومن كفر، أخذ الله نعمه.
المبحث الرابع.
العلاقة بين نزول المطر وإحياء الأرض ونزول الوحي وإحياء الضمير
قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۚ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا * لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا * وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾.
مقدمة: بين مطر السماء ووحي السماء
هل تأملت يومًا في التشابه العجيب بين نزول المطر من السماء ونزول الوحي من السماء؟ المطر ينزل فيحيي الأرض الميتة، والوحي ينزل فيحيي القلوب الميتة. المطر يخرج من الأرض الزرع و الثمر، والوحي يخرج من النفوس الإيمان والعمل الصالح. المطر يسقي الأنعام والأناسي، والوحي يسقي القلوب بالعلم والحكمة.
هذه الآيات التي تحدثت عن المطر وإحياء الأرض، تحمل في طياتها إشارة عميقة إلى نزول الوحي وإحياء الضمير. إنها تشبيه بليغ يجعل من المشهد الكوني درسًا إيمانيًا خالدًا. فكما أن الله صرف الماء بين الناس، فمنهم من شكر فانتفع، ومنهم من كفر فلم ينتفع، كذلك صرف الله الوحي والهداية بين الناس، فمنهم من قبل فاهتدى، ومنهم من أعرض فضل.
تعالَ نتأمل هذه العلاقة العميقة، وكأن الله يضع أمامنا آيتين متوازيتين: آية في الآفاق (المطر والأ رض)، وآية في الأنفس (الوحي والقلب). لندرك أن سنة الله واحدة في خلقه وتشريعه.
أولا ً: المطر والوحي – أصل واحد ومصدر واحد
1. كلاهما من السماء
المطر ينزل من السماء: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾.
الوحي ينزل من السماء: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾.
كلهما من عند الله، ينزلان من علو إلى أسفل، رحمة منه بعباده. فكما أن السماء مصدر المطر، فهي مصدر الوحي أيضًا.
2. كلاهما رحمة
المطر رحمة: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾.
الوحي رحمة: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾.
كلهما نزل رحمة بالعباد، فالمطر رحمة للأجساد، والوحي رحمة للقلوب.
3. كلاهما طهور
الماء طهور: ﴿مَاءً طَهُورًا﴾ يطهر الأجساد من الأنجاس.
الوحي طهور: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾، فهو يطهر القلوب من الشرك والضلال.
4. كلاهما سبب للحياة
المطر سبب لحياة الأرض: ﴿لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا﴾.
الوحي سبب لحياة القلوب: ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾.
فكما أن الأرض تموت بلا مطر، فالقلب يموت بلا وحي.
ثانيا: إحياء الأرض وإحياء الضمير – تشابه في المنهج
1. الأرض الميتة والقلب الميت
الأرض تموت بالجفاف والجدب، فلا نبات فيها ولا خير.
القلب يموت بالجهل والغفلة، فلا إيمان فيه ولا خشية.
قال تعالى: ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾.

2. المطر يحيي الأرض، والوحي يحيي القلب
المطر ينزل فيحرك الأرض، فتهتز وتربو وتنبت من كل زوج بهيج.
الوحي ينزل فيحرك القلب، فيخشع ويتدبر ويعمل صالحًا.
قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾.
3. ثمرات الأرض وثمرات القلب
الأرض تخرج الزرع والثمر والزروع.
القلب يخرج الإيمان والعمل الصالح والأخلاق الحسنة.
قال تعالى: ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ﴾.
ثالثًا: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ﴾ – من هو "بينهم"؟
من هم "بينهم" في الآية؟
الضمير في "بينهم" يعود على الناس. أي: صرفنا الماء بين الناس. فليس كل الناس يحصلون على الماء بالتساوي. فهذا قوم لهم ماء غزير، وهذا قوم محرومون. وهذا قوم تسقيهم السماء، وهذا قوم يعتمدون على الآبار.
ثم ينتقل المعنى إلى المستوى الأعلى
بعد أن ذكر تصريف الماء بين الناس، ينتقل السياق إلى المستوى المعنوي: تصريف الهداية والوحي بين الناس. فكما أن الماء مقسم بينهم بتفاوت، كذلك الهداية والوحي. فهذا قلب يقبل الحق فينفتح، وهذا قلب يرفضه فيقسو. وهذا قوم يهديهم الله، وهذا قوم يضلهم.
العلاقة بين التصريفين
التصريف الأول (الماء) هو دليل على التصريف الثاني (الهداية). فمن شكر على نعمة الماء، كان أهلا ً لشكر نعمة الهداية. ومن كفر بنعمة الماء، كان أهلا ً لكفر نعمة الهداية.
قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾.
رابعًا: لماذا صرف الله الماء بين الناس؟
1. ليذكروا
الغاية الأولى: ﴿لِيَذَّكَّرُوا﴾. ليتذكروا أن الله هو المنعم. ليتذكروا أن الماء بيده. ليتذكروا أنهم بحاجة إليه. ليتذكروا شكره.
2. ليمتحنهم
التصريف امتحان: من يشكر ومن يكفر؟ من يعتبر ومن يعرض؟ من يهدي ومن يضل؟
قال تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾.
3. ليريهم قدرته
التصريف يدل على قدرة الله. فهو الذي ينزل الماء حيث يشاء، ويمنعه حيث يشاء. لا أحد يعترض على حكمته.
4. ليريهم عدله
التصريف يدل على عدل الله. فلكل قوم نصيبهم بحسب حكمته. لا ظلم في ذلك.
خامسًا: ﴿فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ – كفران النعمة
1. كفران نعمة الماء
أكثر الناس لا يشكرون على نعمة الماء. يشربونه ولا يتذكرون من أنزله. يرونه ولا يعتبرون. يبذرونه ولا يحافظون عليه.
2. كفران نعمة الوحي
أكثر الناس لا يشكرون على نعمة الوحي. يقرؤون القرآن ولا يتدبرونه. يسمعونه ولا يتأثرون به. يعرفونه ولا يعملون به.
3. العلاقة بين الكفرانين
من كفر بنعمة الماء، كان أهلا ً لكفر نعمة الوحي. ومن كفر بنعمة الوحي، كان أهلا ً لعذاب الله.
قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا﴾.
سادسًا: كيف نستفيد من هذه العلاقة في حياتنا؟
1. نشكر على نعمة الماء كما نشكر على نعمة الوحي
لا نمر على الماء مرور الكرام. كلما شربنا، تذكرنا المنعم. وكلما تذكرنا، شكرنا.
2. نتدبر في الماء كما نتدبر في الوحي
نتأمل في دورة الماء، وفي نظامه، وفي عجائبه. فهذا يدل على قدرة الخالق. ونتأمل في آيات القرآن، وفي حكمه، وفي بلاغته. فهذا يدل على صدق المنزل.
3. نحافظ على الماء كما نحافظ على الوحي
لا نبذر الماء، ولا نضيعه. فهو نعمة عظيمة. ولا نهجر القرآن، ولا نعرض عنه. فهو نعمة أعظم.
4. نتعظ من تصريف الماء كما نتعظ من تصريف الهداية
لا نحسد من أعطي أكثر منا في الماء، فالأرزاق بيد الله. ولا نحسد من أعطي أكثر منا في الإيمان،

فالهداية بيد الله.
خاتمة: دروس من العلاقة بين المطر والوحي
هذه الآيات تضع أمامك مشهدين متوازيين:
· مشهد كوني: مطر ينزل، أرض تحيا، أنعام وأناسي تسقى.
· مشهد إيماني: وحي ينزل، قلوب تحيا، نفوس وضمائر ترتوي.
وكلاهما من عند الله. وكلاهما رحمة. وكلاهما يحتاج إلى شكر.
فإذا كنت تشكر على نعمة الماء التي تراها كل يوم، فاشكر على نعمة الوحي الذي هو ماء حياتك ا لأبدية.
وإذا كنت تعتبر من تصريف الماء بين الناس، فاعتبر من تصريف الهداية بين القلوب.
وإذا كنت تخشى أن تكون من الكفورين بنعمة الماء، فاخش أن تكون من الكفورين بنعمة الوحي.
اللهم إنا نشكرك على نعمة الماء الطهور، وعلى نعمة القرآن الهادي. اللهم اجعلنا من القلة الشاكرة، لا من الأكثرية الكافرة. اللهم أحينا بالماء والوحي، واجعلنا من الذين يذكرون ويشكرون ويعتبرون.
رابعا
تفسير الآيتين الحادية والخمسين والثانية والخمسين من سورة الفرقان
قال تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا * فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾.
مقدمة: حين يتساءلون عن كثرة الرسل
هل تساءلت يومًا: لماذا لم يبعث الله في كل قرية نذيرًا؟ لماذا جعل النبوة خاتمة برسول واحد؟ هل كان المشركون يتعجبون من أن محمدًا ﷺ هو الرسول الوحيد المبعوث إلى الناس جميعًا؟ هذه الآيتان تأتيان لتجيب على هذا التساؤل، وتضع أمامك حقيقة عظيمة: الله قادر على أن يبعث في كل قرية نذيرًا، لكنه شاء أن يكون هذا النبي خاتم الأنبياء، رسولًا إلى العالمين.
ثم تأتي التوجيه الإلهي الحاسم: ﴿فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾. لا تطعهم في دعوتهم إلى ترك شيء من دينك، وجاهدهم بالقرآن جهادًا كبيرًا. فهذا هو الطريق: عدم الطاعة للكافرين، والجهاد بهذا الكتاب العظيم.
هاتان الآيتان تخاطبانك أنت أيضًا. إنهما تهمسان في أذنك: الله قادر على أن يرسل إليك رسلًا كثيرين، لكنه اختار لك هذا النبي وهذا القرآن. فهل أنت شاكر لهذه النعمة؟ ثم تهمسان: لا تطع الكافرين في دعوتهم إلى التخلي عن شيء من دينك. وجاهدهم بالقرآن. هذا هو جهادك، وهذا هو سلاحك.
تعالَ نتأمل هاتين الآيتين، وكأنهما تنزلان الآن. وكأن الله يقول لك: أنا قادر على أن أبعث في كل قرية نذيرًا، لكني اخترت أن يكون هذا النبي نذيرًا للعالمين. فكن له ناصرًا، وكن لقرآنه مجاهدًا.
اولا :السياق – العلاقة بالآية التي قبلها
الربط بالآيات الخمسين
الآيات السابقة تحدثت عن الماء والرياح وإحياء الأرض، وختمت بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾.
جاءت هاتان الآيتان لتكونا الاستنتاج العملي مما سبق. فبعد أن ذكر الله نعمه الكونية (الماء و الرياح) وبيّن أن أكثر الناس لا يشكرون، يأمر نبيه بأمرين:
1. لا تطع الكافرين: لا تنصع لدعوتهم.
2. جاهدهم به: بالقرآن جهادًا كبيرًا.
إنها انتقال من الحديث عن النعم إلى الحديث عن التكليف. بعد أن رأيت نعم الله، فقم بواجبك: لا تطع الكافرين، وجاهدهم بالقرآن.
ثانيا: تحليل الآيتين – قراءة في عمق التوجيه الإلهي
المبحث الأول
الآية الحادية والخمسون
الجملة الأولى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا﴾.
اللمسة البلاغية: "لو" الشرطية الدالة على القدرة
"لو" شرطية تفيد امتناع الشيء لامتناع غيره. والمعنى: لو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرًا. لكننا لم نشأ ذلك لحكمة بالغة.

"شِئْنَا" – المشيئة الإلهية
"شئنا" إسناد المشيئة إلى الله. فالأمر كله بمشيئته. هو الذي شاء أن يكون هذا النبي خاتم الأنبياء، وشاء أن تكون رسالته عامة.

"لَبَعَثْنَا" – القدرة على البعث
"لبعثنا" يدل على أن الله قادر على أن يبعث في كل قرية نذيرًا. فليس العجز هو الذي منعه من ذلك، بل الحكمة.

"فِي كلّ قرْيَةٍ نذِيرًا" – كثرة الرسل لو شاء
لو شاء الله لكان لكل قرية نذير يدعوهم. لكنه شاء أن يكون نذيرًا واحدًا للعالمين.

اللمسة البيانية: تقديم "لو شئنا" للدلالة على القدرة
قدم الله الشرط "لو شئنا" على جوابه "لبعثنا" للدلالة على أن الأمر كله بيده. وهو قادر على ما يشاء.

الدلالة النفسية
هذه الجملة ترد على استعجاب المشركين من أن يكون رسول واحد للعالمين. وتريهم أن الله قادر على أن يبعث في كل قرية نذيرًا، لكنه شاء أن تكون رسالة محمد ﷺ عامة. فما هذا إلا تكريم لهذه الأمة.

المبحث الثاني

الآية الثانية والخمسون

الجملة الأولى: ﴿فَلَا تُطِعِ الكافِرِينَ﴾

اللمسة البلاغية: "فَلَا تُطِعِ" – الفاء للتفريع والأمر
الفاء تفريع على ما سبق. أي: بعد أن علمت أن الله قادر على أن يبعث في كل قرية نذيرًا، وأنه اصطفاك واصطفى أمتك، فلا تطع الكافرين.

"لَا تُطِعِ" – النهي عن الطاعة
"لا تطِع" نهي عن طاعة الكافرين. وهو أمر للنبي ﷺ، ولأمته من بعده. فلا تطيعوهم في دعوتهم إلى ترك شيء من الدين.

"الكافِرِينَ" – من هم الكافرون؟
المراد بهم المشركون الذين كانوا يدعون النبي ﷺ إلى التوقف عن بعض ما يدعو إليه، أو إلى المهادنة على حساب الدين.

اللمسة البيانية: تقديم النهي على الأمر بالجهاد
قدم النهي عن طاعة الكافرين على الأمر بجهادهم. لأن ترك الطاعة هو الشرط الأول للجهاد. فكيف تجاهد من تطيع؟

الدلالة النفسية
هذه الجملة تربي في النفس الاستقلالية وعدم الخضوع. لا تطع الكافرين. لا تنصع لدعوتهم. لا تضعف أمام ضغوطهم. كن قويًا في موقفك.

/2

الجملة الثانية: ﴿وَجَاهِدْهُمْ بِهِ﴾

اللمسة البلاغية: "جَاهِدْهُمْ" – الأمر بالجهاد
"جاهدهم" أمر بالجهاد. والجهاد هو بذل الجهد والطاقة في مقارعة العدو. وهو يشمل جهاد النفس، وجهاد الشيطان، وجهاد الكافرين.

"بِهِ" – الباء للسببية
"به" أي: بالقرآن. فالجهاد المطلوب هو جهاد بالقرآن. أي: بالحجة والبرهان، بالدعوة والتبليغ، بالحكمة والموعظة الحسنة.

اللمسة البيانية: إرجاع الضمير "به" إلى القرآن
الضمير في "به" يعود على القرآن المفهوم من السياق. فالجهاد بالقرآن هو جهاد بالحجة والبيان. وهو الجهاد الأكبر.

الدلالة النفسية
هذه الجملة تمنح النفس القوة والسلاح. سلاحك في مواجهة الكافرين هو القرآن. به تجادل، وبه ترد، وبه تثبت، وبه تنتصر.

3

الجملة الثالثة: ﴿جِهَادًا كَبِيرًا﴾

اللمسة البلاغية: "جِهَادًا" – المصدر المؤكد
"جهادًا" مصدر منصوب للتوكيد. أي: جاهدهم جهادًا عظيمًا. لا تراخي فيه، ولا تهاون.

"كَبِيرًا" – وصف الجهاد بالعظمة

"كبيرًا" أي: عظيمًا. فالجهاد بالقرآن هو الجهاد الأكبر. قال النبي ﷺ: "أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر".

اللمسة البيانية: تأكيد الجهاد بالمصدر
جاء المصدر "جهادًا" مؤكدًا للفعل، ثم وصفه بـ"كبيرًا" لبيان عظمته. فهو جهاد عظيم في ذاته، كبير في ثوابه.

الدلالة النفسية
هذه الجملة ترفع من قيمة العمل. فالجهاد بالقرآن ليس عملًا عاديًا، بل هو جهاد كبير. فاجعل له من همتك ما يستحق.

ثالثا

الموضوع الأول1: لماذا لم يبعث الله في كل قرية نذيرًا؟
1. لأن هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس
أراد الله أن تكون هذه الأمة شاهدة على الناس. فجعل نبيها خاتم الأنبياء، ورسالتها عامة. فهي أمة واحدة، لها نبي واحد، وكتاب واحد.
2. لأن رسالة الإسلام عالمية
الإسلام ليس دين قوم معينين، بل هو دين العالمين. فبعثة نبي واحد للعالمين أدل على عالمية الرسالة.
3. لأن في ذلك اختبارًا للإيمان
أن يؤمن الإنسان بنبي لم يره، وكتاب لم يشهد نزوله، هذا هو الإيمان الحقيقي. فلو بعث في كل قرية نذير، لضعف الاختبار.
4. لأن في ذلك حفظًا للوحدة
لو بعث في كل قرية نذير، لتعددت الشرائع وتفرقت الأمة. أما ببعثة نبي واحد، فالأمة واحدة، و الكتاب واحد، والقبلة واحدة.
5. لأن في ذلك تكريمًا لهذه الأمة
أن يكون نبيها خاتم الأنبياء، وكتابها خاتم الكتب، وأن تكون أمة واحدة. هذا من أعظم التكريم.
الموضوع الثاني2: مفهوم الجهاد بالقرآن
1. جهاد بالحجة والبرهان
القرآن هو الحجة البالغة على الناس. فجهادهم به يعني: تقديم الحجج والبراهين التي تثبت صدق ا لإسلام.
2. جهاد بالدعوة والتبليغ
أن تبلغ القرآن إلى الناس، وتعرفهم به، وتدعوهم إلى الإيمان به. هذا هو الجهاد الأكبر.
3. جهاد بالحكمة والموعظة الحسنة
قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾. فالجدال بالتي هي أحسن هو من الجهاد بالقرآن.
4. جهاد بالقراءة والتدبر
أن تقرأ القرآن وتتدبره وتعمل به، فهذا جهاد للنفس والهوى.
5. جهاد بالصبر والثبات
أن تصبر على أذى المخالفين، وتثبت على الحق. هذا جهاد عظيم.
الموضوع الثالث3: الجوانب النفسية في الآيتين
1. عدم طاعة الكافرين – الثقة بالنفس
الآية تربي في النفس الثقة والاستقلالية. لا تكن تابعًا للكافرين. لا تخضع لضغوطهم. كن أنت القائد لا التابع.
2. جهادهم به – الشعور بالقوة
القرآن هو سلاحك. به تقوى، وبه تثبت، وبه تنتصر. هذا السلاح يمنحك القوة النفسية.
3. جهادًا كبيرًا – تقدير الذات
عملك ليس صغيرًا. جهادك بالقرآن هو جهاد كبير. هذا يرفع من قيمة العمل في نفسك.
4. لو شئنا لبعثنا – الطمأنينة
الله قادر على أن يبعث في كل قرية نذيرًا، لكنه اختارك. هذا يمنحك الشعور بالتميز والمسؤولية.
الموضوع الرابع4: الجوانب العقلية في الآيتين
1. التفكر في حكمة بعثة نبي واحد
لماذا لم يبعث الله في كل قرية نذيرًا؟ هذا سؤال يدعو العقل إلى التفكر في حكمة الله. فيصل إلى أن في ذلك حفظًا للأمة ووحدة لها.
2. الاستدلال على قدرة الله
"لو شئنا لبعثنا" تدل على أن الله قادر على كل شيء. فلا يعجزه شيء. وهذا يقوي الإيمان.

3. فهم منهج الدعوة
الجهاد بالقرآن هو المنهج. هذا يعلم العقل أن الدعوة تكون بالحجة والبيان، لا بالإكراه والقسر.
4. إدراك عظمة القرآن
جعل الله الجهاد به جهادًا كبيرًا. هذا يدل على عظمة القرآن، وأنه هو السلاح الفعال.
الموضوع الخامس5: الجوانب التربوية في الآيتين
1. تربية الاستقلالية
لا تطع الكافرين. لا تكن تابعًا لأحد. كن مستقلا ً في قرارك.
2. تربية الثبات
جاهدهم جهادًا كبيرًا. لا تتراخى، لا تضعف. اثبت على الحق.
3. تربية الاعتزاز بالقرآن
سلاحك هو القرآن. به تقاتل، وبه تنتصر. اعتز به.
4. تربية الصبر
الجهاد يحتاج إلى صبر. فاصبر على ما تواجهه.
5. تربية تحمل المسؤولية
أنت خلفة النبي ﷺ في جهاد الكافرين بالقرآن. فتحمل هذه المسؤولية.
الموضوع السادس6: المفاهيم المركزية في الآيتين
المفهوم الأول1: قدرة الله على بعثة رسل كثيرين
الله قادر على أن يبعث في كل قرية نذيرًا. فليس العجز هو الذي منعه من ذلك.
المفهوم الثاني2: حكمة الله في بعثة نبي واحد
شاء الله أن تكون رسالة الإسلام عالمية، وأن تكون هذه الأمة خير أمة.
المفهوم الثالث3: عدم طاعة الكافرين
لا طاعة للكافرين في ترك شيء من الدين. الدين كامل، لا تفريط فيه.
المفهوم الرابع4: الجهاد بالقرآن
الجهاد الأكبر هو الجهاد بالقرآن: بالحجة والبرهان والدعوة والتبليغ.
المفهوم الخامس5: الجهاد الكبير
الجهاد بالقرآن هو جهاد كبير، عظيم الأجر، عظيم القيمة.
الموضوع السابع7: القيم المستنبطة من الآيتين
1. قيمة الاستقلالية: لا تطع الكافرين.
2. قيمة الثبات: على الحق.
3. قيمة الاعتزاز بالقرآن: سلاحك فيه.
4. قيمة الجهاد: بالحجة والبيان.
5. قيمة تحمل المسؤولية: أنت خليفة النبي في البلاغ.
6. قيمة الصبر: على أذى المخالفين.
7. قيمة اليقين: بقدرة الله وحكمته.
الموضوع الثامن8: الأبعاد المختلفة للآيتين
1. البعد العقدي
تثبت الآيتان قدرة الله وحكمته. وتثبت أن الإسلام دين عام، وأن محمدًا ﷺ خاتم الأنبياء.
2. البعد النفسي
تمنح الآيتان الثقة والاستقلالية والشعور بالقوة.
3. البعد العقلي
تدعوان إلى التفكر في حكمة الله، وفهم منهج الدعوة.
4. البعد التربوي
تربيان الاستقلالية والثبات والاعتزاز بالقرآن.
5. البعد الدعوي
تحددان منهج الدعوة: الجهاد بالقرآن، لا بالإكراه.
6. البعد الجهادي
تبين أن الجهاد الأكبر هو جهاد الحجة والبيان.
الموضوع التاسع9: الآفاق التي تحملها الآيتان
1. الأفق النفسي
تفتح أمامك أفقًا نفسيًا من الثقة والاستقلالية. لا تخضع لأحد، ولا تطع الكافرين.
2. الأفق الدعوي
تفتح أمامك أفقًا دعويًا: الجهاد بالقرآن هو المنهج. به تدعو، وبه تثبت، وبه تنتصر.
3. الأفق الإيماني
تفتح أمامك أفقًا إيمانيًا: الإيمان بقدرة الله وحكمته، والإيمان بأن الله اختار هذه الأمة.

4. الأفق الحضاري
تفتح أمامك أفقًا حضاريًا: هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس، وعليها أن تقوم بواجبها.
الموضوع العاشر10: دور مفاهيم الآيتين في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة
1. في بناء الإنسان المتزن
نفسيًا
تمنح الآيتان الإنسان الاستقلالية النفسية من خلال:
· عدم طاعة الكافرين: فلا يخضع لضغوطهم.
· الثقة بالقرآن: فهو سلاحه.
· الشعور بالمسؤولية: فهو خليفة النبي في البلاغ.
عقليًا
تزرع الآيتان في العقل:
· فهم حكمة الله: في بعثة نبي واحد.
· إدراك منهج الدعوة: الجهاد بالقرآن.
· تقدير عظمة القرآن: سلاح الجهاد الأكبر.
تربويًا
تعلمان الإنسان:
· الاستقلالية: فلا يكون تابعًا.
· الثبات: على الحق.
· الاعتزاز بالقرآن: فهو نوره.
2. في بناء المجتمع المسلم
المجتمع الذي يتدبر هاتين الآيتين هو مجتمع:
· لا يطيع الكافرين: فلا ينصاع لضغوطهم.
· يجاهد بالقرآن: في دعوته وثقافته.
· يعتز بدينه: فلا يخجل منه.
· يثبت على الحق: مهما كثر المخالفون.
3. في بناء الحضارة الإسلامية
الحضارة الإسلامية قامت على الجهاد بالقرآن. المسلمين جاهدوا بالحجة والبيان، فانتشر الإسلام في الآفاق.
هاتان الآيتان تحميان الحضارة من:
· الانهزامية: فلا تستسلم للضغوط.
· التبعية: فلا تكون تابعة لغيرها.
· التخلي عن الجهاد: فتذكرها بواجبها.
4. في البناء والتنمية
في مجال التنمية، هاتان الآيتان تعطيانك:
· الاستقلالية: في القرار.
· الثبات: على الأهداف.
· الجهاد بالعلم: فالعلم هو السلاح.
الخاتمة: كيف تعيش هاتين الآيتين؟
· كل ضغط تمارسه عليك ثقافة الآخرين، تذكر: لا تطع الكافرين.
· كل دعوة إلى التخلي عن شيء من دينك، تذكر: لا تطع الكافرين.
· كل موقف تحتاج فيه إلى الحجة، تذكر: جاهدهم بالقرآن.
· كل شعور بالضعف، تذكر: جهادك به جهاد كبير.
· كل غفلة، تذكر: الله قادر على أن يبعث في كل قرية نذيرًا، لكنه اختارك أنت.
هاتان الآيتان هما دستورك في مواجهة الضغوط. لا تطع الكافرين. وجاهدهم بالقرآن جهادًا كبيرًا.
هذا هو الطريق. هذا هو النصر.
وقفة أخيرة: هل أنت من المجاهدين بالقرآن؟
الآيتان تضعانك أمام سؤال: هل أنت من المجاهدين بالقرآن؟
هل تقرأه فتدعو به؟ هل تتدبره فتحاجج به؟ هل تعمل به فتشهد له؟ هل تنشره فتبلغ به؟
جهادك بالقرآن هو جهادك الأكبر. فهل أنت من أهله؟
خامسا
تفسير الآية الثالثة والخمسين من سورة الفرقان
قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا﴾
مقدمة: حين يلتقي العذب بالملح ولا يختلطان

هل وقفت يومًا على شاطئ البحر، ورأيت النهر العذب يصب في البحر المالح؟ هل تساءلت كيف لا يختلطان؟ كيف يقف كل منهما في مكانه، والعذب يبقى عذبًا، والملح يبقى ملحًا، على الرغم من التقائهما المستمر؟ هذه الآية تأخذك إلى مشهد من أعظم مشاهد قدرة الله، مشهد يبهر العقول، ويدعو إلى التفكر.
لقد تحدثت الآيات السابقة عن الرياح والمطر وإحياء الأرض. والآن تأتي هذه الآية لتضيف نعمة أخرى من نعم الله الكونية: البحران، العذب الفرات، والملح الأجاج. بينهما برزخ وحجر محجور، لا يبغي أحدهما على الآخر.
هذه الآية تخاطبك أنت أيضًا. إنها تهمس في أذنك: انظر إلى البحرين، كيف يلتقيان ولا يختلطان. انظر إلى قدرة الله الذي أجرى هذا النظام العجيب. ثم تأمل في نفسك: هناك في حياتك حدود لا ينبغي تجاوزها، كما أن للبحرين حدًا لا يتجاوزانه. هذا النظام في الكون يعلمك النظام في حياتك.
تعالَ نتأمل هذه الآية، وكأنها تنزل الآن. وكأن الله يأخذ بيدك إلى شاطئ البحر ليريك آية من آياته. لترى العذب والملح، وهما يلتقيان ولا يختلطان، ويجتمعان ولا يطغى أحدهما على الآخر. ثم لتتفكر في قدرة الذي خلق هذا النظام البديع.
اولا السياق – العلاقة بالآية التي قبلها
الربط بالآيتين الحادية والخمسين والثانية والخمسين
الآيتان السابقتان قالتا: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا * فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾.
جاءت هذه الآية لتكون دليلًا آخر على قدرة الله وحكمته. فبعد أن أمر الله نبيه بعدم طاعة الكافرين والجهاد بهم بالقرآن، يأتي بهذه الآية الكونية ليريه قدرته في خلقه. وكأنه يقول: انظر إلى قدرتي في خلق البحرين المتلاقيين المتمايزين. فإذا كنت قادرًا على هذا، فأنا قادر على نصرك، وقادر على هداية من يشاء.
إنها ربط بين قدرة الله في خلقه وقدرته في شرعه. فكما أن له القدرة على خلق هذا النظام العجيب في الكون، فله القدرة على نصر دينه وعباده.
ثانيا: تحليل الآية – قراءة في عمق المشهد الكوني
الجملة الأولى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾
اللمسة البلاغية: "وَهُوَ الَّذِي" – أسلوب الحصر
"وهو الذي" أسلوب يفيد الحصر والتخصيص. أي: الله وحده هو الذي مرج البحرين. لا أحد غيره.

"مَرَجَ" – معنى المرج
"مرج" من المرج، وهو الإرسال والإطلاق. والمعنى: أرسلهما وأطلقهما، وجعلهما يلتقيان. والمرج أيضًا: الخلط مع التمييز. فهو خلط لا يؤدي إلى امتزاج.

"الْبَحْرَيْنِ" – البحران
البحران: البحر العذب والبحر المالح. والمراد بهما الأنهار العذبة التي تصب في البحار المالحة. أو البحران المتلاقيان.

الدلالة النفسية
هذه الجملة تفتح أمامك مشهدًا بديعًا. البحران يلتقيان، وهذا اللقاء بإرادة الله وتقديره. فهو الذي أرسلهما وأطلقهما.
2
الجملة الثانية: ﴿هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾
اللمسة البلاغية: "هَذَا" – الإشارة للتقريب
"هذا" اسم إشارة للقريب، للدلالة على أن هذا المشهد قريب من أعينكم، ترونه وتشاهدونه.

"عَذْبٌ فُرَاتٌ" – وصف الماء العذب
"عذب" أي: سائغ لذيذ. "فرات" أي: بارد شديد العذوبة. وهو وصف للماء الذي يشرب ويستساغ.

"مِلْحٌ أُجَاجٌ" – وصف الماء المالح
"ملح" أي: مالح. "أجاج" أي: شديد الملوحة مرة. وهو الماء الذي لا يستساغ للشرب.

اللمسة البيانية: التباين في الوصف
جاء الوصف متباينًا: عذب فرات مقابل ملح أجاج. هذا التباين يبرز قدرة الله الذي خلق هذين المتضادين، وجعلهما يلتقيان ولا يختلطان.

الدلالة النفسية

هذه الجملة تذكرك بنعمة الماء العذب. فبينما هناك بحار مالحة لا تشرب، جعل الله لك أنهارًا عذبة تشرب منها. فاشكر هذه النعمة.
3
الجملة الثالثة: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا﴾
اللمسة البلاغية: "بَرْزَخًا" – الحاجز
البرزخ هو الحاجز الفاصل بين الشيئين. وهو هنا الحد الفاصل بين البحرين، الذي يمنع اختلاطهما.

"وَحِجْرًا مَحْجُورًا" – التأكيد والحماية
"حجرًا محجورًا" أي: منعًا ممنوعًا، وحرامًا محرمًا. وهو تأكيد للبرزخ. فالبحران محجور عليهما أن يطغى أحدهما على الآخر.

اللمسة البيانية: تكرار الجذر للتوكيد
"حجرًا محجورًا" تكرار الجذر يفيد التوكيد والمبالغة. أي: منعًا شديدًا، لا يمكن اختراقه.

اللمسة التجويدية: الوقف على "مَحْجُورًا"
الوقف على "محجورًا" يعطي إحساسًا بالانتهاء، وكأن الحاجز محكم، لا سبيل لاختراقه.

الدلالة النفسية
هذه الجملة تذكرك بأن للكون نظامًا وقوانين. كما أن للبحرين برزخًا وحجرًا محجورًا، فلكل شيء في الحياة حد لا ينبغي تجاوزه.
ثالثا
الموضوع الأول1: الإعجاز العلمي في الآية
1. ظاهرة التقاء البحرين
الآية تشير إلى ظاهرة التقاء البحرين العذب والمالح، حيث يلتقيان ولا يختلطان. هذه الظاهرة معروفة علميًا اليوم، وتحدث عند مصبات الأنهار الكبيرة في البحار.
2. البرزخ الفاصل
العلم الحديث اكتشف وجود حواجز طبيعية تفصل بين المياه العذبة والمالحة، تعرف بـ"المناطق الا نتقالية". وهذا ما أشارت إليه الآية بـ"البرزخ".
3. الحجر المحجور
هذا الحاجز يمنع اختلاط المياه بشكل كامل. فرغم التقائهما، يبقى لكل منهما خصائصه. وهذا ما اكتشفه العلم الحديث.
4. العذب الفرات والملح الأجاج
الوصف القرآني دقيق علميًا: الماء العذب "فرات" أي شديد العذوبة، والماء المالح "أجاج" أي شديد الملوحة. وهذا ما تعرفه علوم المحيطات اليوم.
الموضوع الثاني2: الجوانب النفسية في الآية
1. العذب الفرات – نعمة تستحق الشكر
الماء العذب نعمة عظيمة. تذكرك هذه الآية بأن تشكر الله على هذه النعمة التي قد تأخذها كأمر مسلم به.
2. الملح الأجاج – تذكير بالنعمة
وجود البحر المالح يذكرك بنعمة الماء العذب. فلو كان كل الماء مالحًا، لهلكت. فاشكر الله الذي جعل لك ماءً عذبًا.
3. البرزخ والحجر – الطمأنينة
هناك نظام يحكم الكون. هذا يمنحك الطمأنينة: فكما أن البحرين لا يطغيان، فالله يحفظ نظام الكون كله.
4. الحدود والفواصل – التذكير بالنظام
كما أن للبحرين حدودًا، فلكل شيء في الحياة حدود. هذا يذكرك بأن تلتزم بالحدود التي وضعها الله في حياتك.
الموضوع الثالث3: الجوانب العقلية في الآية
1. التفكر في قدرة الله
هذه الظاهرة العجيبة تدعو العقل إلى التفكر: كيف يلتقي العذب والملح ولا يختلطان؟ من الذي أقام هذا الحاجز؟ هذا يقود إلى الإيمان بقدرة الله.
2. الاستدلال على وحدانية الله
هذا النظام الدقيق في الكون يدل على أن له مدبرًا واحدًا. فلو كان هناك آلهة متعددة، لاختل النظام.
3. فهم قانون الكون

الآية تعلم أن للكون قوانين ثابتة. فكما أن البحرين لا يتجاوزان حدودهما، فكل شيء في الكون له حد.
4. الانتقال من الآفاق إلى الأنفس
بعد أن تتفكر في هذا المشهد الكوني، تنتقل إلى التفكر في نفسك: كما أن للبحرين حدًا، فلك حد في حياتك لا تتجاوزه.
الموضوع الرابع4: الجوانب التربوية في الآية
1. تربية الشكر
الآية تربي في النفس شكر نعمة الماء العذب. فهي نعمة لا يعرف قدرها إلا من فقدها.
2. تربية التفكر
تدعو الآية إلى التفكر في خلق الله، لا المرور عليها مرور الكرام.
3. تربية الالتزام بالحدود
كما أن للبحرين برزخًا وحجرًا محجورًا، فلكل شيء حد. هذا يربي في النفس الالتزام بحدود الله.
4. تربية التواضع
رغم عظمة البحرين، لهما حدود لا يتجاوزانها. هذا يربي في النفس التواضع، وأنه مهما بلغت، فلك حد.
5. تربية الإيمان
رؤية هذه الآية الكونية تزيد الإيمان في القلب، وتقوي اليقين بقدرة الله.
الموضوع الخامس5: المفاهيم المركزية في الآية
المفهوم الأول1: مرج البحرين
الله هو الذي أرسل البحرين وأطلقهما. وهو الذي أقام بينهما هذا النظام العجيب.
المفهوم الثاني2: العذب الفرات والملح الأجاج
التباين في خلق البحرين يدل على قدرة الله. فهو الذي خلق العذب والملح، وسخر كلًا منهما لمنفعته.
المفهوم الثالث3: البرزخ والحجر المحجور
هناك حاجز يفصل بين البحرين، يمنع اختلاطهما. هذا الحاجز من صنع الله، ومن آياته.
المفهوم الرابع4: النظام الكوني
الكون كله منظم بدقة. ولا شيء فيه عبث أو فوضى.
الموضوع السادس6: القيم المستنبطة من الآية
1. قيمة الشكر: شكر الله على نعمة الماء العذب.
2. قيمة التفكر: التأمل في آيات الله الكونية.
3. قيمة الالتزام بالحدود: كما أن للبحرين حدًا.
4. قيمة التواضع: فالبحر العظيم له حد.
5. قيمة الإيمان: بقدرة الله وحكمته.
6. قيمة العلم: البحث في آيات الله الكونية.
7. قيمة التوازن: في خلق الله، وفي حياتنا.
الموضوع السابع7: الأبعاد المختلفة للآية
1. البعد العلمي (الإعجاز)
الآية تحتوي على إشارات علمية دقيقة: ظاهرة التقاء البحرين، والبرزخ الفاصل، والحجر المحجور. هذه الإشارات تثبت أن القرآن من عند الله.
2. البعد النفسي
تمنح الآية الطمأنينة والشكر. وتذكر الإنسان بنعمة الماء العذب.
3. البعد العقلي
تدعو الآية إلى التفكر في قدرة الله، والاستدلال على وحدانيته.
4. البعد التربوي
تربي الآية الشكر والتفكر والالتزام بالحدود والتواضع.
5. البعد الإيماني
تزيد الآية الإيمان بقدرة الله، وتقوي اليقين بأن كل شيء بتقديره.
6. البعد البيئي
تذكر الآية بأهمية الحفاظ على الموارد المائية، وشكر الله عليها.
الموضوع الثامن8: الآفاق التي تحملها الآية
1. الأفق العلمي
تفتح الآية أمامك أفقًا علميًا: البحث في ظواهر الكون، واكتشاف أسراره. فهي تدعو إلى العلم و المعرفة.
2. الأفق النفسي

تفتح أمامك أفقًا نفسيًا: الشكر والطمأنينة. تذكرك بنعمة الماء، وتطمئن قلبك بنظام الكون.
3. الأفق التربوي
تفتح أمامك أفقًا تربويًا: كيف تربي نفسك على الشكر والتفكر، وكيف تربي غيرك على الالتزام بـ الحدود.
4. الأفق الإيماني
تفتح أمامك أفقًا إيمانيًا: الإيمان بقدرة الله، واليقين بأن كل شيء بتقديره.
5. الأفق الحضاري
تفتح أمامك أفقًا حضاريًا: المجتمعات التي تحترم النظام والحدود هي مجتمعات ناجحة.
الموضوع التاسع9: دور مفاهيم الآية في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة
1. في بناء الإنسان المتزن
نفسيًا
تمنح الآية الإنسان الطمأنينة والشكر من خلال:
· رؤية نظام الكون فيستقر قلبه.
· تذكر نعمة الماء العذب فيشكر ربه.
· إدراك أن للكون حدودًا فيلتزم بها.
عقليًا
تزرع الآية في العقل:
· التفكر في قدرة الله: من خلال هذه الظاهرة العجيبة.
· الاستدلال على وحدانية الله: من خلال نظام الكون.
· فهم أن للكون قوانين: لا تتغير.
تربويًا
تعلم الآية الإنسان:
· الشكر: على نعمة الماء.
· التفكر: في آيات الله.
· الالتزام بالحدود: في حياته.
2. في بناء المجتمع المسلم
المجتمع الذي يتدبر هذه الآية هو مجتمع:
· يشكر نعمة الماء: فلا يبذره ولا يضيعه.
· يتفكر في الكون: فيتقدم علميًا.
· يلتزم بالحدود: فلا يتجاوز حدود الله.
· يؤمن بنظام الله: فلا فوضى فيه.
3. في بناء الحضارة الإسلامية
الحضارة الإسلامية قامت على التفكر في آيات الله. المسلمون رأوا في هذه الآية دافعًا للبحث العلمي. فكانوا روادًا في علوم البحار والجغرافيا.
هذه الآية تحمي الحضارة من:
· الإسراف: في استخدام الموارد المائية.
· الفوضى: فتعلم أن للنظام قيمة.
· الكفران: فتذكر بشكر النعم.
4. في البناء والتنمية
في مجال التنمية، هذه الآية تعطيك:
· أهمية الموارد المائية: الماء أساس الحياة والتنمية.
· أهمية النظام: التنمية تحتاج إلى نظام.
· أهمية الحدود: لا تنمية بلا حدود وأطر.
الخاتمة: كيف تعيش هذه الآية؟
· كل يوم، عندما تشرب كأسًا من الماء، تذكر أن الله جعل لك ماءً عذبًا فراتًا. اشكره.
· كل مرة ترى فيها البحر، تذكر أن الله مرج البحرين، وجعل بينهما برزخًا. تفكر في قدرته.
· كل شعور بالطغيان، تذكر أن البحر العظيم له حد. فتواضع.
· كل شعور بالفوضى، تذكر أن الكون له نظام. فاطمئن.
· كل غفلة، تذكر أن هذه الآية دليل على قدرة الله. فازدد إيمانًا.
هذه الآية هي تذكير لك بنعمة الماء العذب، وبقدرة الله في خلقه، وبأن للكون نظامًا وحدودًا. فاشكر الله على نعمة الماء، وتفكر في آياته، والتزم بحدوده.
وقفة أخيرة: هل رأيت البحرين؟
الآية تضعك أمام سؤال: هل رأيت البحرين العذب والملح يلتقيان ولا يختلطان؟ هل تفكرت في هذه الآية؟

البحران يلتقيان، ولكل منهما حد. فهل أنت تعرف حدك في الحياة؟ هل تلتزم بحدود الله؟

سادسا

تفسير الآيتين الرابعة والخمسين والخامسة والخمسين من سورة الفرقان

قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا * وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا﴾.

مقدمة: من قطرة ماء إلى نسب وصهر.. ومن عبادة الأوثان إلى ظهير للشيطان

هل تأملت يومًا في بدايتك؟ هل تذكرت أنك كنت نطفة من ماء مهين، فخلقك الله بشرًا سويا، ثم جعل لك نسبًا تمتد به إلى آبائك، وصهرًا تتصل به إلى أسر أخرى؟ هذه الآية الأولى تأخذك في رحلة إلى أصل خلقك، لتريك قدرة الله الذي خلقك من ماء، ثم جعل لك من هذا الخلق العجيب نظامًا اجتماعيًا بديعًا: النسب الذي يربطك بدمك، والصهر الذي يربطك بمن ليس من دمك.

ثم تأتي الآية الثانية لتصور لك التناقض العجيب في الإنسان: بينما الله يخلقه ويكرمه بالنسب و الصهر، يشرك به ويعبد ما لا ينفعه ولا يضره. ثم تختتم الآية بوصف مرعب: ﴿وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا﴾ أي: معينًا للشيطان على ربه! نعم، الكافر يعين الشيطان على معصية الله، فهو ظهير للباطل ضد الحق.

هاتان الآيتان تخاطبانك أنت أيضًا. إنهما تهمسان في أذنك: انظر إلى بدايتك، كيف خلقت من ماء. انظر إلى نهايتك، كيف أكرمك الله بالنسب والصهر. ثم انظر إلى نفسك: أتشكر هذه النعمة أم تشرك بالله؟ أتكون مع الله أم تكون على الله ظهيرًا؟

تعالَ نتأمل هاتين الآيتين، وكأنهما تنزلان الآن. وكأن الله يقول لك: ألم أخلقك من ماء مهين؟ ألم أجعل لك نسبًا تتصل به وصهرًا تتصل به؟ فلماذا تشرك بي؟ ولماذا تكون على ظهيرًا لمن يعاديني؟

اولا السياق – العلاقة بالآية التي قبلها

الربط بالآية الثالثة والخمسين

الآية الثالثة والخمسون قالت: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا﴾.

جاءت هاتان الآيتان لتكمل المشهد الكوني بمشهد إنساني. فبعد أن تحدث الله عن البحرين: العذب والملح، وعن البرزخ الذي بينهما، يأتي الآن ليتحدث عن خلق الإنسان من الماء، وعن النسب والصهر. إنها انتقال من الآفاق إلى الأنفس، من مخلوقات الماء في الكون إلى مخلوق الماء في الإنسان.

وكما أن البحرين يلتقيان ولا يختلطان، كذلك النسب والصهر يلتقيان في الإنسان ليكونا نظامًا اجتماعيًا متكاملا ً.

ثانيا: تحليل الآيتين – قراءة في عمق الخلق والنظام

المبحث الأول

الآية الرابعة والخمسون

الجملة الأولى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا﴾

اللمسة البلاغية: "وَهُوَ الَّذِي" – أسلوب الحصر

"وهو الذي" أسلوب يفيد الحصر والتخصيص. أي: الله وحده هو الذي خلق من الماء بشرًا. لا أحد غيره.

"خَلَقَ" – الخلق من العدم

"خلق" فعل يدل على الإيجاد من العدم. الله أوجد الإنسان من ماء مهين، بعد أن لم يكن شيئًا مذكورًا.

"مِنَ الْمَاءِ" – أصل الخلق

"من الماء" أي: من النطفة التي هي ماء. وهذا إشارة إلى قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ﴾. فالإنسان أصله ماء، ثم صار بشرًا.

"بَشَرًا" – الإنسان الكامل

"بشرًا" أي: إنسانًا كامل الخلقة، له جسد وروح، وعقل وإرادة. فمن ماء مهين، خلق الله هذا الكائن العظيم.

اللمسة البيانية: تقديم "من الماء" للدلالة على ضعف الأصل

قدم "من الماء" على "بشرًا" للدلالة على ضعف الأصل. فالإنسان الذي يتكبر ويتجبر، أصله ماء مهين. هذا يربي في النفس التواضع.

الدلالة النفسية

هذه الجملة تزرع في النفس التواضع. أنت خلقت من ماء مهين. فلماذا التكبر؟ لماذا التجبر؟ تذكر أصلك الضعيف، وتواضع لله.

2
الجملة الثانية: ﴿فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾
اللمسة البلاغية: "فَجَعَلَهُ" – الفاء للتعقيب
الفاء للتعقيب، أي: بعد أن خلقه بشرًا، جعل له نسبًا وصهرًا. أي: جعل هذا الإنسان متصلا ً بغيره بنظام اجتماعي بديع.
"نَسَبًا" – رابطة الدم
النسب هو القرابة بالدم. وهو ما يربط الإنسان بآبائه وأمهاته وأولاده وإخوته. وهو نظام اجتماعي طبيعي.
"وَصِهْرًا" – رابطة المصاهرة
الصهر هو القرابة بالزواج. وهو ما يربط الإنسان بأسر أخرى، فيتسع المجتمع وتترابط الأسر.

اللمسة البيانية: تقديم النسب على الصهر
قدم النسب على الصهر لأن النسب هو الأصل، والصهر فرع عنه. فالزواج يأتي بعد أن يكون الإنسان له نسب.

الدلالة النفسية
هذه الجملة تذكر الإنسان بنعمتين عظيمتين: نعمة النسب الذي يربطه بمن يحب، ونعمة الصهر الذي يوسع دائرة ارتباطاته. فاشكر الله على هاتين النعمتين.
3
الجملة الثالثة: ﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾
اللمسة البلاغية: "وَكَانَ" – الثبات والدوام
"كان" تفيد الثبات والدوام. أي: ربك لم يزل ولا يزال قديرًا.

"رَبُّكَ" – الخطاب للنبي ﷺ
الخطاب للنبي ﷺ، ولكل مؤمن من بعده. ربك الذي خلقك من الماء وجعل لك نسبًا وصهرًا، هو القدير.

"قَدِيرًا" – صيغة المبالغة
"قديرًا" صيغة مبالغة من القدرة، تدل على كمال القدرة وعظمتها.

الدلالة النفسية
هذه الجملة تملأ القلب طمأنينة. ربك قدير. فهو قادر على كل شيء. قادر على خلقك من ماء، وقادر على نصرك، وقادر على هداية من تشاء.
المبحث الثاني
الآية الخامسة والخمسون
الجملة الأولى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ﴾
اللمسة البلاغية: "وَيَعْبُدُونَ" – الانتقال إلى وصف المشركين
بعد أن ذكر الله نعمته في خلق الإنسان وتكريمه، انتقل إلى وصف حال المشركين الذين يقابلون هذه النعم بالكفران.

"مِنْ دُونِ اللهِ" – الإشراك بالله
"من دون الله" أي: من غير الله. يعبدون آلهة غيره، مع أنه هو الذي خلقهم وأكرمهم.

"مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ" – وصف الآلهة الباطلة
هذه الآلهة لا تملك لهم نفعًا ولا ضرًا. لا تنفع في الدنيا، ولا تنفع في الآخرة. لا تدفع ضرًا، ولا تجلب خيرًا.

اللمسة البيانية: نفي النفع والضر معًا
نفى الله عن هذه الآلهة النفع والضر. فهي لا تملك شيئًا من الأمر. فكيف يعبدونها؟

الدلالة النفسية
هذه الجملة تصور غباء المشركين. يعبدون من لا ينفعهم ولا يضرهم، ويتركون من خلقهم وأكرمهم. فما أعجب هذا!
/2
الجملة الثانية: ﴿وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا﴾
اللمسة البلاغية: "ظَهِيرًا" – المعين والناصر

"ظهيرًا" من الظهر، وهو المعين والناصر. والمعنى: الكافر يكون معينًا للشيطان على ربه. أي: يعين الشيطان في معصية الله.

"الكافِرُ" – الوصف بالكفر
جاء "الكافر" مفردًا للدلالة على الجنس. أي: كل كافر هو على ربه ظهير.

"عَلَى رَبِّهِ" – العجب العظيم
"على ربه" أي: ضد ربه. الكافر يعين أعداء الله على الله. هذا من أعجب العجب.

اللمسة البيانية: تقديم الجار والمجرور "على ربه" للاهتمام
قدم "على ربه" على "ظهيرًا" للاهتمام بهذه المعية العجيبة. كيف يكون الإنسان على ربه ظهيرًا؟

الدلالة النفسية
هذه الجملة تحمل أعلى درجات الذم. الكافر ليس مجرد عاص، بل هو معين للشيطان على الله. فكم هو عظيم هذا الجرم!
ثالثا
الموضوع الأول1: الإعجاز العلمي في الآية
1. خلق الإنسان من الماء
الآية تشير إلى أن الإنسان خلق من الماء. وهذا ما أثبته العلم الحديث: أن الماء يشكل نسبة كبيرة من جسم الإنسان، وأن الحياة بدأت في الماء.
2. النطفة ماء
الآية تشير إلى أن أصل الإنسان نطفة من ماء. وهذا ما أثبته علم الأجنة: أن الإنسان يتكون من بويضة مخصبة محاطة بالماء.
3. التطور من ماء إلى بشر
الآية تشير إلى مراحل الخلق: من ماء إلى بشر. وهذا يتوافق مع علم الأجنة الذي يصف مراحل تطور الجنين.
الموضوع الثاني2: الجوانب النفسية في الآيتين
1. خلق من الماء – التواضع
تذكر الآية الإنسان بأصله الضعيف: ماء مهين. هذا يزرع في النفس التواضع، ويمنع الكبر والغطرسة.
2. النسب والصهر – الانتماء والحاجة
النسب يمنح الإنسان شعورًا بالانتماء، والصهر يمنحه شعورًا بالامتداد. هذا يلبي حاجة النفس إلى الا نتماء والحب.
3. عبادة ما لا ينفع ولا يضر – الخواء الروحي
المشركون يعبدون ما لا ينفعهم، تعبيرًا عن خواء روحي، وحاجة فطرية إلى الإله، لكنهم أخطأوا الطريق.
4. ظهيرًا على ربه – العداء لله
وصف الكافر بأنه ظهير على ربه، يصور عداءه الداخلي لله، وتمرّده عليه.
الموضوع الثالث3: الجوانب العقلية في الآيتين
1. التفكر في أصل الخلق
الآية تدعو العقل إلى التفكر: كيف خلق الإنسان من ماء؟ كيف صار هذا الكائن العظيم من نطفة؟ هذا يقود إلى الإيمان بقدرة الله.
2. الاستدلال على قدرة الله
خلق الإنسان من ماء، وتنظيمه في نسب وصهر، دليل على قدرة الله وحكمته.
3. تفنيد عبادة الأوثان
الآية تقدم حجة عقلية على بطلان عبادة الأوثان: كيف تعبدون من لا ينفعكم ولا يضركم؟
4. فهم التناقض البشري
الآية تصور التناقض العجيب في الإنسان: يعرف نعمة الله ثم يكفر بها، يعرف ربه ثم يعين عليه.
الموضوع الرابع4: الجوانب التربوية في الآيتين
1. تربية التواضع
تذكر الإنسان بأصله الضعيف ليربيه على التواضع وعدم الكبر.
2. تربية الشكر
تذكر الإنسان بنعمتي النسب والصهر ليربيه على شكر الله.
3. تربية الوفاء
تعلم الإنسان أن يكون وفيًا لله، لا ظهيرًا عليه.
4. تربية العقل

تدعو الإنسان إلى استخدام عقله في عبادة الله وحده.
5. تربية الاعتزاز بالإسلام
تبين أن الإسلام هو الدين الذي يكرم الإنسان بالنسب والصهر، ويدعوه إلى عبادة الله وحده.
الموضوع الخامس5: المفاهيم المركزية في الآيتين
المفهوم الأول1: خلق الإنسان من الماء
الإنسان أصله ماء مهين. هذا يدل على ضعف الإنسان، وقدرة الله.
المفهوم الثاني2: النسب والصهر
الله أكرم الإنسان بنظام اجتماعي بديع: النسب الذي يربطه بدمه، والصهر الذي يربطه بغيره.
المفهوم الثالث3: قدرة الله
ربك قدير. قادر على خلق الإنسان من ماء، وقادر على كل شيء.
المفهوم الرابع4: عبادة ما لا ينفع ولا يضر
المشركون يعبدون آلهة لا تملك لهم نفعًا ولا ضرًا.
المفهوم الخامس5: الكافر ظهير على ربه
الكافر يعين الشيطان على معصية الله. هذا من أعظم الذنوب.
الموضوع السادس6: القيم المستنبطة من الآيتين
1. قيمة التواضع: تذكر أصلك الضعيف.
2. قيمة الشكر: على نعمة النسب والصهر.
3. قيمة الوفاء: لله الذي خلقك وأكرمك.
4. قيمة العقل: في عبادة الله وحده.
5. قيمة الوعي: بأن الكفر معونة على الله.
6. قيمة الانتماء: إلى النسب والصهر.
7. قيمة الإيمان: بقدرة الله.
الموضوع السابع7: الأبعاد المختلفة للآيتين
1. البعد العلمي (الإعجاز)
الآيتان تحتويان على إشارات علمية دقيقة: خلق الإنسان من الماء، والنطفة ماء، وتطور الجنين.
2. البعد النفسي
تزرع الآيتان التواضع، والشعور بالانتماء، والوعي بالعداء لله.
3. البعد العقلي
تدعوان إلى التفكر في خلق الإنسان، والاستدلال على قدرة الله، وتفنيد عبادة الأوثان.
4. البعد التربوي
تربيان التواضع والشكر والوفاء واستخدام العقل.
5. البعد الاجتماعي
تذكران بأهمية النسب والصهر في بناء المجتمع.
6. البعد الإيماني
تزيدان الإيمان بقدرة الله، وتدعوان إلى عبادته وحده.
الموضوع الثامن8: الآفاق التي تحملها الآيتان
1. الأفق العلمي
تفتح الآيتان أمامك أفقًا علميًا: البحث في خلق الإنسان، واكتشاف أسراره.
2. الأفق النفسي
تفتحان أمامك أفقًا نفسيًا: التواضع والشكر والانتماء.
3. الأفق الاجتماعي
تفتحان أمامك أفقًا اجتماعيًا: بناء المجتمع على النسب والصهر.
4. الأفق الإيماني
تفتحان أمامك أفقًا إيمانيًا: الإيمان بقدرة الله، وعبادته وحده.
5. الأفق الأخلاقي
تفتحان أمامك أفقًا أخلاقيًا: الوفاء لله، وعدم معاونة الشيطان.
الموضوع التاسع9: دور مفاهيم الآيتين في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة
1. في بناء الإنسان المتزن
نفسيًا
تمنح الآيتان الإنسان التواضع من خلال تذكيره بأصله، والشعور بالانتماء من خلال النسب والصهر، و الوعي بأن الكفر معونة على الله.
عقليًا
تزرع الآيتان في العقل التفكر في خلق الإنسان، والاستدلال على قدرة الله، وفهم بطلان عبادة الأ وثان.

تربويًا
تعلمان الإنسان التواضع والشكر والوفاء واستخدام العقل.
2. في بناء المجتمع المسلم
المجتمع الذي يتدبر هاتين الآيتين هو مجتمع:
· متواضع: يعرف أصله الضعيف.
· مترابط: بالنسب والصهر.
· شاكر: لله على نعمه.
· موحد: لا يشرك بالله شيئًا.
3. في بناء الحضارة الإسلامية
الحضارة الإسلامية قامت على التوحيد والترابط الاجتماعي. المسلمون عرفوا قيمة النسب والصهر، فبنوا مجتمعًا مترابطًا.
هاتان الآيتان تحميان الحضارة من:
· الكبر: فتذكر الإنسان بأصله.
· التفكك: فتؤكد على النسب والصهر.
· الشرك: فتدعو إلى عبادة الله وحده.
4. في البناء والتنمية
في مجال التنمية، هاتان الآيتان تعطيانك:
· أهمية الأسرة: النسب والصهر أساس المجتمع.
· أهمية التواضع: في القيادة.
· أهمية التوحيد: في بناء القيم.
الخاتمة: كيف تعيش هاتين الآيتين؟
· كل صباح، تذكر أنك خلقت من ماء. تواضع.
· كل لقاء مع أهلك، تذكر نعمة النسب. اشكر الله عليها.
· كل لقاء مع أصهارك، تذكر نعمة الصهر. اشكر الله عليها.
· كل شعور بالكبر، تذكر أصلك الضعيف. تواضع.
· كل دعوة إلى الشرك، تذكر أن الكافر ظهير على ربه. فابتعد.
هاتان الآيتان هما تذكير لك بأصلك ونسبك وصهرك، وبقدرة الله عليك، وبشناعة الشرك. فتواضع لربك، واشكر نعمه، ولا تكن من الظهير عليه.
وقفة أخيرة: من أنت؟ ومن تكون؟
الآيتان تضعانك أمام سؤال: من أنت؟
· هل أنت من يعرف أنه خلق من ماء، فيتواضع؟
· هل أنت من يعرف نعمة النسب والصهر، فيشكر؟
· هل أنت من يعرف أن ربه قدير، فيعبده وحده؟
· أم أنت من يشرك بالله، ويعبد ما لا ينفع ولا يضر؟
· أم أنت من يكون على ربه ظهيرًا؟
اختر لنفسك اليوم. فأنت المسؤول عن اختيارك.

سابعا

(تفسير الآيات السادسة والخمسين والسابعة والخمسين والثامنة والخمسين من سورة الفرقان
قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا * وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ ۚ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا﴾
مقدمة: ثلاثية الرسالة: بشارة، إنذار، وتوكل
هل تساءلت يومًا عن سر بقاء هذه الرسالة رغم كل ما واجهته من تحديات؟ هل تساءلت عن مصدر قوة النبي ﷺ وهو يواجه أعتى المعاندين؟ هذه الآيات الثلاث تحمل لك الإجابة. إنها ثلاثية عظيمة: الأولى تعلن وظيفة الرسول، والثانية تعلن منهج الرسول في الدعوة، والثالثة تعلن سر قوته.
الآية الأولى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾. هذه هي وظيفتك أيها النبي: تبشر المؤمنين بالجنة، وتنذر الكافرين بالنار. بشارة وإنذار، رجاء وخوف، هذا هو دين الله.
الآية الثانية: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا﴾. هذه هي نزاهة الداعية: لا يطلب منكم مالًا، ولا جاهًا، ولا منصبًا. ما يطلبه هو أن تتخذوا إلى ربكم سبيلًا. إنه يريد لكم الخير، لا يريد منكم شيئًا.
الآية الثالثة: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ﴾. هذا هو سر القوة: التوكل على الله الحي الذي لا يموت. هو الحي الذي لا يموت، فثق به. هو الخبير بذنوب عباده، فاطمئن.
هذه الآيات الثلاث تخاطبك أنت أيضًا. إنها تهمس في أذنك: أنت أيضًا مبشر ونذير في حدود استطاعتك. أنت أيضًا لا تطلب أجرًا على دعوتك، إنما تريد للناس الخير. وأنت أيضًا تحتاج إلى التوكل على الحي الذي لا يموت.
تعالَ نتأمل هذه الآيات الثلاث، وكأنها تنزل الآن. وكأن الله يحدد لك وظيفتك، ويطهر نيتك، ويمنحك

قوتك.
اولا السياق – العلاقة بالآية التي قبلها
الربط بالآيتين الرابعة والخمسين والخامسة والخمسين
الآيتان السابقتان تحدثتا عن خلق الإنسان من الماء، وعن النسب والصهر، وعن شرك المشركين وكونهم ظهيرًا على ربهم.
جاءت هذه الآيات الثلاث لتكون الاستجابة العملية لهذا الواقع. فبعد أن بين الله حال المشركين الذين يعبدون ما لا ينفع ولا يضر، ويصبحون ظهيرًا على ربهم، يأمر نبيه أن يقوم بوظيفته: مبشرًا ونذيرًا، لا يطلب أجرًا، متوكلًا على الله.
إنها توجيه للنبي ﷺ في مواجهة هذا الواقع. لا تشغل نفسك بهم، قم بوظيفتك، واجعل همك تبشير المؤمنين وإنذار الكافرين، ولا تطلب منهم أجرًا، وتوكل على الله.
ثانيا: تحليل الآيات – قراءة في عمق التوجيه الإلهي
المبحث الأول
الآية السادسة والخمسون
الجملة الأولى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾
اللمسة البلاغية: "مَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا" – القصر والحصر
"ما أرسلناك إلا" أسلوب قصر وحصر .أي: ما أرسلناك إلا لهاتين الوظيفتين .ليس لك وظيفة أخرى.

"مُبَشِّرًا" – البشارة للمؤمنين
"مبشرًا" أي: تبشر المؤمنين بالجنة والثواب والرحمة .تزيل عنهم اليأس، وتملأ قلوبهم رجاء.

"وَنَذِيرًا" – الإنذار للكافرين
"ونذيرًا" أي: تنذر الكافرين بالنار والعقاب .تخوفهم من عاقبة الكفر والطغيان.

اللمسة البيانية: تقديم البشارة على الإنذار
قدم البشارة على الإنذار، لأن البشارة هي الأصل، والإنذار وسيلة. ولأن رحمة الله سبقت غضبه.

الدلالة النفسية
هذه الجملة تحدد وظيفة الداعية. أنت مبشر ومنذر. تبشر الناس بالخير، وتنذرهم من الشر. هذا هو دورك. لا تشغل نفسك بما ليس من وظيفتك.
المبحث الثاني
الآية السابعة والخمسون
الجملة الأولى: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾
اللمسة البلاغية: "قُلْ" – الأمر بالتبليغ
"قل" أمر للنبي ﷺ أن يعلن هذه الحقيقة .وهو أمر لأمته من بعده.
"مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ" – نفي طلب الأجر
"ما أسألكم عليه من أجر" أي: لا أطلب منكم على تبليغ الرسالة أجرًا .لا مالًا، ولا جاهًا، ولا منصبًا.

اللمسة البيانية: التنكير في "أجر" للتقليل
جاء "أجر" نكرة في سياق النفي، لتفيد نفي أي أجر، صغيرًا كان أم كبيرًا.

الدلالة النفسية
هذه الجملة تطهر نية الداعية. أنت لا تطلب أجرًا من الناس. أجرك على الله. هذا يحررك من التبعية لهم.
2
الجملة الثانية: ﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا﴾
اللمسة البلاغية: "إِلَّا" – الاستثناء
"إلا" للاستثناء .والمعنى: لكني أطلب منكم أمرًا واحدًا: أن تتخذوا إلى ربكم سبيلًا.

"مَنْ شَاءَ" – من أراد الخير لنفسه
"من شاء" أي: من أراد الخير لنفسه .فالداعية لا يجبر أحدًا، بل يترك الخيار للناس.

"أَنْ يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا" – مطلوب الداعية الوحيد
هذا هو المطلوب الوحيد: أن يتخذ الإنسان سبيلًا إلى ربه. أي: طريقًا يوصل إلى الله بالإيمان والعمل الصالح.

اللمسة البيانية: التعبير بـ"يتخذ سبيلًا" لا "يسلك سبيلًا"

"يتخذ" من الاتخاذ، وهو الاختيار .فالإنسان هو الذي يختار الطريق .والداعية لا يجبره، إنما يدله.

الدلالة النفسية
هذه الجملة تحدد هدف الداعية. أنت تريد للناس أن يتخذوا سبيلًا إلى ربهم. هذا هو هدفك. لا تريد مالهم، ولا جاههم، ولا منصبهم.

المبحث الثالث

الآية الثامنة والخمسون

الجملة الأولى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾

اللمسة البلاغية: "تَوَكَّلْ" – الأمر بالتوكل

"توكل" أمر بالتوكل على الله .والتوكل هو الاعتماد على الله مع الأخذ بالأسباب.

"عَلَى الْحَيِّ" – الحي الذي لا يموت

"على الحي" أي: على الله الحي الذي له الحياة الكاملة .وهو الحي الذي لا يموت، بخلاف كل شيء يموت.

"الَّذِي لَا يَمُوتُ" – صفة الحي

"الذي لا يموت" تأكيد لحياته الأبدية .فهو الحي الذي لا يموت، فلا تخش موت من تعتمد عليه.

اللمسة البيانية: تقديم "الحي" على "الذي لا يموت"

قدم "الحي" ثم وصفه ب"الذي لا يموت" للتوكيد. فهو حي، وهذه الحياة أبدية لا يلحقها موت.

الدلالة النفسية
هذه الجملة تمنح الداعية القوة والطمأنينة. لا تعتمد على البشر الذين يموتون، اعتمد على الحي الذي لا يموت. هو الذي لا يخذلك، ولا يتخلى عنك.

2

الجملة الثانية: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ﴾

اللمسة البلاغية: "سَبِّحْ" – الأمر بالتسبيح

"سبح" أمر بالتسبيح .والتسبيح هو تنزيه الله عن كل نقص.

"بِحَمْدِهِ" – التسبيح مقرونًا بالحمد

"بحمده" أي: سبحه مع حامدين له، أو سبحه حامدًا له .فالتسبيح مقرون بالحمد: تنزهه وتحمده.

اللمسة البيانية: اقتران التسبيح بالحمد

هذا الاقتران يدل على أن المؤمن يجمع بين تنزيه الله (التسبيح) والثناء عليه (الحمد).

الدلالة النفسية
هذه الجملة تملأ القلب بطمأنينة العبادة. التوكل يقترن بالتسبيح. فكما تتوكل على الله، فسبحه واحمده.

3

الجملة الثالثة: ﴿وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا﴾

اللمسة البلاغية: "كَفَى بِهِ" – أسلوب الاكتفاء

"كفى به" أسلوب يدل على أن الله كافٍ .وهو من صيغ المدح والثناء.

"بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا" – الخبير بالذنوب

"خبيرًا" أي: عالمًا ببواطن الأمور .وهو خبير بذنوب عباده، يعلمها علمًا كاملًا.

اللمسة البيانية: تقديم "بذنوب عباده" على "خبيرًا"

قدم الجار والمجرور "بذنوب عباده" للاهتمام بهذه الذنوب. فالله خبير بها، وسيجازي عليها.

الدلالة النفسية
هذه الجملة تمنح الطمأنينة والرهبة. الطمأنينة: أن الله خبير بذنوبك، فسيغفرها إن تبت. والرهبة: أن الله خبير بذنوبك، فلا تستهن بها.

ثالثا

الموضوع الأول1: وظيفة الرسول ووظيفة كل مؤمن

1.المبشر

كل مؤمن هو مبشر بالخير. يبشر الناس برحمة الله، ويسعدهم ببشارات الإيمان.

.2النذير
كل مؤمن هو نذير بالشر. ينذر الناس من عاقبة المعصية، ويخوفهم من عذاب الله.
.3التوازن بين البشارة والإنذار
الدين يجمع بين الرجاء والخوف. فالإنسان يحتاج إلى بشارة تدفعه، وإنذار يردعه.
.4عدم الخلط بين الوظائف
الرسول ليس مسؤولًا عن هداية الناس. وظيفته البلاغ. وهذا ينطبق على كل داعية.
الموضوع الثاني2: نزاهة الداعية
.1لا يطلب أجرًا
الداعية لا يطلب مالًا، ولا جاهًا، ولا منصبًا. أجرُه على الله.
.2همه الخير للناس
ما يطلبه هو أن يتخذ الناس سبيلًا إلى ربهم. هذا هو همه الوحيد.
.3لا إكراه في الدين
"من شاء" تترك الخيار للناس .الداعية لا يجبر أحدًا.
.4القدوة الحسنة
الداعية الذي لا يطلب أجرًا يكون قدوة صالحة للناس.
الموضوع الثالث3: سر قوة الداعية: التوكل على الله
.1التوكل على الحي الذي لا يموت
لا تعتمد على البشر، فهم يموتون. اعتمد على الله الحي الذي لا يموت.
.2التوكل مع التسبيح
التوكل يحتاج إلى تسبيح: تنزيه الله، والثناء عليه.
.3التوكل مع اليقين
الله خبير بذنوب عباده. هذا يمنح الداعية اليقين بأن الله يعلم حاله وسيجزيه.
.4التوكل مصدر القوة
من توكل على الله، لا يخاف من أحد. ولا يضعف أمام التحديات.
الموضوع الرابع4: الجوانب النفسية في الآيات
.1المبشر والمنذر – التوازن النفسي
الداعية يحتاج إلى التوازن بين البشارة والإنذار. لا يغرق في التخويف فييأس الناس، ولا يغرق في التبشير فيأمن الناس مكر الله.
.2ما أسألكم من أجر – الاستقلالية النفسية
الداعية لا يحتاج إلى الناس. هو مستقل عنهم. هذا يمنحه قوة نفسية.
.3توكل على الحي – الطمأنينة
من توكل على الحي الذي لا يموت، اطمأن قلبه. لا يخاف من الموت، ولا من فوات شيء.
.4كفى به خبيرًا – الراحة النفسية
الله خبير بذنوبك. هذا يريحك: فهو يعلم توبتك، ويعلم صدقك. وسيجزيك.
الموضوع الخامس5: الجوانب العقلية في الآيات
.1فهم وظيفة الرسول
الآية تقدم مفهومًا واضحًا لوظيفة الرسول: بشارة وإنذار. هذا يمنع الغلو في تقديسه أو التقصير في حقه.
.2فهم منهج الدعوة
الدعوة بلا أجر، وبلا إكراه. هذا منهج عقلاني، يترك للناس حرية الاختيار.
.3فهم مصدر القوة
القوة ليست في المال أو الجاه، بل في التوكل على الله. هذا مفهوم عقلاني عميق.
.4فهم علم الله
الله خبير بذنوب عباده. هذا مفهوم عقلاني يدفع الإنسان إلى التوبة والاستقامة.
الموضوع السادس6: الجوانب التربوية في الآيات
.1تربية التوازن
بين البشارة والإنذار، بين الرجاء والخوف.
.2تربية الإخلاص
لا تطلب أجرًا على عملك. أجرك على الله.
.3تربية التوكل
اعتمد على الله في كل شيء. هو الحي الذي لا يموت.
.4تربية التسبيح
سبح الله وحمده. اجعل لسانك رطبًا بذكره.
.5تربية اليقين
الله خبير بذنوبك. فتب إليه، فهو يعلم صدقك.

الموضوع السابع7: المفاهيم المركزية في الآيات
المفهوم الأول1: البشارة والإنذار
وظيفة الرسول، ووظيفة كل مؤمن.
المفهوم الثاني2: لا أجر
الداعية لا يطلب أجرًا من الناس.
المفهوم الثالث 3: اتخاذ سبيل إلى الرب
ما يريده الداعية أن يتخذ الناس سبيلًا إلى ربهم.
المفهوم الرابع4: التوكل على الحي
مصدر قوة الداعية: التوكل على الله الحي الذي لا يموت.
المفهوم الخامس5: التسبيح بالحمد
العبادة التي تقترن بالتوكل.
المفهوم السادس6: الخبير بالذنوب
الله خبير بذنوب عباده، عالم ببواطنهم.
الموضوع الثامن8: القيم المستنبطة من الآيات
.1قيمة التوازن: بين البشارة والإنذار.
.2قيمة الإخلاص: لا تطلب أجرًا.
.3قيمة الاستقلالية: لا تكن تابعًا لأحد.
.4قيمة التوكل: على الله وحده.
.5قيمة العبادة: بالتسبيح والحمد.
.6قيمة اليقين: بعلم الله.
.7قيمة الدعوة: بالحكمة والموعظة الحسنة.
الموضوع التاسع9: الأبعاد المختلفة للآيات
.1البعد الدعوي
تحدد الآيات منهج الدعوة: بشارة وإنذار، بلا أجر، مع التوكل على الله.
.2البعد النفسي
تمنح الآيات الداعية الاستقلالية والطمأنينة والقوة.
.3البعد العقلي
تدعو الآيات إلى فهم وظيفة الرسول، وفهم منهج الدعوة، وفهم مصدر القوة.
.4البعد التربوي
تربي الآيات التوازن والإخلاص والتوكل والتسبيح واليقين.
.5البعد الإيماني
تزيد الآيات الإيمان بأن الله هو الحي الذي لا يموت، وهو الخبير بذنوب عباده.
الموضوع العاشر10: الآفاق التي تحملها الآيات
.1الأفق الدعوي
تفتح أمامك أفقًا دعويًا: كيف تدعو إلى الله؟ بالبشارة والإنذار، بلا أجر، متوكلًا على الله.
.2الأفق النفسي
تفتح أمامك أفقًا نفسيًا: الاستقلالية والطمأنينة والقوة.
.3الأفق التربوي
تفتح أمامك أفقًا تربويًا: كيف تربي نفسك على التوكل والتسبيح، وكيف تربي غيرك على الإخلاص.
.4الأفق الإيماني
تفتح أمامك أفقًا إيمانيًا: الإيمان بأن الله حي لا يموت، خبير بذنوب عباده.
الموضوع الحادي عشر11: دور مفاهيم الآيات في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة
.1في بناء الإنسان المتزن
نفسيًا
تمنح الآيات الإنسان التوازن النفسي من خلال:
· التوازن بين البشارة والإنذار.
· الاستقلالية عن الناس.
· الطمأنينة بالتوكل على الله.
عقليًا
تزرع الآيات في العقل:
· فهم وظيفة الداعية: بشارة وإنذار.
· فهم منهج الدعوة: بلا أجر ولا إكراه.
· فهم مصدر القوة: التوكل على الله.
تربويًا
تعلم الآيات الإنسان:

· الإخلاص: فلا يطلب أجرًا.
· التوكل: في كل أموره.
· التسبيح: والحمد لله.
.2في بناء المجتمع المسلم
المجتمع الذي يتدبر هذه الآيات هو مجتمع:
· يدعو بالبشارة والإنذار: فلا يغرق في التخويف ولا في التبشير.
· تسوده نزاهة الدعاة: فلا يطلبون أجرًا.
· تسوده روح التوكل: فلا يخافون أحدًا.
· تسوده عبادة الله: بالتسبيح والحمد.
.3في بناء الحضارة الإسلامية
الحضارة الإسلامية قامت على الدعوة بالبشارة والإنذار، وعلى نزاهة الدعاة، وعلى التوكل على الله.
هذه الأسس جعلتها حضارة عظيمة.
هذه الآيات تحمي الحضارة من:
· الغلو: فتذكرها أن وظيفة الداعية بشارة وإنذار.
· الاستغلال: فتذكرها أن الداعية لا يطلب أجرًا.
· الضعف: فتذكرها أن قوتها في التوكل على الله.
.4في البناء والتنمية
في مجال التنمية، هذه الآيات تعطيك:
الرؤية الواضحة: ما هي وظيفتك؟
· النزاهة: لا تطلب أجرًا من الناس.
· القوة: توكل على الله.
الخاتمة: كيف تعيش هذه الآيات؟
· كل يوم، تذكر أن وظيفتك: بشارة وإنذار.
· كل دعوة، تذكر: لا تطلب أجرًا.
· كل خوف، تذكر: توكل على الحي الذي لا يموت.
· كل غفلة، تذكر: سبح بحمد ربك.
· كل ذنب، تذكر: الله خبير به، فتب إليه.
هذه الآيات هي ثلاثيتك في الحياة: وظيفتك، نزاهتك، قوتك. فاعمل بها، تعش في طمأنينة وقوة.
وقفة أخيرة: هل أنت مبشر ونذير؟
الآيات تضعك أمام سؤال: هل أنت مبشر ونذير؟
هل تبشر الناس برحمة الله؟ هل تنذرهم من عذابه؟ هل تطلب أجرًا على ذلك؟ هل تتوكل على الله في كل شيء؟ هل تسبح بحمده؟
اللهم إنا نسألك أن نكون مبشرين ونذرين، لا نطلب أجرًا، متوكلين عليك، مسبحين بحمدك. اللهم أنت الحي الذي لا يموت، فاجعلنا من المتوكلين عليك، المسبحين بحمدك.
سابعا
تفسير الآية التاسعة والخمسين من سورة الفرقان
قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ۚ الرَّحْمَٰنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾.
مقدمة: من الخلق إلى العرش.. ومن السؤال إلى الخبير
بعد أن سمعت في الآيات السابقة حديثًا عن وظيفة الرسول: مبشرًا ونذيرًا، وعن نزاهته: لا يسأل أجرًا، وعن قوته: التوكل على الحي الذي لا يموت، تأتي هذه الآية لتأخذك إلى أفق أعلى. إنها تأخذك من الأرض إلى السماء، من الخلق إلى الخالق، من المخلوقات إلى العرش.
هذه الآية تفتح أمامك نافذة على أعظم مشهد في الوجود: خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام، ثم استواء الله على العرش. ثم تختم بصفة عظيمة: ﴿الرَّحْمَٰنُ﴾. ثم تتركك مع أمر: ﴿فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾. أي: سل عن الله من يعلم، سل أهل العلم، سل الذين يعرفون الله حق المعرفة.
هذه الآية تخاطبك أنت أيضًا. إنها تهمس في أذنك: انظر إلى هذا الكون العظيم، السماوات والأرض وما بينهما. من خلقها؟ من دبرها؟ من رفع السماء بغير عمد؟ من بسط الأرض؟ إنه الله. ثم اسأل عنه خبيرًا. لا تكتف بظنك، ولا بجهلك. اسأل أهل العلم، اسأل الذين يعرفون الله.
تعالَ نتأمل هذه الآية، وكأنها تنزل الآن. وكأن الله يريك عظمة خلقه، ثم يقول لك: هذا أنا. فاسأل عني خبيرًا.
اولا السياق – العلاقة بالآية التي قبلها
الربط بالآيات السادسة والخمسين والسابعة والخمسين والثامنة والخمسين
الآيات السابقة تحدثت عن وظيفة الرسول، ونزاهته، وقوته بالتوكل على الله.
جاءت هذه الآية لتكون التتويج والختام. بعد أن أمر الله نبيه بالتوكل عليه، يأتي الآن ليصف نفسه: هو الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام، ثم استوى على العرش. هو

الرحمن. فمن تتوكل عليه هو هذا الخالق العظيم، هذا الرحمن.
إنها ربط بين التوكل على الله وعظمة الله. أنت تتوكل على من خلق السماوات والأرض. أنت تتوكل على من استوى على العرش. أنت تتوكل على الرحمن. فكيف تخاف؟ وكيف تضعف؟
ثانيا: تحليل الآية – قراءة في عمق العظمة الإلهية
الجملة الأولى: ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾
اللمسة البلاغية: "الذي" – صفة لله
"الذي" تعود على الله المذكور في الآية السابقة (الحي الذي لا يموت). وهي صفة من صفاته.

"خَلَقَ" – الخلق من العدم
"خلق" فعل يدل على الإيجاد من العدم. فالله أوجد السماوات والأرض وما بينهما بعد أن لم تكن شيئًا.

"السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ" – أعظم المخلوقات
جمع السماوات (سبع سموات) والأرض (أرض واحدة في ظاهرها، أو أرضين متعددة في باطنها). وهما أعظم ما نراه من مخلوقات الله.

"وَمَا بَيْنَهُمَا" – كل ما في الكون
"وما بينهما" يشمل كل ما في الكون: الشمس، القمر، النجوم، السحب، الطيور، البحار، الجبال، وما لا يحصى من المخلوقات.
اللمسة البيانية: الترتيب التصاعدي
بدأ بالسماء ثم الأرض ثم ما بينهما. وهذا الترتيب يدل على عظمة الخلق، فالسماء أعظم، ثم ما بينهما.

الدلالة النفسية
هذه الجملة تملأ القلب رهبة وتعظيمًا. أنت تتوكل على من خلق هذا الكون العظيم. فكيف تخاف من مخلوق؟ وكيف تضعف أمام تحديات الدنيا؟
2
الجملة الثانية: ﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾
اللمسة البلاغية: "فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ" – التقدير الزمني
"في ستة أيام" أي: في مقدار ستة أيام من أيام الدنيا، أو في ستة أطوار. وهذا يدل على أن الله خلق الكون في فترة زمنية محددة بحكمته.

اللمسة البيانية: ذكر المدة للدلالة على الإتقان
ذكر المدة يدل على أن الخلق لم يكن عفوًا، بل كان بتقدير وإتقان. فلكل شيء وقته.

الدلالة النفسية
هذه الجملة تذكرك بأن الله لم يخلق الكون عبثًا، بل خلق بحكمة وتقدير. وهذا يمنحك اليقين بأن حياتك أيضًا ليست عبثًا.
/3
الجملة الثالثة: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾
اللمسة البلاغية: "ثمّ" – للترتيب مع التراخي
"ثم" للترتيب مع التراخي. أي: بعد أن خلق السماوات والأرض في ستة أيام، استوى على العرش.

"اسْتَوَى" – معنى الاستواء
الاستواء: العلو والارتفاع والاستقرار. وهو صفة من صفات الله، نؤمن بها كما جاءت، دون تكييف أو تمثيل. والله أعلم بكيفيتها.

"عَلَى الْعَرْشِ" – أعظم المخلوقات
العرش هو أعظم المخلوقات، وهو سقف المخلوقات. والله استوى عليه استواء يليق بجلاله.

اللمسة البيانية: تقديم الخلق على الاستواء
قدم الخلق على الاستواء، ليدل على أن الله خلق الكون ثم استوى على العرش. وهذا من تمام القدرة.

الدلالة النفسية
هذه الجملة تملأ القلب هيبة وإجلالًا. الله خلق الكون العظيم، ثم استوى على العرش. فهو فوق كل

شيء، وهو مدبر كل شيء.
الجملة الرابعة: ﴿الرَّحْمَنُ﴾
اللمسة البلاغية: تقديم اسم "الرحمن"
جاء اسم "الرحمن" مفردًا في آخر الآية، للدلالة على أن الله مع عظمته في الخلق والاستواء، هو الرحمن الذي وسعت رحمته كل شيء.

"الرَّحْمَنُ" – صفة الرحمة
الرحمن اسم خاص بالله، يدل على سعة رحمته. فهو مع خلقه العظيم، رحيم بهم.

اللمسة البيانية: المقابلة بين العظمة والرحمة
جمعت الآية بين عظمة الخلق والاستواء، وبين رحمة الله. وهذا يدل على أن الله عظيم في ملكه، رحيم بخلقه.

الدلالة النفسية
هذه الجملة تملأ القلب رجاءً وأملًا. الله مع عظمته، هو الرحمن. فهو يرحمك، ويغفر لك، ويلطف بك. فلا تيأس من رحمته.
5
الجملة الخامسة: ﴿فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾
اللمسة البلاغية: "فَاسْأَلْ" – الأمر بالسؤال
"فاسأل" أمر بالسؤال. والخطاب للنبي ﷺ، ولأمته من بعده.

"بِهِ" – الباء للسببية
"به" أي: بالله. أو: عن الله. والمعنى: اسأل عن الله، أو اسأل بالله.

"خَبِيرًا" – العالم الحقيقي
"خبيرًا" أي: عالمًا خبيرًا بالله. من يعرف الله حق المعرفة.

اللمسة البيانية: تقديم الأمر بالسؤال
قدم الأمر بالسؤال على المفعول "خبيرًا" للاهتمام بهذا الأمر. فالسؤال عن الله واجب.

الدلالة النفسية
هذه الجملة تدفعك إلى طلب العلم. لا تكتف بجهلك. اسأل أهل العلم عن الله. اسأل الذين يعرفونه. هذا هو الطريق إلى معرفته.
ثالثا
الموضوع الأول1 الإعجاز العلمي في الآية
1. خلق السماوات والأرض في ستة أيام
الآية تشير إلى أن الكون خُلق في فترة زمنية محددة. العلم الحديث يتحدث عن مراحل تطور الكون، وهي مراحل متعاقبة. وهذه إشارة إلى أن الخلق كان متدرجًا.
2. خلق ما بينهما
الآية تشير إلى أن هناك مخلوقات بين السماء والأرض. العلم الحديث اكتشف مجرات ونجومًا وكواكب لا تعد ولا تحصى بين السماوات.
3. الاستواء على العرش
هذا من أمور الغيب التي نؤمن بها دون تكييف. لكنه يدل على أن الله فوق خلقه، مدبرًا لهم.
4. الرحمن
اسم الله "الرحمن" يدل على أن الرحمة صفة غالبة لله. وهذا يتوافق مع ما نراه من رحمة في الكون.
الموضوع الثاني2: الجوانب النفسية في الآية
1. خلق السماوات والأرض – الشعور بالعظمة
رؤية عظمة الخلق تملأ القلب إجلالًا لله. فإذا تذكرت أن الله خلق هذا الكون العظيم، شعرت بعظمته ، فخضعت له.
2. استوى على العرش – الشعور بالهيبة
الله فوق عرشه، يدبر الكون. هذا يملأ القلب هيبة، ويدفع إلى الطاعة.
3. الرحمن – الشعور بالرجاء
الله مع عظمته رحمن. هذا يملأ القلب رجاءً، فلا ييأس من رحمته.
4. فاسأل به خبيرًا – الشعور بالحاجة إلى العلم

الإنسان بحاجة إلى العلم ليعرف ربه. هذا يدفعه إلى طلب العلم، والتواضع لأهله.
الموضوع الثالث3: الجوانب العقلية في الآية
1. التفكر في خلق السماوات والأرض
الآية تدعو العقل إلى التفكر: كيف خلق الله هذا الكون العظيم؟ من أين أتى؟ ما الغاية من خلقه؟ هذه الأسئلة تقود إلى الإيمان.
2. الاستدلال على قدرة الله
خلق السماوات والأرض دليل على قدرة الله العظيمة. فمن قدر على خلق هذا الكون، فهو قادر على كل شيء.
3. الاستواء على العرش – الإيمان بالغيب
هذه الصفة من أمور الغيب التي نؤمن بها. وهذا يدرب العقل على الإيمان بما لا يدركه الحس.
4. السؤال عن الله – منهجية المعرفة
الآية تقدم منهجًا معرفيًا: اسأل خبيرًا. لا تعتمد على الظن، بل على العلم.
الموضوع الرابع4: الجوانب التربوية في الآية
1. تربية الإيمان بالله
الآية تربي الإيمان بالله من خلال التفكر في خلقه.
2. تربية التوكل على الله
بعد ذكر عظمة الله، يتأكد التوكل عليه.
3. تربية الرجاء
اسم "الرحمن" يربي الرجاء في الله.
4. تربية طلب العلم
"فاسأل به خبيرًا" تربي حب العلم، والتواضع لأهله.
5. تربية التفكر
تدعو إلى التفكر في خلق الله.
الموضوع الخامس5: المفاهيم المركزية في الآية
المفهوم الأول1: خلق السماوات والأرض
الله هو خالق هذا الكون العظيم، وكل ما فيه.
المفهوم الثاني2: ستة أيام
الخلق كان متدرجًا في فترة زمنية محددة بحكمة.
المفهوم الثالث3: الاستواء على العرش
الله استوى على عرشه استواء يليق بجلاله.
المفهوم الرابع4: الرحمن
الله مع عظمته هو الرحمن الذي وسعت رحمته كل شيء.
المفهوم الخامس5: اسأل خبيرًا
معرفة الله تكون بالسؤال عن أهل العلم.
الموضوع السادس6: القيم المستنبطة من الآية
1. قيمة الإيمان: بالله خالق الكون.
2. قيمة التفكر: في خلق الله.
3. قيمة التوكل: على الله العظيم.
4. قيمة الرجاء: في رحمة الله.
5. قيمة طلب العلم: عن الله وعن دينه.
6. قيمة التواضع: لأهل العلم.
7. قيمة اليقين: بقدرة الله وحكمته.
الموضوع السابع7: الأبعاد المختلفة للآية
1. البعد العقدي
تثبت الآية أن الله هو خالق الكون، وأنه استوى على العرش، وأنه الرحمن.
2. البعد العلمي (الإعجاز)
الآية تشير إلى أن الخلق كان متدرجًا في فترة زمنية، وأن هناك مخلوقات بين السماء والأرض.
3. البعد النفسي
تمنح الآية الطمأنينة والرجاء والخضوع لله.
4. البعد العقلي
تدعو الآية إلى التفكر في خلق الله، والاستدلال على قدرته.
5. البعد التربوي
تربي الآية الإيمان والتوكل والرجاء وطلب العلم.
6. البعد الإيماني

تزيد الآية الإيمان بقدرة الله ورحمته.
الموضوع الثامن8: الآفاق التي تحملها الآية
1. الأفق الكوني
تفتح الآية أمامك أفقًا كونيًا: السماوات والأرض وما بينهما. تدعوك إلى التفكر في هذا الكون العظيم.
2. الأفق الزمني
تفتح أمامك أفقًا زمنيًا: ستة أيام خلق فيها الله الكون. تدعوك إلى التفكر في بداية الزمن.
3. الأفق الإيماني
تفتح أمامك أفقًا إيمانيًا: الإيمان بالله خالق الكون، وباستوائه على العرش، وباسمه الرحمن.
4. الأفق المعرفي
تفتح أمامك أفقًا معرفيًا: السؤال عن الله، وطلب العلم.
الموضوع التاسع9: دور مفاهيم الآية في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة
1. في بناء الإنسان المتزن
نفسيًا
تمنح الآية الإنسان الطمأنينة والرجاء من خلال:
· رؤية عظمة الخالق فيخشع.
· معرفة أن الله رحمن فيرجو.
· إدراك أن الله خبير فيسأل.
عقليًا
تزرع الآية في العقل:
· التفكر في الكون: كيف خلق؟ لماذا خلق؟
· الاستدلال على قدرة الله: من خلال عظمة الخلق.
· منهجية السؤال: عن الله وعن الدين.
تربويًا
تعلم الآية الإنسان:
· الإيمان بالله: خالق الكون.
· التوكل عليه: فهو القادر.
· الرجاء في رحمته: فهو الرحمن.
· طلب العلم: عنه وعن دينه.
2. في بناء المجتمع المسلم
المجتمع الذي يتدبر هذه الآية هو مجتمع:
· يؤمن بالله خالق الكون: فلا يعبد غيره.
· يتفكر في خلق الله: فيتقدم علميًا.
· يرجو رحمة الله: فلا ييأس.
· يسأل أهل العلم: فلا يتعالم.
3. في بناء الحضارة الإسلامية
الحضارة الإسلامية قامت على الإيمان بالله خالق الكون. هذا الإيمان دفع المسلمين إلى التفكر في الكون، فتقدموا في العلوم.
هذه الآية تحمي الحضارة من:
· الإلحاد: فتذكرها بالخالق.
· اليأس: فتذكرها برحمة الله.
· الجهل: فتدعوها إلى السؤال.
4. في البناء والتنمية
في مجال التنمية، هذه الآية تعطيك:
· الرؤية الكونية: التنمية جزء من الكون.
· التفكر: في أسباب التنمية.
· السؤال: عن العلم والخبرة.
الخاتمة: كيف تعيش هذه الآية؟
· كل صباح، انظر إلى السماء والأرض. تذكر أن الله خلقهما. فتعظم.
· كل ليلة، انظر إلى النجوم. تذكر أن الله خلق ما بينهما. فتفكر.
· كل شعور بالضعف، تذكر أن الله استوى على العرش. فتوكل.
· كل شعور باليأس، تذكر أن الله الرحمن. فارجو.
· كل جهل، تذكر: فاسأل به خبيرًا. فتعلم.
هذه الآية هي تذكير لك بعظمة خالقك، ورحمته بك، وواجبك في طلب العلم عنه. فانظر إلى الكون

تفكر، وتوكل على الله، وارحم رحمته، واسأل خبيرًا تعلم.
وقفة أخيرة: من هو الخبير الذي تسأل؟
الآية تضعك أمام سؤال: من هو الخبير الذي تسأل عن الله؟
إنهم أهل العلم الذين يعرفون الله حق المعرفة. الأنبياء أولهم، ثم العلماء الربانيون من بعدهم.
فإذا أردت أن تعرف الله، فاسأل أهل العلم. اقرأ كتابه، وتعلم سنة نبيه، واسأل العلماء العاملين.
تاسعا
تفسير الآية الستين من سورة الفرقان
قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾
مقدمة: السجود للرحمن.. والجهل بالرحمن
هل تصورت يومًا أن يقف إنسان أمام أمر بالسجود لله، فيقول: "ومن هو الرحمن؟" هل تصورت أن يزداد نفورًا كلما دُعي إلى الخير؟ هذه الآية تصور لك مشهدًا من أغرب مشاهد الجهل والاستكبار.
بعد أن ختمت الآية السابقة باسم الله "الرحمن"، وأمرت بسؤال الخبير عن الله، تأتي هذه الآية لتصور كيف كان رد المشركين على هذا الاسم العظيم. كانوا يسمعون اسم "الرحمن" في الجاهلية فيكفرون به. فلما نزل القرآن وذكر هذا الاسم، تعجبوا واستنكروا.
إنها صورة لموقف الإنسان من الحق عندما يكون قلبه مغلقًا. يدعى إلى السجود للرحمن، فيتساءل بجهل: "وما الرحمن؟" وكأنه لم يسمع بهذا الاسم من قبل. ثم يزداد نفورًا، لا إقبالًا.
هذه الآية تخاطبك أنت أيضًا. إنها تهمس في أذنك: كم من مرة دُعيت إلى الله، فازددت نفورًا؟ كم من مرة قيل لك اسجد، فاستكبرت؟ كم من مرة سمعت اسم "الرحمن" فلم يهز قلبك؟ هذه الآية تدعوك إلى مراجعة موقفك من دعوة الله، والتأمل في سبب نفورك.
تعالَ نتأمل هذه الآية، وكأنها تنزل الآن. وكأن الله يصور لك حال من يدعى إلى السجود له فيزداد نفورًا. لعل هذه الصورة تجعلك تتوقف، وتسأل نفسك: ألست أنا أحيانًا كذلك؟
أولًا: السياق – العلاقة بالآية التي قبلها
الربط بالآية التاسعة والخمسين
الآية التاسعة والخمسون قالت: ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾.
جاءت هذه الآية مباشرة لتظهر موقف المشركين من اسم "الرحمن". فبعد أن وصف الله نفسه بـ الرحمن، وأمر بسؤال الخبير عنه، يأتي الآن ليخبرنا كيف استقبل المشركون هذا الاسم. كانوا ينكرونه ، ويستنكرونه، ويتساءلون بجهل: "وما الرحمن؟"
إنها مفارقة عجيبة: الله يعرّف نفسه بالرحمن، والمشركون يسألون: من هو الرحمن؟!
ثانيًا: تحليل الآية – قراءة في عمق النفور
الجملة الأولى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ﴾
اللمسة البلاغية: "وَإِذَا" – للتكرار والاستمرار
"إذا" هنا للدلالة على التكرار والاستمرار. أي: كلما قيل لهم هذا القول، كان ردهم هو النفور.

"قِيلَ لَهُمُ" – القول الموجه إليهم
"قيل لهم" أي: أمرهم المؤمنون أو النبي ﷺ بالسجود. وهذا القول كان يتكرر في دعوتهم.

"اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ" – الأمر بالسجود
السجود هو أعظم أنواع العبادة والخضوع. والمأمور به هو السجود للرحمن، أي: لله صاحب الرحمة الواسعة.

اللمسة البيانية: تقديم "اسجدوا" على المفعول
قدم "اسجدوا" على "للرحمن" للاهتمام بالفعل نفسه. فالسجود لله هو المطلوب الأول.

الدلالة النفسية
هذه الجملة تصور لطف الله بدعوته. إنه يدعوهم إلى السجود للرحمن. أي: يدعوهم إلى الخضوع لمن هو أرحم بهم من أنفسهم. لكنهم لم يستجيبوا.
2
الجملة الثانية: ﴿قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ﴾
اللمسة البلاغية: الاستفهام الإنكاري
"وما الرحمن" استفهام إنكاري توبيخي. أي: أي شيء الرحمن؟ وما هذا الاسم الذي لم نسمع به؟ إنه إنكار لهذا الاسم.

"وَمَا الرَّحْمَنُ" – الجهل بالله
هذا الاستفهام يدل على جهلهم بالله. فاسم "الرحمن" من أسماء الله الحسنى، لكنهم لم يعرفوه. أو

عرفوه وأنكروه.

اللمسة البيانية: تقديم الاستفهام على الجواب
قدم الاستفهام "وما الرحمن" على الجواب "أنسجد" للدلالة على أن جهلهم بالله هو سبب امتناعهم عن السجود.

الدلالة النفسية
هذه الجملة تصور أعلى درجات الجهل والاستكبار. كيف لا يعرفون الرحمن؟ والرحمن هو الذي خلقهم ورزقهم. لكن الجهل قد يصل إلى هذا الحد.
3
الجملة الثالثة: ﴿أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾
اللمسة البلاغية: الاستفهام الإنكاري
"أنسجد" استفهام إنكاري أيضًا. أي: أنسجد لمن تأمرنا؟ إنهم يعترضون على من يدعوهم، لا على ما يدعوهم إليه.

"لِمَا تَأْمُرُنَا" – الاعتراض على الآمر
"لما تأمرنا" أي: لمن تأمرنا بالسجود له؟ إنهم لا يعترضون على ذات الرحمن، بل يعترضون على أمر الداعي لهم.

اللمسة البيانية: التعبير بـ"ما" بدل "من"
استخدم "ما" (غير العاقل) بدل "من" (العاقل) للتحقير. كأنهم يقولون: أنسجد لهذا الشيء الذي تأمرنا به؟

الدلالة النفسية
هذه الجملة تصور الاستكبار على الداعي. ليس عندهم اعتراض على ما يُدعى إليه، بل على من يدعوهم. وهذا من أعجب ما يكون من الاستكبار.
4
الجملة الرابعة: ﴿وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾
اللمسة البلاغية: "زَادَهُمْ" – الزيادة في النفور
"زادهم" أي: زادتهم هذه الدعوة. فالدعوة إلى السجود للرحمن لم تقربهم من الإيمان، بل زادتهم بعدًا.

"نُفُورًا" – النفور والبعد
النفور هو البعد والكراهية. وهو ضد الإقبال. فكلما دُعوا إلى الله، ازدادوا بعده.

اللمسة البيانية: إسناد الزيادة إلى الدعوة
أسند الله الزيادة إلى الدعوة نفسها. أي: أن الدعوة إلى الحق كانت سببًا في زيادة نفورهم. وهذا من استكبارهم.

الدلالة النفسية
هذه الجملة تحمل أعلى درجات التحذير. قد يكون سماع الحق سببًا في زيادة نفور البعض. وهذا دليل على فساد قلوبهم.
ثالثا
الموضوع الأول1: لماذا أنكروا اسم "الرحمن"؟
1. لأنهم لم يعرفوا الله بهذا الاسم
كان المشركون يعرفون الله باسم "الله" و"الرب"، لكن اسم "الرحمن" لم يكن شائعًا عندهم. فلما سمعوه أنكروه.
2. لأنهم ظنوا أن لله شريكًا
كانوا يعتقدون أن لله شركاء، فظنوا أن "الرحمن" إله آخر غير الله. كما قالوا: ﴿وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن﴾.
3. لأنهم استكبروا عن السجود
السبب الحقيقي هو الاستكبار. فلو أرادوا الخير لسألوا عن الاسم، لكنهم استكبروا.
4. لأنهم لم يؤمنوا بالآخرة
الرحمن هو الذي يرحم في الدنيا والآخرة. ومن لا يؤمن بالآخرة، لا يهمه رحمة الرحمن.
الموضوع الثاني2: الجوانب النفسية في الآية

1. النفور من الحق – مرض قلبي
النفور من الحق ليس أمرًا عاديًا، بل هو مرض قلبي. فكلما دُعي الإنسان إلى الخير، ازداد نفوره.
2. الجهل بالله – سبب النفور
جهلهم بالله هو سبب نفورهم. فلو عرفوا الله حق المعرفة، لأحبوه وأقبلوا إليه.
3. الاستكبار على الداعي – ضعف نفسي
الاستكبار على الداعي دليل على ضعف النفس. فالإنسان القوي هو الذي يقبل الحق ولو من صغير.
4. زيادة النفور – حلقة مفرغة
كلما دُعوا إلى الحق، ازدادوا نفورًا. وهذه حلقة مفرغة تزداد سوءًا.
الموضوع الثالث3: الجوانب العقلية في الآية
1. تناقض المشركين
هم يعبدون آلهة لا تعرف، وينكرون اسم الرحمن الذي هو أعظم أسماء الله. هذا تناقض عقلي.
2. الجهل بالله
كيف لا يعرفون الرحمن؟ والرحمن هو الذي خلقهم ورزقهم. هذا جهل عظيم.
3. الاعتراض على الداعي دون المدعو
اعتراضهم على من يدعوهم، لا على ما يدعوهم إليه. هذا غير منطقي.
4. النفور من الدعوة
الدعوة إلى الحق لا ينبغي أن تزيد الإنسان إلا إقبالًا. فزيادة النفور دليل على فساد العقل.
الموضوع الرابع4: الجوانب التربوية في الآية
1. تربية معرفة الله
الآية تربي في النفس معرفة الله بأسمائه الحسنى، وخاصة اسم "الرحمن".
2. تربية الاستجابة لله
تدعو إلى الاستجابة لله عندما يُدعى إلى السجود له.
3. تربية التواضع
تحذر من الاستكبار على الداعي إلى الله.
4. تربية مراجعة النفس
تدعو إلى مراجعة النفس: هل أنا ممن يزدادون نفورًا عند الدعوة إلى الله؟
5. تربية حسن الظن بالله
اسم "الرحمن" يربي في النفس حسن الظن بالله.
الموضوع الخامس5: المفاهيم المركزية في الآية
المفهوم الأول1: دعوة السجود للرحمن
الله يدعو عباده إلى السجود له، وهو الرحمن الذي يرحمهم.
المفهوم الثاني2: إنكار اسم الرحمن
المشركون أنكروا اسم الرحمن، وجهلوا به.
المفهوم الثالث3: الاستكبار على الداعي
لم يعترضوا على المدعو، بل على من دعاهم.
المفهوم الرابع4: زيادة النفور
الدعوة إلى الحق زادتهم نفورًا، لا إقبالًا.
الموضوع السادس6: القيم المستنبطة من الآية
1. قيمة معرفة الله: بأسمائه الحسنى.
2. قيمة الاستجابة لله: عند دعوته.
3. قيمة التواضع: وعدم الاستكبار على الدعاة.
4. قيمة مراجعة النفس: لئلا تكون من النافرين.
5. قيمة الإقبال على الحق: بدل النفور منه.
6. قيمة السجود لله: أعظم مظاهر العبودية.
7. قيمة الرجاء: في رحمة الرحمن.
الموضوع السابع7: الأبعاد المختلفة للآية
1. البعد العقدي
تثبت الآية أن اسم "الرحمن" من أسماء الله الحسنى، وأن إنكاره كفر.
2. البعد النفسي
تكشف الآية عن مرض النفور من الحق، وأسبابه ونتائجه.
3. البعد العقلي
تدعو إلى التفكر في تناقض المشركين، وفي جهلهم بالله.
4. البعد التربوي
تربي في النفس معرفة الله والاستجابة له والتواضع.

5. البعد الدعوي
تعلم الداعية أن بعض الناس يزدادون نفورًا بالدعوة، فلا يحزن.
الموضوع الثامن8: الآفاق التي تحملها الآية
1. الأفق النفسي
تفتح أمامك أفقًا نفسيًا: كيف تتعامل مع النفور من الحق؟ وكيف تعالجه في نفسك؟
2. الأفق الإيماني
تفتح أمامك أفقًا إيمانيًا: معرفة اسم "الرحمن" والتدبر فيه.
3. الأفق التربوي
تفتح أمامك أفقًا تربويًا: كيف تربي نفسك على الاستجابة لله، وكيف تربي غيرك على عدم النفور.
4. الأفق الدعوي
تفتح أمامك أفقًا دعويًا: كيف تتعامل مع من يزداد نفورًا بالدعوة.
الموضوع التاسع9: التوجيهات والرسائل العملية من الآية
الرسالة الأولى: تعرف على الله بأسمائه الحسنى
لا تكن كالمشركين الذين قالوا: "وما الرحمن؟". تعرف على الله بأسمائه الحسنى. تعرف على الرحمن الذي وسعت رحمته كل شيء. تعرف على الرحمن الذي يرحمك في الدنيا والآخرة.

الرسالة الثانية: استجب لله عندما يدعوك
إذا قيل لك: اسجد لله، فأسرع إلى السجود. لا تتردد، لا تتكاسل، لا تستكبر. السجود لله هو شرف العبودية.

الرسالة الثالثة: لا تستكبر على الداعي إلى الله
قد يأتيك الداعي إلى الله في صورة لا تعجبك. لكن لا تستكبر عليه. انظر إلى ما يدعو إليه، لا إلى من يدعو.

الرسالة الرابعة: راجع نفسك: هل تزداد نفورًا أم إقبالًا؟
اسأل نفسك: عندما تسمع الحق، هل تزداد إقبالًا أم نفورًا؟ عندما تُدعى إلى الله، هل تقترب أم تبتعد؟ هذه المراجعة ضرورية.

الرسالة الخامسة: لا تكن سببًا في نفور الآخرين
قد تكون أنت الداعي إلى الله. احذر أن يكون دعاؤك سببًا في نفور الناس. كن حكيمًا، رفيقًا، لطيفًا. اجعل دعوتك تجذب، لا تنفر.

الرسالة السادسة: اعلم أن النفور من الحق مرض قلبي
النفور من الحق ليس مجرد رأي، بل هو مرض في القلب. فإذا وجدت في نفسك نفورًا من الحق، فاعلم أن قلبك مريض. فاستغفر الله، وتب إليه.

الرسالة السابعة: السجود للرحمن هو مفتاح السعادة
السجود للرحمن هو مفتاح السعادة في الدنيا والآخرة. فإذا أردت السعادة، فأكثر من السجود للرحمن.
الموضوع العاشر10: ما تدعو إليه الآية
1. تدعو إلى معرفة الله
تدعوك الآية إلى معرفة الله بأسمائه الحسنى، وخاصة اسم "الرحمن".
2. تدعو إلى السجود لله
تدعوك إلى السجود لله، وهو أعظم مظاهر العبودية.
3. تدعو إلى الاستجابة لله
تدعوك إلى الاستجابة لله عندما يدعوك إلى نفسه.
4. تدعو إلى التواضع
تدعوك إلى التواضع، وعدم الاستكبار على الدعاة إلى الله.
5. تدعو إلى مراجعة النفس
تدعوك إلى مراجعة نفسك: هل أنت من المقبلين أم من النافرين؟
6. تدعو إلى العلاج من مرض النفور
إذا كنت من النافرين، فتدعوك إلى علاج هذا المرض بالتوبة والاستغفار.
الموضوع الحادي عشر11: ما نتعلمه من الآية
1. نتعلم أن بعض الناس يزدادون نفورًا بالدعوة
نتعلم أن الدعوة إلى الله قد تزيد بعض الناس نفورًا. فلا نحزن.

2. نتعلم أن الجهل بالله سبب النفور
نتعلم أن معرفة الله هي مفتاح الإقبال إليه.
3. نتعلم أن الاستكبار على الداعي خطأ
نتعلم أن الاستكبار على الداعي إلى الله هو خطأ كبير.
4. نتعلم أن السجود لله هو شرف
نتعلم أن السجود لله ليس إهانة، بل هو شرف العبودية.
5. نتعلم أن اسم "الرحمن" عظيم
نتعلم أن اسم "الرحمن" من أعظم أسماء الله، وعلينا أن نتدبره.
6. نتعلم أن نراجع موقفنا من الحق
نتعلم أن نراجع أنفسنا: هل نحن من المقبلين على الحق أم من النافرين؟
الموضوع الثاني عشر:12 دور مفاهيم الآية في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة
1. في بناء الإنسان المتزن
نفسيًا
تمنح الآية الإنسان الوعي بمرض النفور من خلال:
· إدراك أن النفور من الحق مرض قلبي.
· معرفة أن الجهل بالله سبب النفور.
· التعرف على اسم "الرحمن" ليزيد الإقبال.
عقليًا
تزرع الآية في العقل:
· فهم أسباب النفور: الجهل والاستكبار.
· فهم أن الدعوة قد تزيد البعض نفورًا.
· أهمية معرفة الله بأسمائه.
تربويًا
تعلم الآية الإنسان:
· معرفة الله: بأسمائه الحسنى.
· الاستجابة لله: عند دعوته.
· التواضع: وعدم الاستكبار.
· مراجعة النفس: لئلا يكون من النافرين.
2. في بناء المجتمع المسلم
المجتمع الذي يتدبر هذه الآية هو مجتمع:
· يعرف الله بأسمائه: فيزداد إقبالًا.
· يستجيب لله: عند دعوته.
· متواضع: لا يستكبر على الدعاة.
· يراجع نفسه: لئلا يكون من النافرين.
3. في بناء الحضارة الإسلامية
الحضارة الإسلامية قامت على معرفة الله والاستجابة له. المسلمون عرفوا الله بأسمائه الحسنى، فكانت حضارة قائمة على الإيمان.
هذه الآية تحمي الحضارة من:
· الجهل بالله: فتذكره بأسمائه.
· الاستكبار: فتدعوه إلى التواضع.
· النفور من الحق: فتدعوه إلى الإقبال.
4. في البناء والتنمية
في مجال التنمية، هذه الآية تعطيك:
· أهمية المعرفة: التنمية تبدأ بمعرفة الحق.
· أهمية الاستجابة: لا تنمية بلا استجابة للتحديات.
· أهمية التواضع: التنمية تحتاج إلى تواضع القادة.
الخاتمة: كيف تعيش هذه الآية؟
· كل يوم، عندما تسمع اسم "الرحمن"، تذكر أنه الرحمن الذي يرحمك. فأقبل عليه.
· كل دعوة تسمعها إلى الله، لا تزداد نفورًا. بل ازدد إقبالًا.
· كل شعور بالاستكبار، تذكر أن السجود لله هو شرف.
· كل جهل، اسأل عن الله خبيرًا. لا تكن ممن يقول: وما الرحمن؟
· كل غفلة، تذكر أن النفور من الحق مرض. فاستغفر الله.
هذه الآية هي تذكير لك بأن لا تكون من الذين يزدادون نفورًا عند دعوتهم إلى الله. بل كن من الذين يزدادون إقبالًا. تعرف على الرحمن، واستجب لدعوته، واسجد له، تكن من الفائزين.

وقفة أخيرة: هل أنت من النافرين أم من المقبلين؟
الآية تضعك أمام سؤال: عندما تُدعى إلى الله، هل تزداد إقبالًا أم نفورًا؟
إذا كنت من المقبلين، فاحمد الله، وثبت على ذلك.
وإذا كنت من النافرين، فتب إلى الله، واستغفره، وعالج قلبك.
تذكر: الرحمن يدعوك إلى السجود له. فأقبل، ولا تنفر.

عاشرا

تفسير الآيتين الحادية والستين والثانية والستين من سورة الفرقان
قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا * وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾.
مقدمة: بروج في السماء وسراج وقمر.. وليل ونهار يتعاقبان
هل رفعت رأسك إلى السماء ليلا ً، ورأيت النجوم تتلألأ في بروجها، ورأيت الشمس تشرق في النهار والقمر ينير الليل؟ هل تساءلت: لماذا خلق الله هذه البروج؟ لماذا جعل الشمس سراجًا والقمر منيرًا؟ ولماذا جعل الليل والنهار يتعاقبان؟
هاتان الآيتان تأخذانك في رحلة إلى السماء. الأولى: تبارك الذي جعل في السماء بروجًا، وجعل فيها سراجًا وقمرًا منيرًا. الثانية: وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة، لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورًا.
هاتان الآيتان تخاطبانك أنت أيضًا. إنهما تهمسان في أذنك: انظر إلى السماء، إلى البروج، إلى الشمس والقمر. انظر إلى الليل والنهار، كيف يتعاقبان. كل هذا خلقه الله لك. فيه آيات لمن يتذكر، وفيه نعم لمن يشكر. فهل أنت من المتذكرين الشاكرين؟
تعالَ نتأمل هاتين الآيتين، وكأنهما تنزلان الآن. وكأن الله يريك بروج السماء، ويقول: هذا خلقي. ويريك الشمس والقمر، ويقول: هذان آياتي. ويريك الليل والنهار، ويقول: هذا تقديري. فانظر وتأمل وتذكر واشكر.

اولا: السياق – العلاقة بالآية التي قبلها
الربط بالآية الستين
الآية الستون قالت: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾.
جاءت هاتان الآيتان لتكونا الرد العملي على إنكارهم للرحمن. فبعد أن أنكروا اسم الرحمن، وجهلوا به، يأتي الله ليذكرهم بآياته في الكون التي تدل على رحمته وقدرته. البروج في السماء، والشمس سراجًا، والقمر منيرًا، والليل والنهار يتعاقبان. كل هذه آيات على الرحمن الذي خلقها وسخرها لكم.
إنها دعوة للنظر والتفكر. بدل أن تنكروا الرحمن، انظروا إلى آياته في الكون. بدل أن تسألوا "وما الرحمن"، انظروا إلى الشمس والقمر والليل والنهار، تعرفوا من هو الرحمن.

ثانيا تحليل الآيتين – قراءة في عمق المشهد الكوني
الآية الحادية والستون
الجملة الأولى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾.
اللمسة البلاغية: "تَبَارَكَ" – العودة إلى بداية السورة
افتتحت السورة بـ"تبارك"، وهنا تعود الآية لتفتتح بـ"تبارك". وكأن السورة تدور حول هذا المحور: تبارك الله الذي أنزل الفرقان، تبارك الله الذي جعل في السماء بروجًا. إنه تذكير بأن البركة والخير كله من الله.

"جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا" – البروج منازل الكواكب
البروج هي منازل الكواكب والنجوم. وهي اثنا عشر برجًا يسير فيها القمر والكواكب. وقد جعلها الله علامات وهداية للناس في سفرهم وزرعهم.

اللمسة البيانية: تقديم "تبارك" للتهليل
قدم "تبارك" على الخبر للاهتمام بهذه الصفة العظيمة. فتبارك الله هو الذي خلق هذه البروج.

الدلالة النفسية
هذه الجملة تملأ القلب إجلالا ً وتعظيمًا. السماء التي تراها كل يوم، فيها بروج منظمة، وكواكب ثابتة. هذا يدل على قدرة الخالق وحكمته.
/2
الجملة الثانية: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾.
اللمسة البلاغية: "سِرَاجًا" – الشمس
وصف الشمس بالسراج، وهو المصباح المضيء. فهي تضيء الكون كله، كما يضيء المصباح البيت.

"وَقَمَرًا مُنِيرًا" – القمر المنير
القمر منير، أي: يعطي نورًا. لكنه نور مستمد من الشمس. فهو منير وليس سراجًا. وهذا من دقة الوصف القرآني.

اللمسة البيانية: التمييز بين السراج والمنير
فرق القرآن بين الشمس والقمر: الشمس سراج (مصدر ضوء)، والقمر منير (مستمد للضوء). وهذا إعجاز علمي لم يكن معروفًا في زمن نزول القرآن.

الدلالة النفسية
هذه الجملة تذكر الإنسان بنعمة الضوء. الشمس تضيء النهار، والقمر يضيء الليل. فاشكر الله على هاتين النعمتين.
المبحث الثاني
الآية الثانية والستون
الجملة الأولى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً﴾
اللمسة البلاغية: "خِلْفَةً" – التعاقب والتبادل
"خلفة" أي: يخلف أحدهما الآخر .فالليل يخلف النهار، والنهار يخلف الليل .يتعاقبان باستمرار.

"جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ" – نعمة التعاقب
الليل والنهار نعمة عظيمة. فلو كان الليل دائمًا لتعبت الأبصار، ولو كان النهار دائمًا لملت النفوس.

اللمسة البيانية: وصف الليل والنهار بالخلفة
هذا الوصف يدل على النظام والإتقان. فالليل والنهار لا يتقدمان ولا يتأخران، بل يتعاقبان بدقة متناهية.

الدلالة النفسية
هذه الجملة تمنح النفس الطمأنينة. الليل والنهار يتعاقبان باستمرار. هذا يعلمك أن الحياة لها نظام، وأن كل شيء له وقت.
/2
الجملة الثانية: ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ﴾
اللمسة البلاغية: "لِمَنْ" – اللام للاختصاص
اللام للاختصاص. أي: جعل الله الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يتذكر. أي: لمن أراد أن يعتبر ويتعظ.

"يَذَّكَّرَ" – التذكر والاعتبار
التذكر هو استحضار ما في الذاكرة من آيات الله. والمراد: أن يتذكر نعم الله وآياته.

اللمسة البيانية: تقديم التذكر على الشكر
قدم التذكر على الشكر لأن التذكر هو الطريق إلى الشكر. فمن تذكر نعم الله، شكره.

الدلالة النفسية
هذه الجملة تحدد غاية الليل والنهار. ليس مجرد تعاقب، بل لتتذكر. فانظر إلى الليل والنهار، وتذكر قدرة الله.
3
الجملة الثالثة: ﴿أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾
اللمسة البلاغية: "أَوْ" للتنويع
"أو" للتنويع، وليست للتخيير .فمن أراد التذكر، ومن أراد الشكر .والكل يجد في الليل والنهار ما يعينه.

"شُكُورًا" – الشكر الكثير
"شكورًا" صيغة مبالغة من الشكر، تدل على كثرة الشكر .فالليل والنهار نعمة تستحق الشكر الكثير.

اللمسة البيانية: ختم الآية بالشكر
ختمت الآية بالشكر، لأن الشكر هو الغاية من خلق هذه النعم. فمن تذكر، شكر. ومن شكر، زاده الله.

الدلالة النفسية
هذه الجملة تملأ القلب شكرًا لله. كل ليلة وكل نهار هو نعمة. فاشكر الله عليها.
ثالثا
الموضوع الأول1: الإعجاز العلمي في الآيتين
.1البروج
البروج هي منازل الكواكب والنجوم. وهي اثنا عشر برجًا. وقد اكتشف علم الفلك الحديث هذه البروج وتأثيرها في حركة الكواكب.

.2الشمس سراجًا
وصف الشمس بالسراج (المصباح) وصف دقيق. فالشمس تشع ضوءًا من ذاتها، كما يشع المصباح.
.3القمر منيرًا
وصف القمر بأنه منير وليس سراجًا، لأنه يستمد ضوءه من الشمس. وهذا ما اكتشفه العلم الحديث.
.4الليل والنهار خلفة
تعاقب الليل والنهار بنظام دقيق. وهذا ناتج عن دوران الأرض حول نفسها. وهو من دلائل قدرة الله.
الموضوع الثانى2: الجوانب النفسية في الآيتين
.1البروج – الشعور بالنظام
النظام الدقيق للبروج والنجوم يمنح النفس شعورًا بالطمأنينة. فالكون ليس فوضويًا.
.2الشمس والقمر – الشعور بالنعمة
الشمس تضيء النهار، والقمر يضيء الليل. هذا يذكر الإنسان بنعمة الضوء التي لا يعرف قدرها إلا من فقدها.
.3الليل والنهار – الشعور بالتوازن
تعاقب الليل والنهار يعلم الإنسان التوازن في حياته. فالليل للراحة، والنهار للعمل.
.4لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورًا – تحديد الهدف
الآية تذكر الإنسان بأن كل هذه النعم خُلقت له: ليتذكر ويشكر. هذا يوجه حياته نحو الهدف.
الموضوع الثالث3 الجوانب العقلية في الآيتين
.1التفكر في نظام الكون
البروج والشمس والقمر والليل والنهار كلها نظام دقيق. هذا يدعو العقل إلى التفكر في قدرة الخالق.
.2الاستدلال على قدرة الله
هذا النظام البديع دليل على أن له مدبرًا حكيمًا قادرًا.
.3فهم غاية الخلق
الآية تقدم غاية عقلانية لخلق هذه النعم: التذكر والشكر. فالعاقل هو من يتذكر ويشكر.
.4إدراك الحكمة في اختلاف الليل والنهار
ليس الليل والنهار عبثًا، بل فيهما حكمة بالغة. هذا يعلم العقل أن لكل شيء في الحياة حكمة.
الموضوع الرابع4: الجوانب التربوية في الآيتين
.1تربية التفكر
الآيات تربي في النفس التفكر في خلق الله.
.2تربية الشكر
تدعو إلى شكر الله على نعمة الشمس والقمر والليل والنهار.
.3تربية التذكر
تدعو إلى التذكر والاعتبار بآيات الله.
.4تربية التوازن
تعاقب الليل والنهار يربي في النفس التوازن بين العمل والراحة.
.5تربية الهدف
تذكر الإنسان بأن الحياة لها هدف: التذكر والشكر.
الموضوع الخامس5: المفاهيم المركزية في الآيتين
المفهوم الأول1: تبارك
الله هو المبارك، صاحب الخير كله.
المفهوم الثاني2: البروج
البروج في السماء من آيات الله.
المفهوم الثالث3: السراج والمنير
الشمس سراج والقمر منير، كلاهما آية.
المفهوم الرابع 4: الليل والنهار خلفة
تعاقب الليل والنهار بنظام دقيق.
المفهوم الخامس5: لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورًا
غاية هذه النعم: التذكر والشكر.
الموضوع السادس6: القيم المستنبطة من الآيتين
.1قيمة التفكر: في آيات الله الكونية.
.2قيمة الشكر: على نعمة الشمس والقمر.
.3قيمة التذكر: والاعتبار بآيات الله.
.4قيمة التوازن: بين الليل والنهار.
.5قيمة النظام: الكون له نظام، فحياتنا تحتاج إلى نظام.
.6قيمة الهدف: الحياة لها غاية: التذكر والشكر.
.7قيمة الإيمان: بقدرة الله وحكمته.

الموضوع السابع7: الأبعاد المختلفة للآيتين
.1البعد العلمي) الإعجاز(
الآيتان تحتويان على إشارات علمية دقيقة: البروج، والشمس سراجًا، والقمر منيرًا، وتعاقب الليل و النهار.
.2البعد النفسي
تمنح الآيتان الطمأنينة والشكر والتوازن.
.3البعد العقلي
تدعوان إلى التفكر في نظام الكون والاستدلال على قدرة الله.
.4البعد التربوي
تربيان التفكر والشكر والتذكر والتوازن.
.5البعد الإيماني
تزيدان الإيمان بقدرة الله وحكمته.
.6البعد الحضاري
تدعوان إلى النظر إلى الكون بعين العلم والإيمان.
الموضوع الثامن 8: الآفاق التي تحملها الآيتان
.1الأفق الكوني
تفتح الآيتان أمامك أفقًا كونيًا: السماء ببروجها، الشمس والقمر، والليل والنهار.
.2الأفق العلمي
تفتحان أمامك أفقًا علميًا: البحث في نظام الكون، وفهم آيات الله.
.3الأفق النفسي
تفتحان أمامك أفقًا نفسيًا: الطمأنينة والتوازن والشكر.
.4الأفق الإيماني
تفتحان أمامك أفقًا إيمانيًا: الإيمان بقدرة الله، والشكر له.
.5الأفق الحضاري
تفتحان أمامك أفقًا حضاريًا: بناء حضارة تقوم على التفكر والشكر.
الموضوع التاسع:9 التوجيهات والرسائل العملية من الآيتين
الرسالة الأولى: انظر إلى السماء
كل ليلة، انظر إلى السماء. تأمل في البروج، في النجوم، في القمر. تذكر أن الله جعلها آيات لك.

الرسالة الثانية: اشكر على الشمس والقمر
الشمس التي تضيء نهارك، والقمر الذي يضيء ليلك. اشكر الله عليهما. لا تأخذهما كأمر مسلم به.

الرسالة الثالثة: استغل الليل والنهار
الليل والنهار خلفة. استغل الليل للراحة والعبادة، واستغل النهار للعمل والسعي. لا تعكس النظام.

الرسالة الرابعة: اجعل هدفك التذكر والشكر
كل هذه النعم خلقت لك لهدف: أن تتذكر وتشكر. فاجعل التذكر والشكر هما هدفك في الحياة.

الرسالة الخامسة: تعلم من نظام الكون
الكون منظم بدقة. فليكن حياتك منظمة. لا فوضى، لا عشوائية.

الرسالة السادسة: لا تغفل عن آيات الله
قد تمر على هذه الآيات يوميًا ولا تتأملها. لا تكن من الغافلين. تذكر، واشكر.
الموضوع العاشر10: ما تدعو إليه الآيتان
.1تدعوان إلى التفكر
تدعوان إلى التفكر في آيات الله الكونية: البروج، والشمس، والقمر، والليل، والنهار.
.2تدعوان إلى التذكر
تدعوان إلى التذكر والاعتبار بآيات الله.
.3تدعوان إلى الشكر
تدعوان إلى شكر الله على هذه النعم العظيمة.
.4تدعوان إلى التوازن
تدعوان إلى التوازن بين الليل والنهار، وبين العمل والراحة.
.5تدعوان إلى النظام
تدعوان إلى النظام في الحياة، اقتداءً بنظام الكون.
.6تدعوان إلى الإيمان

تدعوان إلى الإيمان بالله الذي خلق هذه الآيات.
الموضوع الحادي عشر:11 ما نتعلمه من الآيتين
.1نتعلم أن الكون آية
نتعلم أن السماء ببروجها، والشمس والقمر، والليل والنهار، كلها آيات من آيات الله.
.2نتعلم أن الله قادر
نتعلم أن الله قادر على خلق هذا النظام البديع.
.3نتعلم أن الحياة لها هدف
نتعلم أن الحياة ليست عبثًا، بل لها هدف: التذكر والشكر.
.4نتعلم التوازن
نتعلم التوازن بين الليل والنهار، بين العمل والراحة.
.5نتعلم الشكر
نتعلم أن الشكر هو الغاية من خلق هذه النعم.
.6نتعلم التفكر
نتعلم أن التفكر في خلق الله هو عبادة.
الموضوع الثاني عشر12: دور مفاهيم الآيتين في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة
.1في بناء الإنسان المتزن
نفسيًا
تمنح الآيتان الإنسان الطمأنينة والتوازن من خلال:
· رؤية نظام الكون فيطمئن.
· تعاقب الليل والنهار فيتوازن.
· التذكر والشكر فيشعر بالهدف.
عقليًا
تزرع الآيتان في العقل:
· التفكر في نظام الكون: والاستدلال على قدرة الله.
· فهم غاية الخلق: التذكر والشكر.
· أهمية التوازن: في الحياة.
تربويًا
تعلمان الإنسان:
· التفكر: في آيات الله.
· الشكر: على النعم.
· التوازن: في الحياة.
· النظام: في العمل.
.2في بناء المجتمع المسلم
المجتمع الذي يتدبر هاتين الآيتين هو مجتمع:
· يتفكر في الكون: فيتقدم علميًا.
· يشكر الله: على نعمه.
· يتوازن: بين العمل والراحة.
· منظم: كتنظيم الكون.
.3في بناء الحضارة الإسلامية
الحضارة الإسلامية قامت على التفكر في الكون والشكر لله. المسلمون نظروا إلى السماء وتفكروا فيها، فتقدموا في علم الفلك.
هاتان الآيتان تحميان الحضارة من:
· الغفلة: فتذكرها بآيات الله.
· الكفران: فتدعوها إلى الشكر.
· الفوضى: فتذكرها بالنظام.
.4في البناء والتنمية
في مجال التنمية، هاتان الآيتان تعطيانك:
· أهمية التفكر: التنمية تبدأ بالتفكر.
· أهمية النظام: كما أن الكون منظم.
· أهمية التوازن: بين العمل والراحة.
· أهمية الشكر: فالشكر يزيد النعم.
الخاتمة: كيف تعيش هاتين الآيتين؟
· كل ليلة، انظر إلى السماء .تأمل في البروج، في القمر .تذكر أن الله جعلها آيات لك.
· كل نهار، انظر إلى الشمس .تذكر أنها سراج منير .اشكر الله عليها.
· كل صباح، عندما تشرق الشمس، تذكر أن النهار خلفة للعمل .فاجتهد.

· كل مساء، عندما يظلم الليل، تذكر أن الليل خلفة للراحة والعبادة .فاسترح وتعبّد.
· كل غفلة، تذكر أن هذه الآيات خلقت لك لتتذكر وتشكر .فتذكر واشكر.
هاتان الآيتان هما تذكير لك بآيات الله في الكون. البروج في السماء، والشمس سراجًا، والقمر منيرًا، و الليل والنهار يتعاقبان. كلها آيات لمن أراد أن يتذكر أو أراد شكورًا. فاجعل لنفسك نصيبًا من التذكر و الشكر.
وقفة أخيرة: هل أنت من المتذكرين الشاكرين؟
الآيتان تضعانك أمام سؤال: هل أنت ممن أراد أن يذكر أو أراد شكورًا؟
كل ليلة وكل نهار، كل شمس وكل قمر، كل برج في السماء، هو دعوة لك للتذكر والشكر.
فهل تتذكر؟ هل تشكر؟(

المقطع الرابع

ابتدات ايات هذا المقطع بقوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾
تفسير الآية الثالثة والستين من سورة الفرقان
مقدمة: من هم عباد الرحمن؟
بعد أن أغلقت الآية السابقة الحديث عن آيات الله الكونية) البروج، الشمس، القمر، الليل والنهار(، وختمتها بالتذكير بأنها لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورًا، تأتي هذه الآية – وهي بداية سلسلة طويلة من صفات عباد الرحمن – لتجيب عن سؤال: من هم الذين يذكرون ويشكرون؟ من هم الذين انتفعوا بتلك الآيات؟
إنها صورة حية لأولئك الذين عرفوا الله باسمه "الرحمن" فآمنوا به، وعبدوه، واستجابوا لدعوته .إنهم عباد الرحمن .وهم ليسوا ملائكة، ولا أنبياء فقط، بل هم نماذج بشرية عاشت في الأرض، فكانت لهم صفات مميزة.
***الآية تبدأ بوصفهم بوصفين عظيمين:
· الأول: مشيهم على الأرض هونًا: أي سكينة ووقار وتواضع، ليس فيه تكبر ولا مرح.
· الثاني: إذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلامًا: أي يردون على الجهل بالسلام، لا بالمقابلة بالجهل.
هذه الآية تخاطبك أنت أيضًا .إنها تهمس في أذنك: هل تريد أن تكون من عباد الرحمن؟ هذا هو الطريق: التواضع في مشيك، والحلم في مواجهة الجاهلين.
تعالَ نتأمل هذه الآية، وكأنها تنزل الآن .وكأن الله يصف لنا أولئك الذين اختارهم ليكونوا عباده حقًا . لعلنا نجد أنفسنا في هذا الوصف، أو لعلنا نسعى لنكون منهم.
اولا السياق – العلاقة بالآية التي قبلها
الربط بالآيتين الحادية والستين والثانية والستين
الآيتان السابقتان ذكرتا آيات الله الكونية: البروج، الشمس سراجًا، القمر منيرًا، الليل والنهار خلفة . وختمتا بالغاية: لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورًا.
جاءت هذه الآية لتبين ثمرة التذكر والشكر .فمن تذكر آيات الله وشكر على نعمه، كان من عباد الرحمن .ومن لم يتذكر ولم يشكر، كان من المشركين الذين قالوا: "وما الرحمن".
إنها انتقال من الحديث عن النعم إلى الحديث عن الشاكرين .وكأن الله يقول: هؤلاء هم الذين عرفوا الرحمن، فكانوا عباده حقًا.
ثانيًا: تحليل الآية – قراءة في عمق الصفات
الجملة الأولى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ﴾
اللمسة البلاغية: "عِبَادُ" – إضافة إلى "الرَّحْمَٰنِ"
"عباد" جمع عبد، وهو المملوك لله الخاضع له .وإضافتهم إلى "الرحمن" فيها تشريف لهم .فهم ليسوا عبيدًا لأي أحد، بل هم عباد الرحمن، وهو أكرم من يعبد.

"الرَّحْمَٰنِ" – اسم الله الأعظم
تكرر اسم "الرحمن" في هذه السورة عدة مرات .وفي هذه الآية يضاف إليه "عباد" .فهم الذين آمنوا بـ الرحمن وعبدوه .وهم في مقابل الذين قالوا "وما الرحمن".

الدلالة النفسية
هذه البداية تملأ القلب شعورًا بالانتماء .أن تكون من عباد الرحمن، هذا شرف عظيم .فمن يوفق لهذا؟ /2
الجملة الثانية: ﴿الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾
اللمسة البلاغية: "يَمْشُونَ" – المشي في الحياة
المشي هنا كناية عن التصرف في الحياة .فالمشي على الأرض يشمل كل حركات الإنسان وسلوكياته.

"هَوْنًا" – ماذا يعني الهون؟
الهون: السكينة والوقار والتواضع .وهو ضد الخيلاء والتكبر .فعباد الرحمن يمشون بتواضع، لا يتكبرون، ولا يختالون، ولا يظلمون.

اللمسة البيانية: وصف المشي بالهون
الوصف بالهون يدل على أن تواضعهم ليس في المشي فقط، بل في كل تصرفاتهم .فالمشي الهين دليل على النفس المتواضعة.

الدلالة النفسية
هذه الجملة تربي في النفس التواضع .فالمشي بتكبر واختيال من صفات المتكبرين .أما عباد الرحمن،

فيمشون بسكينة ووقار.
3
الجملة الثالثة: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾
اللمسة البلاغية: "خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ" – مواجهة الجهل
"خاطبهم الجاهلون" أي: تكلموا معهم بجهل وسوء أدب .والجاهل هنا هو المتعالي السفيه.
"قَالُوا سَلَامًا" – رد الجهل بالسلام
"قالوا سلامًا" أي: ردوا عليهم قولًا يسلمون فيه من الإثم .والسلام: هو التحية، أو كلمة السلامة .و المعنى: يردون عليهم ردًا يسلمون فيه من الإساءة.

اللمسة البيانية: تقديم "قالوا سلامًا" على تفصيل الرد
لم يذكر تفصيل الرد، بل قال "سلامًا" .وهذا يدل على أنهم لا يخوضون في الجدال مع الجاهلين، بل يمرون كرامًا.

الدلالة النفسية
هذه الجملة تربي في النفس الحلم والأناة .فمواجهة الجاهل بالجهل يزيد الشر .أما رد الجهل بالسلام، فهو أخلاق عباد الرحمن.
ثالثا
الموضوع الأول1: صفات عباد الرحمن في هذه الآية
الصفة الأولى: التواضع في المشي والسلوك
عباد الرحمن لا يتكبرون، ولا يختالون في مشيهم .يمشون بسكينة ووقار، لا يزعجون الناس، ولا يظلمونهم.
الصفة الثانية: الحلم في مواجهة الجاهلين
عندما يواجهون الجهلاء والسفهاء، لا يقابلونهم بالجهل، بل يردون بالسلام .يتركون الجدال، ويمرون كرامًا.
هاتان الصفتان هما الأساس
التواضع والحلم هما أساس أخلاق عباد الرحمن .ومن خلالهما تظهر باقي الصفات المذكورة في الآيات التالية.
الموضوع الثاني2: الجوانب النفسية في الآية
.1التواضع – صحة نفسية
التواضع علامة على صحة النفس .فالمتكبر مريض نفسيًا، يشعر بحاجة إلى تعويض نقصه بالتكبر .أما المتواضع، فهو واثق من نفسه، لا يحتاج إلى التصنع.
.2الحلم – قوة نفسية
الحلم ليس ضعفًا، بل هو قوة .فمن يملك نفسه عند الغضب، هو القوي .ومن يرد الجهل بالسلام، هو المنتصر.
.3الانتماء إلى عباد الرحمن – شعور بالعزة
أن تكون من عباد الرحمن يمنح النفس عزة وشرفًا .فلا تشعر بالذل أمام الجاهلين.
.4الهون – طمأنينة
المشي بهون يعطي شعورًا بالطمأنينة .فمن يمشي بتواضع، لا يقلق من سقوط هيبته، لأنه لا يطلب هيبة زائفة.
الموضوع الثالث3: الجوانب العقلية في الآية
.1التواضع: علامة العقل
التواضع دليل على عقل الإنسان .فالمتكبر جاهل بقدر نفسه، وبقدر الله .أما المتواضع، فله عقل يدرك حقيقة الإنسان.
.2الحلم: أسلوب العقلاء
رد الجهل بالجهل يزيد المشكلة .أما رد الجهل بالسلام، فهو أسلوب العقلاء، لأنه ينهي النزاع، ويحفظ المودة.
.3اختيار الأسلوب الأمثل
عباد الرحمن يختارون الأسلوب الأمثل في التعامل: التواضع مع الناس، والحلم مع الجاهلين .هذا هو العقل العملي.
.4فهم حقيقة الإنسان
من عرف أن الإنسان مخلوق ضعيف، تواضع .ومن عرف أن الجهلاء لا يستحقون الرد بجهلهم، حلم.
الموضوع الرابع4: الجوانب التربوية في الآية
.1تربية التواضع
الآية تربي في النفس التواضع في المشي والسلوك .فلا مشية خيلاء، ولا تكبر.
2تربية الحلم

تربي في النفس الحلم وعدم مقابلة الجهل بالجهل .رد الجاهل بالسلام.
3تربية ضبط النفس
تعلم الإنسان أن يضبط نفسه عند الغضب، ولا ينجر وراء الجاهلين.
.4تربية القدوة
عباد الرحمن هم القدوة في التواضع والحلم .فنسعى لأن نكون منهم.
.5تربية الانتماء
تربي في النفس الانتماء إلى عباد الرحمن، والشعور بالفخر بهذا الانتماء.
الموضوع الخامس5: المفاهيم المركزية في الآية
المفهوم الأول1: عباد الرحمن
هم الذين آمنوا باللّٰه وأطاعوه، واتصفوا بأخلاقه.
المفهوم الثاني2: المشي هونًا
التواضع في السلوك، وعدم التكبر.
المفهوم الثالث3: رد الجاهلين بالسلام
الحلم وعدم مقابلة الجهل بالجهل.
المفهوم الرابع4: الأخلاق الإسلامية
هذه الآية تضع أساس الأخلاق الإسلامية: التواضع والحلم.
الموضوع السادس6: القيم المستنبطة من الآية
.1قيمة التواضع: في المشي والسلوك.
.2قيمة الحلم: في مواجهة الجهل.
.3قيمة ضبط النفس: عند الغضب.
.4قيمة السلام: كرد على الإساءة.
.5قيمة الانتماء: إلى عباد الرحمن.
.6قيمة الكرامة: فلا نرد الإساءة بمثلها.
.7قيمة القدوة: نتأسى بصفات عباد الرحمن.
الموضوع السابع7: الأبعاد المختلفة للآية
.1البعد الأخلاقي
الآية تضع أسس الأخلاق الإسلامية: التواضع والحلم.
.2البعد النفسي
تربي في النفس الطمأنينة والقوة من خلال التواضع والحلم.
.3البعد الاجتماعي
تقدم نموذجًا للتعامل مع الجاهلين، مما يحافظ على المجتمع.
.4البعد التربوي
تربي الأجيال على التواضع والحلم.
.5البعد الإيماني
تربط الأخلاق بالإيمان بالرحمن .فالأخلاق ثمرة الإيمان.
.6البعد الحضاري
هذه الصفات هي أساس بناء حضارة قائمة على التواضع والحلم.
الموضوع الثامن8: الآفاق التي تحملها الآية
.1الأفق الأخلاقي
تفتح أمامك أفقًا أخلاقيًا: كيف تكون متواضعًا؟ كيف تكون حليمًا؟
.2الأفق النفسي
تفتح أمامك أفقًا نفسيًا: التواضع يمنحك الطمأنينة، والحلم يمنحك القوة.
.3الأفق الاجتماعي
تفتح أمامك أفقًا اجتماعيًا: كيف تتعامل مع الناس بتواضع، وكيف ترد على الجاهلين بحلم.
.4الأفق الإيماني
تفتح أمامك أفقًا إيمانيًا: أن تكون من عباد الرحمن شرف عظيم.
.5الأفق الحضاري
تفتح أمامك أفقًا حضاريًا: المجتمعات التي تتواضع وتحلم هي مجتمعات قوية.
الموضوع التاسع9: التوجيهات والرسائل العملية من الآية
الرسالة الأولى1: تواضع في مشيك
لا تمشِ متكبرًا مختالًا .امشِ بسكينة ووقار .هذا هو شأن عباد الرحمن.
الرسالة الثانية2: تواضع في حياتك كلها
التواضع ليس فقط في المشي، بل في كل تصرفاتك .تواضع لله، تواضع للناس، تواضع في كلامك، في ملابسك، في كل شيء.
الرسالة الثالثة3: لا تقابل الجهل بالجهل

إذا خاطبك جاهل بسوء، فلا ترد عليه بسوء .رد بالسلام، أو اترك المكان .لا تنزل إلى مستواه.
الرسالة الرابعة4: الحلم قوة
لا تظن أن الحلم ضعف .الحلم هو قوة تحتمل، وتنتصر دون أن تخوض في سفاسف.
الرسالة الخامسة5: كن من عباد الرحمن
اسعَ أن تكون من عباد الرحمن .فهؤلاء هم الفائزون .صفاتهم بدأت بالتواضع والحلم.
الرسالة السادسة6: القدوة في التواضع
تأسَ بالنبي ﷺ الذي كان يمشي في الأسواق متواضعًا، وكان يحلم على الجاهلين.
الموضوع العاشر10: ما تدعو إليه الآية
.1تدعو إلى التواضع
تدعو إلى التواضع في المشي والسلوك، وعدم التكبر.
.2تدعو إلى الحلم
تدعو إلى الحلم في مواجهة الجاهلين، وعدم مقابلة الإساءة بمثلها.
.3تدعو إلى الانتماء إلى عباد الرحمن
تدعو إلى أن نكون من عباد الرحمن، ونتصف بصفاتهم.
.4تدعو إلى الأخلاق الإسلامية
تدعو إلى التحلي بأخلاق الإسلام: التواضع والحلم.
الموضوع الحادي عشر11: ما نتعلمه من الآية
.1نتعلم أن التواضع من صفات عباد الرحمن
نتعلم أن التواضع ليس ضعفًا، بل هو صفة عباد الله.
.2نتعلم أن الحلم من صفاتهم
نتعلم أن الحلم وعدم مقابلة الجهل بالجهل من شيم المؤمنين.
.3نتعلم أن الأخلاق ثمرة الإيمان
نتعلم أن الإيمان بالرحمن ينتج أخلاقًا رفيعة.
.4نتعلم كيف نتعامل مع الجاهلين
نتعلم أن أسلوب المؤمن مع الجاهل هو السلام، وليس الشتائم والجدال.
.5نتعلم أن القدوة هي عباد الرحمن
نتعلم أن نقتدي بعباد الرحمن في تواضعهم وحلمهم.
الموضوع الثاني عشر12: دور مفاهيم الآية في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة
.1في بناء الإنسان المتزن
نفسيًا
تمنح الآية الإنسان الطمأنينة والقوة من خلال:
· التواضع يمنحه راحة نفسية، فلا يتعب من التصنع.
· الحلم يمنحه قوة داخلية، فلا ينهار أمام الاستفزاز.
عقليًا
تزرع الآية في العقل:
· أهمية التواضع: فهو علامة العقل.
· أهمية الحلم: فهو أسلوب العقلاء.
· فهم الأخلاق: أنها ثمرة الإيمان.
تربويًا
تعلم الإنسان:
· التواضع: في كل تصرفاته.
· الحلم: عند الغضب.
· القدوة: في عباد الرحمن.
.2في بناء المجتمع المسلم
المجتمع الذي يتدبر هذه الآية هو مجتمع:
· متواضع: لا كبر فيه ولا اختيال.
· حليم: لا يتصادم عند أدنى استفزاز.
· متماسك: يرد الجهل بالسلام، لا بالجهل.
· راقٍ: أخلاقه عالية.
.3في بناء الحضارة الإسلامية
الحضارة الإسلامية قامت على التواضع والحلم .المسلمون كانوا متواضعين مع الناس، حلماء مع الجاهلين .فكانت حضارة أخلاقها عالية.
هذه الآية تحمي الحضارة من:
· التكبر: فتدعو إلى التواضع.
· العنف: فتدعو إلى الحلم.

· التصادم: فتعلم رد الجهل بالسلام.
.4في البناء والتنمية
في مجال التنمية، هذه الآية تعطيك:
· أهمية التواضع: القادة المتواضعون أنجح.
· أهمية الحلم: في حل النزاعات.
· أهمية الأخلاق: فهي أساس التنمية.
الخاتمة: كيف تعيش هذه الآية؟
· كل يوم، عندما تمشي، تذكر: امش هونًا .لا تتكبر، ولا تختال.
· كل موقف تواجه فيه جاهلًا، تذكر: رد بالسلام، ولا تنزل إلى مستواه.
· كل شعور بالكبر، تذكر أن التواضع من صفات عباد الرحمن.
· كل شعور بالغضب، تذكر أن الحلم من صفاتهم.
· كل غفلة، تذكر أن هذه الصفات هي ثمرة الإيمان بالرحمن.
هذه الآية هي بداية الطريق لتصبح من عباد الرحمن .تواضع في مشيك، واحلم على الجاهلين .بهما تبدأ رحلتك نحو الكمال.
وقفة أخيرة: هل أنت من عباد الرحمن؟
الآية تضعك أمام سؤال: هل أنت من عباد الرحمن؟
· هل تمشي على الأرض هونًا، متواضعًا، لا متكبرًا؟
· هل إذا خاطبك الجاهلون تقول سلامًا، لا تقابلهم بجهلهم؟
هاتان الصفتان هما بداية الصفات .فإذا كنت تتحلى بهما، فأنت على الطريق .وإذا كنت مقصرًا، فابدأ اليوم .تواضع، واحلم.
ثانيا
تفسير الآيات الرابعة والستين والخامسة والستين والسادسة والستين من سورة الفرقان
قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا * وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا * إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾.
مقدمة: من الهون والسّلام إلى السجود والدعاء
بعد أن وصفت الآية السابقة أول صفتين من صفات عباد الرحمن: التواضع في المشي، والحلم في مواجهة الجاهلين، تأتي هذه الآيات الثلاث لتضيف صفات جديدة، أعمق وأكثر خصوصية.
إنها تنتقل من سلوكهم مع الناس إلى علاقتهم مع ربهم .فبينما هم مع الناس: يمشون هونًا، ويردون الجهل بالسلام، هم مع ربهم: يبيتون سجدًا وقيامًا، ويدعونه أن يصرف عنهم عذاب جهنم.
هذه الآيات تأخذك إلى أعماق الليل، حيث الظلام يسود، والناس نيام .هناك ترى عباد الرحمن في أشرف حالاتهم: جباههم ساجدة، وألسنتهم داعية، وقلوبهم خاشعة .هم لا ينامون في غفلة عن ربهم، بل يقضون الليل في عبادته.
ثم تأتي الصفة الثالثة: إنهم يخافون عذاب جهنم، ويدعون الله أن يصرفه عنهم .إنهم يدركون أن عذابها غرام) ملازم لا يفارق(، وأنها ساءت مستقرًا ومقامًا.
هذه الآيات تخاطبك أنت أيضًا .إنها تهمس في أذنك: كيف هو حالك مع ربك في الليل؟ هل تقوم له ساجدًا وقائمًا؟ هل تخاف من عذابه؟ هل تدعوه أن يصرفه عنك؟
تعالَ نتأمل هذه الآيات، وكأنها تنزل الآن .وكأن الله يصف لنا أولئك الذين جمعوا بين حسن الخلق مع الناس، وحسن العبادة مع الرب.
اولا: السياق – العلاقة بالآية التي قبلها
الربط بالآية الثالثة والستين
الآية الثالثة والستون قالت: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾.
جاءت هذه الآيات الثلاث لتكمل صورة عباد الرحمن .فالآية السابقة وصفت علاقتهم بالناس) تواضع وحلم .(وهذه الآيات تصف علاقتهم بـالله) عبادة ودعاء وخوف .(فعباد الرحمن هم الذين يجمعون بين حسن الخلق مع الناس، وحسن العبادة لله.
إنها انتقال من الأخلاق الاجتماعية إلى الأخلاق العبادية .وكأن عباد الرحمن لا يرضون بحسن التعامل مع الناس، بل يريدون أن يكونوا مع ربهم في أحسن حال.
ثانيا: تحليل الآيات – قراءة في عمق العبادة والخوف
المبحث الأول
الآية الرابعة والستون
الجملة الأولى: ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾.
اللمسة البلاغية: "يَبِيتُونَ" – قضاء الليل
"يبيتون" من البيات، وهو قضاء الليل .فهم يقضون الليل في عبادة الله، لا في غفلة.

"لِرَبِّهِمْ" – اللام للاختصاص

"لربهم" أي: خالصًا لربهم، لا رياء ولا سمعة .وهم يفعلون ذلك لأنهم عرفوا ربهم فعبدوه.

"سُجّدًا وَقِيَامًا" – صلاتهم في الليل
"سجدًا وقيامًا" أي: في صلاتهم، بين سجود وقيام .والسجود أشرف أحوال العبد، والقيام فيه قراءة وتدبر.

اللمسة البيانية: تقديم السجود على القيام
قدم السجود على القيام مع أن القيام قبل السجود .وهذا يدل على أن السجود هو غاية العبادة، وهو أقرب ما يكون العبد من ربه.

الدلالة النفسية
هذه الجملة تملأ القلب خشوعًا وتعظيمًا .عباد الرحمن لا ينامون في غفلة، بل يقضون الليل بين يدي ربهم .هذا هو شرف العبودية.

المبحث الثاني
الآية الخامسة والستون
الجملة الأولى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ﴾
اللمسة البلاغية: "يَقُولُونَ" – دعاؤهم المستمر
"يقولون" مضارع يدل على الاستمرار .فهم لا يقطعون الدعاء، بل دائمًا يسألون ربهم.

"رَبَّنَا" – نداء الربوبية
"ربنا" نداء فيه اعتراف بالربوبية .فهم يعترفون أن الله ربهم، الذي خلقهم ورزقهم، وهم يسألونه.

"اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ" – طلب الصرف
"اصرف" أي: ادفع وابعث .وهم لا يسألون دخول الجنة فقط، بل يسألون النجاة من النار أولًا.

الدلالة النفسية
هذه الجملة تملأ القلب خوفًا من الله .عباد الرحمن يخافون عذاب جهنم، ويدعون الله أن يصرفه عنهم.
2
الجملة الثانية: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾
اللمسة البلاغية: "غَرَامًا" – اللزوم والهلاك
الغرام هو اللزوم، والعذاب الدائم الذي لا يفارق .ومنه الغريم الذي يلزم صاحبه بالحق.

"كانَ" – الثبات والدوام
"كان" تفيد الثبات .أي: عذابها ثابت، دائم، ملازم لمن دخلها.

اللمسة البيانية: تقديم "عذابها" على "غرامًا"
قدم "عذابها" للاهتمام به .فهذا العذاب هو ما يخافون منه، وهو ما يسألون صرفه.

الدلالة النفسية
هذه الجملة تصور فظاعة عذاب جهنم .إنه عذاب ملازم لا يفارق، لا ينقطع ولا يخفف .هذا يزيد الخوف منه.

المبحث الثالث
الآية السادسة والستون
الجملة الأولى: ﴿إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾
اللمسة البلاغية: "سَاءَتْ" – بئس وفعل الذم
"ساءت" فعل ذم، بمعنى بئس .أي: بئس المستقر والمقام هي جهنم.

"مُسْتَقَرًّا" – مكان الاستقرار
المستقر هو مكان القرار والإقامة الدائمة .فجهنم ساءت مكانًا للاستقرار.

"وَمُقَامًا" – مكان الإقامة
المقام هو مكان الإقامة .والمقام يختلف عن المستقر بأنه قد يكون مؤقتًا .لكن في جهنم، كلاهما سيّئ.

اللمسة البيانية: تكرار الذم في المستقر والمقام

جمع بين المستقر والمقام لبيان أن جهنم سيّئة في كل الأحوال: سواء استقر فيها أو أقام مؤقتًا.

الدلالة النفسية
هذه الجملة تختتم وصف جهنم بأشد الذم .إنها أسوأ مكان يمكن أن يكون فيه الإنسان .وهذا يدفع المؤمن إلى العمل لاجتنابها.
ثالثا
الموضوع الأول1: صفات عباد الرحمن في هذه الآيات
الصفة الثالثة: قيام الليل
عباد الرحمن يبيتون لربهم سجدًا وقيامًا .الليل هو وقت الخلوة بين العبد وربه .فيه يتفرغون للعبادة، بعيدًا عن شواغل النهار.
الصفة الرابعة: الدعاء بصرف عذاب جهنم
لا يغفلون عن النار، ويدعون الله أن يصرف عذابها عنهم .هذا الخوف يدفعهم إلى العمل الصالح.
الصفة الخامسة: الخوف من النار
إنهم يعلمون أن عذابها غرام) ملازم(، وأنها ساءت مستقرًا ومقامًا .هذا العلم يملأ قلوبهم خوفًا.
الموضوع الثاني2: الجوانب النفسية في الآيات
.1قيام الليل – صفاء النفس
قيام الليل يصقّي النفس، ويهذبها، ويرفعها .فمن اعتاد قيام الليل، كان قلبه أنقى ونفسه أطهر.
.2الخوف من النار – حافز للعمل
الخوف من النار ليس خوفًا مرضيًا، بل هو خوف محفز يدفع إلى العمل الصالح والاجتناب عن السيئات.
.3الدعاء – راحة نفسية
الدعاء يريح النفس .فالمؤمن عندما يدعو ربه، يشعر أنه ليس وحيدًا، وأن هناك من يسمع دعاءه ويستجيب له.
.4الليل والعبادة – لحظة صفاء
الليل هو الوقت الأفضل للعبادة .ففيه تهدأ الأصوات، وتخلو النفس، وتصفو القلوب.
الموضوع الثالث3: الجوانب العقلية في الآيات
.1فهم حكمة قيام الليل
قيام الليل ليس عبثًا، بل هو تدريب للنفس على الصبر والانضباط، وتزكية لها.
.2إدراك فظاعة عذاب جهنم
وصف جهنم ب-"الغرام" و"ساءت مستقرًا ومقامًا" يجعل العقل يستشعر فظاعة العذاب، فيدفع إلى العمل.
.3الموازنة بين الخوف والرجاء
عباد الرحمن يجمعون بين الخوف) من النار (والرجاء) في الجنة .(هذه الموازنة تدل على عقل سليم.
.4فهم أهمية الدعاء
الدعاء ليس ترفًا روحيًا، بل هو حاجة أساسية .فالعقل السليم يدرك أن الإنسان بحاجة إلى ربه في كل لحظة.
الموضوع الرابع4: الجوانب التربوية في الآيات
.1تربية قيام الليل
الآيات تربي في النفس حب قيام الليل .تدعو إلى جعل الليل وقتًا للعبادة والخلوة مع الله.
.2تربية الخوف من النار
تربي في النفس الخوف من عذاب الله، وهذا الخوف يردع عن المعاصي.
.3تربية الدعاء
تربي في النفس حب الدعاء، واللجوء إلى الله في كل الأمور.
.4تربية الموازنة
تربي في النفس الموازنة بين الخوف والرجاء، فلا يغلب الخوف فييأس، ولا يغلب الرجاء فيأمن.
.5تربية الليل
الليل وقت مميز للعبادة، فعلى المؤمن أن يستغله.
الموضوع الخامس5: المفاهيم المركزية في الآيات
المفهوم الأول1: قيام الليل
العبادة في الليل من أعظم العبادات، وهي من صفات عباد الرحمن.
المفهوم الثاني2: الدعاء بصرف العذاب
عباد الرحمن يدعون الله أن يصرف عنهم عذاب جهنم.
المفهوم الثالث3: عذاب جهنم غرام
عذاب جهنم ملازم لا يفارق، وهذا يزيد الخوف منه.
المفهوم الرابع4: ساءت مستقرًا ومقامًا

جهنم أسوأ مكان للاستقرار والإقامة.
الموضوع السادس6: القيم المستنبطة من الآيات
.1قيمة قيام الليل: فضله عظيم.
.2قيمة الخوف من الله: خوف محفز للعمل.
.3قيمة الدعاء: وسيلة للجوء إلى الله.
.4قيمة الليل: وقت مميز للعبادة.
.5قيمة النجاة من النار: هي غاية المؤمن.
.6قيمة التذكير بالنار: يزيد في الاجتهاد.
.7قيمة الموازنة: بين الخوف والرجاء.
الموضوع السابع:7الأبعاد المختلفة للآيات
.1البعد العقدي
تثبت الآيات أن قيام الليل عبادة، وأن عذاب جهنم حق، وأن المؤمن يخاف منه.
.2البعد النفسي
تمنح الآيات الطمأنينة من خلال العبادة، والخوف المحفز من خلال التذكير بالنار.
.3البعد التربوي
تربي الآيات في النفس حب قيام الليل، والخوف من النار، واللجوء إلى الله بالدعاء.
.4البعد الإيماني
تزيد الآيات الإيمان بالآخرة، وبعذاب جهنم، وبأهمية الدعاء.
.5البعد العبادي
تدعو الآيات إلى قيام الليل، وإلى الدعاء بخشوع.
الموضوع الثامن8: الآفاق التي تحملها الآيات
.1الأفق العبادي
تفتح أمامك أفقًا عباديًا: قيام الليل، الدعاء، الخوف من الله.
.2الأفق النفسي
تفتح أمامك أفقًا نفسيًا: صفاء الليل، راحة الدعاء، قوة الخوف.
.3الأفق التربوي
تفتح أمامك أفقًا تربويًا: كيف تربي نفسك على قيام الليل، وكيف تربي غيرك على الخوف من النار.
.4الأفق الأخروي
تفتح أمامك أفقًا أخرويًا: جهنم وعذابها، والنجاة منها.
الموضوع التاسع9: التوجيهات والرسائل العملية من الآيات
*الرسالة الأولى: اجعل لله نصيبًا من ليلك
لا تجعل ليلك كله نومًا وغفلة .اجعل لله نصيبًا منه .قم ولو ركعتين، ولو في آخر الليل.
*الرسالة الثانية: أكثر من الدعاء
لا تغفل عن الدعاء .سل الله الجنة، واستعذ به من النار .أكثر من قول: "ربنا اصرف عنا عذاب جهنم".
*الرسالة الثالثة: تذكر النار
لا تنسَ النار .تذكرها كل يوم .هذا التذكر يدفعك إلى العمل الصالح، ويردعك عن المعاصي.
*الرسالة الرابعة: عذاب جهنم ملازم
تذكر أن عذاب جهنم غرام، لا يفارق .هذا ليس عذابًا عاديًا، بل هو عذاب دائم لا ينقطع.
*الرسالة الخامسة: النار ساءت مستقرًا
جهنم أسوأ مكان .لا تتمنى أن تكون فيها لحظة .فاعمل لاجتنابها.
*الرسالة السادسة: التوازن بين الخوف والرجاء
خاف من النار، وارجُ الجنة .هذا التوازن هو طريق المؤمنين.
الموضوع العاشر10: ما تدعو إليه الآيات
.1تدعو إلى قيام الليل
تدعو إلى إحياء الليل بالعبادة، والقيام بين يدي الله.
.2تدعو إلى الدعاء
تدعو إلى الدعاء واللجوء إلى الله في كل الأمور.
.3تدعو إلى الخوف من النار
تدعو إلى الخوف من عذاب جهنم، والعمل لاجتنابها.
.4تدعو إلى الاستعداد للآخرة
تدعو إلى العمل للآخرة، والاستعداد ليوم الحساب.
.5تدعو إلى الموازنة
تدعو إلى الموازنة بين الخوف والرجاء.
الموضوع الحادي عشر11: ما نتعلمه من الآيات
.1نتعلم فضل قيام الليل

نتعلم أن قيام الليل من أعظم العبادات، ومن صفات عباد الرحمن.
.2نتعلم أهمية الدعاء
نتعلم أن الدعاء هو سلاح المؤمن، وأنه لا غنى عنه.
.3نتعلم شدة عذاب جهنم
نتعلم أن عذاب جهنم شديد، ملازم، وأنها أسوأ مستقر ومقام.
.4نتعلم أن المؤمن يخاف من النار
نتعلم أن الخوف من النار ليس عيبًا، بل هو من صفات المؤمنين.
.5نتعلم الموازنة
نتعلم أن المؤمن يجمع بين الخوف والرجاء.
الموضوع الثاني عشر12: دور مفاهيم الآيات في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة
.1في بناء الإنسان المتزن
نفسيًا
تمنح الآيات الإنسان الطمأنينة من خلال قيام الليل، والخوف المحفز من خلال التذكير بالنار .فهو مطمئن بربه، وخائف من عذابه.
عقليًا
تزرع الآيات في العقل:
· أهمية قيام الليل: في تزكية النفس.
· أهمية الدعاء: في التواصل مع الله.
· أهمية الخوف من النار: في ردع المعاصي.
تربويًا
تعلم الآيات الإنسان:
· قيام الليل: عبادة عظيمة.
· الدعاء: سلاح المؤمن.
· الخوف من الله: حافز للعمل.
.2في بناء المجتمع المسلم
المجتمع الذي يتدبر هذه الآيات هو مجتمع:
· تقوم ليله: فأفراده يعمرون الليل بالعبادة.
· يدعو ربه: فأفراده لا يقطعون الدعاء.
· يخاف النار: فيجتنب المعاصي.
· يستعد للآخرة: فيعمل لدنياه وآخرته.
.3في بناء الحضارة الإسلامية
الحضارة الإسلامية قامت على قيام الليل والدعاء .المسلمون كانوا يحيون الليل بالعبادة، وكانوا يدعون الله في كل أمر .فكانت حضارة قوية.
هذه الآيات تحمي الحضارة من:
· الغفلة: فتذكرها بالليل والعبادة.
· الأمن من مكر الله: فتذكرها بالنار.
· الكسل: فتحثها على قيام الليل.
.4في البناء والتنمية
في مجال التنمية، هذه الآيات تعطيك:
أهمية العمل الليلي: التنمية تحتاج إلى جهد متواصل.
· أهمية الدعاء: التوفيق من الله.
· أهمية الخوف من الفشل: يدفع إلى الإتقان.
الخاتمة: كيف تعيش هذه الآيات؟
· كل ليلة، قبل أن تنام، تذكر: عباد الرحمن يبيتون سجدًا وقيامًا .فاجعل لنفسك نصيبًا من قيام الليل.
· كل دعاء، تذكر: "ربنا اصرف عنا عذاب جهنم" .أكثر من هذا الدعاء.
· كل غفلة، تذكر: عذاب جهنم غرام .فاستيقظ من غفلتك.
· كل خوف، اجعله خوفًا محفزًا للعمل، لا خوفًا مشلولًا.
· كل ليلة، اجعل الليل وقتًا للخلوة مع ربك.
هذه الآيات هي تذكير لك بأن عباد الرحمن ليسوا فقط متواضعين مع الناس، بل هم أيضًا قائمون لله في الليل، خائفون من عذابه، داعون له .فاجعل لنفسك نصيبًا من هذه الصفات.
وقفة أخيرة: هل أنت من عباد الرحمن؟
الآيات تضعك أمام سؤال: هل أنت من الذين يبيتون لربهم سجدًا وقيامًا؟ هل أنت من الذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم؟ هل تخاف من عذابها؟
تذكر: النار غرام، وهي ساءت مستقرًا ومقامًا .فاعمل لاجتنابها، واجعل الليل وقتًا لعبادة ربك.
ثالثا

تفسير الآية السابعة والستين من سورة الفرقان
قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾
مقدمة: الاقتصاد في العطاء ..ميزان العفة والكرامة
بعد أن وصفت الآيات السابقة صلات عباد الرحمن بالله في الليل) يبيتون سجدًا وقيامًا (وخوفهم من عذاب جهنم، تأتي هذه الآية لتصف علاقتهم بالمال .إنها تنتقل من العبادة الخالصة لله إلى التعامل مع نعمه في الأرض.
هذه الآية تحدد منهجًا وسطًا في الإنفاق، بين طرفين مذمومين: الإسراف من جهة، والبخل والتقتير من جهة أخرى .فعباد الرحمن لا يسرفون فيبذروا، ولا يقتروا فيبخلوا، بل يسيرون بين ذلك قوامًا: وسطًا عدلًا.
هذه الآية تخاطبك أنت أيضًا .إنها تهمس في أذنك: المال نعمة من الله، فكيف تتصرف فيه؟ هل تسرف فتبذر؟ هل تقتر فتبخل؟ أم أنك تسير على منهج القوام: وسطًا لا إفراط فيه ولا تفريط؟
تعالَ نتأمل هذه الآية، وكأنها تنزل الآن .وكأن الله يضع في يدك ميزان الإنفاق، لتعرف كيف تنفق في رضاه، وكيف تحفظ كرامتك، وكيف تحقق العفة.
اولا : السياق – العلاقة بالآية التي قبلها
الربط بالآيات الرابعة والستين والخامسة والستين والسادسة والستين
الآيات السابقة وصفت عباد الرحمن بصفات عبادية: قيام الليل، والدعاء، والخوف من النار.
جاءت هذه الآية لتضيف صفة مالية إلى صفاتهم .فهي تنتقل من العبادة القلبية والبدنية إلى العبادة المالية .وكأن عباد الرحمن ليسوا فقط قائمين لله في الليل، بل هم أيضًا قائمون بحق المال في النهار .يجمعون بين حق الله في أموالهم وحق أنفسهم.
إنها تكامل في الصفات: عباد الرحمن هم الذين يعبدون الله بالليل، ويؤدون حق المال بالنهار، ولا يغفلون عن شكر النعمة في كل أحوالهم.
ثانيا تحليل الآية – قراءة في عمق منهج الإنفاق
الجملة الأولى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا﴾
اللمسة البلاغية: "إِذَا" – للتكرار والاستمرار
"إذا" ظرفية شرطية، تفيد أن الإنفاق يتكرر منهم .وليس مرة واحدة .فهم في حالة مستمرة من الإ نفاق في سبيل الله وعلى أنفسهم وأهليهم.

"أَنْفَقُوا" – الإنفاق بمعناه الواسع
الإنفاق هنا يشمل: النفقة على النفس والأهل، والصدقة، والزكاة، وكل ما يبذل من المال في طاعة الله.
الدلالة النفسية
هذه الجملة تدل على أن الإنفاق عند عباد الرحمن ليس حدثًا عارضًا، بل هو أسلوب حياة .فهم لا يبخلون، ولا يمتنعون عن العطاء.
/2
الجملة الثانية: ﴿لَمْ يُسْرِفُوا﴾
اللمسة البلاغية: "لَمْ يُسْرِفُوا" – نفي الإسراف
"لم يسرفوا" أي: لم يتجاوزوا الحد في الإنفاق .الإسراف هو إنفاق المال في غير حقه، أو تجاوز الحد المشروع.
"الإسراف" – ما هو؟
الإسراف هو: التبذير، والإنفاق في الحرام، أو الإنفاق في الحلال لكن مع الإسراف الذي يضر بالنفس أو الأهل .قال تعالى: ﴿وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾.
الدلالة النفسية
نفي الإسراف يدل على أن عباد الرحمن يضبطون شهوة الإنفاق .لا ينفقون بدافع التباهي أو الإسراف، بل ينفقون بقصد العفة والتعفف.
3
الجملة الثالثة: ﴿وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾
اللمسة البلاغية: "وَلَمْ يَقْتُرُوا" – نفي التقتير
"لم يقتروا" أي: لم يبخلوا، ولم يضيقوا على أنفسهم وأهليهم .والتقتير هو منع الحق ومنع الإنفاق الواجب والمستحب.
"التقتير" – ما هو؟
التقتير هو: البخل، والتضييق على النفس والأهل، ومنع الحق الواجب .قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾.
الدلالة النفسية
نفي التقتير يدل على أن عباد الرحمن ليسوا بخلاء .فهم يعطون الحق، ولا يمنعون الخير، ولا يضيقون على من يعولون.

4
الجملة الرابعة: ﴿وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾
اللمسة البلاغية: "قَوَامًا" – الوسط والعدل
"قوامًا" أي: وسطًا بين الإسراف والتقتير .والقوام هو ما يقوم به الأمر، وهو العدل والاستقامة.
"بَيْنَ ذَٰلِكَ" – بين الإسراف والتقتير
"بين ذلك" أي: بين الإسراف والتقتير .فعباد الرحمن لا يميلون إلى هذا الطرف ولا إلى ذاك، بل يسيرون على الصراط المستقيم.

اللمسة البيانية: تقديم نفي الإسراف والتقتير على إثبات القوام
قدم نفي الطرفين المذمومين على إثبات الصفة المحمودة، لأن الوسط لا يظهر إلا بعد نفي الطرفين . فالإنسان يعرف القوام عندما يبتعد عن الإسراف والبخل.
الدلالة النفسية
هذه الجملة تملأ القلب طمأنينة .فالقوام هو الطريق الآمن بين الخوفين .لا إسراف يذهب بالمال، ولا تقتير يذهب بالكرامة .بل وسط يحفظ المال والكرامة معًا.
ثالثا
الموضوع الأول1: معالم منهج الإنفاق في الإسلام
.1نفي الإسراف
الإسراف مذموم في كل حال .فهو إما إنفاق في الحرام، أو إنفاق في الحلال مع إسراف يضر بالنفس أو الأهل.
.2نفي التقتير
التقتير مذموم أيضًا .فالبخل يضر بالنفس، ويضر بالأهل، ويضر بالمجتمع.
.3القوام: الوسط العدل
القوام هو منهج الإسلام الوسطي في الإنفاق .لا إفراط ولا تفريط .هو أن تنفق بحسب حاجتك وحاجة أهلك، وتعطي الحقوق الواجبة والمستحبة، دون تبذير ولا بخل.
.4العلاقة بين الإنفاق والأخلاق
الإنفاق ليس مجرد تصرف مالي، بل هو تعبير عن أخلاق الإنسان .فالإسراف يدل على التبذير وعدم التقدير، والبخل يدل على حب المال وعدم الثقة بالله .والقوام يدل على العفة والكرامة.
الموضوع الثاني2: الجوانب النفسية في الآية
.1الإسراف – دليل على عدم الثقة بالله
المسرف يظن أن المال سينفد، أو أنه لا قيمة له، فيبذره .وهذا يدل على عدم الثقة بأن الله هو الرزاق.
.2التقتير – دليل على حب المال
المقتر) البخيل (يحب المال حبًا يجعله يمنعه عن نفسه وعن أهله .وهذا يدل على ضعف الإيمان بقضاء الله وقدره.
.3القوام – دليل على التوازن النفسي
المؤمن الذي ينفق قوامًا هو إنسان متزن نفسيًا .لا يطغى عليه حب المال فيبخل، ولا يستهين به فيسرف .هو في وسط يعكس صحة نفسيته.
.4الإنفاق – وسيلة لصفاء النفس
الإنفاق في سبيل الله يزكي النفس، ويطهرها من البخل والشح .قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾.
الموضوع الثالث3: الجوانب العقلية في الآية
.1فهم المال نعمة واختبار
العقل السليم يدرك أن المال نعمة من الله، لكنه أيضًا اختبار .فكيف يستخدمه؟ هذا الاختبار يظهر حقيقة الإنسان.
.2فهم عواقب الإسراف
العقل يدرك أن الإسراف يؤدي إلى الفقر والضياع .وأن التقتير يؤدي إلى البخل وقطع الأرحام .أما القوام فيؤدي إلى العفة والكرامة.
.3فهم أن الوسط هو الأفضل
في كل شيء، الوسط هو الأفضل .كما في الإنفاق، الوسط بين الإسراف والبخل هو القوام .وهذا منهج عقلاني.
.4فهم أن المال وسيلة لا غاية
المال وسيلة للعيش والعبادة، وليس غاية في ذاته .فمن جعله غاية أضاع الدنيا والآخرة .ومن جعله وسيلة نجا.
الموضوع الرابع4: الجوانب التربوية في الآية
.1تربية العفة

الآية تربي في النفس العفة في الإنفاق .لا تبذر، ولا تبخل .بل أنفق قوامًا.
.2تربية التوازن
تربي في النفس التوازن بين الإسراف والتقتير .وهذا التوازن مطلوب في كل شؤون الحياة.
.3تربية الثقة باللّٰه
الإنفاق في سبيل الله يحتاج إلى ثقة بأن الله سيعوض .والآية تربى هذه الثقة.
.4تربية المسؤولية
المسؤول عن الإنفاق هو الإنسان نفسه .فعليه أن ينفق بحكمة، لا يسرف ولا يقتر.
.5تربية القدوة
عباد الرحمن هم القدوة في الإنفاق .فنسعى لأن نكون منهم.
الموضوع الخامس5: المفاهيم المركزية في الآية
المفهوم الأول1: الإسراف
الإسراف هو تجاوز الحد في الإنفاق، وهو مذموم.
المفهوم الثاني2: التقتير
التقتير هو البخل والتضييق في الإنفاق، وهو مذموم أيضًا.
المفهوم الثالث3: القوام
القوام هو الوسط العدل بين الإسراف والتقتير، وهو المحمود.
المفهوم الرابع4: الإنفاق عبادة
الإنفاق في سبيل الله ليس مجرد عمل مالي، بل هو عبادة يتقرب بها العبد إلى ربه.
المفهوم الخامس5: التوازن في المال
المال يحتاج إلى توازن: بين العطاء والادخار، وبين الإنفاق على النفس والأهل والآخرين.
الموضوع السادس6: القيم المستنبطة من الآية
.1قيمة العفة: في الإنفاق.
.2قيمة التوازن: بين الإسراف والتقتير.
.3قيمة الثقة باللّٰه: عند الإنفاق.
.4قيمة المسؤولية: في إدارة المال.
.5قيمة الكرامة: فلا بخل يذل، ولا إسراف يذهب المال.
.6قيمة الحكمة: في التصرف المالي.
.7قيمة القدوة: في اتباع منهج عباد الرحمن.
الموضوع السابع7: الأبعاد المختلفة للآية
.1البعد المالي
تضع الآية قواعد مالية سليمة: لا إسراف ولا تقتير، بل وسط.
.2البعد النفسي
تربي في النفس الثقة باللّٰه، والعفة، والتوازن.
.3البعد التربوي
تربي في النفس حب الإنفاق المعتدل، وتجنب الإسراف والبخل.
.4البعد الاجتماعي
تساهم في بناء مجتمع متوازن، لا فيه إسراف ولا بخل.
.5البعد الإيماني
تربط الإنفاق بالإيمان .فالإيمان الصادق يظهر في التعامل مع المال.
.6البعد الأخلاقي
تجعل من الإنفاق خُلقًا، لا مجرد تصرف مالي.
الموضوع الثامن8: الآفاق التي تحملها الآية
.1الأفق المالي
تفتح أمامك أفقًا ماليًا: كيف تنفق مالك بحكمة.
.2الأفق النفسي
تفتح أمامك أفقًا نفسيًا: التوازن بين الرغبة في العطاء والخوف من الفقر.
.3الأفق التربوي
تفتح أمامك أفقًا تربويًا: كيف تربي نفسك على العفة، وكيف تربي غيرك على التوازن.
.4الأفق الاجتماعي
تفتح أمامك أفقًا اجتماعيًا: كيف يكون المجتمع متوازنًا في إنفاقه.
.5الأفق الإيماني
تفتح أمامك أفقًا إيمانيًا: الثقة بأن الله هو الرزاق.
الموضوع التاسع9: التوجيهات والرسائل العملية من الآية
الرسالة الأولى1: لا تسرف
إذا أنفقت، فلا تسرف .لا تبذر المال في غير حقه .لا تنفق فوق طاقتك .لا تبالغ في التبذير.

الرسالة الثانية2: لا تقتر
إذا أنفقت، فلا تقتر .لا تبخل على نفسك وعلى أهلك .لا تمنع الحق الواجب .لا تضيق على من تعول.
الرسالة الثالثة3: كن قوامًا
كن وسطًا بين الإسراف والتقتير .أنفق بحسب حاجتك وحاجة أهلك .أعطِ الحقوق الواجبة و المستحبة .هذا هو القوام.
الرسالة الرابعة4: المال نعمة فاشكرها
المال نعمة من الله .وشكر النعمة يكون باستخدامها في طاعته، وعدم الإسراف فيها، وعدم البخل بها.
الرسالة الخامسة5: الإنفاق عبادة
لا تنظر إلى الإنفاق كتصرف مادي فقط .انظر إليه كعبادة تتقرب بها إلى الله.
الرسالة السادسة6: التوازن في كل شيء
ما ينطبق على الإنفاق ينطبق على كل شيء في الحياة: لا إفراط ولا تفريط .الوسط هو الأفضل.
الموضوع العاشر10: ما تدعو إليه الآية
.1تدعو إلى الاعتدال في الإنفاق
تدعو إلى الاعتدال بين الإسراف والتقتير.
.2تدعو إلى العفة
تدعو إلى العفة في التعامل مع المال.
.3تدعو إلى الثقة بالله
تدعو إلى الثقة بأن الله هو الرزاق، فلا خوف من الفقر عند الإنفاق.
.4تدعو إلى التوازن
تدعو إلى التوازن في كل شؤون الحياة.
.5تدعو إلى القدوة
تدعو إلى الاقتداء بعباد الرحمن في منهجهم المالي.
الموضوع الحادي عشر11: ما نتعلمه من الآية
.1نتعلم أن الإسراف مذموم
نتعلم أن الإسراف في الإنفاق خطأ كبير، يجب تجنبه.
.2نتعلم أن التقتير مذموم
نتعلم أن البخل والتقتير أيضًا خطأ كبير.
.3نتعلم أن القوام هو الأفضل
نتعلم أن الوسط بين الإسراف والبخل هو الأفضل.
.4نتعلم أن المال أمانة
نتعلم أن المال أمانة عند الإنسان، وهو مسئول عنه.
.5نتعلم أن الإنفاق عبادة
نتعلم أن الإنفاق في سبيل الله عبادة عظيمة.
.6نتعلم أن الإسلام دين الوسطية
نتعلم أن الإسلام دين الوسطية في كل شيء، ومنه في الإنفاق.
الموضوع الثاني عشر12: دور مفاهيم الآية في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة
.1في بناء الإنسان المتزن
نفسيًا
تمنح الآية الإنسان التوازن النفسي من خلال:
· تجنب الإسراف الذي يؤدي إلى الندم.
· تجنب البخل الذي يؤدي إلى الحرمان.
· الشعور بالطمأنينة في الإنفاق المعتدل.
عقليًا
تزرع الآية في العقل:
· فهم أن المال وسيلة لا غاية: فيوظفه في الخير.
· فهم أن الإسراف يضر: بالمال والنفس.
· فهم أن البخل يضر: بالمجتمع والنفس.
· فهم أن القوام هو الأفضل: في كل شيء.
تربويًا
تعلم الآية الإنسان:
· العفة: في الإنفاق.
· التوازن: بين الإسراف والبخل.
· الثقة بالله: عند الإنفاق.
· المسؤولية: في إدارة المال.
.2في بناء المجتمع المسلم

المجتمع الذي يتدبر هذه الآية هو مجتمع:
· لا إسراف فيه: فلا تبذير ولا تضييع للموارد.
· لا بخل فيه: فلا حرمان ولا منع للحقوق.
· متوازن: في إنفاقه، بين الفرد والمجتمع.
· متراحم: فيه توزيع عادل للمال.
.3في بناء الحضارة الإسلامية
الحضارة الإسلامية قامت على الوسطية في الإنفاق .المسلمون لم يكونوا مسرفين مبذرين، ولا بخلاء مقترين .كانوا ينفقون في سبيل الله، وفي وجوه الخير، ويتركون ما سوى ذلك.
هذه الآية تحمي الحضارة من:
· التبذير: فيستهلك الإنسان ما لا يحتاج.
· البخل: فيمنع الخير عن نفسه وعن غيره.
· الطبقية: فلا تتركز الثروة في يد فئة، ولا يعيش البعض في فقر مدقع.
.4في البناء والتنمية
في مجال التنمية، هذه الآية تعطيك:
· أهمية الإدارة المالية الرشيدة: لا تنمية بلا إدارة مالية متوازنة.
· أهمية العدالة في التوزيع: لا تنمية بلا عدالة.
· أهمية الادخار مع الإنفاق: لا تنمية بلا استثمار.
الخاتمة: كيف تعيش هذه الآية؟
· كل مرة تنفق فيها، اسأل نفسك: هل أنا مسرف؟ هل أنا مقتّر؟ أم أني قوام؟
· كل راتب تستلمه، خطط لإنفاقك .اجعل لك ميزانية: جزء لله، وجزء لنفسك وأهلك، وجزء للادخار.
· كل رغبة في التبذير، تذكر: الإسراف مذموم .فلا تتبعه.
· كل رغبة في البخل، تذكر: التقتير مذموم .فلا تقتر.
· كل إنفاق، اجعله في سبيل الله، أو في حلال، وبقصد العفة والكرامة.
هذه الآية هي ميزان إنفاقك .به تزن: أتسرف أم تقتر أم تقوم؟ فاجعل إنفاقك قوامًا، تكن من عباد الرحمن.
وقفة أخيرة: كيف تنفق؟
الآية تضعك أمام سؤال: كيف تنفق مالك؟
· هل تسرف فتبذر؟ هذا ليس من شيم عباد الرحمن.
· هل تقتر فتبخل؟ هذا أيضًا ليس من شيمهم.
· أم أنك تنفق قوامًا، وسطًا بين الإسراف والتقتير؟
تذكر: القوام هو طريق العفة والكرامة .فاختره لنفسك.

رابعا

((تفسير الآيتين الثامنة والستين والتاسعة والستين من سورة الفرقان
قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا﴾.
مقدمة: حين تخرج القوى عن ميزان الله
هل تأملت يومًا ما الذي يجعل الإنسان يرتكب أعظم الجرائم؟ هل تساءلت لماذا يقتل إنسان أخاه؟ لماذا يزني؟ لماذا يشرك بالله؟ إنها قوى كامنة في داخل كل إنسان، إذا انحرفت عن وجهتها الصحيحة، تحولت إلى أعظم أسباب الهلاك.
هاتان الآيتان تأخذانك إلى أعماق النفس البشرية، وتكشفان عن الثلاثي الخطير: قوة العقل التي إذا انحرفت أشركت بالله، وقوة الغضب التي إذا انحرفت قتلت النفس التي حرم الله، وقوة الشهوة التي إذا انحرفت زنت. ثلاث قوى، إذا انضبطت بميزان الله، كانت سببًا في السعادة والنجاة. وإذا انحرفت، كانت سببًا في الهلاك والعذاب الأليم.
هاتان الآيتان تخاطبانك أنت أيضًا. إنهما تهمسان في أذنك: انظر إلى قواك التي وهبك الله إياها. قوة عقلك، وقوة غضبك، وقوة حبك وشهوتك. هل تستخدمها في طاعة الله أم في معصيته؟ هل تضبطها بميزانه أم تتركها تجول بلا قيد؟
ثم تأتي الآية الثانية لترسم عاقبة من انحرفت قواه: ﴿يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا﴾. عذاب مضاعف، وخلود في المهانة. هذا هو جزاء من أفسد قواه التي وهبها الله إياه.
تعالَ نتأمل هاتين الآيتين، وكأنهما تنزلان الآن. وكأن الله يضع أمامك مرآة ترى فيها قواك، ويسألك: كيف تستخدمها؟ وكأنه يريك عاقبة الإفساد، ليسارع إلى التوبة من أفسدها، ويستمسك بالاستقامة من أصلحها.
أولًا: السياق – العلاقة بالآية التي قبلها
الربط بالآية السابعة والستين
الآية السابعة والستون تحدثت عن صفة من صفات عباد الرحمن في المال: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾.

جاءت هاتان الآيتان لتضيفا صفات أخرى أعمق، تتعلق بالجوهر الإيماني والأخلاقي. فبعد أن وصفهم في العبادات (قيام الليل) وفي المال (الإنفاق القوام)، يأتي الآن ليصفهم في العقيدة (لا يشركون)، وفي الحفاظ على الحياة (لا يقتلون)، وفي الحفاظ على الأعراض (لا يزنون).
إنها تربية متكاملة: عباد الرحمن يجمعون بين حق الله (توحيده)، وحق النفس (الامتناع عن قتلها)، وحق المجتمع (الامتناع عن الزنا). هم الذين أقاموا ميزان الله في أعظم ثلاث قوى بشرية.
ثانيًا: تحليل الآيتين – قراءة في عمق ضبط القوى
المبحث الأول
الآية الثامنة والستون
الجملة الأولى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ﴾
اللمسة البلاغية: "لَا يَدْعُونَ" – نفي الدعاء
"لا يدعون" أي: لا يعبدون، لا يتوجهون بالعبادة .وهذا النفي للدعاء يدل على أن التوحيد الخالص هو من أعظم صفاتهم.
"مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ" – الشرك الأكبر
"مع الله إلهًا آخر" أي: لا يشركون بالله أحدًا .هذا هو التوحيد: إفراد الله بالعبادة.

الدلالة النفسية (قوة العقل)
هذه الجملة تشير إلى قوة العقل التي فطر الله عليها الإنسان. العقل هو الذي يدرك أن الخالق واحد، وأن العبادة لا تنبغي إلا له. فمن أشرك، فقد أفسد قوة عقله، ووضعها في غير موضعها.
2
الجملة الثانية: ﴿وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾
اللمسة البلاغية: "النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ" – حرمة النفس
"النفس التي حرم الله" أي: النفس التي حرم الله قتلها، وهي النفس المؤمنة، أو كل نفس مسلمة . وقتلها من أكبر الكبائر.
"إِلَّا بِالْحَقِّ" – استثناء القتل بالحق
الاستثناء للقتل بالحق: كالقصاص، وقتل المرتد، أو الحربي في الحرب. فالقتل لا يجوز إلا بحق.

الدلالة النفسية (قوة الغضب)
هذه الجملة تشير إلى قوة الغضب التي فطر الله عليها الإنسان. الغضب قوة ضرورية للدفاع عن النفس والدين. لكنها إذا انحرفت، تحولت إلى قتل النفس التي حرم الله. فمن قتل بغير حق، فقد أفسد قوة الغضب.
3
الجملة الثالثة: ﴿وَلَا يَزْنُونَ﴾
اللمسة البلاغية: "لَا يَزْنُونَ" – نفي الزنا
نفي الزنا. والزنا هو إتيان الحرام خارج إطار الزواج. وهو من أكبر الكبائر، ومدمر للفرد والمجتمع.
الدلالة النفسية (قوة الشهوة والحب)
هذه الجملة تشير إلى قوة الشهوة والحب التي فطر الله عليها الإنسان. الشهوة قوة ضرورية للحفاظ على النسل واستمرار الحياة. لكنها إذا انحرفت، تحولت إلى زنا يفسد الأنساب ويدمر الأعراض. فمن زنى، فقد أفسد قوة الشهوة.
4
الجملة الرابعة: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾
اللمسة البلاغية: "يَفْعَلْ" – شرط وجزاء
"من يفعل" شرط، "يلق أثامًا" جواب الشرط .أي: من يرتكب شيئًا من هذه الكبائر، يلق جزاءها وعقابها.
"أَثَامًا" – جزاء الإثم
الأثام هو الجزاء على الإثم. والمراد: يلق عقابًا شديدًا في الدنيا والآخرة.
الدلالة النفسية
هذه الجملة تضع الردع النفسي. فمن يفعل هذه الكبائر، سيلقى جزاءها. هذا يخلق خوفًا محفزًا للا بتعاد عنها.
المبحث الثاني
الآية التاسعة والستون
الجملة الأولى: ﴿يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾
اللمسة البلاغية: "يُضَاعَفْ" – مضاعفة العذاب
"يضاعف" أي: يزاد في عذابه .وعذاب من جمع هذه الكبائر أشد.
"الْعَذَابُ" – عذاب الآخرة
عذاب جهنم، الذي لا يطاق.

الدلالة النفسية
هذه الجملة تزيد من الخوف المحفز. فالعذاب مضاعف، ليس عاديًا. هذا يدفع إلى التوبة والاستقامة.
2
الجملة الثانية: ﴿وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا﴾
اللمسة البلاغية: "يَخْلُدْ" – الخلود
"يخلد" أي: يبقى فيها أبدًا، لا يموت ولا يخرج.
"مُهَانًا" – الذل والهوان
"مهانًا" أي: ذليلًا حقيرًا .ليس له كرامة، ولا عزة .جزاء من أفسد قواه.
الدلالة النفسية
هذه الجملة تصور أعلى درجات الإهانة. الخلود في النار مع الذل والهوان. هذا جزاء من أفسد قواه التي أعطاه الله إياها.
ثالثًا
الموضوع الأول1: القوى الثلاث في الإنسان وكيف يهذبها الإسلام
.1قوة العقل: التوحيد
العقل هو أعظم قوة وهبها الله للإنسان. وهو الذي يميز به بين الحق والباطل. والإسلام يوجه هذه القوة إلى أعلى غاياتها: معرفة الله وتوحيده. فالتوحيد هو وضع العقل في موضعه الصحيح: الإقرار بأن الله واحد لا شريك له.
فساد هذه القوة: الشرك
إذا انحرفت قوة العقل، أشركت بالله. والشرك هو وضع العقل في غير موضعه: عبادة ما لا يستحق العبادة. وهذا أفسد استخدام للعقل.
.2قوة الغضب: القتل بالحق
الغضب قوة دفاعية ضرورية. يستخدمها الإنسان للدفاع عن نفسه ودينه وأهله. والإسلام يوجه هذه القوة إلى وجهتها الصحيحة: قتال من يستحق القتال بحق، كالقتال في سبيل الله، والقصاص من القاتل.
فساد هذه القوة: القتل بغير حق
إذا انحرفت قوة الغضب، تحولت إلى عدوان وظلم. فقتل النفس التي حرم الله هو أعلى درجات فساد الغضب.
.3قوة الشهوة والحب: الزواج
الشهوة قوة ضرورية للحفاظ على النسل واستمرار الحياة. والإسلام يوجه هذه القوة إلى وجهتها الصحيحة: الزواج الذي يحفظ الأعراض والأنساب.
فساد هذه القوة: الزنا
إذا انحرفت قوة الشهوة، تحولت إلى زنا، يفسد الأنساب، ويدمر الأعراض، ويهدم الأسر.
الموضوع الثاني2: الجوانب النفسية في الآيتين
.1الشرك – انحراف العقل
الشرك هو أعظم انحراف للعقل. فالعقل الذي يشرك بالله هو عقل لم يستخدم في معرفة خالقه.
.2القتل – انحراف الغضب
القتل بغير حق هو انحراف لقوة الغضب. فالمقتول يشعر بغضب جامح يدفعه إلى الإجرام.
.3الزنا – انحراف الشهوة
الزنا هو انحراف لقوة الشهوة. فالشهوة الجامحة تدفع إلى انتهاك الحرمات.
.4العذاب المضاعف – الردع النفسي
تضاعف العذاب يخلق خوفًا محفزًا، يدفع إلى الابتعاد عن هذه الكبائر.
.5الخلود في المهانة – الإهانة النفسية
الخلود في النار مع الذل والهوان هو أقسى ما يمكن أن يتعرض له الإنسان نفسيًا.
الموضوع الثالث3: الجوانب العقلية في الآيتين
.1فهم حكمة تحريم هذه الكبائر
العقل السليم يدرك أن تحريم الشرك والقتل والزنا فيه حفظ للعقل والنفس والعرض والنسل. فهو منهج عقلاني.
.2فهم عواقب الانحراف
العقل يدرك أن هذه الكبائر تدمر الفرد والمجتمع. فالشرك يفسد العقيدة، والقتل يفسد الحياة، والزنا يفسد الأعراض والأنساب.
.3فهم أن هذه القوى ضرورية
العقل يدرك أن هذه القوى (العقل، الغضب، الشهوة) ضرورية لحياة الإنسان. والإسلام لا يلغيها، بل يوجهها.
.4فهم أن العقاب عادل
العقل يدرك أن من انحرفت قواه يستحق العقاب، لأنه أفسد ما وهبه الله له.

الموضوع الرابع4: الجوانب التربوية في الآيتين
.1تربية التوحيد
تربي في النفس إفراد الله بالعبادة، واستخدام العقل في معرفته.
.2تربية ضبط الغضب
تربي في النفس ضبط الغضب، وعدم التعدي على حرمة الحياة.
.3تربية ضبط الشهوة
تربي في النفس ضبط الشهوة، وحفظ الأعراض.
.4تربية الخوف من العذاب
تربي في النفس الخوف من عذاب الله، والابتعاد عن الكبائر.
.5تربية التوبة
الآية التالية ستبشر بالتوبة. فمن أفسد قواه، فباب التوبة مفتوح.
الموضوع الخامس5: المفاهيم المركزية في الآيتين
المفهوم الأول1: التوحيد
عباد الرحمن لا يشركون بالله أحدًا.
المفهوم الثاني2: حفظ النفس
لا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق.
المفهوم الثالث3: حفظ العرض
لا يزنون.
المفهوم الرابع4: جزاء الكبائر
من يفعل ذلك يلق أثامًا، ويضاعف له العذاب، ويخلد في النار مهانًا.
المفهوم الخامس5: القوى الثلاث
العقل (الشرك)، الغضب (القتل)، الشهوة (الزنا). الإسلام يوجهها، ومن يفسدها يلق العذاب.
الموضوع السادس6: القيم المستنبطة من الآيتين
.1قيمة التوحيد: أعظم قيمة.
.2قيمة الحياة: حرمتها.
.3قيمة العرض: حرمته.
.4قيمة ضبط النفس: في الغضب والشهوة.
.5قيمة استخدام العقل: في معرفة الله.
.6قيمة الخوف من الله: يردع عن الكبائر.
.7قيمة العدالة: العقاب على الجريمة.
.8قيمة التوبة: بابها مفتوح.
الموضوع السابع7: الأبعاد المختلفة للآيتين
.1البعد العقدي
تثبت الآيتان أن التوحيد هو أساس الإيمان، وأن الشرك والقتل والزنا من كبائر الذنوب.
.2البعد النفسي
تكشف الآيتان عن القوى الثلاث في الإنسان: العقل، الغضب، الشهوة. وتوضح كيف يوجهها الإسلام.
.3البعد الاجتماعي
تحافظ الآيتان على المجتمع بحفظ العقيدة والنفس والعرض.
.4البعد التربوي
تربي في النفس ضبط هذه القوى، واستخدامها في طاعة الله.
.5البعد الأخلاقي
تجعل من التوحيد وحفظ النفس والعرض أخلاقًا راسخة.
الموضوع الثامن8: الآفاق التي تحملها الآيتان
.1الأفق النفسي
تفتح أمامك أفقًا لفهم نفسك: ما هي قواك؟ كيف توجهها؟
.2الأفق الإيماني
تفتح أمامك أفقًا إيمانيًا: التوحيد هو الغاية.
.3الأفق الاجتماعي
تفتح أمامك أفقًا اجتماعيًا: المجتمع القوي هو الذي يحفظ هذه الحرمات.
.4الأفق التربوي
تفتح أمامك أفقًا تربويًا: كيف تربي نفسك على ضبط هذه القوى.
الموضوع التاسع9: التوجيهات والرسائل العملية من الآيتين
الرسالة الأولى1: وجه عقلك إلى الله
أعظم استخدام لعقلك هو أن تعرف الله وتوحده. لا تشرك به. لا تضع عقلك في عبادة ما لا ينفع ولا يضر.

الرسالة الثانية2: اضبط غضبك
الغضب قوة، لكن إذا لم تضبطه، يقتل. فلا تقتل نفسًا حرم الله. ولا تعتدِ على أحد.
الرسالة الثالثة3: اضبط شهوتك
الشهوة قوة، لكن إذا لم تضبطها، تزني. فاحفظ عرضك، واحفظ فرجك.
الرسالة الرابعة4: تذكر العذاب
من يفعل هذه الكبائر، يلق أثامًا. يتضاعف له العذاب. ويخلد في النار مهانًا. هذا الوعيد يردعك عن المعصية.
الرسالة الخامسة5: إن أفسدت قواك، فتب
الآية التالية ستبشر بالتوبة. فباب التوبة مفتوح. وإن أفسدت قواك، فعد إلى الله.
الموضوع العاشر10: ما تدعو إليه الآيتان
.1تدعوان إلى التوحيد
تدعوان إلى إفراد الله بالعبادة، وعدم الشرك به.
.2تدعوان إلى حفظ النفس
تدعوان إلى عدم قتل النفس التي حرم الله.
.3تدعوان إلى حفظ العرض
تدعوان إلى عدم الزنا.
.4تدعوان إلى ضبط القوى
تدعوان إلى ضبط قوى العقل والغضب والشهوة.
.5تدعوان إلى الخوف من العذاب
تدعوان إلى الخوف من عذاب الله، والابتعاد عن الكبائر.
الموضوع الحادي عشر11: ما نتعلمه من الآيتين
.1نتعلم أن التوحيد هو الأساس
نتعلم أن أعظم صفة لعباد الرحمن هي التوحيد.
.2نتعلم أن القتل والزنا من الكبائر
نتعلم أن هذه الذنوب من أعظم الكبائر بعد الشرك.
.3نتعلم أن القوى الثلاث تحتاج إلى توجيه
نتعلم أن العقل والغضب والشهوة قوى تحتاج إلى توجيه إلهي.
.4نتعلم أن عاقبة هذه الكبائر وخيمة
نتعلم أن من يفعلها يلق أثامًا، ويضاعف له العذاب، ويخلد في النار مهانًا.
.5نتعلم أن باب التوبة مفتوح
الآية التالية ستبين أن من تاب وآمن وعمل صالحًا، فالله يبدل سيئاته حسنات.
الموضوع الثاني عشر12: أخطار إفساد القوى الثلاث
.1إفساد قوة العقل: الشرك
الشرك هو أخطر أنواع إفساد العقل. فالعقل الذي يشرك بالله يضل عن الحق، ويصبح أداة للهلاك.
.2إفساد قوة الغضب: القتل
القتل بغير حق هو تدمير لقوه البغض الغضب. فبدل أن يكون الغضب للدفاع عن النفس والدين، يصبح وسيلة للعدوان والظلم.
.3إفساد قوة الشهوة: الزنا
الزنا هو تدمير لقوه الحب الشهوة. فبدل أن تكون الشهوة وسيلة للحفاظ على النسل وبناء الأسرة، تصبح وسيلة لهدم الأسر والأعراض.
.4تضاعف العذاب
من جمع هذه الانحرافات، يضاعف له العذاب. فهو يعذب على كل جريمة، وعذابه أشد.
.5الخلود في المهانة
جزاء من أفسد قواه هو الذل والهوان في النار. لا كرامة له، ولا عزة. هذا هو الخسران المبين.
الموضوع الثالث عشر13: دور مفاهيم الآيتين في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة
.1في بناء الإنسان المتزن
نفسيًا
تمنح الآيتان الإنسان التوازن النفسي من خلال:
· توجيه عقله إلى التوحيد، فيسعد.
· توجيه غضبه إلى الحق، فيعتدل.
· توجيه شهوته إلى الحلال، فيطمئن.
عقليًا
تزرع الآيتان في العقل:
· أهمية التوحيد: فهو أساس العقل السليم.
· أهمية ضبط الغضب: فهو أساس الأمن.

· أهمية ضبط الشهوة: فهو أساس العفة.
تربويًا
تعلمان الإنسان:
· التوحيد: استخدام العقل في معرفة الله.
· ضبط الغضب: في الدفاع عن الحق.
· ضبط الشهوة: في الحلال.
.2في بناء المجتمع المسلم
المجتمع الذي يتدبر هاتين الآيتين هو مجتمع:
· موحد: لا شرك فيه.
· آمن: لا قتل فيه بغير حق.
· عفيف: لا زنا فيه.
· متوازن: فيه توجيه للقوى البشرية.
.3في بناء الحضارة الإسلامية
الحضارة الإسلامية قامت على توجيه هذه القوى. فالعقل وجه إلى التوحيد والعلم، والغضب وجه إلى الجهاد في سبيل الله، والشهوة وجهت إلى الزواج والعفاف. فكانت حضارة متزنة.
هاتان الآيتان تحميان الحضارة من:
· الإلحاد: فيفسد العقل.
· العنف: فيفسد الغضب.
· الفجور: فيفسد الشهوة.
.4في البناء والتنمية
في مجال التنمية، هاتان الآيتان تعطيانك:
· أهمية العقل: التنمية تبدأ بالعقل السليم.
· أهمية الأمن: لا تنمية مع القتل.
· أهمية الأسرة: لا تنمية مع تفكك الأسرة.
الخاتمة: كيف تعيش هاتين الآيتين؟
· كل يوم، اسأل نفسك: هل عقلي موجه إلى الله؟ أم أشركت به؟
· كل غضب، اسأل نفسك: هل غضبي لله أم لهواي؟ هل سأقتل بغير حق؟
· كل شهوة، اسأل نفسك: هل شهوتي في الحلال أم في الحرام؟ هل سأزني؟
· كل خوف، تذكر: من يفعل هذه الكبائر يلق أثامًا، ويضاعف له العذاب، ويخلد في النار مهانًا.
· كل شعور بالذنب، تذكر أن باب التوبة مفتوح .فتب.
هاتان الآيتان هما ميزان قواك. به تزن: هل عقلك موحد؟ هل غضبك لله؟ هل شهوتك في الحلال؟ فإن كنت كذلك، فأنت من عباد الرحمن. وإن كنت مقصرًا، فتب. فباب التوبة مفتوح.
وقفة أخيرة: كيف توجه قواك؟
الآيتان تضعانك أمام سؤال: كيف توجه قواك الثلاث؟
· قوة عقلك: هل تستخدمها في التوحيد أم في الشرك؟
· قوة غضبك: هل تستخدمها في الحق أم في البغي؟
· قوة شهوتك: هل تستخدمها في الحلال أم في الحرام؟
تذكر: من أفسد قواه، يلق أثامًا، ويضاعف له العذاب، ويخلد في النار مهانًا. ومن أصلحها، فله الجنة.
فاختر لنفسك اليوم.

خامسا

تفسير الآيتين السبعين والحادية والسبعين من سورة الفرقان
قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا * وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾

مقدمة: النافذة التي لا تغلق ..من أقصى درجات اليأس إلى أوسع أبواب الرجاء
هل شعرت يومًا أن ذنوبك كثيرة، وأنك تجاوزت الحد؟ هل أغلقت على نفسك باب الأمل وظننت أنك لا تستحق المغفرة؟ هذه الآيتان تنزلان عليك كبشارة من السماء، وكأن الله يقول لك: لا تغلق الباب، فأنا لم أغلقه .لا تيأس من رحمتي، فأنا وسعت كل شيء رحمة.
بعد أن سمعت في الآيتين السابقتين وعيدًا شديدًا على مرتكبي الكبائر: الشرك والقتل والزنا، وأن من يفعل ذلك يلق أثامًا ويضاعف له العذاب ويخلد في النار مهانًا، تأتي هاتان الآيتان وكأنهما النافذة الوحيدة في السجن المظلم .إنهما تفتحان بابًا واسعًا لا يغلق أبدًا: باب التوبة.
هاتان الآيتان تخاطبانك أنت .أنت الذي قد تكون أذنبت، أنت الذي قد تكون ظننت أنك تجاوزت الحد ، أنت الذي قد تكون أغلقت على نفسك باب الأمل .اسمع: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا﴾ .الا ستثناء هنا ليس استثناءً عاديًا، بل هو فتح لرحمة الله التي وسعت كل شيء.
ثم تأتي البشارة الكبرى: ﴿فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ .نعم، يبدل السيئات حسنات .ليس فقط

يغفر، بل يحول الذنوب إلى طاعات .ليس فقط يمحو، بل يكتب مكانها حسنات .ثم يؤكد: ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ .هذا وصف ثابت: غفورًا رحيمًا .ثم يكرر: ﴿وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾ .توبة حقيقية، ورجوع صادق.
تعالَ نتأمل هاتين الآيتين، وكأنهما تنزلان الآن .وكأن الله يمسح على قلبك الذي أثقله الذنب، ويقول: تب، فإني غفور رحيم .أعمل صالحًا، فإني أبدل سيئاتك حسنات .لا تيأس، فبابي مفتوح.
اولا: السياق – العلاقة بالآية التي قبلها
الربط بالآيتين الثامنة والستين والتاسعة والستين
الآيتان السابقتان وصفتا عباد الرحمن بأنهم لا يشركون، ولا يقتلون، ولا يزنون .ثم ختمتا بوعيد شديد: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا﴾.
جاءت هاتان الآيتان لتكونا المخرج الوحيد من هذا الوعيد .فبعد أن ذكر الله أعظم الكبائر، وأعظم الوعيد عليها، يأتي الآن ليذكر أن هناك مخرجًا، أن هناك طريقًا للنجاة .وهذا هو رحمة الله بعباده: لا يغلق باب التوبة أبدًا.
إنها استثناء بعد وعيد، ليبقى الأمل، وليبقى الطريق مفتوحًا .فلا ييأس العاصي من رحمة الله، ولا يأمن المطيع من مكر الله.
ثانيا: تحليل الآيتين – قراءة في عمق الرحمة المفتوحة
المبحث الاول
الآية السبعون
الجملة الأولى: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ﴾
اللمسة البلاغية: "إلا" – الاستثناء المفرج
"إلا" هنا للاستثناء من الوعيد السابق .أي: من وقع في هذه الكبائر، واستحق هذا الوعيد، إلا من تاب . فالاستثناء يفتح باب الأمل.
"تابَ" – التوبة
التوبة: الرجوع عن الذنب إلى الله، مع الندم عليه، والإقلاع عنه، والعزم على عدم العودة.
الدلالة النفسية
هذه الكلمة وحدها تكفي لإنقاذ من أوشك على اليأس ."إلا من تاب" يعني أن كل ما سبق من وعيد ليس نهاية الطريق .هناك مخرج .هناك أمل.
2/الجملة الثانية: ﴿وَآمَنَ﴾
اللمسة البلاغية: "وآمَنَ" – الإيمان بالله
الإيمان بالله وبرسله وباليوم الآخر .والتوبة وحدها لا تكفي، بل لا بد من الإيمان.
الدلالة النفسية
التوبة تحتاج إلى إيمان .فمن تاب ثم عاد إلى كفره، توبته غير مقبولة .فالإيمان هو الأساس.
3/الجملة الثالثة: ﴿وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا﴾
اللمسة البلاغية: "عَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا" – العمل الصالح
العمل الصالح هو ما يرضي الله من الطاعات .والتوبة تحتاج إلى عمل صالح يصدقها.

"عَمَلًا" – نكرة للعموم
جاء "عملًا" نكرة للعموم .أي: أي عمل صالح، قليلًا كان أم كثيرًا.

الدلالة النفسية
هذه الجملة تحدد شروط التوبة: توبة صادقة، وإيمان حقيقي، وعمل صالح .هذا هو الطريق.
4/الجملة الرابعة: ﴿فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾
اللمسة البلاغية: "يُبَدِّلُ" – التبديل والإحلال
"يبدل" من التبديل، وهو إزالة الشيء ووضع غيره مكانه .والله يبدل السيئات حسنات.
"سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ" – من السيئات إلى الحسنات
هذا هو أعظم كرم الله .ليس فقط يغفر السيئات، بل يحولها إلى حسنات .فالسيئات تُمحى، ويُكتب مكانها حسنات.

اللمسة البيانية: تقديم السيئات على الحسنات
قدم السيئات على الحسنات للدلالة على أن الأصل كانت السيئات، فجاءت الحسنات بدلًا منها .وهذا من كرم الله.
الدلالة النفسية
هذه الجملة تملأ القلب أملًا لا حدود له .التائب لا يعود كمن لم يذنب، بل يعود وقد حولت سيئاته إلى حسنات .هذا هو فضل الله.
5/الجملة الخامسة: ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾
اللمسة البلاغية: "كانَ" – الثبات والدوام

"كان" تفيد الثبات والدوام .أي: الله لم يزل ولا يزال غفورًا رحيمًا.
"غَفُورًا رَحِيمًا" – صيغ المبالغة
"غفورًا" كثير المغفرة ."رَحِيمًا" واسع الرحمة .وهاتان الصفتان هما أساس قبول التوبة.
الدلالة النفسية
هذه الجملة تطمئن القلب: غفورًا رحيمًا .ليس غضوبًا، ولا منتقمًا .فهو يغفر ويرحم.
المبحث الثاني
الآية الحادية والسبعون
1/الجملة الأولى: ﴿وَمَنْ تابَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾
اللمسة البلاغية: تكرار التوبة والعمل الصالح
كرر الله التوبة والعمل الصالح للتأكيد على أهميتهما.
حذف الإيمان للعلم به
حذف الإيمان لأنه معلوم من التوبة الصادقة .فمن تاب حقًا، لا بد أن يكون مؤمنًا.
الدلالة النفسية
هذا التكرار يثبت في النفس أهمية التوبة والعمل الصالح.
2الجملة الثانية: ﴿فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللهِ مَتَابًا﴾
اللمسة البلاغية: "يَتُوبُ إِلَى اللهِ مَتَابًا" – توبة حقيقية
"يتوب" فعل مضارع يدل على الاستمرار ."مَتَابًا" مصدر منصوب للتوكيد .أي: يتوب توبة حقيقية صادقة.
الدلالة النفسية
هذه الجملة تطمئن التائب أن توبته مقبولة .فهو قد رجع إلى الله رجوعًا صادقًا.
ثالثا
الموضوع الأول1: شروط التوبة المقبولة
.1الإقلاع عن الذنب
التوبة تبدأ بالإقلاع الفوري عن الذنب .لا توبة مع الإصرار.
.2الندم على ما فات
الندم هو جوهر التوبة .فبدون ندم، لا توبة حقيقية.
.3العزم على عدم العودة
العزم الصادق على أن لا يعود إلى الذنب .هذا شرط أساسي.
.4الإيمان
التوبة لا تصح من غير إيمان .فمن تاب وهو كافر، توبته غير مقبولة.
.5العمل الصالح
التوبة تحتاج إلى عمل صالح يصدقها .فمن تاب ثم لم يعمل صالحًا، توبته ناقصة.
الموضوع الثاني2: تبديل السيئات حسنات
كيف يبدل الله السيئات حسنات؟
.1يمحوها بالكلية
يمحو الله السيئات من صحيفة العبد، فلا يعاقب عليها.
.2يجعلها سببًا في رفع الدرجات
قد يجعل الله الذنوب سببًا في زيادة الإيمان بعد التوبة، فيرفع بها درجات العبد.
.3يكتب مكانها حسنات
قد يبدل الله السيئات حسنات، فيكتب للتائب مكان كل سيئة حسنة.
.4يعطي الثواب على التوبة نفسها
التوبة نفسها عمل صالح، فيثاب عليها العبد.
الموضوع الثالث3: الجوانب النفسية في الآيتين
.1التوبة – تخفيف الذنب
التوبة تخفف الشعور بالذنب، وتعيد الثقة بالنفس.
.2الأمل – بديل اليأس
الآيتان تملآن النفس أملًا بدل اليأس .فمن كان يظن أنه لا سبيل له، يجد الباب مفتوحًا.
.3الرجاء – بديل القنوط
الرحمن غفور رحيم .هذا يزرع الرجاء في القلب، ويمنع القنوط.
.4تبديل السيئات – كرم لا حدود له
أن يبدل الله السيئات حسنات، هذا أعظم كرم .يجعلك تشعر بأنك لم تخسر شيئًا، بل ربحت.
.5العودة إلى الله – الاستقرار النفسي
التوبة تعيد الإنسان إلى الله، وهو مصدر الأمن والطمأنينة.
الموضوع الرابع4: الجوانب العقلية في الآيتين
.1فهم حكمة التوبة

العقل السليم يدرك أن التوبة هي الحل الوحيد لتصحيح المسار .فالإصرار على الخطأ غير عقلاني.
.2فهم أن الرحمة أصل
العقل يدرك أن الرحمة هي الأصل في خلق الله .فالغضب عارض، والرحمة غالب.
.3فهم أن التغيير ممكن
العقل يدرك أن الإنسان يمكنه تغيير نفسه .فالتوبة دليل على إمكانية التغيير.
.4فهم أن الله أرحم من الأم
العقل يدرك أن رحمة الله أعظم من رحمة الأم بولدها .فمن ييأس من رحمة الله، فقد أساء الظن به.
الموضوع الخامس5: الجوانب التربوية في الآيتين
.1تربية الأمل
تربي في النفس الأمل، وعدم اليأس من رحمة الله.
.2تربية التوبة
تربي في النفس حب التوبة، والرجوع إلى الله.
.3تربية العمل الصالح
تربي على أن العمل الصالح هو ثمرة التوبة الصادقة.
.4تربية الرجاء
تربي في النفس الرجاء في رحمة الله، لا القنوط.
.5تربية التواضع
تعلم أن الكل يحتاج إلى التوبة، فلا يتكبر أحد.
الموضوع السادس6: المفاهيم المركزية في الآيتين
المفهوم الأول1: الاستثناء
التوبة هي الاستثناء من الوعيد .فلا وعيد دون مخرج.
المفهوم الثاني2: شروط التوبة
التوبة الصادقة تتطلب: الإقلاع، الندم، العزم، الإيمان، العمل الصالح.
المفهوم الثالث3: تبديل السيئات حسنات
أعظم كرم: أن يبدل الله السيئات حسنات.
المفهوم الرابع4: غفور رحيم
صفات الله الثابتة: الغفران والرحمة.
المفهوم الخامس5: متابًا
توبة صادقة إلى الله.
الموضوع السابع7: القيم المستنبطة من الآيتين
.1قيمة الأمل: لا تيأس من رحمة الله.
.2قيمة التوبة: الرجوع إلى الله.
.3قيمة العمل الصالح: ثمرة التوبة.
.4قيمة الرجاء: في رحمة الله.
.5قيمة الكرم: الله يبدل السيئات حسنات.
.6قيمة المغفرة: بابها مفتوح.
.7قيمة الصدق: في التوبة.
الموضوع الثامن8: الأبعاد المختلفة للآيتين
.1البعد العقدي
تثبت الآيتان أن الله غفور رحيم، وأن التوبة مقبولة.
.2البعد النفسي
تمنح الآيتان الأمل والرجاء، وتخفف الشعور بالذنب.
.3البعد التربوي
تربي على التوبة والعمل الصالح والأمل.
.4البعد الاجتماعي
تفتح باب العودة للمجرمين، فلا ييأسوا من الإصلاح.
.5البعد الإيماني
تزيد الإيمان برحمة الله.
الموضوع التاسع9: الآفاق التي تحملها الآيتان
.1الأفق النفسي
تفتح أمامك أفقًا نفسيًا: الأمل بدل اليأس، الرجاء بدل القنوط.
.2الأفق الإيماني
تفتح أمامك أفقًا إيمانيًا: الإيمان برحمة الله الواسعة.
.3الأفق التربوي
تفتح أمامك أفقًا تربويًا: كيف تربي نفسك على التوبة، وكيف تربي غيرك على الأمل.

.4الأفق الاجتماعي
تفتح أمامك أفقًا اجتماعيًا: كيف نتعامل مع المذنبين بالأمل، لا باليأس.
الموضوع العاشر10: التوجيهات والرسائل العملية من الآيتين
1الرسالة الأولى: لا تيأس
مهما عظمت ذنوبك، لا تيأس من رحمة الله .باب التوبة مفتوح.
2الرسالة الثانية: تب إلى الله
تب توبة صادقة: أندم على ما فات، وأقلع عن الذنب، واعزم على عدم العودة.
3الرسالة الثالثة: آمن بالله
توبتك لا تنفع بدون إيمان .فاجدد إيمانك.
4الرسالة الرابعة: اعمل صالحًا
لا تكتف بالتوبة، بل اعمل صالحًا .فالعمل الصالح هو ثمرة التوبة.
5الرسالة الخامسة: استبشر
إن تبت وآمنت وعملت صالحًا، فالله يبدل سيئاتك حسنات .هذا هو الكرم الإلهي.
6الرسالة السادسة: لا تقنط
من قنط من رحمة الله، فقد أساء الظن بالغفور الرحيم.
الموضوع الحادي عشر11: ما تدعو إليه الآيتان
.1تدعوان إلى التوبة
تدعوان إلى الرجوع إلى الله، وعدم اليأس.
.2تدعوان إلى الإيمان
تدعوان إلى الإيمان بالله.
.3تدعوان إلى العمل الصالح
تدعوان إلى العمل الصالح بعد التوبة.
.4تدعوان إلى الأمل
تدعوان إلى الأمل في رحمة الله.
.5تدعوان إلى الرجاء
تدعوان إلى الرجاء في الله، لا اليأس.
الموضوع الثاني عشر12: ما نتعلمه من الآيتين
.1نتعلم أن باب التوبة مفتوح
نتعلم أن الله لا يغلق باب التوبة أبدًا.
.2نتعلم أن الله يبدل السيئات حسنات
نتعلم أن من كرم الله أنه يبدل السيئات حسنات.
.3نتعلم أن التوبة تحتاج إلى عمل صالح
نتعلم أن التوبة وحدها لا تكفي، بل لا بد من عمل صالح.
.4نتعلم أن رحمة الله واسعة
نتعلم أن رحمة الله وسعت كل شيء.
.5نتعلم أن الأمل لا ينقطع
نتعلم أن الأمل في رحمة الله لا ينقطع أبدًا.
الموضوع الثالث عشر13: دور مفاهيم الآيتين في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة
.1في بناء الإنسان المتزن
نفسيًا
تمنح الآيتان الإنسان الاستقرار النفسي من خلال:
· الأمل بدل اليأس.
· الرجاء بدل القنوط.
· التوبة التي تطهر النفس.
عقليًا
تزرع الآيتان في العقل:
· فهم أن التوبة ممكنة: مهما عظم الذنب.
· فهم أن رحمة الله واسعة: فلا ييأس.
· فهم أن العمل الصالح ضروري: بعد التوبة.
تربويًا
تعلمان الإنسان:
· التوبة: الرجوع إلى الله.
· الأمل: لا ييأس.
· العمل الصالح: ثمرة التوبة.
.2في بناء المجتمع المسلم

المجتمع الذي يتدبر هاتين الآيتين هو مجتمع:
· لا ييأس من رحمة الله: فلا يقنط أحد.
· يفتح باب التوبة: فلا يغلق في وجه العاصي.
· يؤمن بالعمل الصالح: فيعمل الخير.
· متسامح: مع من تاب.
.3في بناء الحضارة الإسلامية
الحضارة الإسلامية قامت على الأمل والرجاء .المسلمون لم ييأسوا من رحمة الله، وكانوا يتوبون ويعودون إلى الله .فكانت حضارة متجددة.
هاتان الآيتان تحميان الحضارة من:
· اليأس: فيبقى الأمل.
· القنوط: فيبقى الرجاء.
· الجمود: فالتوبة تجدد.
.4في البناء والتنمية
في مجال التنمية، هاتان الآيتان تعطيانك:
· الأمل: في النجاح رغم الصعوبات.
· التوبة: أي تصحيح الأخطاء.
· العمل الصالح: أي العمل الجيد بعد الأخطاء.
الخاتمة: كيف تعيش هاتين الآيتين؟
· كل ذنب، تذكر: "إلا من تاب" .باب التوبة مفتوح.
· كل يأس، تذكر: "يبدل الله سيئاتهم حسنات" .لا تيأس.
· كل توبة، اصدقها بالإيمان والعمل الصالح.
· كل شعور بالذنب، تذكر أن الله غفور رحيم.
· كل عودة إلى الله، تذكر أنك تتوب إليه متابًا.
هاتان الآيتان هما الأمل الذي لا ينقطع .إنهما تذكرانك أن رحمة الله وسعت كل شيء، وأن باب التوبة مفتوح، وأن الله يبدل السيئات حسنات .فلا تيأس، وتب، واعمل صالحًا، تكن من الفائزين.
وقفة أخيرة: هل أنت من التائبين؟
الآيتان تضعانك أمام سؤال: هل أنت من التائبين؟
· هل تبت إلى الله توبة صادقة؟
· هل آمنت بالله حقًا؟
· هل عملت صالحًا؟
إن كنت كذلك، فاستبشر .فالله يبدل سيئاتك حسنات.
وإن كنت مقصرًا، فتب اليوم .فباب التوبة مفتوح.

سادسا

(تفسير الآية الثانية والسبعين من سورة الفرقان
قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾
مقدمة: الشهادة لله.. والمرور الكريم
بعد أن وصف الله عباد الرحمن بصفات عظيمة: التواضع في المشي، والحلم في مواجهة الجاهلين، وقيام الليل، والخوف من النار، والاعتدال في الإنفاق، والتوبة من الكبائر، تأتي هذه الآية لتضيف صفتين جديدتين من أجمل صفاتهم: الأولى تتعلق بالشهادة، والثانية تتعلق بالمواقف التي لا قيمة لها.
هذه الآية تخاطبك أنت أيضًا. إنها تهمس في أذنك: هل تشهد الزور؟ هل تحضر مجالس الباطل؟ هل تشارك في الكذب والبهتان؟ ثم تهمس: وإذا مررت باللغو، كيف تمر؟ هل تتوقف فتخوض فيه؟ أم تمر كريمًا، لا تلتفت، ولا تشغل نفسك؟
تعالَ نتأمل هذه الآية، وكأنها تنزل الآن. وكأن الله يصف لنا أولئك الذين حفظوا جوارحهم عن الباطل، ورفعوا أنفسهم عن سفاسف الأمور.
أولًا: السياق – العلاقة بالآية التي قبلها

الربط بالآيتين السبعين والحادية والسبعين
الآيتان السابقتان تحدثتا عن التوبة والرجوع إلى الله، وتبديل السيئات حسنات.
جاءت هذه الآية لتكمل صفات عباد الرحمن بعد التوبة. فمن تاب وآمن وعمل صالحًا، يصبح من الذين لا يشهدون الزور، وإذا مروا باللغو مروا كرامًا. إنها صفات من رقى بنفسه بعد التوبة.
ثانيًا: تحليل الآية – قراءة في عمق الكرامة

الجملة الأولى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾
اللمسة البلاغية: "لَا يَشْهَدُونَ" – نفي الشهادة
"لا يشهدون" أي: لا يحضرون، ولا يشهدون بالباطل .والشهادة هنا بمعنى الحضور والمشاركة.

"الزُورَ" – ما هو الزور؟
الزور هو: الكذب، والبهتان، والباطل. وكل ما كان من القول أو الفعل مخالفًا للحق. ويدخل فيه: مجالس اللّهو والغناء، ومجالس السخرية، ومجالس الغيبة والنميمة، ومجالس الكفر.
اللمسة البيانية: الزور اسم جامع
جاء "الزور" نكرة في سياق النفي، ليشمل كل أنواع الزور. فهم لا يشهدون أي زور: لا قولًا، ولا فعلًا، ولا حضورًا.
الدلالة النفسية
هذه الجملة تربي في النفس الوعي واليقظة. فلا يذهب الإنسان إلى مجالس الباطل، ولا يشارك في الكذب والبهتان.
2/الجملة الثانية: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾
اللمسة البلاغية: "اللَّغْوِ" – ما هو اللغو؟
اللغو هو: السقه من القول، والكلام الفارغ، والأذى، وما لا فائدة فيه. وهو دون الزور في القبح، لكنه أيضًا مما يجب اجتنابه.
"مَرُّوا كِرَامًا" – كيف يمرون؟
"مروا كرامًا" أي: يعرضون عنه، ولا يخوضون فيه، ولا يلتفتون إليه .ويمرون بكرامة وعزة، لا يتدنسون باللغو.
اللمسة البيانية: "كرامًا" – حال من الضمير
"كرامًا" حال من الضمير في "مروا" .أي: يمرون وهم كرام، أعزة، لا يهبطون إلى مستوى اللغو.
الدلالة النفسية
هذه الجملة تملأ القلب كرامة وعزة. من لا يخوض في اللغو، ولا يلتفت إلى السفاهة، فهو كريم النفس، عزيز الجانب.
ثالثا
الموضوع الأول1: أنواع الزور التي لا يشهدها عباد الرحمن
.1شهادة الزور في القضاء
أعظم أنواع الزور: أن يشهد الإنسان بما لم ير أو يسمع، فيظلم غيره. وهذه من كبائر الذنوب.
.2حضور مجالس الباطل
كل مجلس يعصى فيه الله، أو يستهزأ فيه بالدين، أو تغتاب فيه الناس، هو من الزور الذي لا يشهده عباد الرحمن.
.3مشاركة الكذب والبهتان
أن يشارك في نشر الكذب، أو يتحدث بما لا يعلم، فهذا من الزور.
.4الاحتفالات والمهرجانات المحرمة
ما كان فيها منكرات، أو مخالفات شرعية، فهي من الزور الذي لا يشهده عباد الرحمن.
.5مجالس اللّهو والغناء المحرم
ما كان فيه محرمات من الأقوال والأفعال.
الموضوع الثاني2: اللغو وما يتعلق به
.1ما هو اللغو؟
اللغو هو: الكلام الفارغ الذي لا فائدة فيه. وقد يكون مباحًا في الأصل، لكن تركه أولى. وقد يكون فيه إثم قليل.
.2كيف يمر عباد الرحمن باللغو؟
يمرون ولا يقفون. لا يخوضون فيه. لا يجادلون فيه. يمرون كرامًا، أعزة، لا ينزلون إلى مستوى السفاهة.
.3الفرق بين الزور واللغو
الزور: محرم قطعًا، لا يجوز حضوره ولا المشاركة فيه.
اللغو: قد يكون مكروهًا أو مباحًا، لكن تركه أولى. وعباد الرحمن يتركونه كرامة لأنفسهم.
الموضوع الثالث3: الجوانب النفسية في الآية
.1شهادة الزور – انهيار الضمير
من يشهد الزور، ينهار ضميره. يفقد الشعور بالمسؤولية. يصبح أداة للظلم.
.2اجتناب الزور – صحة نفسية
من لا يشهد الزور، يحافظ على صحة نفسه. ضميره حي، ونفسه نقية.
.3المرور باللغو كرامًا – العزة النفسية
من يمر باللغو كريمًا، يشعر بعزة نفسه. لا يهبط إلى مستوى السفاهة. يحافظ على كرامته.
.4الكرامة – ثمرة التقوى
الكرامة ليست بالمال ولا بالجاه. الكرامة في أن ترفع نفسك عن سفاسف الأمور.
الموضوع الرابع4: الجوانب العقلية في الآية
.1فهم خطورة شهادة الزور

العقل السليم يدرك أن شهادة الزور تظلم الناس، وتفقد الثقة في المجتمع.
.2فهم أن اللغو مضيعة للوقت
اللغو لا فائدة فيه. فهو مضيعة للوقت الذي هو أغلى ما يملك الإنسان.
.3فهم أن الكرامة بالسلوك
الكرامة لا تعطى، بل تكتسب بالسلوك. من يمر باللغو كريمًا، يكسب احترام الناس لنفسه.
.4فهم أن العاقل لا يخوض في الباطل
العقل السليم يوجه الإنسان إلى اجتناب ما لا ينفعه.
الموضوع الخامس5: الجوانب التربوية في الآية
.1تربية الصدق
الآية تربي في النفس الصدق، واجتناب الكذب والبهتان.
.2تربية الوعي
تربي في النفس الوعي بما حولها. فلا تذهب إلى مجالس الباطل.
.3تربية الكرامة
تربي في النفس الكرامة والعزة. فلا تنزل إلى مستوى السفاهة.
.4تربية حسن الاختيار
تربي في النفس اختيار المجالس الصالحة، واجتناب مجالس اللغو.
.5تربية الوقت
تربي في النفس أهمية الوقت، وعدم إضاعته فيما لا يفيد.
الموضوع السادس6: المفاهيم المركزية في الآية
المفهوم الأول1: لا يشهدون الزور
عباد الرحمن لا يحضرون مجالس الباطل، ولا يشاركون في الكذب.
المفهوم الثاني2: اللغو
السقه من القول، والكلام الفارغ.
المفهوم الثالث3: المرور كرامًا
يمرون باللغو ولا يخوضون فيه، محافظين على كرامتهم.
المفهوم الرابع4: الكرامة
عزة النفس، ورفعها عن الدنايا.
الموضوع السابع7: القيم المستنبطة من الآية
.1قيمة الصدق: اجتناب الكذب.
.2قيمة الوعي: معرفة ما حولك.
.3قيمة الكرامة: رفع النفس عن الدنايا.
.4قيمة الوقت: عدم إضاعته في اللغو.
.5قيمة حسن الاختيار: اختيار المجالس.
.6قيمة العفة: عن الباطل.
.7قيمة العزة: في السلوك.
الموضوع الثامن8: الأبعاد المختلفة للآية
.1البعد الأخلاقي
تؤكد الآية على الصدق والكرامة في السلوك.
.2البعد الاجتماعي
تحمي المجتمع من شهادة الزور، ومن مجالس اللغو.
.3البعد النفسي
تربي في النفس العزة والكرامة.
.4البعد التربوي
تربي على الوعي وحسن الاختيار.
.5البعد الإيماني
تربط الإيمان بالسلوك العملي.
الموضوع التاسع9: الآفاق التي تحملها الآية
.1الأفق الأخلاقي
تفتح أمامك أفقًا أخلاقيًا: الصدق، الكرامة، الوعي.
.2الأفق النفسي
تفتح أمامك أفقًا نفسيًا: العزة، الكرامة، صحة الضمير.
.3الأفق الاجتماعي
تفتح أمامك أفقًا اجتماعيًا: كيف تتعامل مع مجالس الباطل.
.4الأفق التربوي
تفتح أمامك أفقًا تربويًا: كيف تربي نفسك على اجتناب اللغو.

الموضوع العاشر10: التوجيهات والرسائل العملية من الآية
1/الرسالة الأولى: لا تشهد الزور
لا تشهد بباطل. لا تحضر مجالس الباطل. لا تشارك في الكذب والبهتان.
2/الرسالة الثانية: اختر مجالسك بعناية
مجالسك تعكس شخصيتك. اختر مجالس الخير والذكر والعلم.
3/الرسالة الثالثة: إذا مررت باللغو، مر كريمًا
لا تقف عند اللغو. لا تخض فيه. لا تجادل فيه. اتركه وامض كريمًا.
4/الرسالة الرابعة: احفظ كرامتك
كرامتك في يدك. لا تهبط إلى مستوى السفاهة. كن عزيز النفس.
5/الرسالة الخامسة: وقتك ثمين
لا تضيع وقتك في اللغو. الوقت أغلى ما تملك. استثمره فيما ينفعك في دنياك وآخرتك.
الموضوع الحادي عشر11: ما تدعو إليه الآية
.1تدعو إلى اجتناب شهادة الزور
تدعو إلى ترك الكذب والبهتان، وترك حضور مجالس الباطل.
.2تدعو إلى اجتناب اللغو
تدعو إلى عدم الخوض في الكلام الفارغ الذي لا فائدة فيه.
.3تدعو إلى الكرامة
تدعو إلى أن تكون كريمًا عزيزًا، لا تهبط إلى مستوى السفاهة.
.4تدعو إلى الوعي
تدعو إلى أن تكون واعيًا بما حولك، فلا تذهب حيث لا ينبغي.
.5تدعو إلى حفظ الوقت
تدعو إلى استثمار الوقت فيما ينفع، لا إضاعته.
الموضوع الثاني عشر12: ما نتعلمه من الآية
.1نتعلم أن عباد الرحمن لا يشهدون الزور
نتعلم أن من صفاتهم اجتناب الكذب ومجالس الباطل.
.2نتعلم أنهم يمرون باللغو كرامًا
نتعلم أنهم لا يخوضون في السفاهة، بل يمرون بكرامة وعزة.
.3نتعلم أن الكرامة في السلوك
نتعلم أن الكرامة ليست بالمال، بل برفع النفس عن الدنايا.
.4نتعلم أن الوقت ثمين
نتعلم أن الوقت لا يضيع في اللغو.
.5نتعلم أن المجالس تعكس الشخصية
نتعلم أن مجالس الإنسان تدل على شخصيته وقيمه.
الموضوع الثالث عشر13: دور مفاهيم الآية في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة
.1في بناء الإنسان المتزن
نفسيًا
تمنح الآية الإنسان العزة والكرامة من خلال:
· اجتناب الزور يحفظ ضميره حيًا.
· المرور باللغو كرامًا يرفع من شأن نفسه.
· الشعور بالكرامة يمنحه الثقة.
عقليًا
تزرع الآية في العقل:
· فهم خطورة شهادة الزور: أنها تظلم الناس.
· فهم أن اللغو مضيعة: للوقت والجهد.
· فهم أن الكرامة بالسلوك: لا بالمال.
تربويًا
تعلم الآية الإنسان:
· الصدق: اجتناب الزور.
· الوعي: اختيار المجالس.
· الكرامة: رفع النفس.
.2في بناء المجتمع المسلم
المجتمع الذي يتدبر هذه الآية هو مجتمع:
· لا تنتشر فيه شهادة الزور: فيسود العدل.
· لا تضيع أوقاته في اللغو: فيستثمرها.
· أفراده أعزة كرام: لا يهبطون إلى السفاهة.

· مجالس عامرة بالخير: لا بالباطل.
.3في بناء الحضارة الإسلامية
الحضارة الإسلامية قامت على الصدق والكرامة. المسلمون كانوا لا يشهدون الزور، وكانوا أعزة كرام.
هذه الآية تحمي الحضارة من:
· الفساد: في القضاء والشهادة.
· الانحطاط: فلا تضيع أوقاتها.
· الذل: فتحافظ على كرامتها.
.4في البناء والتنمية
في مجال التنمية، هذه الآية تعطيك:
· أهمية النزاهة: في الشهادة والإدارة.
· أهمية الوقت: لا تنمية بلا استثمار للوقت.
· أهمية الكرامة: لا تنمية بلا كرامة الإنسان.
الخاتمة: كيف تعيش هذه الآية؟
· كل دعوة إلى مجلس فيه باطل، تذكر: لا تشهد الزور.
· كل كلمة تسمعها من كذب وبهتان، لا تشارك فيها.
· كل لغو تمر به، لا تقف عنده .مر كريمًا.
· كل وقت، لا تضيعه في ما لا يفيد.
· كل موقف، احفظ كرامتك .لا تنزل إلى مستوى السفاهة.
هذه الآية هي تذكير لك بكرامتك. أنت عبد لله، لا عبد للباطل. فكن كريمًا، عزيزًا، لا تشهد الزور، وإذا مررت باللغو فمر كريمًا.
وقفة أخيرة: كيف تمر باللغو؟
الآية تضعك أمام سؤال: كيف تمر باللغو؟
· هل تتوقف فتخوض فيه؟
· أم تمر كريمًا لا تلتفت؟
تذكر: من يمر باللغو كريمًا، يحفظ وقته، ويحفظ كرامته، ويحفظ دينه. ومن يقف عنده، يضيع وقته، ويفقد كرامته، وربما وقع في الإثم.
فاختر لنفسك طريق الكرامة.
سابعا تفسير الآية الثالثة والسبعين من سورة الفرقان
قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾.
مقدمة: حين تنزل الآيات ..كيف يكون الموقف؟
بعد أن وصف الله عباد الرحمن بأنهم لا يشهدون الزور، وإذا مروا باللغو مروا كرامًا، تأتي هذه الآية لتضيف صفة جوهرية أخرى: موقفهم من آيات الله .إنها صفة تميزهم عن غيرهم، وترفعهم إلى درجات القرب من ربهم.
هذه الآية تخاطبك أنت أيضًا .إنها تهمس في أذنك: عندما تسمع آيات الله، عندما تقرأ القرآن، عندما تسمع ذكر الله، كيف يكون حالك؟ هل تصمت فلا تتدبر؟ هل تعمى فلا ترى؟ أم أنك تسمع وتتأثر، وترى فتستجيب؟
تعالَ نتأمل هذه الآية، وكأنها تنزل الآن .وكأن الله يصف لنا أولئك الذين إذا ذُكِروا بآياته، لم يبقوا عليها صمًا وعميانًا .بل تفتح قلوبهم، وتخشع جوارحهم.
أولًا: السياق – العلاقة بالآية التي قبلها

الربط بالآية الثانية والسبعين
الآية السابقة وصفت عباد الرحمن بأنهم لا يشهدون الزور، وإذا مروا باللغو مروا كرامًا.
جاءت هذه الآية لتضيف صفة إيجابية في مقابل الصفات السلبية .فهم ليسوا فقط يجتنبون الباطل، بل هم أيضًا مقبلون على الحق .فهم إذا ذُكِروا بآيات ربهم، لم يخروا عليها صمًا وعميانًا .هذا هو الإقبال على الخير بعد اجتناب الشر.
إنها انتقال من اجتناب المنكرات إلى الإقبال على الطاعات .وهذه هي صفات الكاملين.
ثانيًا: تحليل الآية – قراءة في عمق الاستجابة

الجملة الأولى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾.
اللمسة البلاغية: "إِذَا" – للتكرار والاستمرار
"إذا" ظرفية شرطية تفيد أن التذكير يتكرر .وهم كلما ذُكِروا، كانت استجابتهم واحدة.
"ذُكِّرُوا" – التذكير بالآيات
"ذكروا" من التذكير، وهو تنبيه القلب إلى ما قد يغفل عنه .والآيات هي آيات الله: القرآن، وحججه، وبراهينه.
"بِآيَاتِ رَبِّهِمْ" – آيات الله

"آيات ربهم" أي: أدلته وحججه .تشمل آياته الكونية والقرآنية .فكل ما يدل على الله فهو آية.
الدلالة النفسية
هذه الجملة تذكر أن عباد الرحمن يحتاجون إلى التذكير .فهم ليسوا معصومين من الغفلة، لكنهم إذا ذُكِّروا، استجابوا.
2الجملة الثانية: ﴿لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾
اللمسة البلاغية: "لَمْ يَخِرُّوا" – نفي الخرور
"لم يخروا" أي: لم يسقطوا .والخرور هو السقوط .والمعنى: لم يقعوا على الآيات وهم صم عمي.
"عَلَيْهَا" – على الآيات
"عليها" أي: على الآيات .أي: لم يقعوا عليها وهم لا يسمعون ولا يبصرون.
"صُمًّا وَعُمْيَانًا" – حال من الضمير
"صمًا وعميانًا" حال من الضمير في "يخروا" .أي: لا يقعون على الآيات وهم صم عمي .بل يسمعون ويبصرون ويتدبرون.
اللمسة البيانية: نفي الصمم والعمى
نفي الصمم: أي أنهم يسمعون الآيات سماع تدبر وتفكر.
نفي العمى: أي أنهم يبصرون الآيات ببصائرهم، فيرون الحق.
الدلالة النفسية
هذه الجملة تملأ القلب خشوعًا .عباد الرحمن إذا سمعوا آيات الله، لم يكونوا كالصم لا يسمعون، ولا كالعمي لا يبصرون .بل يستمعون ويبصرون فيتدبرون ويخشعون.
ثالثا
الموضوع الأول1: أنواع الاستجابة لآيات الله
.1سماع التدبر
لا يكفي سماع الأذن، بل لا بد من سماع القلب .عباد الرحمن يسمعون آيات الله سماع تدبر وفهم.
.2بصر البصيرة
لا يكفي بصر العين، بل لا بد من بصر القلب .عباد الرحمن يرون آيات الله بعيون قلوبهم، فيعرفون الحق.
.3الخشوع والانقياد
الاستجابة الحقيقية تكون بالخشوع والانقياد .فإذا سمعوا آيات الله، خشعت قلوبهم، وانقادت جوارحهم.
.4العمل بالآيات
أعلى درجات الاستجابة: العمل بما في الآيات .فعباد الرحمن لا يكتفون بالسماع والبصر، بل يعملون.
الموضوع الثاني2: الجوانب النفسية في الآية
.1التذكير – الحاجة المستمرة
الإنسان يحتاج إلى تذكير مستمر .والغفلة طبيعة بشرية .فعباد الرحمن لا يستكبرون عن التذكير.
.2السماع – انفتاح القلب
من يسمع آيات الله بقلب مفتوح، يتأثر .ومن يسمع بقلب مغلق، لا يتأثر.
.3البصر – رؤية الحق
رؤية الحق تحتاج إلى بصيرة .ومن فتح الله بصيرته، رأى الحق في كل آية.
.4الخرور – السقوط في الغفلة
من يسمع آيات الله ولا يتأثر، كمن يخر عليها صمًا عميانًا .أي: يقع في الغفلة.
الموضوع الثالث3: الجوانب العقلية في الآية
.1فهم أن التذكير ضروري
العقل السليم يدرك أن الإنسان يحتاج إلى تذكير .فالغفلة لا مفر منها، لكن الاستجابة هي الفارق.
.2فهم أن السماع الحقيقي سماع القلب
سماع الأذن لا يكفي .العقل يدرك أن السماع النافع هو سماع القلب.
.3فهم أن البصر الحقيقي بصر البصيرة
بصر العين يرى الظواهر .أما بصر البصيرة فيرى الحقائق.
.4فهم أن الصمم والعمى الحقيقيان في القلب
أعمى الناس ليس من فقد عينيه، بل من فقد بصيرته .وأصمهم ليس من فقد أذنيه، بل من أغلق قلبه.
الموضوع الرابع4: الجوانب التربوية في الآية
.1تربية الاستجابة
الآية تربي في النفس الاستجابة لآيات الله عند التذكير.
.2تربية التدبر
تربي في النفس تدبر آيات الله، لا مجرد التلاوة.
.3تربية البصيرة

تربي في النفس البصيرة لرؤية الحق.
.4تربية الخشوع
تربي في النفس الخشوع عند سماع آيات الله.
5تربية التواضع
تربي في النفس التواضع لقبول التذكير.
الموضوع الخامس5: المفاهيم المركزية في الآية
المفهوم الأول1: التذكير بالآيات
آيات الله كثيرة، والإنسان يحتاج إلى من يذكره بها.
المفهوم الثاني2: عدم الخرور صمًا وعميانًا
لا يقعون على الآيات بقلوب مغلقة، بل بقلوب مفتوحة.
المفهوم الثالث3: السماع والرؤية بالقلب
سماع القلب وبصر البصيرة هما أساس الاستجابة.
المفهوم الرابع4: الاستجابة المستمرة
كلما ذكروا، استجابوا.
الموضوع السادس6: القيم المستنبطة من الآية
.1قيمة الاستجابة: للحق عند التذكير.
.2قيمة التدبر: في آيات الله.
.3قيمة البصيرة: لرؤية الحق.
.4قيمة الخشوع: عند سماع القرآن.
.5قيمة التواضع: لقبول التذكير.
.6قيمة التعلم: من آيات الله.
.7قيمة الذكر: فالذكرى تنفع المؤمنين.
الموضوع السابع7: الأبعاد المختلفة للآية
.1البعد العقدي
تثبت الآية أن آيات الله حق، وأن الاستجابة لها واجبة.
.2البعد النفسي
تمنح الآية الطمأنينة لمن يستجيب، وتحذر من الغفلة.
.3البعد التربوي
تربي على الاستجابة والتدبر والبصيرة.
.4البعد الإيماني
تزيد الإيمان بالله وبآياته.
.5البعد المعرفي
تدعو إلى العلم والمعرفة بآيات الله.
الموضوع الثامن8: الآفاق التي تحملها الآية
.1الأفق الإيماني
تفتح أمامك أفقًا إيمانيًا: كيف تستجيب لآيات الله.
.2الأفق النفسي
تفتح أمامك أفقًا نفسيًا: سماع القلب وبصر البصيرة.
.3الأفق التربوي
تفتح أمامك أفقًا تربويًا: كيف تربي نفسك على الاستجابة.
.4الأفق المعرفي
تفتح أمامك أفقًا معرفيًا: فهم آيات الله وتدبرها.
الموضوع التاسع9: التوجيهات والرسائل العملية من الآية
1الرسالة الأولى: إذا ذُكِرت، فاستجب
لا تكن ممن إذا ذُكِر بآيات الله لم يتأثر .بل استجب، وتدبر، واعمل.
2الرسالة الثانية: افتح قلبك للآيات
لا تكن صمًا عن آيات الله .افتح قلبك لسماعها .لا تكن أعمى عنها .افتح بصيرتك لرؤيتها.
3الرسالة الثالثة: تدبر ما تسمع
لا تكفِ بسماع الأذن .تدبر بقلبك .اسأل: ماذا تريد هذه الآية أن تقول لي؟
4الرسالة الرابعة: خشع لله
عند سماع آيات الله، اخشع .ليقف شعرك، ولتدمع عيناك، وليسكن قلبك.
5الرسالة الخامسة: لا تكن ممن يخرون صمًا وعميانًا
احذر أن تكون من الذين يسمعون الآيات ولا يتأثرون .فهذا هو الصمم والعمى الحقيقيان.
الموضوع العاشر10: ما تدعو إليه الآية
.1تدعو إلى الاستجابة لآيات الله

تدعو إلى أن تكون مستجيبًا عند التذكير.
.2تدعو إلى التدبر
تدعو إلى تدبر آيات الله، لا مجرد التلاوة.
.3تدعو إلى فتح القلب
تدعو إلى فتح القلب لسماع آيات الله.
.4تدعو إلى فتح البصيرة
تدعو إلى فتح البصيرة لرؤية الحق.
.5تدعو إلى الخشوع
تدعو إلى الخشوع عند سماع آيات الله.
الموضوع الحادي عشر11: ما نتعلمه من الآية
.1نتعلم أن عباد الرحمن يستجيبون للتذكير
نتعلم أن من صفاتهم أنهم إذا ذُكِروا بآيات الله، استجابوا.
.2نتعلم أن الصمم والعمى الحقيقيان في القلب
نتعلم أن من يسمع آيات الله ولا يتأثر، فهو أصم القلب .ومن يراها ولا يهتدي، فهو أعمى القلب.
.3نتعلم أن التذكير نعمة
نتعلم أن التذكير بآيات الله نعمة، يجب استغلالها.
.4نتعلم أن الاستجابة تحتاج إلى قلب حي
نتعلم أن القلب الحي هو الذي يستجيب لآيات الله.
.5نتعلم أن التدبر عبادة
نتعلم أن تدبر آيات الله عبادة عظيمة.
الموضوع الثاني عشر12: دور مفاهيم الآية في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة
.1في بناء الإنسان المتزن
نفسيًا
تمنح الآية الإنسان الوعي والخشوع من خلال:
· الاستجابة للتذكير تحفظ قلبه حيًا.
· التدبر يمنحه فهمًا عميقًا.
· الخشوع يمنحه طمأنينة.
عقليًا
تزرع الآية في العقل:
· أهمية التذكير: فهو ضروري للإنسان.
· أهمية التدبر: في آيات الله.
· أهمية البصيرة: لرؤية الحق.
تربويًا
تعلم الآية الإنسان:
· الاستجابة: للحق.
· التدبر: في الآيات.
· الخشوع: عند الذكر.
.2في بناء المجتمع المسلم
المجتمع الذي يتدبر هذه الآية هو مجتمع:
· يستجيب لله: عند التذكير.
· يتدبر آيات الله: في الكون والقرآن.
· أفراده ذوو بصيرة: يرون الحق.
· قلوبهم حية: تخشع لله.
.3في بناء الحضارة الإسلامية
الحضارة الإسلامية قامت على التذكير والتدبر .المسلمون كانوا إذا ذُكِروا بآيات الله، استجابوا وتدبروا . فكانت حضارة علمية إيمانية.
هذه الآية تحمي الحضارة من:
· الغفلة: فتذكرها بآيات الله.
· الجمود: فتدعو إلى التدبر.
· العمى: فتدعو إلى البصيرة.
.4في البناء والتنمية
في مجال التنمية، هذه الآية تعطيك:
· أهمية التذكير: في المؤسسات.
· أهمية التدبر: في التخطيط.
· أهمية البصيرة: في اتخاذ القرارات.

الخاتمة: كيف تعيش هذه الآية؟
· كل آية تسمعها، لا تمر عليها مرور الكرام .تدبرها.
· كل تذكير، استجب له .لا تكن ممن يخر صمًا وعميانًا.
· كل قراءة للقرآن، اجعلها قراءة تدبر وخشوع.
· كل غفلة، تذكر أن عباد الرحمن إذا ذُكِروا استجابوا.
· كل قلب، اجعله قلبًا حيًا يسمع ويرى ويخشع.
هذه الآية هي تذكير لك بأن تكون من الذين إذا ذُكِروا بآيات ربهم، لم يخروا عليها صمًا وعميانًا .بل يسمعون ويتدبرون، ويبصرون ويخشعون، ويستجيبون ويعملون.
وقفة أخيرة: كيف تكون عند التذكير؟
الآية تضعك أمام سؤال: كيف تكون عندما تذكر بآيات الله؟
· هل تصمت فلا تسمع؟
· هل تعمى فلا ترى؟
· أم تسمع بقلبك، وترى ببصيرتك، وتستجيب؟
تذكر: الصمم والعمى الحقيقيان ليسا في الأذن والعين، بل في القلب.
ثامنا
تفسير الآية الرابعة والسبعين من سورة الفرقان
قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾
مقدمة: حين يكون البيت جنة والأسرة قدوة
بعد أن وصف الله عباد الرحمن بأعظم الصفات: التواضع، والحلم، وقيام الليل، والخوف من النار، وا لاعتدال في الإنفاق، والتوبة، واجتناب الزور، والاستجابة لآياته، تأتي هذه الآية لتتوج هذه الصفات بأجملها: الدعاء. إنها ليست دعاءً عاديًا، بل هي قمة الرقي الإيماني، وغاية السمو الأخلاقي.
هذه الآية تأخذك إلى قلب الأسرة، إلى العلاقة الأعمق في حياة الإنسان: الزوجة، والأولاد. إنها تهمس في أذنك: عباد الرحمن لا يكتفون بصلاح أنفسهم، بل يسألون الله أن يصلح أزواجهم وذرياتهم. ثم يرتقون أكثر: لا يكتفون بصلاح أسرهم، بل يسألون الله أن يجعلهم قدوة للمتقين.
هاتان الأمنيتان العظيمتان: الأولى: أن تكون الأسرة مصدر سعادة وقرة عين. الثانية: أن يكون الإ نسان إمامًا يُقتدى به في الخير.
هذه الآية تخاطبك أنت أيضًا. إنها تهمس في أذنك: هل تدعو لأهلك وأولادك؟ هل تسأل الله أن يجعلهم قرة عين لك؟ هل تسعى أن تكون قدوة حسنة لمن حولك؟ هذه هي ذروة العبودية: أن تصلح نفسك، ثم تسعى في إصلاح من حولك، ثم تطمح أن تكون قدوة للعالمين.
تعالَ نتأمل هذه الآية، وكأنها تنزل الآن. وكأن الله يسمع دعاء عباده الصالحين، ويجيبهم. وكأنه يريك أعلى مراتب العبودية: الاهتمام بالأسرة، والطموح للقيادة في الخير.
اولا السياق – العلاقة بالآية التي قبلها
الربط بالآية الثالثة والسبعين
الآية السابقة وصفت عباد الرحمن بأنهم إذا ذُكِروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صمًا وعميانًا.
جاءت هذه الآية لتكون تتويجًا لصفاتهم. فهم بعد أن استجابوا لله، وأطاعوه، واجتنبوا الباطل، وأقبلوا على الخير، يرفعون أيديهم إلى الله داعين. إنهم لا يكتفون بصلاح أنفسهم، بل يسألون الله صلاح أهليهم، ثم يسألون الله أن يجعلهم قدوة للمتقين.
إنها انتقال من صفات الفرد إلى صفات الأسرة إلى صفات المجتمع. فالعبادة الصادقة تبدأ بالفرد، ثم تمتد إلى الأسرة، ثم تتسع لتشمل المجتمع كله.
ثانيا: تحليل الآية – قراءة في عمق الدعاء
الجملة الأولى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ﴾
اللمسة البلاغية: "يَقُولُونَ" – المضارع للاستمرار
"يقولون" فعل مضارع يدل على الاستمرار والتجدد. فهم لا يدعون مرة واحدة، بل يداومون على هذا الدعاء.
الدلالة النفسية
هذه الجملة تذكرك بأن الدعاء ليس حدثًا عارضًا، بل هو منهج حياة. عباد الرحمن دائمًا على ذكر الله، دائمًا في دعاء.
2/الجملة الثانية: ﴿رَبَّنَا﴾
اللمسة البلاغية: نداء الربوبية
"ربنا" نداء يدل على الاعتراف بالربوبية، والتعلق بالله، والافتقار إليه. إنه نداء المحب لمن يحب.
الدلالة النفسية
هذه الكلمة تملأ القلب شعورًا بالانتماء. إنه ينادي ربه، الذي خلقه ورزقه ورباه. هذا النداء يفتح باب الإجابة.
3/الجملة الثالثة: ﴿هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾
اللمسة البلاغية: "هَبْ" – الهبة والعطاء

"هب" فعل أمر، ومعناه: أعطِنا هبةً من عندك. والهبة هي العطاء بلا مقابل. فهم يسألون الله فضلا منه.
"مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا" – من بعض، أو من جهتهم
"من" هنا للتبعيض، أو للبيان. أي: اجعل لنا من جهتهم قرة عين. أي: اجعلهم صالحين.
"قُرَّةَ أَعْيُنٍ" – ما هي قرة العين؟
قرة العين: ما يقر به العين، أي: ما يسعد به الإنسان حتى تدمع عينه فرحًا. وهو أبلغ تعبير عن السعادة والرضا.
اللمسة البيانية: إضافة "أعين" إلى ضمير المتكلم
"أعين" إضافة إلى ضمير "نا". أي: أعيننا نحن. فهم يسألون سعادة تخصهم، سعادة تنبع من صلاح أهليهم.
الدلالة النفسية
هذه الجملة تملأ القلب شوقًا إلى الأسرة الصالحة. قرة العين بالزوجة الصالحة، والأولاد الصالحين. هذه هي السعادة الحقيقية.
4/الجملة الرابعة: ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾
اللمسة البلاغية: "وَاجْعَلْنَا" – طلب الرفعة
"واجعلنا" طلب من الله أن يجعلهم في منزلة الرفعة والقدوة.
"لِلْمُتَّقِينَ" – لمن يكونون إمامًا؟
"للمتقين" أي: لمن اتقى الله. فهم لا يطلبون القيادة على الناس مطلقًا، بل القيادة على المتقين، و القدوة لهم.
"إِمَامًا" – القدوة والمقتدى
الإمام: هو القدوة والمقتدى به. فهو الذي يُتبع في الخير. وعباد الرحمن يسألون الله أن يجعلهم قدوة في الخير.
اللمسة البيانية: تقديم "للمتقين" على "إمامًا"
قدم "للمتقين" للاهتمام بهذه الغاية. فهم يريدون أن يكونوا قدوة للمتقين، أي: لمن يستحق الاقتداء.
الدلالة النفسية
هذه الجملة تملأ القلب طموحًا ومسؤولية. ليس طموحًا للسيطرة، بل طموحًا للخير. ومسؤولية أن يكون قدوة.
ثالثا
الموضوع الأول1: قرة العين – معناها ومظاهرها
ما هي قرة العين؟
قرة العين هي السعادة التي تدمع لها العين فرحًا. وهي أعلى درجات السعادة في الدنيا.
مظاهر قرة العين بالأهل:
1. الزوجة الصالحة: التي تطيع الله، وتعين زوجها على طاعته، وتسكن إليه.
2. الأولاد الصالحون: الذين يبرون والديهم، ويدعون لهم، ويكونون زينة للحياة.
3. الأسرة المتماسكة: التي تسودها المحبة والرحمة والتفاهم.
4. البيت العامر بالعبادة: الذي يذكر الله فيه، وتقام فيه الصلاة، ويتلى فيه القرآن.
لماذا قرة العين بالأهل؟
لأن الإنسان إذا صلح أهله، استقرت حياته، واطمأن قلبه، وانصرف إلى العبادة والعمل بهدوء. وإذا فسد أهله، شتت قلبه، وتعبت نفسه.
الموضوع الثاني2: الإمامة للمتقين – أعلى درجات الطموح
ما هي الإمامة؟
الإمامة: الاقتداء والاتباع. والإمام هو من يقتدى به في الخير.
لماذا يطلب عباد الرحمن الإمامة؟
1. لينفعوا غيرهم: لا يكتفون بصلاح أنفسهم، بل يريدون أن يكونوا سببًا في صلاح الآخرين.
2. ليكونوا قدوة حسنة: القدوة أبلغ من الموعظة. فالسلوك أثر من الكلام.
3. ليكونوا دعاة إلى الله: الإمامة هي الدعوة بالحال والمقال.
لماذا للمتقين خاصة؟
لأن الاقتداء لا يكون إلا بالصالحين. ومن لا يتقي الله، لا يصح أن يكون إمامًا. وعباد الرحمن يريدون أن يكونوا قدوة لمن يستحق الاقتداء.
بين الطموح والتواضع
هذا الدعاء يجمع بين أعلى الطموح (نريد أن نكون أئمة) وأعمق التواضع (نسأل الله أن يجعلنا كذلك، ولا نعتمد على أنفسنا).
الموضوع الثالث3: الجوانب النفسية في الآية
1. الدعاء – تفريغ النفس

الدعاء يفرغ ما في النفس من أماني وآمال. فعباد الرحمن يفرغون آمالهم في أسرهم ومجتمعهم.
2. قرة العين – السعادة النفسية
قرة العين هي ذروة السعادة النفسية. فالإنسان إذا رأى أهله صالحين، سعد قلبه.
3. الإمامة – المسؤولية النفسية
طلب الإمامة يعكس نضجًا نفسيًا. فالإنسان الناضج لا يريد أن يقتصر خيره على نفسه، بل يمتد إلى غيره.
4. الدعاء للأهل – الحب والارتباط
الدعاء للأهل يعكس عمق الحب والارتباط بهم. فالمؤمن لا يغفل عن أهله في دعائه.
الموضوع الرابع4: الجوانب العقلية في الآية
1. فهم أن صلاح الأهل يحتاج إلى دعاء
العقل السليم يدرك أن صلاح الأهل ليس مضمونًا بالتربية فقط، بل يحتاج إلى توفيق من الله.
2. فهم أن القدوة أثرها عظيم
العقل يدرك أن القدوة أبلغ من الكلام. فمن أراد إصلاح غيره، عليه أن يكون قدوة.
3. فهم أن الدعاء والسبب معًا
الدعاء لا يغني عن الأخذ بالأسباب. فعباد الرحمن يدعون ويسعون في تربيتهم.
4. فهم أن الطموح لا ينافي التواضع
الطموح إلى الإمامة لا ينافي التواضع، إذا كان هذا الطموح لله.
الموضوع الخامس5: الجوانب التربوية في الآية
1. تربية الدعاء للأهل
تربي في النفس الدعاء للزوج والأولاد.
2. تربية الاهتمام بالأسرة
تربي في النفس الاهتمام بصلاح الأسرة، فهي أساس المجتمع.
3. تربية الطموح
تربي في النفس الطموح إلى القيادة في الخير.
4. تربية القدوة
تربي في النفس أن تكون قدوة حسنة.
5. تربية التواضع
تربي في النفس التواضع، فلا يطلب الإمامة إلا من الله.
الموضوع السادس6: المفاهيم المركزية في الآية
المفهوم الأول1: الأسرة الصالحة
قرة العين بالأهل الصالحين هي من أعظم نعم الله.
المفهوم الثاني2: الإمامة
الطموح إلى أن يكون الإنسان قدوة للمتقين.
المفهوم الثالث3: الدعاء
اللجوء إلى الله في صلاح الأهل والوصول إلى الإمامة.
المفهوم الرابع4: التكامل
لا يصلح الفرد إلا بصلاح أهله، ولا يصلح المجتمع إلا بصلاح أفراده.
الموضوع السابع7: القيم المستنبطة من الآية
1. قيمة الأسرة: أهميتها في الإسلام.
2. قيمة الدعاء: وسيلة لصلاح الأهل.
3. قيمة القدوة: التأثير في الآخرين.
4. قيمة الطموح: إلى الخير.
5. قيمة التواضع: في طلب الرفعة.
6. قيمة المسؤولية: تجاه الأهل والمجتمع.
7. قيمة السعادة: الحقيقية في صلاح الأهل.
الموضوع الثامن8: الأبعاد المختلفة للآية
1. البعد الأسري
تؤكد الآية على أهمية الأسرة الصالحة، ودعاء الوالدين لأولادهم.
2. البعد النفسي
تمنح الآية السعادة النفسية بقرة العين، والطموح بالإمامة.
3. البعد التربوي
تربي على الدعاء، والقدوة، والطموح.
4. البعد الاجتماعي
تؤكد أن صلاح المجتمع يبدأ بصلاح الأسرة.

5. البعد الإيماني
تربط الإيمان بالأسرة والمجتمع.
الموضوع التاسع9: الآفاق التي تحملها الآية
1. الأفق الأسري
تفتح أمامك أفقًا أسريًا: كيف تبني أسرة صالحة.
2. الأفق النفسي
تفتح أمامك أفقًا نفسيًا: السعادة بقرة العين.
3. الأفق التربوي
تفتح أمامك أفقًا تربويًا: كيف تربي أبناءك على الصلاح.
4. الأفق الاجتماعي
تفتح أمامك أفقًا اجتماعيًا: كيف تكون قدوة في مجتمعك.
الموضوع العاشر10: التوجيهات والرسائل العملية من الآية
1الرسالة الأولى: ادع لأهلك
لا تنسَ أهلك في دعائك. ادع الله أن يصلح زوجك وأولادك، وأن يجعلهم قرة عين لك.
2الرسالة الثانية: اسعَ في صلاح أهلك
لا تكتفِ بالدعاء، بل اسعَ في تربيتهم، وعلمهم، وإصلاحهم. الدعاء مع السعي.
3الرسالة الثالثة: اجعل بيتك عامرًا بالطاعة
اجعل من بيتك جنة. تلاوة القرآن، وقيام الليل، والذكر، والعبادة. هذا هو الطريق لقرة العين.
4الرسالة الرابعة: اطمح إلى أن تكون قدوة
لا تكتفِ بصلاح نفسك، بل اطمح إلى أن تكون قدوة لمن حولك. كن إمامًا في الخير.
5الرسالة الخامسة: تواضع لله في طلب الرفعة
اطلب الرفعة من الله، وتواضع له. فهذا هو الطريق إلى الإمامة.
الموضوع الحادي عشر11: ما تدعو إليه الآية
1. تدعو إلى الدعاء للأهل
تدعو إلى أن تدعو لأهلك بالصلاح.
2. تدعو إلى السعي في إصلاح الأسرة
تدعو إلى الاهتمام بصلاح الأسرة.
3. تدعو إلى الطموح
تدعو إلى الطموح في الخير.
4. تدعو إلى القدوة
تدعو إلى أن تكون قدوة حسنة.
5. تدعو إلى التواضع
تدعو إلى التواضع لله في كل شيء.
الموضوع الثاني عشر12: ما نتعلمه من الآية
1. نتعلم أن الأسرة الصالحة قرة عين
نتعلم أن أعظم نعمة بعد الإيمان هي الأسرة الصالحة.
2. نتعلم أن الدعاء للأهل ضروري
نتعلم أن صلاح الأهل يحتاج إلى دعاء.
3. نتعلم أن القدوة من أعلى المراتب
نتعلم أن يكون الإنسان إمامًا للمتقين.
4. نتعلم أن الطموح لا ينافي التواضع
نتعلم أن نطلب الرفعة من الله، ونحن متواضعون له.
5. نتعلم أن عباد الرحمن يسعون في إصلاح غيرهم
نتعلم أن عباد الرحمن لا يكتفون بصلاح أنفسهم.
الموضوع الثالث عشر13: دور مفاهيم الآية في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة
1. في بناء الإنسان المتزن
نفسيًا
تمنح الآية الإنسان السعادة والطمأنينة من خلال:
· الدعاء للأهل يريح نفسه.
· قرة العين تمنحه السعادة.
· الطموح للإمامة يمنحه هدفًا.
عقليًا
تزرع الآية في العقل:
· أهمية الأسرة: في بناء الشخصية.

· أهمية الدعاء: مع الأخذ بالأسباب.
· أهمية القدوة: في التأثير.
تربويًا
تعلم الآية الإنسان:
· الدعاء: للأهل.
· الاهتمام بالأسرة: والتربية.
· الطموح: إلى الخير.
2. في بناء المجتمع المسلم
المجتمع الذي يتدبر هذه الآية هو مجتمع:
· أسره صالحة: فبيوته عامرة بالطاعة.
· أفراده قدوة: يتسابقون في الخير.
· تسوده السعادة: بقرة العين بالأهل.
· يسعى إلى الرفعة: لكن بالتواضع لله.
3. في بناء الحضارة الإسلامية
الحضارة الإسلامية قامت على الأسرة الصالحة والقدوة الحسنة. البيوت كانت عامرة بالعبادة، والآباء كانوا قدوة لأبنائهم، فكانت حضارة قوية.
هذه الآية تحمي الحضارة من:
· تفكك الأسرة: فتدعو إلى تماسكها.
· الأنانية: فتدعو إلى الاهتمام بالغير.
· الطموح الدنيوي: فتجعل الطموح لله.
4. في البناء والتنمية
في مجال التنمية، هذه الآية تعطيك:
· أهمية الأسرة: أساس المجتمع.
· أهمية القدوة: في القيادة.
· أهمية الدعاء: مع العمل.
الخاتمة: كيف تعيش هذه الآية؟
· كل دعاء، لا تنسَ أهلك. قل: ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين.
· كل يوم، اسعَ في إصلاح أهلك. علمهم، ربهم، وأحسن إليهم.
· كل طموح، اجعله طموحًا إلى الخير. اطمح أن تكون قدوة.
· كل عمل، اجعله لله، وتواضع له.
· كل ليلة، ادعُ الله أن يصلح أهلك، وأن يجعل لك فيهم قرة عين.
هذه الآية هي ذروة صفات عباد الرحمن. إنها تجمع بين صلاح النفس، وصلاح الأسرة، وصلاح المجتمع. فاجعلها نصب عينيك، وادعُ الله أن يحققها في حياتك.
وقفة أخيرة: هل تدعو لأهلك؟
الآية تضعك أمام سؤال: هل تدعو لأهلك بأن يكونوا قرة عين لك؟ هل تسعى لتكون قدوة للمتقين؟ تذكر: الدعاء للأهل ليس ترفًا، بل هو من صفات عباد الرحمن. والطموح للإمامة ليس كبرًا، بل هو طموح في الخير.
تاسعا
تفسير الآيتين الخامسة والسبعين والسادسة والسبعين من سورة الفرقان
قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا * خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾
مقدمة: نهاية الرحلة.. وبداية النعيم
بعد أن سار عباد الرحمن في دروب الإيمان خطوة خطوة، واتصفوا بصفات الكمال واحدة تلو الأ خرى، ها هم اليوم يصلون إلى نهاية الرحلة، لكنها نهاية ليست كنهايات الدنيا، إنها بداية جديدة، بداية النعيم الذي لا ينقطع، والجزاء الذي لا يوصف.
هاتان الآيتان تخبرانك عن نهاية الطريق، عن الجزاء العظيم الذي أعده الله لمن اتصف بصفات عباد الرحمن العشر التي بدأت من الآية الثالثة والستين إلى هذه الآية. كل تلك الصفات: التواضع في المشي، والحلم في مواجهة الجاهلين، وقيام الليل، والخوف من النار، والاعتدال في الإنفاق، والتوبة من الكبائر، واجتناب الزور، والاستجابة لآيات الله، والدعاء للأهل والطموح للإمامة... كل هذه الصفات لم تذهب سدى.
إنها تحكي لك عن الغرفة: ذلك المكان العالي في الجنة، الذي لا يناله إلا الصابرون. وتحكي عن التحية والسلام: تلك الكلمات التي تتلقاهم بها الملائكة، والله سبحانه وتعالى. ثم تخبرك عن الخلود: إنهم خالدون فيها أبدًا. وتختتم بأنها حسنت مستقرًا ومقامًا: أي نعم المستقر، ونعم المقام.
هاتان الآيتان تخاطبانك أنت أيضًا. إنهما تهمسان في أذنك: هذه الرحلة التي بدأتها مع عباد الرحمن،

وهذه الصفات التي سعيت إليها، لم تكن عبثًا. ثمة جزاء ينتظرك. ثمة غرفة في عليين تنتظرك. ثمة تحية وسلام من ربك ينتظرك. فاصبر، واستمر، واثبت، فالنهاية عظيمة.
تعالَ نتأمل هاتين الآيتين، وكأنهما تكشفان الستار عن مشهد من مشاهد الجنة. وكأنك ترى عباد الرحمن وهم يدخلون الغرف العالية، وتتلقاهم الملائكة بالتحية والسلام، وهم خالدون فيها أبدًا.
أولًا: السياق – العلاقة بالآية التي قبلها

الربط بالآية الرابعة والسبعين
الآية السابقة كانت ختام صفات عباد الرحمن، حيث وصفهم بأنهم يدعون الله: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾.
جاءت هاتان الآيتان لتكونا الإجابة على هذا الدعاء. فالله لا يضيع دعاء من دعاه. لقد سألوا: هب لنا قرة أعين، فأجابهم بالغرفة التي هي قرة الأعين الكبرى. وسألوا: واجعلنا للمتقين إمامًا، فأجابهم بـ الجزاء العظيم والمنزلة الرفيعة.
إنها الجزاء بعد العمل، والاستجابة بعد الدعاء. وكأن الله يقول لهم: لقد صبرتم، فهاكم الغرفة. لقد آمنتم، فهاكم التحية والسلام. لقد سعيتم، فهاكم الخلد في حسن مستقر ومقام.
ثانيًا: تحليل الآيتين – قراءة في عمق الجزاء
المبحث الاول
الآية الخامسة والسبعون
1/الجملة الأولى: ﴿أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ﴾
اللمسة البلاغية: "أُولَٰئِكَ" – الإشارة للبعيد
"أولئك" اسم إشارة للبعيد، للدلالة على علو منزلتهم ورفعة مكانتهم. إنهم في أعلى الدرجات.
"يُجْزَوْنَ" – الجزاء من الجنس
"يجزون" من الجزاء، وهو المكافأة على العمل. والله يجازيهم على صبرهم وطاعتهم.
"الْغُرْفَةَ" – أعلى منازل الجنة
الغرفة: هي المنزلة العالية في الجنة. وهي جمع غرف، وهي ما يعلو من البيوت. والمراد: أعلى منازل الجنة وأفضلها.
اللمسة البيانية: تقديم المفعول "الغرفة" للاهتمام
قدم "الغرفة" على الجار والمجرور "بما صبروا" للاهتمام بهذا الجزاء العظيم. فما أعظمه من جزاء!
الدلالة النفسية
هذه الجملة تملأ القلب شوقًا إلى الجنة. ليس مجرد جنة، بل غرفة. ليس مجرد مكان، بل أعلى مكان. فمن صبر، فله الغرفة.
2/الجملة الثانية: ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾
اللمسة البلاغية: "بِمَا صَبَرُوا" – سبب الجزاء
الباء للسببية. أي: بسبب صبرهم. فالصبر هو المفتاح لكل هذه الصفات.
"صَبَرُوا" – ما هو صبرهم؟
صبرهم يشمل:
· الصبر على الطاعة: كقيام الليل، والإنفاق، والتوبة.
· الصبر عن المعصية: كاجتناب الزور واللغو، وترك الكبائر.
· الصبر على الأذى: كحلمهم على الجاهلين، وتواضعهم.
· الصبر في الدعاء: استمرارهم على الدعاء.
اللمسة البيانية: تقديم الجزاء على السبب
قدم الجزاء (الغرفة) على السبب (الصبر) للاهتمام بالجزاء، ثم ذكر السبب ليكون الحافز.
الدلالة النفسية
هذه الجملة تزرع في النفس حب الصبر. فكل صبر له ثمن، وثمنه هنا الغرفة. فاصبر تظفر.
3/الجملة الثالثة: ﴿وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا﴾
اللمسة البلاغية: "يُلَقَّوْنَ" – التلقي بالكرامة
"يلقون" من التلقي، وهو الاستقبال. أي: تستقبلهم الملائكة عند دخولهم الجنة بهذه التحية.
"فِيهَا" – في الغرفة
"فيها" أي: في تلك الغرف العالية. وفيها يتلقون التحية والسلام.
"تَحِيَّةً وَسَلَامًا" – التحية والسلام
التحية: هي التحية من الله ومن الملائكة. والسلام: هو السلامة من كل مكروه، والتحية بالسلام.
اللمسة البيانية: اقتران التحية بالسلام
جمع بين التحية والسلام. فتحية الملائكة: "سلام عليكم". وهي تحية وسلام معًا. وفيها إشارة إلى السلامة الدائمة من كل سوء.
الدلالة النفسية
هذه الجملة تملأ القلب شعورًا بالكرامة. إنهم لا يدخلون الجنة دون استقبال، بل يُتلقون بالتحية و

السلام. فما أعظم هذا التكريم!
المبحث الثاني
الآية السادسة والسبعون
1/الجملة الأولى: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾
اللمسة البلاغية: "خَالِدِينَ" – الخلود
"خالدين" حال من الضمير في "يلقون". أي: مقيمين فيها أبدًا، لا يموتون، ولا يخرجون، ولا ينقطع عنهم النعيم.
الدلالة النفسية
هذه الجملة تمنح الطمأنينة الكاملة. الخلود هو الأمن من الانقطاع. فالنعيم دائم لا يفنى.
2/الجملة الثانية: ﴿حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾
اللمسة البلاغية: "حَسُنَتْ" – أحسنت
"حسنت" أي: نعمت، وطابت. وهي فعل مدح.
"مُسْتَقَرًّا" – مكان الاستقرار
"مستقرًا" تمييز، أي: حسن مستقرها.
"وَمُقَامًا" – مكان الإقامة
"ومقامًا" أي: حسن مقامها.
اللمسة البيانية: جمع المستقر والمقام
جمع بين المستقر (مكان القرار الدائم) والمقام (مكان الإقامة). وكلاهما حسن. فالمستقر حسن، و المقام حسن.
الدلالة النفسية
هذه الجملة تختتم وصف الجنة بأحسن وصف. فليس فيها عيب، ولا نقص. حسن مستقرها، وحسن مقامها.
ثالثا
الموضوع الأول1: الصبر الذي جوزوا به الغرفة
1. الصبر على الطاعة
صبروا على قيام الليل، وعلى الصلاة، وعلى الصيام، وعلى الإنفاق. لم يملوا، ولم يفتروا.
2. الصبر عن المعصية
صبروا عن الشرك، وعن القتل، وعن الزنا، وعن شهادة الزور، وعن اللغو. قووا أنفسهم على ترك المحرمات.
3. الصبر على الأذى
صبروا على جهل الجاهلين، فردوا سلامًا. صبروا على التذكير، فلم يخروا صمًا وعميانًا.
4. الصبر في الدعاء
صبروا على الدعاء، ولم يملوا من سؤال الله.
5. الصبر على الابتلاء
صبروا على ما أصابهم من ابتلاءات في الدنيا.
الموضوع الثاني2: الغرفة – ما هي؟
1. أعلى منازل الجنة
الغرفة هي المنزلة العالية. وعباد الرحمن يجازون بها لصبرهم.
2. غرف فوق غرف
الجنة فيها غرف، وأعلاها غرف عالية. قال النبي ﷺ: "إن في الجنة غرفًا يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، أعدها الله لمن أطعم الطعام، وألان الكلام، وتابع الصيام، وصلى بالليل والناس نيام".
3. جزاء الصبر
الصبر مفتاح هذه الغرف. فمن صبر، رفعه الله.
الموضوع الثالث3: التحية والسلام في الجنة
1. تحية الملائكة
قال تعالى: ﴿وَالمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾.
2. تحية الله
قال تعالى: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ﴾. فهناك تحية من الله نفسه.
3. تحية المؤمنين بعضهم لبعض
يتلاقون بالسلام، كما كانوا في الدنيا.
4. السلامة من كل مكروه
السلام يعني السلامة: من الموت، ومن الهم، ومن الحزن، ومن المرض، ومن كل سوء.
الموضوع الرابع4: الجوانب النفسية في الآيتين

1. الجزاء – شعور بالرضا
أن يجازى العبد على صبره، هذا يمنحه شعورًا بالرضا والطمأنينة.
2. الغرفة – شعور بالرفعة
أن يكون له غرفة عالية في الجنة، هذا يمنحه شعورًا بالكرامة والرفعة.
3. التحية والسلام – شعور بالكرامة
أن تتلقاه الملائكة بالتحية، وأن يسلم عليه الله، هذا أعظم تكريم.
4. الخلود – شعور بالأمان
الخلود يمنح الأمان من كل خوف. فلا موت، ولا فناء، ولا انقطاع.
5. حسن المستقر والمقام – شعور بالجمال
كل شيء في الجنة حسن. هذا يمنح الشعور بالجمال والكمال.
الموضوع الخامس5: الجوانب العقلية في الآيتين
1. فهم أن الصبر مفتاح الرفعة
العقل يدرك أن الصبر ليس سهلا ً، لكن ثمرته عظيمة. فالغرفة لا تنال إلا بالصبر.
2. فهم أن الجزاء من جنس العمل
صبروا في الدنيا، فجوزوا بالغرفة. كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.
3. فهم أن الجنة دار السلام
العقل يدرك أن الجنة دار السلام، حيث لا خوف ولا حزن.
4. فهم أن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا ً
العقل يدرك أن الله عادل، لا يظلم أحدًا. فمن عمل صالحًا، فله جزاؤه.
الموضوع السادس6: الجوانب التربوية في الآيتين
1. تربية الصبر
الآيات تربي في النفس الصبر على الطاعة وعن المعصية وعلى الأذى.
2. تربية الرجاء
تربي في النفس الرجاء في ثواب الله، فلا ييأس.
3. تربية الطموح
تربي في النفس الطموح إلى أعلى المنازل: الغرفة.
4. تربية اليقين
تربي اليقين بأن الله لا يضيع أجر المؤمنين.
5. تربية الشوق إلى الجنة
تربي في النفس الشوق إلى الجنة ونعيمها.
الموضوع السابع7: المفاهيم المركزية في الآيتين
المفهوم الأول1: الجزاء
الله يجازي عباده الصابرين بأحسن الجزاء.
المفهوم الثاني2: الغرفة
المنزلة العالية في الجنة.
المفهوم الثالث3: التحية والسلام
التكريم الإلهي والملائكي.
المفهوم الرابع4: الخلود
البقاء الدائم في النعيم.
المفهوم الخامس5: حسن المستقر والمقام
كمال الجنة في كل شيء.
الموضوع الثامن8: القيم المستنبطة من الآيتين
1. قيمة الصبر: مفتاح الفلاح.
2. قيمة الرجاء: في ثواب الله.
3. قيمة الطموح: إلى أعلى الدرجات.
4. قيمة اليقين: بوعد الله.
5. قيمة الشوق: إلى الجنة.
6. قيمة الكرامة: التي يمنحها الله لأوليائه.
7. قيمة الأمان: في الخلود.
الموضوع التاسع9: الأبعاد المختلفة للآيتين
1. البعد العقدي
تثبت الآيتان أن الجنة حق، وأن الله يجازي المؤمنين عليها.
2. البعد النفسي
تمنح الآيتان الأمل والرجاء، وتدفع إلى الصبر.

3. البعد التربوي
تربي على الصبر والطموح.
4. البعد الإيماني
تزيد الإيمان بالآخرة وبوعد الله.
5. البعد التحفيزي
تحفز على العمل الصبر والثبات.
الموضوع العاشر10: الآفاق التي تحملها الآيتان
1. الأفق النفسي
تفتح أمامك أفقًا نفسيًا: الصبر يقود إلى الجزاء، والرجاء يقود إلى الطموح.
2. الأفق الإيماني
تفتح أمامك أفقًا إيمانيًا: اليقين بوعد الله، والإيمان بالآخرة.
3. الأفق التربوي
تفتح أمامك أفقًا تربويًا: كيف تربي نفسك على الصبر، وكيف تربي غيرك على الطموح.
4. الأفق التحفيزي
تفتح أمامك أفقًا تحفيزيًا: الجنة تنتظرك، فاصبر.
الموضوع الحادي عشر11 عشر: التوجيهات والرسائل العملية من الآيتين
1/الرسالة الأولى: اصبر
كل صفات عباد الرحمن تحتاج إلى صبر. فاصبر على الطاعة، وعن المعصية، وعلى الأذى. فالغرفة تنتظر الصابرين.
2/الرسالة الثانية: اطمح إلى الغرفة
لا ترضَ بالدنيا، ولا ترضَ بأدنى درجات الجنة. اطمح إلى الغرفة العالية. الله يجزيك على قدر صبرك.
3/الرسالة الثالثة: استبشر بالتحية والسلام
أنت منتظر في الجنة تحية من الله، وسلام من الملائكة. فاستبشر بهذا التكريم.
4/الرسالة الرابعة: تذكر الخلود
نعيم الجنة لا ينقطع. فاصبر قليلا ً في الدنيا، تنعم أبدًا في الآخرة.
5/الرسالة الخامسة: الجنة حسن مستقر ومقام
كل شيء في الجنة حسن. فلا تفكر في الدنيا كثيرًا، فهي زائلة. وفكر في الجنة الباقية.
الموضوع الثاني عشر12: ما تدعو إليه الآيتان
1. تدعوان إلى الصبر
تدعوان إلى الصبر في كل شيء.
2. تدعوان إلى الرجاء
تدعوان إلى الرجاء في ثواب الله.
3. تدعوان إلى الطموح
تدعوان إلى الطموح إلى أعلى الدرجات.
4. تدعوان إلى اليقين
تدعوان إلى اليقين بوعد الله.
5. تدعوان إلى الشوق
تدعوان إلى الشوق إلى الجنة.
الموضوع الثالث عشر13: ما نتعلمه من الآيتين
1. نتعلم أن الصبر مفتاح الغرفة
نتعلم أن أعلى منازل الجنة لا تنال إلا بالصبر.
2. نتعلم أن الله يجازي المحسنين
نتعلم أن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا ً.
3. نتعلم أن الجنة دار السلام
نتعلم أن فيها سلامًا من كل مكروه.
4. نتعلم أن الخلود في الجنة
نتعلم أن نعيم الجنة لا ينقطع.
5. نتعلم أن الجنة حسن مستقر ومقام
نتعلم أن الجنة كاملة في كل شيء.
الموضوع الرابع عشر14: دور مفاهيم الآيتين في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة
1. في بناء الإنسان المتزن
نفسيًا
تمنح الآيتان الإنسان الصبر والطمأنينة من خلال:

· الصبر يمنحه القوة على مواجهة الصعاب.
· الرجاء يمنحه الأمل في المستقبل.
· الطموح يمنحه هدفًا يسعى إليه.
عقليًا
تزرع الآيتان في العقل:
· فهم أن الصبر استثمار: فثمرته عظيمة.
· فهم أن الدنيا قصيرة: والآخرة هي الباقية.
· فهم أن الله عادل: لا يضيع أجرًا.
تربويًا
تعلمان الإنسان:
· الصبر: على الطاعة والمعصية والأذى.
· الرجاء: في ثواب الله.
· الطموح: إلى أعلى الدرجات.
2. في بناء المجتمع المسلم
المجتمع الذي يتدبر هاتين الآيتين هو مجتمع:
· صبور: في الشدائد.
· متفائل: برحمة الله.
· طموح: إلى الخير.
· مؤمن: بأن الجزاء عند الله.
3. في بناء الحضارة الإسلامية
الحضارة الإسلامية قامت على الصبر والرجاء. المسلمون صبروا في بناء حضارتهم، وكانوا يرجون ثواب الله، فكانت حضارة عظيمة.
هاتان الآيتان تحميان الحضارة من:
· اليأس: فلا تيأس من النتائج.
· الاستعجال: فتعلم أن الصبر مفتاح النجاح.
· الدنياوية: فتجعل الهدف هو الآخرة.
4. في البناء والتنمية
في مجال التنمية، هاتان الآيتان تعطيانك:
· أهمية الصبر: التنمية تحتاج إلى صبر.
· أهمية الرجاء: لا تيأس من النتائج.
· أهمية الطموح: اطمح إلى الأعلى.
الخاتمة: كيف تعيش هاتين الآيتين؟
· كل صباح، تذكر أن الغرفة تنتظر الصابرين. فاصبر.
· كل تعب، تذكر أن التعب في الدنيا قليل، والنعيم في الآخرة كثير.
· كل صبر، تذكر أن الله سيجزيك عليه.
· كل شوق، اشتق إلى الجنة، إلى الغرفة، إلى التحية والسلام.
· كل خوف، تذكر أن الخلود في الجنة أمان من كل خوف.
هاتان الآيتان هما نهاية رحلة عباد الرحمن، وبداية نعيمهم الأبدي. فاجعل صفاتهم فيك، تكن منهم، وتدخل معهم الغرفة، وتتلقى التحية والسلام، وتخلد في حسن مستقر ومقام.
وقفة أخيرة: هل أنت من الصابرين؟
الآيتان تضعانك أمام سؤال: هل أنت من الصابرين الذين يستحقون الغرفة؟
· هل تصبر على الطاعة؟
· هل تصبر عن المعصية؟
· هل تصبر على الأذى؟
· هل تصبر على الدعاء؟
إن كنت كذلك، فاستبشر. فالغرفة تنتظرك.
وإن كنت مقصرًا، فابدأ اليوم. فباب الصبر مفتوح.
اخيرا
تفسير الآية السابعة والسبعين من سورة الفرقان
قال تعالى: ﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ ۖ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾
مقدمة: الخاتمة التي تهز الضمير
بعد أن سار بك القرآن في رحلة عظيمة عبر سورة الفرقان، بعد أن رأيت عظمة المنزّل، وتأملت آياته في الآفاق والأنفس، وبعد أن سمعت صفات عباد الرحمن العشر التي توجت بالغرفة العالية في الجنة، تأتي هذه الآية لتكون الخاتمة، لتكون الصدمة، لتكون السؤال الذي لا مفر منه.
هذه الآية تخاطبك أنت .إنها تهمس في أذنك بعد كل ما سمعت: هل علمت لماذا خلقك الله؟ هل

عرفت ما قيمتك عنده؟ إنها تقول: لو لا دعاؤكم، ما كان لكم عندي قيمة .فالدعاء هو الذي يعطي حياتك معنى .الدعاء هو الذي يرفعك من درجة "لا شيء" إلى درجة "شيء".
ثم تأتي الصدمة: ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾ .هذا هو حال من كذب بالله واستكبر عن عبادته . إنه ينذرهم بعذاب لازم، لا يفارقهم.
هذه الآية هي خاتمة السورة، وهي تعيدك إلى بدايتها .بدأت السورة بـ"تبارك الذي نزل الفرقان"، وختمت بـ"ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم" .وكأنها تقول: هذا الفرقان العظيم أنزل ليدعوكم إلى الدعاء، إلى العبادة، إلى الاتصال بالله .فمن استجاب، فله الغرفة العالية .ومن كذب واستكبر، فله العذاب اللا زم.
تعالَ نتأمل هذه الآية الخاتمة، وكأنها تنزل الآن .وكأن الله يقول لك: كل ما رأيت في هذه السورة، كل هذه الآيات، كل هذه الصفات، كل هذا الجزاء، كله يدور حول محور واحد: الدعاء .أن ترفع يديك إليّ، أن تتصل بي، أن تعرف أن قيمتك عندي بقدر دعائك.
أولًا: السياق – العلاقة بالآية التي قبلها

الربط بالآيتين الخامسة والسبعين والسادسة والسبعين
الآيتان السابقتان كانتا خاتمة صفات عباد الرحمن، حيث أخبرتا عن جزائهم: الغرفة العالية، والتحية و السلام، والخلود في حسن مستقر ومقام.
جاءت هذه الآية لتكون الخاتمة العامة للسورة، ولتكون عودة إلى النقطة الأولى .فالسورة بدأت بالثناء على الله الذي أنزل الفرقان، ثم تحدثت عن صفات هذا الفرقان، وعن صفات المؤمنين به، وعن جزائهم .وهذه الآية تذكر أن قيمة الإنسان عند الله هي بدعائه .فمن دعا، استحق الثناء والجزاء .ومن كذب واستكبر، فله العذاب اللازم.
إنها التلخيص والختام .وكأن الله يقول: خلاصة الأمر أنكم إن لم تدعوا، فما أنتم بشيء .وإن كذبتم، فسينزل بكم العذاب.
ثانيًا: تحليل الآية – قراءة في عمق الخاتمة

1الجملة الأولى: ﴿قُلْ﴾
اللمسة البلاغية: الأمر بالقول
"قل" أمر للنبي ﷺ أن يبلغ هذه الحقيقة .وهي موجهة إلى كل مؤمن أن يقولها بلسان حاله أو مقاله . إنها دعوة لأن تدرك هذه الحقيقة وتعلنها.
الدلالة النفسية
هذه الكلمة تضعك في موقف المسؤولية .أنت مطالب أن تقول هذه الحقيقة، وأن تعرفها، وأن تعيشها.
2/الجملة الثانية: ﴿مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾
اللمسة البلاغية: "مَا يَعْبَأُ" – الاستفهام الإنكاري
"ما يعبأ" استفهام إنكاري، معناه: لا يعبأ .أي: لا يبالي بكم ربي، ولا يجعل لكم قيمة ولا وزنًا.
"يَعْبَأُ" – معنى العباءة
العباءة: الاكتراث والاهتمام .والمعنى: ما يبالي بكم ربي، ولا يهتم لأمركم.
"بِكُمْ" – الخطاب للناس
الخطاب للناس جميعًا .أي: ما لكم عند الله قيمة.
"لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ" – الاستثناء المفرج
"لولا" للامتناع .أي: لولا دعاؤكم إياي وعبادتكم لي، ما كان لكم عندي قيمة.
اللمسة البيانية: تقديم "ما يعبأ" على "لولا"
قدم النفي للدلالة على أن الأصل هو عدم العباءة، والدعاء هو الذي يكسب الإنسان قيمته.
الدلالة النفسية
هذه الجملة تحمل أعظم درس في الحياة .أنت لا قيمة لك إلا بقدر اتصالك بالله .أنت لا شيء إلا بدعائك .فمن دعا، كان شيئًا .ومن ترك الدعاء، كان لا شيء.
3/الجملة الثالثة: ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾
اللمسة البلاغية: "فَقَدْ" – الفاء للتفريع
الفاء تفريع على ما سبق .أي: بعد أن بينت لكم أن قيمتكم بدعائكم، أنتم كذبتم.
"كَذَّبْتُمْ" – التكذيب بالرسول والقرآن
"كذبتم" أي: كذبتم بالحق الذي جاءكم، وكذبتم بالرسول، وكذبتم بالقرآن.
الدلالة النفسية
هذه الجملة تصور عاقبة الإعراض .هم دعوا إلى الدعاء فأعرضوا، وكذبوا الحق، فكانت النتيجة...
4/الجملة الرابعة: ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾
اللمسة البلاغية: "سَوْفَ" – التهديد والوعيد
"سوف" حرف تسويف للتهويل .أي: سيكون لزامًا لا محالة.
"لِزَامًا" – العذاب اللازم

"لزامًا" من اللزوم، وهو العذاب الذي يلزمهم ولا يفارقهم .وهو عذاب الدنيا والآخرة.
اللمسة البيانية: الإبهام في "لزامًا"
جاء "لزامًا" مبهمًا غير مفسر، للتهويل .أي: عذابًا لازمًا، سواء في الدنيا أو في الآخرة.
الدلالة النفسية
هذه الجملة تختتم السورة بتحذير شديد .التكذيب يؤدي إلى العذاب اللازم .لا مفر منه، ولا مهرب.
ثالثا
الموضوع الأول1: معنى "لولا دعاؤكم"
الدعاء بمعناه الواسع
الدعاء في هذه الآية ليس مجرد رفع اليدين بالطلب، بل هو العبادة كلها .قال النبي ﷺ: "الدعاء هو العبادة" .فالدعاء يشمل:
· دعاء المسألة: أن تطلب من الله حوائجك.
· دعاء العبادة: أن تعبده وتوحده.
· دعاء الثناء: أن تثني عليه وتحمد.
· دعاء التضرع: أن تخضع له وتخشع.
الدعاء هو قيمة الإنسان
الإنسان بلا دعاء كالشجرة بلا جذور، كالجسد بلا روح .الدعاء هو الذي يربط الإنسان بخالقه .فمن دعا ، كان له قيمة .ومن لم يدع، كان لا قيمة له.
الدعاء هو الغاية من الخلق
قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ .والعبادة هي الدعاء .فغاية وجودك أن تدعو الله، أن تعبده، أن تتصل به.
الموضوع الثاني2: لماذا ختمت السورة بهذه الآية؟
.1العودة إلى البداية
بدأت السورة بـ"تبارك الذي نزل الفرقان"، وختمت بـ"ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم" .الفرقان نزل ليدعوك إلى الدعاء .فمن دعا، كان من عباد الرحمن .ومن كذب، فله العذاب.
.2التأكيد على قيمة الدعاء
بعد أن عرضت السورة صفات عباد الرحمن العظيمة، تبين أن أساس كل هذه الصفات هو الدعاء .فهم تواضعوا لأنهم دعوا الله .وحلموا لأنهم دعوا الله .وقاموا الليل لأنهم دعوا الله .وخافوا النار لأنهم دعوا الله .كلها ثمرات الدعاء.
.3التذكير بأن القيمة عند الله
لا قيمة للمال، ولا للجاه، ولا للسلطان .القيمة عند الله بالدعاء والعبادة .فمن كانت عبادته أكثر، كان أعلى قيمة.
.4التحذير من التكذيب
السورة حذرت من التكذيب في آيات كثيرة، وختمت بهذا التحذير: "فقد كذبتم فسوف يكون لزامًا" . فمن كذب، ينتظره العذاب اللازم.
الموضوع الثالث3: الجوانب النفسية في الآية
.1الدعاء – الشعور بالحاجة
الدعاء يذكر الإنسان بحاجته إلى الله .فيشعر بالتواضع والافتقار.
.2لولا دعاؤكم – الشعور بالقيمة
الدعاء يمنح الإنسان قيمة .فهو ليس شيئًا هامشيًا، بل هو جوهر وجوده.
.3فقد كذبتم – الشعور بالخطر
التكذيب خطر عظيم .هذه الآية تخلق شعورًا بالخوف من عاقبة التكذيب.
.4فسوف يكون لزامًا – الشعور بالرهبة
الوعيد بالعذاب اللازم يخلق رهبة تدفع إلى الاستقامة.
الموضوع الرابع4: الجوانب العقلية في الآية
.1فهم قيمة الإنسان
العقل السليم يدرك أن قيمة الإنسان ليست بماله ولا بمنصبه، بل بعلاقته بخالقه.
.2فهم أن الدعاء ليس ترفًا
الدعاء ليس رفاهية روحية، بل هو حاجة وجودية .فبدون الدعاء، لا قيمة للإنسان.
.3فهم أن التكذيب يؤدي إلى العذاب
العقل يدرك أن من يكذب الحق، لا بد أن يلقى جزاءه .وهذا هو العدل.
.4فهم أن السورة كلها تدور حول الدعاء
العقل يدرك أن كل صفات عباد الرحمن التي مرت في السورة هي ثمرة الدعاء والعبادة.
الموضوع الخامس5: الجوانب التربوية في الآية
.1تربية الدعاء
الآية تربي في النفس حب الدعاء، واللجوء إلى الله.

.2تربية التواضع
تربي في النفس التواضع، بأن لا نرى لأنفسنا قيمة دون الله.
.3تربية الخوف
تربي في النفس الخوف من عاقبة التكذيب.
.4تربية اليقين
تربي اليقين بأن العذاب لازم لمن كذب.
.5تربية الشكر
تربي الشكر على نعمة الدعاء التي أعطانا الله إياها.
الموضوع السادس6: المفاهيم المركزية في الآية
المفهوم الأول1: قيمة الدعاء
الدعاء هو الذي يعطي الإنسان قيمته عند الله.
المفهوم الثاني2: العباءة
الله لا يعبأ بالإنسان إلا بدعائه.
المفهوم الثالث3: التكذيب
من كذب الحق، فقد اختار لنفسه الهلاك.
المفهوم الرابع4: اللزام
العذاب اللازم هو جزاء المكذبين.
الموضوع السابع7: القيم المستنبطة من الآية
.1قيمة الدعاء: جوهر العبادة.
.2قيمة التواضع: فلا نرى لأنفسنا قيمة دون الله.
.3قيمة الخوف: من عاقبة التكذيب.
.4قيمة اليقين: بوعد الله.
.5قيمة الشكر: على نعمة الدعاء.
.6قيمة الاستقامة: على أمر الله.
.7قيمة التوبة: لمن كذب.
الموضوع الثامن8: الأبعاد المختلفة للآية
.1البعد العقدي
تثبت الآية أن الدعاء هو العبادة، وأن من كذب يستحق العذاب.
.2البعد النفسي
تمنح الآية الشعور بالحاجة إلى الله، وتخلق الخوف من عاقبة التكذيب.
.3البعد التربوي
تربي على الدعاء والتواضع والخوف.
.4البعد الإيماني
تزيد الإيمان بأن الله هو الغني، ونحن الفقراء إليه.
.5البعد الختامي
تختم السورة بأهم درس: قيمتك بدعائك.
الموضوع التاسع9: الآفاق التي تحملها الآية
.1الأفق الوجودي
تفتح أمامك أفقًا وجوديًا: لماذا خلقت؟ لتعبده وتدعوه.
.2الأفق النفسي
تفتح أمامك أفقًا نفسيًا: أنت لا قيمة لك إلا بالله.
.3الأفق التربوي
تفتح أمامك أفقًا تربويًا: كيف تربي نفسك على الدعاء.
.4الأفق الإيماني
تفتح أمامك أفقًا إيمانيًا: الإيمان بأن الله هو الغني ونحن الفقراء.
الموضوع العاشر10: التوجيهات والرسائل العملية من الآية
1/الرسالة الأولى: اعرف قيمتك
قيمتك عند الله ليست بمالك، ولا بمنصبك، ولا بجمالك .قيمتك بدعائك .فاجعل للدعاء نصيبًا من حياتك.
2/الرسالة الثانية: أكثر من الدعاء
لا تترك الدعاء .في السراء والضراء .في الرخاء والشدة .الدعاء هو صلتك بالله.
3الرسالة الثالثة: لا تكن من المكذبين
احذر أن تكون ممن كذب بالحق .فالعذاب اللازم ينتظر المكذبين.
4/الرسالة الرابعة: تذكر أنك لا شيء بدون الله
بدون الدعاء، أنت لا شيء .فلا تغتر بنفسك .افتقر إلى الله.

5/الرسالة الخامسة: هذه هي الخاتمة
السورة بدأت بالثناء على الله الذي أنزل الفرقان، وختمت بأن قيمتك بدعائك .فاجعل الفرقان دليلك، و الدعاء حياتك.
الموضوع الحادي عشر11: ما تدعو إليه الآية
.1تدعو إلى الدعاء
تدعو إلى أن تجعل الدعاء منهج حياتك.
.2تدعو إلى التواضع
تدعو إلى أن تتواضع لله، ولا ترى لنفسك قيمة بدونه.
.3تدعو إلى الخوف
تدعو إلى الخوف من عاقبة التكذيب.
.4تدعو إلى الاستقامة
تدعو إلى الاستقامة على أمر الله.
.5تدعو إلى الشكر
تدعو إلى شكر الله على نعمة الدعاء.
الموضوع الثاني عشر12: ما نتعلمه من الآية
.1نتعلم أن الدعاء هو قيمة الإنسان
نتعلم أن الإنسان لا قيمة له عند الله إلا بدعائه.
.2نتعلم أن الله غني عن العالمين
نتعلم أن الله لا يحتاج إلى أحد .نحن الذين نحتاج إليه.
.3نتعلم أن التكذيب يؤدي إلى العذاب
نتعلم أن من كذب الحق، ينتظره العذاب اللازم.
.4نتعلم أن السورة كلها تدور حول الدعاء
نتعلم أن كل صفات عباد الرحمن هي ثمرات الدعاء.
.5نتعلم أن الخاتمة تعيدنا إلى البداية
نتعلم أن بداية السورة ونهايتها يدوران حول محور واحد: الدعاء والعبادة.
الموضوع الثالث عشر13: دلالة اختتام السورة بهذه الآية
.1التذكير بقيمة الإنسان
السورة عرضت عظمة الله في خلقه، وعظمة الفرقان الذي أنزله، ثم عرضت صفات عباد الرحمن العظيمة، ثم ختمت بأن قيمة الإنسان عند الله هي بدعائه .لئلا يغتر أحد بصفاته، وليعلم أن كل ذلك بفضل الله وتوفيقه.
.2التأكيد على أن الدعاء هو الغاية
الفرقان نزل ليدعو الناس إلى الدعاء، وإلى العبادة .فمن استجاب، كان من عباد الرحمن .ومن أعرض، كان من المكذبين.
.3التحذير من التكذيب
السورة حذرت من التكذيب في مواضع كثيرة، وختمت بهذا التحذير الشديد: "فقد كذبتم فسوف يكون لزامًا" .ليكون آخر الكلام إنذارًا.
.4ربط النهاية بالبداية
بداية السورة: "تبارك الذي نزل الفرقان" .نهاية السورة: "ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم" .الفرقان نزل ليدعوكم إلى الدعاء .فمن دعا، نال البركة .ومن كذب، نال اللزام.
.5إعلان أن القيمة الحقيقية في الدعاء
في زمن يقاس الناس فيه بالمال والجاه، تعلن هذه الآية أن المقياس الحقيقي هو الدعاء .فمن كان أكثر دعاءً وعبادة، كان أعلى قيمة.
الموضوع الرابع عشر14: دور مفاهيم الآية في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة
.1في بناء الإنسان المتزن
نفسيًا
تمنح الآية الإنسان الوعي الذاتي من خلال:
· معرفة أن قيمته بدعائه، لا بماله.
· الشعور بالحاجة إلى الله.
· التواضع وعدم الغرور.
عقليًا
تزرع الآية في العقل:
· فهم أن الدعاء جوهر العبادة.
· فهم أن الإنسان لا قيمة له بدون الله.
· فهم أن التكذيب يؤدي إلى العذاب.
تربويًا

تعلم الآية الإنسان:
· الدعاء: منهج حياة.
· التواضع: فلا يرى لنفسه قيمة بدون الله.
· الخوف: من عاقبة التكذيب.
.2في بناء المجتمع المسلم
المجتمع الذي يتدبر هذه الآية هو مجتمع:
· تسوده روح الدعاء: فأفراده يعلمون أن قيمتهم عند الله.
· متواضع: لا يفاخر بالمال والجاه.
· يخاف من التكذيب: فلا يكذب بالحق.
· مؤمن بأن الله هو الغني: وهم الفقراء إليه.
.3في بناء الحضارة الإسلامية
الحضارة الإسلامية قامت على الدعاء والتوكل على الله .المسلمون عرفوا أن قوتهم من الله، فدعوه ونصروه .فكانت حضارة عظيمة.
هذه الآية تحمي الحضارة من:
· الغرور: فلا تغتر بقوتها.
· الاستكبار: فلا تستكبر على غيرها.
· الابتعاد عن الله: فتذكرها أن قيمتها بدعائها.
.4في البناء والتنمية
في مجال التنمية، هذه الآية تعطيك:
· أهمية الهدف: التنمية لوجه الله.
· أهمية التواضع: القادة المتواضعون أنجح.
· أهمية الدعاء: التوفيق من الله.
الخاتمة: كيف تعيش هذه الآية؟
· كل صباح، تذكر أن قيمتك بدعائك .فأكثر من الدعاء.
· كل عمل، اجعله مقرونًا بالدعاء .فلا تغتر بقوتك.
· كل شعور بالكبر، تذكر أنك بدون الله لا شيء.
· كل خوف، تذكر أن الدعاء هو سلاحك.
· كل غفلة، تذكر أن السورة ختمت بهذه الآية لتدلك على أن كل ما فيها هو دعوة للدعاء.
هذه الآية هي خاتمة السورة، وهي تلخيصها .بدأت بالثناء على الفرقان، وختمت بأن قيمتك بدعائك . فاجعل الفرقان دليلك، والدعاء حياتك .وكن من عباد الرحمن، تكن من الفائزين.
وقفة أخيرة: ما هي قيمتك عند الله؟
الآية تضعك أمام سؤال: ما هي قيمتك عند الله؟
هل تقاس بمالك؟ بمنصبك؟ بجمالك؟ بعلمك؟
لا .تقاس بدعائك .فما هو نصيب الدعاء من يومك؟ ما هو نصيب العبادة من حياتك؟
تذكر: لولا دعاؤك، ما كنت شيئًا .فاجعل الدعاء حياتك.

المراجع

أولا ً: المصادر التفسيرية) أمهات الكتب(

* تفسير ابن جرير الطبري) جامع البيان(: استُخدم لتتبع أقوال السلف وبيان المعاني اللغوية.
* تفسير ابن كثير) تفسير القرآن العظيم(: المصدر الأساسي لأسباب النزول، وأقوال السلف، والتفسير بالمأثور.
* تفسير السعدي) تيسير الكريم الرحمن(: المصدر الرئيسي للتحليل العام، بيان المقاصد الكلية، و الفوائد التربوية.
* تفسير الفخر الرازي) مفاتيح الغيب(: اعتُمد عليه في المسائل العقدية والفلسفية، والتحليل المنطقي، والرد على الشبهات.
* تفسير القرطبي) الجامع لأحكام القرآن(: استُخدم لبيان الأحكام الفقهية، التوجيه اللغوي، وتفسير القصص والأمثال.
* تفسير ابن عاشور) التحرير والتنوير(: لتحليل مقاصد السورة، التناسب بين الآيات، والأساليب البلا غية.
* تفسير البغوي) معالم التنزيل(: استُعرضت من خلاله أحاديث فضائل السورة والآيات.
* تفسير الجلالين) للمحلي والسيوطي(: للاستفادة من الإيجاز في بيان المعنى الإجمالي.
* تفسير الزمخشري) الكشاف(: للتحليل البلاغي والبياني.
* التفسير الوسيط) للأزهر الشريف(: للتحليل الموضوعي المتوسط للآيات.
* التفسير الميسر) مجمع الملك فهد(: لبيان المعنى المختصر.
* المختصر في التفسير) مركز تفسير(: لبيان المعاني الموجزة
*تفسير المنار
*الامين الشنقيطي
*تفسير روح البيان
* .تفسير ابو السعود
*تفسير فتح القدير
*تفسير طيبه

ثانيا: المصادر اللغوية ومعاني المفردات

* معجم مقاييس اللغة) ابن فارس(: لتتبع أصول الكلمات واشتقاقاتها.
* المفردات في غريب القرآن) الراغب الأصفهاني(: لبيان المعاني الاصطلاحية للمفردات.
* غريب القرآن) ابن قتيبة(: لبيان غريب الألفاظ.
* تذكرة الأريب في تفسير الغريب) ابن الجوزي(: لبيان المفردات الغريبة.
* غريب القرآن) السجستاني(: لتتبع المفردات الغريبة.
* الكليات) الكفوي(: لتوضيح المصطلحات.

ثالثا: المصادر البلاغية والبيانية

* لمسات بيانية) د .فاضل السامرائي(: لتحليل الأسرار البلاغية ودقة اختيار الألفاظ.
* نظم الدرر) البقاعي(: لبيان المناسبات بين الآيات والسور والترابط الموضوعي.
* أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز) عبد القاهر الجرجاني(: لتحليل المجاز والاستعارة والنظم القرآني.
* حاشية الطيبي على الكشاف: لبيان المناسبات بين الآيات.

رابعا: مصادر علوم القرآن) أسباب النزول، القراءات، الإعراب(

* أسباب النزول) للواحدي(: المصدر الرئيسي لتتبع أسباب النزول.
* لباب النقول) للسيوطي(: لاستعراض الروايات المختلفة في أسباب النزول
*اسباب النزول للنيسابوري.
* النشر في القراءات العشر) ابن الجزري(: لتوجيه القراءات المتواترة وأحكام التجويد.
* متشابهات القرآن) للكسائي(: لبيان المتشابه اللفظي.
* الكافي في القراءات السبع) الداني(: لأصول القراءات وأحكام النون والمدود.
* مشكل إعراب القرآن) مكي بن أبي طالب(: لتوجيه الإعراب المشكل.
* التبيان في إعراب القرآن) العكبري(: لتوجيه الإعراب.
* الدر المصون) السمين الحلبي(: للتحليل الإعرابي والنحوي.

خامسا: مصادر التزكية والتربية والفكر

* في ظلال القرآن) سيد قطب(: للتوجيه التربوي والروحي وربط الآيات بالواقع.
* مدارج السالكين وإغاثة الل هفان) ابن القيم(: لتحليل منازل العبودية وأمراض القلوب.
* مجموع الفتاوى) ابن تيمية(: للمسائل العقدية والتربوية.
* القيم التربوية في ضوء سورة الفرقان) د .طارق سيف ثابت.(
* منهجيات الإصلاح والتغيير) هاني الجلب(: لبيان منهجيات البناء الحضاري.
* الدعوة والداعية في ضوء سورة الفرقان) محمد سعيد البارودي.(
* سورة الفرقان وهداياتها الرفيعة) منى عبد الحميد أبو زيد.(

سادساً: مصادر الإعجاز العلمي
* موقع فصلت للدراسات القرآنية: لتحليل الآيات ذات الدلالات العلمية) كالظل، ومرج البحرين.(
* الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة: لتثبيت المعلومات المتعلقة بالظواهر الكونية.
* موقع إعجاز القرآن العلمي: للتحقق من دلالات آيات الليل والنهار والماء.
سابعا مصادر الثقافه والحضاره والتنميه
*القيم التربويه في ظل سوره الفرقان المؤلف دكتور طارق سيف ثابت
*منهجيه الاصلاح والتغيير في سورتي الفرقان والشعراء المؤلف هاني الجلب
*دور الاسره المسلمه في تربيه اولادها على صفات عباد الرحمن المؤلف مسفر المالكي
*سوره الفرقان وهدايتها الرفيعه المؤلفه منى عبد الحميد ابو زيد
**الدعوه والداعيه في ضوء سوره الفرقان المؤلف محمد سعيد البارودي
*زاد المعاد في هدى خير العباد
ثامنا:- المصادر الإلكترونية المعتمدة
* موسوعة التفسير - الدرر السنية:.(dorar.net/tafseer)
* مشروع المصحف الإلكتروني بجامعة الملك سعود:.(quran.ksu.edu.sa)
* موقع التفاسير:.(quran-tafsir.net)
* موقع إسلام ويب:) تفسير السعدي.(
* موقعengyfoda.com : للمناسبات واللمسات البيانية.